مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تموز (يوليو) سنة ١٩٦٨م   ربيع الآخر سنة ١٣٨٨ هـ

النسب الى كيمياء وأشباهها (١)

أهو بالواو أم بالهمزة أم بكلتيهما ؟

تلقيت من العلامة الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة مكتوباً برقم ١٦٠ وتاريخ ٢٢/٢/١٩٦٨ يقول فيه : « ... وقد تفضلتم في الدورة الخامسة عشرة للمجمع فقدمتم إليه بحثاً في النسب إلى كيمياء ونحوها من المركّبات الممدودة . وقد افتقدنا هذا البحث ، ونريد أن نحصل على نسخته ، فرجائي أن يكون في الإمكان إرسال النسخة أو إرشادنا إلى مكانها إن كانت قد نشرت من قبل » .

(١) أرسلت هذه الكلمة إلى المطبعة يوم وفاة الفقيـد في ١٣ أيار سنة ١٩٦٨ وهي آخر ما خطه .   « المجلة »

وقد وجدت أن البحث المذكور كان أرسل إلى مجمع القاهرة في ٣٠/١١/١٩٤٦ ولم أكن في ذلك الزمن رئيساً للمجمع العلمي العربي بدمشق ولا نائب رئيس ، وكنت قد أهملت نشر البحث ولكنني احتفظت بمسوّدته .

والذي أعتقده أنه يجب أن تكون قد ثارت أخيراً مناقشة بين أعضاء المجمع في القاهرة حول موضوع النسب بالواو والنسب بالهمزه . ومهما يكن من أمر فقد رأيت من المفيد نشر البحث المذكور في مجلتنا بدمشق لما فيه من فائدة . وبفيد القول بأنني كنت اتفقت أنا والمرحوم عز الدين التنوخي على مضمونه .

وكنت أنسب بإبقاء الهمزة ، في الطبعة الأولى من معجم الألفاظ الزراعية ، فأقول « كيميائي » كما يقولون في مصر . ولكنني صرت أقول « كيمياوي » في طبعته الثانية . وهاكم صورة من بحثي المذكور :

★ ★ ★

إلى حضرة صاحب السعادة سكرتير مجمع فؤاد الأول للغة العربية القاهرة

قرأت في الجزء الخامس من مجلة المجمع بحثاً للفقيد الأب أنستاس في النسب إلى كيمياء خلاصته أنه لا يجوز اعتبار همزة كيمياء أصلية لأن هذه الكلمة معربة ، ولأنه لا وجود في غير العربية لكلمات تنتهي بألف وهمزة . ويرى الفقيد أنه يجب إذن اعتبار الهمزة زائدة في كيمياء ، وأنه لا بد من قلبها واواً في النسب إليها ، على غرار همزة زكرياء المدودة ، فقد نقل عن كتاب سيبويه وعن الجوهري أنهما قالا زكرياوي ولم يقولا زكريائي . وهكذا الحال في النسب الى كيمياء .

ويستنتج القارئ من بحث الأب رحمه الله أنه لا يجوز غير كيماوي وكيمياوي في النسب إلى كيماء وكيمياء . ولكن الأب لم يبت ذلك بصراحة ،

في آخر بحثه ، بل قال فيه : « ... لم يبق شك في أن الكيمياوي والكيماوي من أصح الكلام وأقومه الخ» ، أي أنه أثبت صحة قلب الهمزة واواً ، ولكنه لم ينفِ صحة إبقائها على حالها ، على حين أنه كان في مناسبات شتى يخطّئ القائلين بإبقائها .

وجاء في مقدمة هذا البحث أن المجمع وافق عليه ؛ فلم أتبين في هذه الجملة المقتضبة هل وافق المجمع على صحة قلب الهمزة واواً فقط ، أم وافق أيضاً على صحة إبقائها على حالها ؟

فالمجمع كان ذهب إلى عدّ جميع أحرف كيمياء المعرّبة قديماً أصلية ، ولهذا كان يبقي الهمزة في النسب إليها . ولم يقلبها واواً في أجزاء مجلته الأربعة حتى إذا أقرّ بحث الأب أنستاس ، جعل يستعمل المقلوبة أيضاً ، على ما قرأت في الجزء الخامس ، دون التصريح بجواز الوجهين ، ودون تعليل ذلك .

والذي أراه أن كلا الوجهين صحيح أي القلب والإبقاء ، وهو ما أشرت إليه في مادة Chimique ، Engrais من معجم الألفاظ الزراعية . وذلك بأن كلمة كيمياء ورفيقاتها عُربت قديماً عن اليونانية على ما هو معروف . وقد قال بعض علماء أصول الكلم الفرنسية إنها من (Khymeia) اليونانية بمعنى « مزيج من العصارات » ، ورجح الثقات منهم اليوم كونها من (Khêmia) بمعنى « السحْر الأسود » وهذه لفظة مؤلفة من (Kêm) أي الأسود بالمصرية القديمة ، ومنها (Kêmeia) اسم مصر عند قدماء المصريين ، على ما ذكره هيرودوتس . « عن معجم موثوق به في أصول الكلم الفرنسية » .

ومهما يكن من أمر فالبحث يتعلق بلفظ أعجمي عرّبه أجدادنا قديماً بهمزة وبلا همزة . ولا شك أن الهمزة مضافة ، لأنه لا وجود لها في الكلمة الأعجمية التي عُربت . ولكن هذا اللفظ المعرب ليس له أصل عربي يُرجع اليه في البحث عن الهمزة ، كأن يقال إنها أصلية ، أو زائدة محضة للتأنيث ، أو ملحقة بحرف أصلي . ولذلك أرى أن يد المجمع مطلقة في عدّ همزة هذه المعربات الممدودة ، على حسب ما يراه صحيحاً أو موافقاً لمصلحة اللغة .

وهذه الحرية لا غبار عليها ، على ما أعتقد ، ما لم يكن في كتب الصرف القديمة نص صريح قاطع يتعلق بالنسب إلى المعربات المذكورة .

وقد رجّحت أنا وبعض الرفاق في دمشق عدّ هذه الهمزة ملحقة كهمزة علياء وحرباء . ومن المعلوم أنه في هذه الحال يجوز قلب الهمزة واواً ، أو إبقاؤها على حالها ، ولكن القلب أولى .

ولا يخفى على مجمعكم الموقر أن معظم كتّاب الشام يقلبون الهمزة واواً في النسب إلى كيمياء وأشباهها ، ويحسبون أن بقاءها خطأ . أما كتّاب مصر فيرون عكس هذا الرأي . وفي هذا الوضع تشويش وضرر ، ولا سيما عندما يسأل التلميذ معلمه عن صحة النسب إلى هذه الكلم فيجيب كل معلم بما يراه .

والكلمات المذكورة كثيرة ، فمن المعرّبات القديمة كيماء ، وكيمياء ، ولوباء ، ولوبياء ، وتوتياء ، وبورياء وهندباء ومصطفاء الخ .

ومن المعربات الحديثة فيزياء ، وفاصولياء ، وكستناء ، وسيناء ، وغيرها (والأخيرة قلما تستعمل بالمد ، ولكن معظم الكتاب ينسبون إلى الممدودة بإبقاء الهمزة ، فيقولون سينائي) .

وبعد إذا وجدتم هذا الاقتراح صالحاً للمذاكرة عرضتموه على المجمع ، ونشرتموه في مجلته ، وإلا طويتموه ، ورأيكم الموفق ، وأطال الله بقاءكم والسلام .

دمشق في ٢٥ من نيسان « ابريل » سنة ١٩٤٩

مصطفى الشهابي
من الأعضاء المراسلين

العنوان :
الأمير مصطفى الشهابي بدمشق

* * *

وبعد هذا هو البحث الذي طلبه الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة . وقد رأت لجنة المجلة والمطبوعات في مجمع دمشق أنه من المفيد نشره فيها . أما مجمع القاهرة فقد كتب إليّ شاكراً وقائلاً إنه سيحيل الموضوع إلى لجنة الأصول لمدارسته وإعطاء رأيها في مضمونه وتقديم هذا الرأي إلى مجلس المجمع .

مصطفى الشهابي

بقايا الفصاح

كلّما مررت بطائفةٍ من بقايا الفصاح دوّنتها في دفتري ، لأن هذه البقايا تدلّنا على أشياء كثيرة من حياة لغتنا ، فقد نتمكّن مثلاً من أن نعرف أن اللفظ الفلاني الذي لا يزال شائعاً في أيّامنا على ألسن العامّة ، ونحن نحسبه عامياً ، قد شاع في القديم على ألسن البلغاء من الكتّاب والشعراء ، وإذا كنّا نحرص على رفع لغتنا العامّة إلى آفاق اللغة الفصيحة فقد يعيننا على هذا الحرص التفتيش عن بقايا الفصاح واستعمالها في كتاباتنا وأحاديثنا ، وعلى هذا الشكل فانّا نربط حاضر لغتنا بماضيها حتى لا تنفصم عرى هذا الحاضر والماضي ، وفضلاً عن ذلك كلّه فانّا نجد في الكشف عن طوائف من بقايا الفصاح مظاهر انتقال الألفاظ من معنى إلى معنى على تراخي السنين ، فقد يكون للفظٍ من الألفاظ معنى في القديم ، فإمّا أن يحافظ في الحديث في اللغة العامّة على معناه القديم وإمّا أن ينتقل إلى معنى آخر ، ثم قد نجد في بعض الأحيان أن الألفاظ قد تختلف معانيها على اختلاف الأذهان التي تستعملها ، وقد نجد أخيراً أن لفظاً من الألفاظ الفصيحة قد بطل استعماله في لغة الخاصة أو قلّ ، وقد ظلّ مستفيضاً في لغة العامّة ، وقد يكون في ضرب الأمثال توضيح لكل ما ذكرت .

من بقايا الفصاح : فلان مُنهْنَه . . . لعب به ولعب عليه . . . فتح عليه باباً . . . مسكه على النداء . . . فلان يفوش ، وإني لأقتصر في هذا المقال على هذه الموادّ دون غيرها .

من الألفاظ التي انتقلت معانيها بعض الانتقال من وجه إلى وجه لفظ : نهنه ، فكثيراً ما نسمع قول العامّة والخاصة : فلان منهنه من شدّة البكاء أو من شدّة التعذيب أو من شدة الإعياء ، في معجمات اللغة : نهنهه عن الأمر فتنهنه كفّه وزجره فكفّ ، وقد وردت هذه المادة في طائفة من شعر المتقدمين أمثال حسّان بن ثابت وجرير والفرزدق وديك الجن .

فمن قول حسّان :

ونشربهـــا فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقـــاء

فالنهنهة في هذا البيت معناها : الزجر والكف وهو المعنى المطابق لما جاء في معجم اللغة .

ومن قول جرير :

أبني حنيفـــة نهنهوا سفهاءكم ... إني أخاف عليكم أن أغضبا

فلم يخرج جرير في استعمال هذه المادّة عن أصل معناها .

وكذلك فعل الفرزدق في قوله :

لقد حبس القسريّ في سجن واسط ... فتىً شيظمياً ما ينهنهه الزجر

إلاّ أنّ المبرّد لما فسّر : ينهنهه في هذا البيت قال : أي ما يحرّكه .

وأخيراً هذا بيت ديك الجن :

نهنهت الخسون من شـــدّتي ... وضيّقت خطوي بعد اتساع

فان قوله : نهنهت من شدّتي معناه : كفّت من هذه الشدة ، فلم يبق لي من القوة وأنا ابن خمسين ما كان لي منها في نضارة الشباب .

فليس في هذه المادّة التي وردت في شعر المتقدمين المعنى الذي تريده العامّة في يومنا هذا ، ليس فيها شيء يدلّ على الإعياء أو التعذيب مثلاً ، فقد تحوّل معناها على تعاقب السنين عن أصله اللغوي ، فانتقل من وجه

إلى وجه ، وهكذا نجد أن من معاني بعض الألفاظ ما لا يثبت على أصله ، وقد يكون البحث عن عوامل هذا التحوّل من طرائف الأمور .

أمّا المادّة التي اختلف معناها في ذهن رجلين استعملاها في القديم فهي مادّة : لعب به ، ورد هذا الفعل في أخبار بلال بن رباح في تاريخ ابن عساكر ، إلاّ أن الخبر طويل لا سبيل إلى ذكره بحذافيره ، وقد تكون الفائدة في آخر الخبر . كان بلال مؤذن الرسول ﷺ يرعى على عبد الله بن جدعان بمكة غنمه قبل إسلامه ، ثم أسلم وكتم إسلامه ، فدخل يوماً مكة وقريش في ظهرها لا يعلم ، فأتى الأصنام فجعل يبصق عليها ، فطلبته قريش ، فهرب حتى دخل دار سيده عبد الله بن جدعان فاختفى فيها ، ثم دفعه ابن جدعان لأبي جهل وأمية بن خلف وقال : شأنكما به فهو لكما فاصنعا به ما أحببتما ، فخرجا به إلى البطحاء يبسطانه على رمضائها ويجعلان رحاها على كتفيه ويقولان : اكفر بمحمّد ، فيقول : لا ، ويوحّد الله ، فبينا هما كذلك إذ مرّ بهما أبو بكر فقال : ما تريدان بهذا الأسود ، والله ما تبلغان به ثأراً ، فقال أميّة بن خلف لأصحابه : ألا ألعبنّكم بأبي بكر لعبة ما لعبها به أحد ، ثم تضاحك وقال : هو على دينك يا أبا بكر فاشتره منّا ، فاشتراه أبو بكر . . . إلى آخر الخبر .

فالذي يعنينا من هذا الخبر قول ابن خلف : ألا ألعبنكم بأبي بكر لعبة . . . في اللغة فلان لُعْبة أي أحمق يسخر منه ، ورجل لعبة : يُلعب به ، ولكن هل أراد ابن خلف السخرية في هذا المقام ، معاذ الله أن يكون اللعب بأبي بكر من هذا القبيل ، فان أبا بكر رضي الله تعالى عنه أجلّ من أن يجترئ أحد على السخرية منه ، فاللعب في ذهن أمية بن خلف لم يكن معناه السخرية ، وبقية الخبر تثبت ذلك ، فإن ابن خلف أراد باللعب نوعاً من الحيلة والتشديد على أبي بكر في شراء بلال ، وقد حمله على هذا كله

طمعه الشديد ، وإثباتاً لهذا القول لا بدّ من ذكر بقية الخبر ، لما قال ابن خلف : هو على دينك يا أبا بكر فاشتره منّا ، قال أبو بكر : نعم ، فقال : أعطني عبدك نسطاساً ، ونسطاس عبد لأبي بكر ، حدّاد يؤدي خراجه نصف دينار ، فقال أبو بكر : إن فعلتُ تفعل ، فقال : نعم ، فقال : قد فعلت ، فتضاحك وقال : لا والله تعطيني معه امرأته ، فقال : إن فعلتُ تفعل ، قال : نعم ، قال : فذلك لك ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تعطيني ابنته مع امرأته ، قال : إن فعلتُ تفعل ، قال : نعم ، قال : قد فعلت ، قال : فتضاحك وقال : لا والله حتى تزيدني معه مائتي دينار ، قال أبو بكر : أنت رجل لا تستحي من الكذب ، قال : لا واللات والعزّى لئن أعطيتني لأفعلن ، فقال هي لك ، فأخذه .

لا ريب في أن لعب به في الخبر المتقدم لا يشتمل على شيء من السخرية وإنما ينطوي هذا الفعل على حيلةٍ ممزوجة ببعض الدالّة ، وورود فعل تضاحك أربع مرات يؤيد ذلك ، فاللعب في ذهن ابن خلف خالٍ من السخرية ، أي من معناه اللغوي ، واختلاف معاني الألفاظ في أذهان مختلفة قد يؤدي في أكثر الأوقات إلى شيء من سوء التفاهم ، فكل واحدٍ يفسّر اللفظ حين يقذف به على قدر نيته ، فيخرج به عن معناه الثابت ويجعل له في ذهنه معنى خاصاً وهذا أمر نشهده في أحاديثنا الخاصة وفي مجالسنا ، فيكثر في خلال هذه الأحاديث والمجالس سوء التفاهم فيضطر كل واحدٍ إلى الاعتذار مرّة ، وإلى حسن التأويل مرّة .

ولكن إذا لم يكن لفعل : لعب به في ذهن أميّة بن خلف معنى السخرية فإن له في ذهن ابن أبي عتيق هذا المعنى نفسه ، كان ابن أبي عتيق من نسّاك قريش وظرفائهم ، على نحو ما ورد في كامل المبرّد ، بل كان قد

بذّم ظرفاً ، فمن طريف أخباره أنه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة :

فما نلت منها محرماً غير أننـــا كلانا من الثوب المطرّف لابس

فقال : أبنا يلعب ابن أبي ربيعة ، فأي محرم ؟ فركب بغلته متوجهاً إلى مكة ... إلى آخر الخبر ، فلا شك في أن قول ابن أبي عتيق في هذا المقام : أبنا يلعب ابن أبي ربيعة يشتمل على معناه اللغوي وهو السخرية ، فليس فيه شيء من الحيلة أو الدالّة أو الكذب ممّا ورد في خبر بلال .

وقد وجدت في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة خبراً استعملت فيه لفظة : تلعّبه بدلاً من لعب به وهذا هو الخبر :

جاء فتيان إلى أبي ضمضم بعد العشاء ، فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ! قالوا : جئناك نتحدّث ، قال : كذبتم ، ولكن قلتم : كبر الشيخ فنتلعّبه عسى أن نأخذ عليه سقطة !

وقد فسّر الذين طبعوا الكتاب في باريز : نتلعّبه بقولهم : نلهو به ، إلاّ أني لم أجد في معجم الفيروزابادي هذه المادّة : تلعّبه بمعنى لعب به وإنما جاءت : تلعّب لازمة بمعنى : لعب ، والأمر يحتاج إلى زيادة في التحقيق .

ولكن هل حافظت هذه المادة في لغة العامّة عصرنا هذا على معناها القديم ، من أمثال العامة في دمشق : جدي لعب بعقل تيس .. وهم يريدون بذلك أن الصغير ضحك على الكبير ، وقد تختلف وجوه هذا الضحك ، فإمّا أن الصغير قد ألقى الكبير في ورطة لا سبيل إلى النجاة منها وإمّا أنه جرّ هذا الكبير إلى أمر جعل الناس يسخرون منه ، أو ما شابه ذلك . وقد تعدّي العامة فعل لعب بحرف على فتقول : لعب عليه ، وأكثر ما تستعمل هذه المادّة في المواضع التي تشتد فيها الحاجة إلى ضرب من الحيلة كالانتخابات ونحوها ، فاذا قالوا : لعب عليه أرادوا أنه خدعه فدفعه إلى تصديقه ، وهو لا يشعر بهذه الخديعة ، أو أنه قد شعر بها بعد حين ، وقد يكون

بعض الفرق بين : لعب به ولعب عليه ، فالأولى تتضمن السخرية ، والثانية قد تتضمن الحيلة والخديعة ، على أن المادة واحدة ، ولكن حرف التعدية قد جعل في الظاهر بعض الفرق في المعنى ، وكيف كان الأمر فان قولنا : لعب به ولعب عليه لا يزال شائعاً على ألسن العامّة .

ومن التراكيب التي لا نزال نجد لها أثراً يومنا هذا قولهم : فتح على نفسه باباً ، فالعامة تريد بذلك أنه ألقى بنفسه في أمر فيه كثير من التعب ، فالحكومة مثلاً في فعلها كذا وكذا فتحت على نفسها باباً أي جرّت التعب إليها . نجد في كامل المبرّد أبياتاً للنميري يجيب بها جريراً ، في جملتها هذا البيت :

وإني إذ أسبّ بها كليباً فتحت عليهم للخسف بابا

وهكذا نرى أن بعض كلام جرير لا يزال يجري على ألسن العامة بعد الأحقاب الطويلة :

وكما بقيت لجرير آثار في لغة العامّة ، فكذلك بقيت للمتنبي آثار ، جاء في شعره في بعض قصائده :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

وقد شرح اليازجي قول المتنبي : ويمسكني ، على هذا الوجه : هو يمسكني عنده ليتمدّح بقصدي إيّاه .

كثيراً ما نسمع في لغة العامة والخاصة في دمشق قولهم : مسكه على الغداء أو على العشاء ، فقد يزور أحدنا صديقاً له في وقت الغداء أو في العشاء فيمسكه ليتغدّى أو يتعشّى معه ، فهم يعدّون هذه المادة بعلى ، وقد وردت في اللغة ثلاثية ورباعية : مسك به مثل أمسك ، فالشائع في اللغة العامة الثلاثي كما أن الشائع حرف التعدية على بدلاً من الباء ، ولا يبعد أن المتنبي أراد من قوله : ويمسكني ، .. يمسكني على الطعام على نحو قولنا

في دمشق ، ولست أرى فرقاً بين أن يمسكه كافور ليتمدح بقصده إيّاه وبين أن يمسكه على الطعام ، على أنني أرى تفسير المسك في هذا المقام بالحبس على الطعام أبلغ في المعنى ، فكافور يأكل من زاد المتنبي ويمسكه على الطعام ، أي على زاده نفسه .

ومن طريف المشاهدات أن تموتَ لفظة في لغة الكتّاب والشعراء أو يقلّ استعمالها وأن تعيش هذه اللفظة في لغة العامّة ، يقولون في دمشق : فلان يفوش كثيراً وهم يريدون بذلك أنه إذا حدّث بالغ في حديثه عن نفسه ، وجاوز الحدّ في التنويه بكرمه أو شجاعته وأمثال هذه الأمور ، ماذا نجد في اللغة : فاش الرجل افتخر وتكبّر ورأى ما ليس عنده وهو فيّاش ، وفي بعض شعر المتنبي :

إذا ذكرتْ مواقفه لحافٍ وشيكَ فما ينكّس لانتقاش

تزيل مخافةَ المصبور عنه وتلهي ذا الفياش عن الفياش

فالفياش في هذا الشعر المفاخرة كالمفايشة ، فقد جاء هذا الفعل في شعر المتنبي من باب فاعل ، وسوآء استعملت مادة فاش أم استعملت مادّة فاوش فان معنى هذا الفعل الفصيح لا يختلف عن المعنى العامي في أيّامنا ، فالمعنيان الفصيح والعامي يدلاّن على مجاوزة الحد في الادّعاء والمفاخرة وما شابه ذلك ، أمّا الطريف في هذا كله أن تذهب المفايشة من لغة الكتّاب والشعراء في عصرنا هذا وأن تبقى : فاش في لغة العامّة ، وهي فصيحة ، ولكن مضارعها الفصيح : يفيش ، ، أمّا العامة فانها تقول : يفوش ، وكيف كان الأمر فقد بقيت : فاش في لغة العامّة وماتت أو كادت تموت في اللغة الفصحى .

شفيق جبري

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٥ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٧٤٤٤	انسمام ، تسمم ، إنذئاف	Intoxication , empoi - - sonnement	7444

وأرجح الاقتصار على انسمام وتسمم ، ولإنذئاف معنى خاص (١) .

٧٤٤٧	انسمام بالقِنَّب الهندي	intoxication par le chan - - vre indien	7447

وأقر مجمع اللغة العربية الانسمام بالحشيش ، وجاء في الشرح : وهو القمم الزهرية لأنثى نبات القِنَّب .

٧٤٤٨	إنسمام بغازات الحَرْب	intoxication par les gaz de combat	7448

وأفضل انسمام بغازات القتال تاركاً الحرب ترجمة لِ (guerre) .

---

(١) في اللسان : الذّأف سرعة الموت الألف همزة ساكنة وموت ذؤاف وَحيٌّ كذعاف : بسرعة . والذأْف والذّأَف الاجهاز على الجريح وقد ذأفه وذأف عليه . والذيفان والذيفان السم الذي يذأف ذأفاً .

7449 intoxication par la laitue vireuse — إنسام بالخس البري (اللشّبّين) ٧٤٤٩

والصحيح الانسام بالخس السام كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي ، ولم أعثر على لفظة اللشّبين في المعجم المذكور ولا في المعاجم اللغوية الأخرى (١) .

7450 intoxication collective — إنسام إجمالي ٧٤٥٠

وأرجح انسام جماعي لأنه يشتمل على إصابة جماعة من الناس .

7457 intradermo - réaction — تفاعل أدمي ٧٤٥٧

وأرجح ارتكاس أدمي كما أقرها مجمع اللغة .

7460 Intra - mural , le — في الأعضاد ٧٤٦٠

وأرجح داخل الجدار ، لأن المعروف أعضاد جمع عَضُد (٢) .

7462 intra pariétal, ale — في الجداري ٧٤٦٢

وأفضل في الجدار وداخل الجدار وفي الجداري وداخل الجداري . ففي الحالة الأولى تكون اللفظة مخصصة بجدار أي عضو من الأعضاء وفي الثانية يقصد النسبة إلى الناحية الجدارية من الدماغ أو الرأس (٣) .

7464 intra - péritonéal , ale — في الصيفاق ٧٤٦٤

وأفضل داخل جوف البريطون أو في جوف البريطون (٤) .

---

(١) لقد جاء في شرح لفظة (laitue) Lactusa من المعجم المذكور : خس (جنس نبات من الفصيلة المركبة فيه أنواع زراعية مشهورة (انظر laitue) وفيه أنواع برية يستعمل بعضها في الطب ويؤكل ورق بعضها (l. cretica : خس بري يؤكل ورقه l. virosa : خس سام) .

(٢) في المعجم الوسيط العضد ما بين المرفق إلى الكتف والجمع أعضاد .

(٣) انظر شرح لفظتي intramural , intraparietal في معجم بلاكستون (Blakiston's) .

(٤) الصفحة ٢٢٨ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

٧٤٦٦ في الرحم — 7466 intra - utérin , ine

وأقر مجمع اللغة داخل الرحم .

٧٤٦٨ في الوعاء — 7468 intravasculaire

وفي العِرْق أو داخله .

٧٤٧٢ مشبَّك — 7472 Intriqué , ée

وأرجح متشابك ومعقَّد .

٧٤٧٨ بيِّن ، ما يدرك بالبصيرة — 7478 Intuitif , ve

٧٤٧٩ بصيرة — 7479 Intuition

والصحيح حَدْسي وبديهي في اللفظة الأولى والحَدْس (١) في اللفظة الثانية .

٧٤٨٠ إنغلال أو استسرار الحَلَمة — 7480 Invagination , ombi - - lication du mamelon

وأفضل انخفاض الحَلَمة أو غؤورها كما جاء في الترجمة الإنكليزية والألمانية للمعجم الأصلي (٢) .

٧٤٨١ مشوَّه ، عاجز ، أنظر مُقْعَد — 7481 Invalide , v. impotent

وأرجح عاجز فقط ، فقد سبق للجنة أن استعملت لفظة تشويه ترجمة للفظة (déformation) (اللفظة ٣٨٦٠) وتصبح لفظة مشوَّه ترجمة لِـ (déformé) و (mutilé) (اللفظة ٧٩٢٨) .

---

(١) انظر الاصطلاحات الفلسفية للدكتور جميل صليبا الصفحة ٤٤ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

في المعجم الوسيط : الحَدْس في اصطلاح المناطقة سرعة انتقال الذهن من المقدمات إلى النتائج .

في اللسان : الحدْس التوهم في معاني الكلام والأمور . والحدْس الظن والتخمين .

في المعجم الوسيط : قوة الإدراك واليقظة ، والعلم والخبرة .

في اللسان : والبصيرة : عقيدة القلب ، البصيرة : الفطنة .

(٢) (Depressed nipple) في الانكليزية و (Hohlwarze) في الألمانية .

7482 invalide , mutilé de guerre , réformé de guerre avec invalidité مُقعَد ، مشوَّه حرب ، منسَّق ٧٤٨٢

والأفضل عاجز ، مشوَّه حرب ، مسرَّح (١) من الجندية بعجز .

7483 Invalidité عجز ، إقعاد ، زمانة ٧٤٨٣

والصحيح عجز فقط . وقد أقر مجمع اللغة هذه اللفظة ترجمة لـ (disability) في الانـكليزية وجاء في الشرح : النقص في القدرة على العمل .

7484 Inversion قَلْب ، عَـكْس ، انقلاب ٧٤٨٤

وأقر مجمع اللغة إنقلاب فقط .

7485 inversion de la formule leucocytaire انقلاب الصيغة الـكريضية ٧٤٨٥

وأفضل إنقلاب صيغة الـكريات البيض .

7490 in vitro داخل الزُّجاج (في الزُّجاج) ٧٤٩٠

وأقر مجمع اللغة في الأنبوب .

7491 in vivo (dans le corps vivant) داخلَ الحي (في الجسم الحي) ٧٤٩١

وأرجح في الحي (في بدن الحي) .

7493 Involution , regression حَـكْش ، ترد ٧٤٩٣

وأقر مجمع اللغة أوْب (أكياس أوبيـــة في الثدي involution cysts of brast) ودرجت على ترجمة اللفظة بالنُّكوص (٢) في إحدى مـــعاني

(١) في المعجم الوسيط : سرّح الشيء أرسله يقال سرّحَ الرسول أرسله في حاجة وسرّح فلاناً إلى موضع كذا وسرّح المرأة طلقها : وفي التـــنزيل العزيز : (فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جيلاً) وسرّح العامل أخلاه من عمله (محدثة) .

(٢) في اللسان : الأوب الرجوع .
في اللسان : النُّكوص الرجوع ألى وراء وهو القَهْقَرَى .

الكلمة الثلاثة (١) والمعنيان الآخران هما الالتفاف إلى الداخل أو الالتفاف الباطن ثم الانتكاس (٢) . وليس للفظتي حكش وتردٍ (٣) مثل الدلالة المطلوبة ، وعليه أرى أن تكون ترجمة اللفظة حسب المعنى المقصود الالتواء أو الالتفاف الباطن ، النكوص (أو الأوب كما أقرها مجمع اللغة) ، والانتكاس أو الردّ (٤) .

٧٤٩٤ تردٍ شيخوخي — 7494 Involution sénile

وأرجح انتكاس الشيخوخة (٥) .

٧٤٩٥ حكَش الرَّحِم — 7495 involution utérine

وأفضل نكوص الرَّحم (٥) .

---

(١) تشير اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) إلى معان ثلاثة : « ١ » الالتفاف الباطن « ٢ » النكوص وهو عودة أحد الأعضاء إلى حجمه الأصلي بعد انتهاء عمله ، شأن الحال في الرحم الحامل وازدياد حجمها إبان الحمل ثم عودتها إلى حجمها السوي بعد الوضع بمدة قصيرة (٣) التبدلات التي تطرأ على جسم الإنسان من جراء تقدمه في السن وهرمه .

(٢) في اللسان : النَّكْس في الأشياء معنى يرجع إلى قلب الشيء ورده وجعل أعلاه أسفله ومقدمه مؤخره . انتكس في أمره فقد خاب وخسر إلى أن قال . وقوله تعالى ومن نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ في الخلق معناه من أطلنا عمره نكَّسنا خلقه فصار بدل القوة ضعفاً وبدل الشباب هرماً .

(٣) في القاموس المحيط : الحَكْش الجمع والقبض .

في اللسان : الرَّدى الهلاك ، ورَدِيَ بالكسر يردى ردىً هلك فهو ردٍ . وردّي في الهوّة: ردىً وتردى تهوّر وأرداه الله ورداه فتردّى ، قلبه فانقلب وفي التنزيل العزيز : وما يغني عنه ماله إذا تردّى ، قيل إذا مات الخ .

(٤) ومنه قوله تعالى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر .

(٥) انظر الشرح للين آنفاً .

٧٤٩٩ حَصَفٌ يودي 7499 Iodide

وأرجح طَفَحٌ[1] يودي أو اندفاع يودي ولفظة حَصَف[2] لا تنطبق على ما يقصد من اللفظة من اندفاع جلدي يظهر إثر استعمال أحد مركبات اليود .

٧٥٠٩ شاردة 7509 Ion

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأيون . وجاء في التعريف : الأيون ذرة أو مجموعة ذرات لها شحنة موجبة أو سالبة .

٧٥١٠ تَشَرُّد ، مداواة بالشوارد 7510 ionisation , ionothé-rapie , iontophorèse

وأقر مجمع اللغة التطبيب الأيوني ترجمة لِ (ionic medication) وجاء في التعريف : وهو تطبيب بتحليل الأدوية السائلة بالكهرباء وتوجيه الأيونات إلى القطب السالب أو الموجب وبذلك يمكن توزيع الدواء بواسطة التيار الكهربائي المستمر فتندفع الأدوية داخل الجسم .

كما أن المجمع أقر تعريب لفظة (ionophoresis) بالأيونوفورية ، وجاء في التعريف : وهي إدخال الأيونات في الأنسجة بتيار كهربائي .

وعليه فإني أرى أن تكون ترجمة الألفاظ : التأيين ، المعالجة الأيونيه والأيونوفورية .

٧٥١١ مِقياس الشَّوارد ، مِشراد 7511 Ionomètre

وأفضل مقياس الأيونات .

---

(١) في المعجم الوسيط : آفة جلدية ظاهرة ناشئة عن أمراض عامة كالحُميات (ج طفوح) (مج) .

(٢) في اللسان : والحَصَف بَثْرٌ صغار يَقَيَّحُ ولا يعظم وربما خرج في مراق البطن أيام الحر . وقد حَصِفَ جلده بالكسر يحْصَفُ حَصَفاً .

7512 Ions gazeux شوارد غازية ٧٥١٢

وأرجح أيونات غازية .

7516 Iris قُزَحية ٧٥١٦

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالحَدَقة[1] أيضاً . ولم أطلع في المعاجم اللغوية التي لدي بما فيها المعجم الوسيط على استعمال لفظة القزحية ، وهي مأخوذة من اليونانية بمعنى قوس قُزَح . وأرى الاقتصار على الحدقة أفضل[2] .

7517 iris bombé , iris en tomate قُزَحية مُقَبَّبَة ، قُزحية كالطماطم ٧٥١٧

ولعلّ قزحية كالبَنَدوري (الألفاظ الزراعية) أفضل وهو الاسم الدارج في سورية .

7536 Irritabilité, excitabilité, sensibilité , incitabilité استثارة ، تنبهية اهتياج ٧٥٣٦

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بثورانية ، وأرجح ترجمة الألفاظ تباعاً كما يلي : تهيج أو تخرش أو استثارة ، إحساس ، إثارة أو تحريض أو حث .

7537 Irritable , excitable قابل الاستثارة ، قابل التنبه ٧٥٣٧

وأرجح قابل الهياج أو التهيج أو التخرش ، مستثار .

7538 Irritant , te مُثير ٧٥٣٨

وأفضل مهيّج ومُخرِّش .

---

(١) جاءت لفظة القزحية في مصطلحات علم الرمد (الصفحة ٣٧٢ من المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع طبعة ديسمبر ١٩٥٧) وجاءت لفظة الحَدَقة في مصطلحات الطب والتشريح (الصفحة ٥٣٩٩ من المجموعة ذاتها) .

(٢) انظر الصفحة ٤٧٨ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

7539 irritant (non), non stimulant — غير مثير ، غير مُنبه ٧٥٣٩

وأفضل غير مخرش وغير حاث .

7540 irritants (medi - - caments) — مُثيرات ، مُخرشات (أدوية) ٧٥٤٠

وأرجح مُخرشة (أدوية) .

7544 Ischémie — فقر دم موضعي ٧٥٤٤

وأقر مجمع اللغة : قلة الدموية الموضعية وجاء في التعريف : هي نقص في كمية الدم في موضع ما لانقباض أو تعويق في الأوعية الدموية .
وسبق للجنة أن استعملت لفظة فقر الدم ترجمة لـ (anémie) (اللفظة ٦٧٩) .

7546 Isochrone, isochronique de durée égale — مُتواقت ، بوقت واحد بمدة متساوية ٧٥٤٦

وأقر مجمع اللغة متساوي الزمن ، وجاء في الشرح : صفة لظاهرتين أو أكثر يستغرق حدوثها زمناً واحداً أو لظاهرة يتكرر حدوثها على فترات متساوية .
وأفضل متواقت أو مُواقت .

7552 Isomérie — تماكب ٧٥٥٢

وأقر مجمع اللغة تساوي الأجزاء (في مصطلحات علم الطبيعة) والتشاكل (متشاكل ترجمة isomers في مصطلحات الكيمياء والصيدلة) وأرى تساوي الأجزاء أفضل ، لأنه ما يُعنى بهذه اللفظة تساوي اعداد الأجزاء المكونة بين مادتين أو أكثر مع اختلاف في وضع تلك الأجزاء . أما التشاكل فالأفضل تخصيص اللفظة ترجمة لـ (isomorphisme) ومتشاكل لـ (isomorphes) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٧٥٥٤) .

7553 isomérie de position ٧٥٥٣ تماكُب وضعي

وأرجح تساوي الأجزاء الوضعي .

7556 isthme du gosier ٧٥٥٦ برزخ البَلْعوم

وأقر مجمع اللغة برزخ الغُنْدُبتين (١) ترجمة لـ (isthmus of fauces) ، ولعلها أفضل .

7561 Jactation , Jactition ٧٥٦١ تَمَلْمُل

وأرجح ترجمة اللفظة بهذيان العَبَث . لأن ما يقصد بهذه اللفظة كما جاء في معجم لاروس(Larousse) : اضطراب عضي يبدو بحركات لا نظامية دون غاية معينة ، والتمَلْمُل غير ذلك (٢) .

7566 Jambon ٧٥٦٦ فَخْزَرة (لحم خنزير مُمَلَّح)

وأرجح جمبون تعريباً أو فخذ خنزير مملَّحة .

7567 Jambon pulpé ٧٥٦٧ فَخْزَرة شَحِيمة

وأرجح جَمْبون مقطَّع أو مجزَّأ كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (٣) ، إذ يفهم من شَحِيمة كثيرة الشحم أو مفعمة به .

(١) في المعجم الوسيط : الغُنْدُبة إحدى طبقتين من الغشاء المخاطي تضمان بينهما اللوزتين من أمام وخلف وهما غُنْدُبتان .

(٢) في المعجم الوسيط : تَمَلْمَل تقلّب على فراشه متألماً من مرض أو غم أو نحوهما ويقال تململ الجالس أبدى قلقه بأن جثا على ركبتيه وجنَح إلى أحد شقيه تارة وإلى الآخر تارة أخرى

في اللسان : عَبِثَ به بالكسر عَبَثاً لَعِب فهو عابث. لاعب بما لا يعنيه وليس من باله .

(٣) (scraped ham) .

٧٥٧٥ ـجوْفلة ، جَفْلَلة Javellisation 7575

وأفضل إضافة محلول جافيل (إلى الماء) .

٧٥٧٦ عِيران غضروفي (بيطرة) Javart cartilagineux (vét.) 7576

٧٥٧٧ عِيران مُتَقَرِّن (بيطرة) Javart encorné (vét.) 7577

وما يعنى باللفظة كما جاء في معجم بلاكستون [١] (Blakiston's) : مرض يصيب الغضروفين الجانبيين من الحافر منشأه رض أو انتان وينجم عنه تكوّن مجرى ناسوري في الجزء الأدنى من رسغ الفرس .

وجاءت ترجمة اللفظة في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي : شُشقاق للفظة الأولى وشقاق غضروفي للثانية وجاء في شرح الأولى : "نخر في الأنساج الليفية والغضروفية للأجزاء السفلى من قوائم الفرس وقوائم البقرة أحياناً . ولعلّ لفظة شقاق أفضل ولم أجد في لفظة عيران [٢] الدلالة المطلوبة .

٧٥٨١ رَشْق ، جَذْر Jet (en) 7581

وأفضل بتفجّر أو بشكل نافوري . إذ المقصود خروج أحد السوائل باندفاع ضغطي .

---

(١) في لفظتي (querter) و (quitter) المقابلين للفظة الفرنسية .

(٢) في اللسان : العيران خشبة تجعل في وترة أنف البعير وهو ما بين المَنْخِرَيْن وهو الذي يكون للبخاتيّ والجمع أعرنة . وعرنه يعرُنه ويعرِنه عرناً وضع في أنفه العيران . كما جاء في اللسان أيضاً : العَرَن والعُرْنة داء يأخذ الدابة في أُخُر رجلها كالسحج في الجلد يذهب الشعر ، وقيل هو تشقق يصيب الخيل في أيديها وأرجلها ، وقيل هو جسوء يحدث في رُسْغ رجل الفرس والدابة وموضع ثُنّتها من أُخُر للشيء يصيبه فيه من الشُّماق أو الشّقّة من أن يرمح جبلاً أو حجراً وقد عَرِنت تعرَن عَرَناً فهي عَرِنة وعَرون وهو عَرِن .

7582 jet d'urine ٧٥٨٢ رَشْق البَوْل

وأرجح دفع البول كما استعمله ابن سينا في قانونه ولا أرى لفظة الرشق (١) تفي بالمعنى المطلوب .

7588 Jonction ٧٥٨٨ لَصْق ، إلصاق ، إلتصاق ، إلتحام

وأرجح وَصْل ، مَوْصِل ، مَرْبط ، مُلتقى حسب موضع الاستعمال .

7589 jonction myo-neurale synapse neuromusculaire ٧٥٨٩ إلتحام عَضَلي عَصَبي ، اشتباك عصبي

وأقر بمجمع اللغة ترجمة (synapse) بمَمَس وجاء في التعريف : نقطة تماس محور إحدى الخلايا العصبية بجسم خلية عصبية أو بإحدى زوائدها .

7590 Joue ٧٥٩٠ خَدّ ، وَجنة

وأرجح الاقتصار على خد ، والوجنة (٢) هي ترجمة لـ(protubérance de la joue) .

7591 joues creuses ٧٥٩١ خُدود غائِرة

ولعلّ خدان غائران أفضل .

7592 Joufflu , ue ٧٥٩٢ كُلْثوم

وأرجح ريّان الخدين (٣) ، وريانة الخدين لأنها جاءت بصيغة الصفة وللفظة كلثوم (٤) دلالة أخرى .

---

(١) في اللسان : الرَّشق الرّمي وقد يشتهر بالسّهم والنَّبل يرشُقهم رشقاً رماهم . فالرِشْق والرَّشْق صوت القلم إذا كتب به .

(٢) في اللسان : الوجْنَة ما ارتفع من الخدّين للشدق والمَحْجِر .

(٣) في المخصص : الريّان من الخدود هو الحسن الذي قد ارتوى .

(٤) في اللسان : الكُلْثوم الفيل وهو الزَّندبيل ، والكُلْثوم الكثير لحم الخدين والوجه والكلثمة اجتماع لحم الوجه .

٧٥٩٥ تَغلَّبَ (على مرض) Juguler (une affection) 7595

وأفضل سَيْطَر (على علة) .

٧٦٠١ تَوائِم وحيدة المَحيَّة ، أعيان jumeaux univitel - lins, identiques 7601

وأقر مجمع اللغة للجزء الأول من اللفظة توأما بيضة (بصيغة المثنى لا الجمع) وجاء في الشرح : أي ينشأ من تلقيح بيضة واحدة . وأرى أن تكون ترجمة اللفظة الثانية كفآن (بصيغة المثنى أيضاً) أو مماثلان . لأن للفظة عين معاني أخرى عديدة (١) .

٧٦٠٢ توائم مضاعفة المحيَّة jumeaux bivitellins 7602

وأقر مجمع اللغة توأما بيضتين وجاء في الشرح : أن ينشآن من تلقيح بيضتين .

٧٦٠٤ حجْري أو عَكِر (بول) jumenteuse (urine) 7604

وأرجح الاقتصار على عَكِر كما جاء في الترجمة الانكليزية (٢) للمعجم الأصلي .

٧٦٠٧ تحت الحكم Justiciable 7607

وأفضل خاضع لـ أو عرضة لـ .

٧٦٠٩ تجاور ، ممر خارجي Juxtaposition 7609

وأرجح تجانب (وان كان لها معنى ضدي أيضاً) وتلاصق (٣) . اما ممر خارجي فهو معنى غير طبي للفظة وردت في معجم لاروس ويقصد به

---

(١) في المعجم الوسيط : العين أهل البلد وأهل الدار والجاسوس ورئيس الجيش وطليعة الجيش وكبير القوم وشريفهم وذات الشيء ونفسه ج أعيان .

(٢) (trubleb urine) .

(٣) يعني باللفظة الدنو إلى جانب شيء آخر والتجاور أعم من ذلك .

ازدياد حجم أحد الأجسام الجامدة (غير الحية) بانضمام جزء مثيل إليه ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بـ : الكِبَر بالانضمام .

K

٧٦١٠ داء أسود ، حمّى أسام الوبائية 7610 Kala - azar, fièvre
داء لايشماني حَشَوي épidémique d'Assam,
leichmaniose viscérale

ودرجت على ترجمة اللفظة الأولى بالحمّى السوداء وأقول حمى أسام الوافدة واللشمانية الحشوية .

٧٦٢٥ تَفَتُّق القرنية 7625 Kératocèle

والصحيح فَتَق القرنية لأن المقصود من هذه اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون (Blakiston's) هو نتوء غشاء (Descemets) من خلال طبقة القرنية ، وتفتق القرنية غير ذلك (١) وليس المقصود هنا .

٧٦٣٤ قِمِّيز ، قوميس (لبن الفرس المختمر) 7634 Koumis, Kou - - miss. Kumis

وفي معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي قِمِّز ، كوميس . وجاء في الشرح : معربة . وهي روسية من أصل مغولي . والأولى أي قمز ذكرها ابن بطوطة وضبطها . والثانية حديثة التعريب . شراب من لبن الخيل المختمر تستعمله القبائل البدوية في أواسط آسيا .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) في المعجم الوسيط : تفتّق وتشقّق .

في الترجمة

الذين يشتغلون بالترجمة كثيراً ما تستغرق كلَّ اهتمامهم الأصولُ التي هم بترجمتها موكَّلون ، فيتشرَّبون روحها وألفاظها ومعانيها وأخيلتها حتى تغدو عالماً حيّاً يعيشون فيه بكلّ وجدانهم وكيانهم . فإذا تهيأوا لترجمة النصّ ، كانت صورتُه الكاملة واضحةً في مخيّلاتهم تماماً ، ونقلوها إلى اللغة الأخرى بالألفاظ والعبارات التي يحسبون أنها تنقل تلك الصورة بكلّ وضوحها إلى مخيّلات القارئين في اللغة المنقول إليها . فإذا كانوا على قدرٍ من إحسان الترجمة بعيد ، حقّقوا هذا الأمر تحقيقاً باعثاً على تمام الرضا ، أما إذا قعدت بهم وسائلُ الترجمة ، أو تسرّعوا في نقل الألفـــاظ والمصطلحات أو اختاروا عبارات اصطلاحية ليس لها في ذهن القارئ وضوح كاف ، فعندئذٍ تجيء الترجمة معيبةً ، وتقصر عن بلوغ ذهن القارئ بمثل الوضوح الذي ازدان به النصّ ، وبمثل الفهم الذي تحقّق للمترجم .

فالمشكلة هنا ليست مشكلة فهم ، ولكنها مشكلة تعبير . والمترجم المكين هو الذي لا يعيى في الفهم ولا في قدرة النقل ، وعنده من حصيلة المعرفة اللغوية ومن المران على الأساليب ما يهوّن عليه أمر النقل بأسلوب واضح أمين ، مع الاعتصام بالأمانة الصارمة في أداء المعاني الأصلية أداءً سليماً .

ومهما تكن سعة المعاجم المتاحة للمترجمين ، ومهما يكن تبحّرها في رصد المعاني البعيدة والناشزة ، فإن المترجمين المدققين كثيراً ما يسترشدون بتلك المعاجم ، ثم يتبيّنون أنه يعوزهم الاعتماد على بديهتهم وقدرتهم على توليد الألفاظ لأداء معنى مستعصٍ على نهج القاموس ، أو عبارة تغدو كالقزم لو نُقل

معناها بألفاظ قاموسيّة محدّدة . وليس في هذا ما يُعاب على القاموس ، ما دامت اللغة في تطوّر مستمرّ ، وما دامت المعاني تتوالد بأنماط جديدة متسارعة الخطوات ، والترجمة العلمية عمادها الأوّل والأهمّ على مصطلحات مستقرّة المعاني محدّدة الآماد . وما هكذا الترجمة الأدبيّة التي تتداخل فيها الظلال ، وتتشابك المعاني ، وتشيع بين ألفاظها المحسّنات البلاغيّة واللغوية بألوانها المتباينة ، وتحتمل عباراتها تأويلات شتّى وترجيحات مختلفة .

وفي مثل هذه المواقف ، يعتمد المترجمُ بعد حسن الفهم والاستيعاب على ما ترتجله بديهته في نقل المعاني التي تنثال أمام ناظريه وبصيرته ، فيسوقها منضّدةً بذوقه المصقول ، ويضعها في مواضعها المناسبة ، وبه اطمئنان كامل إلى أنه أدّى للفهم وللنقل وللترجمة كلّ حقوقها في غير ضفضفة أو تطفيف .

ويقول الأستاذ محمد عبد الغني حسن في كتابه النفيس « فن الترجمة في الأدب العربي » إن اختيار اللفظة الملائمة في الترجمة ليست عمليـة من السهولة كما يتصوّرها بعض مَنْ لم يعانوا النقل من لغة إلى لغة . وهي عملية بالغة الصعوبة بالنسبة إلى المترجم الذي ألقي عليه عبء وضع الفاظ عربية مترجمة مطابقة للمعاني المرادة في الألفاظ الأجنبية ، وبالنسبة كذلك إلى المترجم الذي يتولى ترجمة نصٍّ معيَّن أمامه » .

ولتبيان طرفٍ من هذه الصعوبة ، اجتهدتُ في حصر طائفةٍ من الألفاظ التي هدَتْ إليها بديهةُ الارتجال في الترجمة وهي مدرجة في هذا الفصل على علاّتها ، عُرضة لعوامل البقاء والفناء ، وهي عوامل يسري ناموسُها على الكلام كما يسري على الحياة والناس . .

★ ★ ★

فلبعض الفلاسفة نظريات تدور حول الـ Superman ، وهو الإنسان الذي تتوافر له أسمى مقوّماتِ الحياة البشريّةِ ، وتتكامل فيه الفضائل ،

بحيث لا يعتوره نقص ولا يأتيه عيب . وقد قنع بعض المترجمين بتعريب لفظة « السوبرمان » اعتقاداً منهم بأنها اكتسبت مع الوقت دلالة اصطلاحية ثابتة في ميدان الفلسفة ، ممّا يغري بالاستمساك بها على وضعها الفرنجي بعد تأدية حروفها باللغة العربية . بل لقد تسلل هذا اللفظ الأعجمي إلى عنوانات الكتب ككتاب « مقدمة السوبرمان » الذي أصدره سلامة موسى عام ١٩١٠ . بيد أن هناك من النقلة مَنْ ارتأى ترجمة هذه اللفظة إلى « الإنسان الأعلى » أو « ما فوق الإنسان » ، وهناك مَنْ اختار لها ترجمة « الإنسان الأرقى » . أما الشاعر محمود أبو الوفا ، فقد تصوّر هذا الإنسان المتفوّق تصوراً شعرياً في ملحمته الفلسفية الموسومة « النشيد » ، فقال يخاطبه :

إنني أبنيك فصـــلاً خامساً جامعاً كلّ الفصول الأربع

وهو يقصد « بإنسان الفصل الخامس » ، الرجل الذي تهيأت له كلّ أسباب الكمال ، فصار غايةً ليس للبشرية غاية بعدها .

على أنني استطبت عبارة « الإنسان الأمثل » لتكون ترجمةً دقيقةً بلفظها ومعناها لعبارة Supèrman . فالرجل الأمثل هو الذي تتسامى نوازعه وتتمالى فضائله وتتحقق به أحلام الفلاسفة وأوهام الشعراء وأمنيات رجال الاجتماع .

★ ★ ★

ويقول الأخلاقيون ورجال الاجتماع وعلم النفس إن في الإنسان قوة فطرية داخلية تسمّى Moral or social restraint تتولى تَهْيِبَهُ عن اقتراف أفعال مستهجنة أخلاقياً واجتماعياً . وذهب المترجمون كلّ مذهب في نقل هذه العبارة إلى اللغة العربية ، فقال بعضهم « الكابح الأخلاقي أو الاجتماعي » ، وقال غيرهم « الشكيمة الأخلاقية أو الاجتماعية » ، وقال سواهم « الضابط الأخلاقي » . وفي اعتقادي أن عبارة « الوازع الخلقي أو الاجتماعي » أوقع

في الأذن وأمتن في الصياغة وأعرق في الأرومة من العبارات التي تقدّمتها . وهي بدورها من وحي الخاطر والبديهة .

★ ★ ★

ويتحدث رجالُ الاقتصاد عن السفن التجارية التي تمخر عباب البحر رافعةً أعلام الدول التي تنتمي إليها ، ويقولون إن أصحاب هذه السفن يعمدون في حالات كثيرة إلى تسجيل سفنهم لا في الدول التي تنتسب إليها ، بل في دول أخرى تجزل لهم من الإعفاءات الضريبية ومن التسهيلات المالية ما يجعلهم يؤثرونها بالتعامل ، مثل بناما وليبيريا ، فترفع هذه السفن – وهي أمريكية أو زوجية أو بريطانية أو يونانية – أعلام الدول المسجّلة فيها بوصفها Flags of convenience . وواضح أن المعنى المقصود بهذه العبارة هو اختيار علم فيه مصلحة مؤكدة لرجال الملاحة وأصحاب السفن . و « علم المصلحة » هذا قد يكون أقلّ وزناً من غيره من الأعلام في المعيار السياسي ، ولكنّه أصلح وأجدى في المعيار التجاري والاقتصادي .

فالباخرة اليونانية التي ترفع علم بناما توصف بأنها ترفع « علم المصلحة » أي المصلحة التي يتوخّاها أهل التجارة من تسيير سفينتهم وإطلاقهـا في مجاري المياه شرقاً وغرباً .

★ ★ ★

والمشتغلون برصد الأحداث التاريخية يحرصون دائمًا على إعداد ثبتٍ تاريخيّ زمني مسلسل Chronology للوقائع التي يتناولونهـا في دراساتهم بالإسهاب والتحليل . ويراعىَ في هذا الثبت أن ترتب فيه الوقائع ترتيباً زمنياً وفقاً لأسبقية حدوثها ، وذلك لإمكان ربط الوقائع ربطاً متسلسلاً في سياقهـا التاريخيّ العام .

وقد استصوبتُ وضع عبارة «سلسال تاريخي» مقابلةً للفظة Chronology من حيث أنها تبرز أهمية التسلسل في الوقائع ، كما أن معناها يُستقرى من ظاهر لفظها بغير كبير جهد .

★ ★ ★

والباحثون الذين يستقون مادّتهم من مصادر شتيتة لا يفوتهم أن يشيروا إلى تلك المصادر على هامش الصفحة ليرجع إليها كل راغبٍ في الاستزادة من البحث ، وكل طالب همّه الاستيثاق من حقيقة نصّ معين . وتسمى هذه الملاحظة الهامشية Footnote ، وقد يذهب بعض المجددين إلى اشتقاق مصدر منها هو Footnoting . فإذا عنَّ للذهن أن يضع مقابلاً لهذه العبارة ، قيل : «تذييل» أو «تحشية» وإنْ يكن في الوسع أن تضاف إليها لفظة جديدة هي «تهميش» تؤدّي المعنى المقصود في هذا المقام .

أمّا الكاسعة «ize» الانكليزية ، فقد كثر إلحاقها بالألفاظ حتى أصبحت في جملتها تؤلف قاموساً برأسه لشيوع استعمالها . فيقال مثلاً Americanize و Neutralize و Democratize و Modernize و Arabize و Mechanize وهلمّ جرّا .

وقد جرى بعض الكتّاب على صوغ مقابل من لفظة واحدة لأداء هذه المعاني باللغة العربية ، فقالوا أمركة وتحييد ودمقرطة وتحديث وتعريب وميكنة ، وهلمّ جراً ، وأغلبها ألفاظ يقف القارئ أمامها للوهلة الأولى محيّراً في أمرها ، غير مستخرج معناها الصحيح إلاّ بعد أن يتواتر استعمالها في الفصل الواحد تواتراً يُفصح عن حقيقة مؤداها .

وفي اعتقادي أن الوضوح في المعنى ينبغي أن يكون أولى بالاهتمام من الصياغة اللفظية ، ولهذا نؤثر أن تترجم هذه الألفاظ بعبارة كاملة لا بلفظةٍ واحدة ، فيقال «صبغ بالصبغة الأمريكية وطبع بطابع الحياد وجُبل بجبلة

دمقراطية وصُبَّ في قالب حديث وصيغ صياغة عربية وتطور تطوراً آلياً ، وهلم جرّاً .

فالعبرة في الترجمة بالوضوح لا بالإعجام ، وبحسن التعبير لا بإدغامه . ورُبَّ جملةٍ متعددة الكلمات خير من لفظة مختصرة يُخِل اختصارها بالمعنى .

★ ★ ★

والواقع أن الترجمة عملٌ من أعمال التحدّي التي تستفزّ الذهن الخلّاق بغاياتها البعيدة . فالذي يتصدّى لترجمة جورج برناردشو مثلاً ، ينبغي أن يكون بدرايته وعلمه وفهمه وكفايته على مستوى يُقارن بمستوى المؤلّف الكبير ، فإذا اتّجه المترجم إلى نقل كتب التخصصات ، كالعلوم الرياضية والفلسفة والصناعات وما إليها ، كان لا بدّ له أن يكون واسع الاطّلاع على نواحي تلك التخصصات حتّى لا يؤوده الفهم ويعييه النقل .

فالقارئ الذي يتناول كتاباً مترجماً ، إنّما مُراده أن يجد فيه بُغيته الكاملة فلا يحتاج بعد مطالعته إلى مراجعة أصله الفرنجيّ استكمالاً للفهم أو استيضاحاً لأمورٍ لفّها الغموضُ بوشاحه . أمّا إذا كان القارئُ يضع الكتاب المترجم بيد ليتناول بالأخرى أصله الأجنبيّ لأن الترجمة لم تفِ بمطالبه ، وأمّا إذا كان القارئُ يقرأ الترجمة ثم ينتهي إلى الحكم بأنها في نصّها العربي محتاجة إلى ترجمةٍ أخرى تقيم لها اعوجاجها ، فمعنى ذلك أن الجهد الذي بُذل في الترجمة قد جاء قاصراً وأن على المترجم أن يستوفي عُدّدَه قبل الاضطلاع بجهد جديد في هذا الباب .

والترجمة غيرُ التأليف ، ومسؤولية المترجم لا تشابه مسؤولية المؤلف ، فالمترجم مقيّدٌ بحرفيةٍ في اللفظ وقوالب في المعاني لا يستطيع الإفلات منها إلاّ إذا خانَ أمانة الترجمة ، وأنام ضميره الأدبيّ . أمّا المؤلّف ، فهو حرٌّ

في ما يكتب ، يعبّر عنه حسبما يشاء له ذوقه ويسجّل خواطره وآراءه على النحو الذي تتراءى له فائدته . فهو يجول في ميدان ارتفعت منه كلّ الحواجز ، وليس عليه من حرج في أن يقول ما يشتهي بالأسلوب الذي يشتهي ، فإن شاء أن يراجع نفسه ، أضافَ وحذف ونقّح بغير قيد .

وعُدّة المترجم هي التبحّر في اللغات ، والقدرة على إجادة الفهم والتعبير ، والبديهة الحاضرة التي تسعف باللفظ المناسب في الموضع المناسب ، والذوق الأدبي القادر على الصقل ، والأمانة التي تعصم من التزييف والحذف إلاّ لضرورة قاهرة .

(القاهرة) وديع فلسطين

الاصطلاحات الفلسفية

- ٣١ -

حرف الضاد

الضحك

في الفرنسية	Rire
في الانكليزية	Laugh
في اللاتينية	Ridere

الضحك انبساط في بعض عضلات الوجه مصحوب بزفير متقطع وصوت مسموع، بسبب تعجّب أو سرور شديد يحصل للضاحك. وهو اسم جنس تحته نوعان: التبسّم والقهقهة. فالقهقهة ضحك تبدو منه النواجذ، والتبسّم ضحك بلا صوت.

والضُّحَكَة من يضحك على الناس، ويرادفه الساخر والهازىء، والضُّحْكَة من يضحك الناس عليه، ويرادفه السُّخرة. والمضحك كل مايثير الضحك والأضحوكة كل مايضحك منه.

قال (هنري برغسون) في كتاب الضحك: «الضحك دواء الغرور» وإذا كان الغرور داء اجتماعياً فان للضحك الذي هو دواؤه وظيفة اجتماعية أيضاً (Henri Bergson, Le rire, p. 133).

الضد

في الفرنسية	Contraire
في الانكليزية	Contrary
في اللاتينية	Contrarus

الضد هو المخالف والمنافي . ويطلق على موجود في الخارج مساوٍ في قوته لموجود آخر ممانع له ، أو على موجود مشارك لموجود آخر في الموضوع معاقب له ، بحيث إذا قام أحدهما بالموضوع لم يقم الآخر به . لذلك قيل ان الضدين صفتان وجوديتان تعاقبان في موضوع واحد .

والفرق بين الضدين والنقيضين (Contradictoires) أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالوجود والعدم والحق والباطل ، على حين أن الضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض ، والتهور والجبن .

وإذا اشترك شيئان في صفة نوعية واحدة متفاوتة الدرجات ، وكان نصيب أحدهما من هذه الصفة كبيراً ، ونصيب الآخر صغيراً ، كان هذان الشيئان متضادين كالسريع والبطيء ، والبعيد والقريب ، وكذلك إذا كان الشيئان متحركين إلى جهتين مختلفتين فان حركة كل منهما تكون ضد حركة الآخر .

وإذا كان الضدان مختلفين في كيفياتهما الظاهرة كما في البياض والسواد ، أمكن إدراك اختلافهما بالحدس الحسي ، وإذا كانا مختلفين في صفاتهما العميقة كالتهور والجبن لم يتم إدراك اختلافهما إلا بالتصور العقلي .

وكما يكون التضاد بين الأشياء الموجودة في الأعيان فكذلك يكون بين الأشياء المتصورة في الأذهان ، وقد قيل ان الضدين داخلان في جنس واحد ، وان الطرفين في الجنس والنوع يلتقيان .

ويطلق اسم القضيتين المتضادتين على الكليتين المشتركتين في الموضوع والمحمول ، والمختلفتين في السلب والإيجاب ، كقولنا كل إنسان كاتب . وليس ولا واحد من الناس بكاتب ، فهاتان القضيتان لا تصدقان معاً ، ولكن قد تكذبان ، ويطلق لفظ المتغيرين المتضادين على المتغيرين اللذين تكون نقطة الابتداء في كل منهما نقطة الانتهاء في الآخر .

والتضاد (Contraste) صفة حالتين فكريتين موجودتين معاً أو متعاقبتين تتميزان بتقابلهما ، مثال ذلك صفة التضاد في الألوان المتكاملة .

ويطلق اصطلاح التداعي بالتضاد (Association par contraste) على أحد قوانين التداعي التي أشار إليها (أرسطو) وهي ثلاثة : قانون التداعي بالتضاد ، وقانون التداعي بالاقتران ، وقانون التداعي بالتشابه . (راجع الألفاظ التالية : التقابل . التضاد . القضية) .

الضرب

في الفرنسية	Multiplication , mode
في الانكليزية	Multiplication , mood
في اللاتينية	Multiplicatio , modus

الضرب في اللغة المثل والشكل والصنف والنوع ، تقول ضروب الأزياء أشكالها وضروب الأمتعة أصنافها ، وضروب الانتاج أنواعه .

والضرب الرياضي تضعيف أحد العددين بالعدد الآخر .

والضرب المنطقي (Multiplication logique) أحد الأعمال الفكرية المطبقة في الحدود والقضايا والنسب المنطقية .

فحاصل الضرب المنطقي لحدين مثل (س) و (ع) هو مجموع الأفراد المنسوبين إلى النوعين : (س) و (ع) . ويعبر عن هـــذا الضرب بالجملة (س × ع) أو بالجملة (س ⌒ ع) . مثال ذلك .

المعين ⌒ المستطيل = المربع

وحاصل الضرب المنطقي لقضيتين هو القضية المساوية لهما ، مثل قولنا (حـ) عدد تام و (حـ) عدد لا ينقسم على أي عدد أولي أصغر منـــه وأكبر من الواحد ، فهذان القولان مساويان لقولنا : (حـ) عدد أولي .

وحاصل الضرب المنطقي لنسبتين مثل (س ق١ ع) و (س ق٢ ع) هو القضية المصرح فيها بأن هاتين النسبتين صادقتان معاً على الحدين (س) و (ع) كما في المعادلة التالية :

س ق١ ع . س ق٢ ع = س (ق١ . ق٢) ع

والضرب (Mode) هو اختلاف القضايا في كل شكل من أشكال القياس بالكم والكيف مثل قولنا في الضرب الأول من الشكل الأول : كل جسم مؤلف وكل مؤلف حادث ، فكل جسم حادث . فهو قياس كامل مؤلف من كليتين موجبتين تنتجان كلية موجبة .

والمنتج من ضروب القياس ١٩ ضرباً ، منها أربعة ضروب من الشكل الأول ، وأربعة ضروب من الشكل الثاني ، وستة ضروب من الشكل الثالث ، وخمسة ضروب من الشكل الرابع .

(راجع كتابنا في المنطق ، الطبعة الثانية ص ٤٤ ، راجع أيضاً الألفاظ التالية : الحد ، القضية ، الجهة ، الشكل ، القياس) .

الضرورة

في الفرنسية Nécessité
في الانكليزية Necessity
في اللاتينية Necessitas

الضرورة في اللغة ، الحاجة والمشقة والشدة التي لا تدفع ، وفي اصطلاحنا اسم لما يتميز به الشيء من وجوب أو امتناع . والضرورة الإيجابية هي الوجود ، والضرورة السلبية هي العدم .

والضرورة إما مطلقة (Absolue ou catégorique) وإما شرطية (Hypothétique ou conditionnelle) .

فاذا كانت مطلقة كانت غير معتبرة بشرط كالضرورة الميتافيزيقية ، أو الضرورة الرياضية المحضة ، فهي تتضمن بذاتها امتناع تصور النقيض أو امتناع وجوده . ويمكن تحديدها قبلياً بمجرد التحليل أو الاستنتاج العقلي .

وإذا كانت شرطية لم تدل على امتناع تصور النقيض ، ولا على امتناع وجوده بذاته ، بل دلّت على اتصاف الشيء بها في ظروف وشروط معينة . مثال ذلك ان (آ) لا يكون مساوياً لِ (حـ) إلا إذا كان كل منها مساوياً لشيء ثالث مثل (ب) . فإذا فرضنا أن (١ = ب) و (ب = حـ) لزم عن ذلك أن (١ = حـ) ، فضرورة هذه النتيجة تابعة إذن لصدق المقدمتين السابقتين . ومثال ذلك أيضاً : إذا قلنا إن المرجل ينفجر في درجة معينة من الضغط دل هذا القول على أن الانفجار تابع لشرط معين . ومثال ذلك أخيراً إذا قلنا إن العمل ضروري للنجاح في الحياة ، دل هذا القول على توقف أحد هذين الأمرين على الآخر . فالمثال الأول يدل على الضرورة المنطقية ، والثاني على الضرورة الطبيعية ، والثالث على الضرورة المعنوية ، وهي كلها ضرورات شرطية أو نسبية .

والضرورة المعنوية لا توجب أن يكون نقيض الشيء ممتنعاً في العقل والواقع بل توجب أن يكون هذا النقيض قليل الاحتمال . مثال ذلك : ربحُ شخصٍ ابتاع ٩٩٩ بطاقة من يانصيب يبلغ عدد بطاقاته الألف ، ونجاحُ بعض الطلاب أو رسوبهم في الامتحان ، ووفاة شخص واحد من عشرة آلاف شخص فى السنة ، وحصول المرء في المجتمع على كسب متناسب مع قدراته العقلية ، فهي كلها ضرورات معنوية .

وقد جعل (ليبنيز) هذه الضرورة المعنوية مضادة للضرورة المطلقة ، والضرورة الإلهية ، والضرورة الرياضية ، وقوامها عنده أن الوجود العاقل لا يستطيع أن يختار أحد الممكنات إلا إذا وجده أحسن وأسمى وأوفق من غيره .

ومن قبيل ذلك أيضاً ما في علاقة الوسائل بالغايات من ضرورة كالضرورة الموجودة بين تقسيم العمل وتقدم العلم الحديث .

ومن قبيل ذلك أخيراً ارتباط أفعال الإنسان ورغباته بالمبادئ والعلل الطبيعية ، فاذا كان هذا الارتباط مطلقاً كانت الأفعال جميعها طباعاً لازمة عن العلل الخارجية بالضرورة كما في مذهب الجبرية ، وإذا كان جائزاً ونسبياً كانت بعض الأفعال الإنسانية ناشئة عن حرية الاختيار كما في مذهب القدرية وغيرهم .

(راجع الألفاظ التالية : الجبرية ، القدرية ، الحتمية) .

الضروري

في الفرنسية	Nécessaire
في الانكليزية	Necessary
في اللاتينية	Necessarius

الضروري في اللغة كل ما تمس الحاجة إليه في الحياة ، وكل ما ليس منه بدٌّ وهو خلاف الكمالي .

والضروري عند (ابن سينا) جنس تحته نوعان : الواجب والممتنع . فالواجب ضروري في الوجود ، والممتنع ضروري في العدم (النجاة: ص٢٩).

والضروري في اصطلاحنا هو الأمر الدائم الوجود ، أو الأمر الذي لا يمكن تصور عدمه . وهو مرادف للواجب ، وضده الجائز (Contingent) ، وبينه وبين الممكن (Possible) تضايف .

وكل ارتباط بين المعلول والعلة خاضع لمبدأ الحتمية فهو ارتباط ضروري . وإذا كان ارتباط بين الواسطة والغاية علاقة تمنع تحصيل هذه الغاية بغير تلك الواسطة ، كانت هذه العلاقة ضرورية .

وكل قضية يتضمن نقيضها تناقضاً فهي قضية ضرورية . وكذلك كل قضية نعلم بعلم قبلي a priori ان نقيضها باطل فهي قضية ضرورية . وكل أمر لا يمكنك أن تتصور نقيضه فهو من الحقائق الأبدية أو المبادئ والأوليات الضرورية : وهو يفرض نفسه على العقل بقوة يصعب معها وضعه موضع الشك . وكل موجود تتضمن ماهيته وجوده ، ولا يحتاج في وجوده إلى علة أو شرط فهو موجود ضروري ، أو واجب الوجود بذاته ، كالإله عند ابن سينا أو جوهر اسبينوزا .

ويطلق لفظ الضروري أيضاً على نتيجة القياس اللازمة عن مقدماته ، والقضية الضرورية المطلقة هي التي يحكم فيها بضرورة ثبوت المحمول للموضوع ، أو بضرورة سلبه عنه ، ما دام ذات الموضوع موجوداً . أما التي حكم فيها بضرورة الثبوت فهي ضرورية موجبة ، كقولنا كل انسان حيوان بالضرورة ، فإن الحكم فيها بضرورة ثبوت الحيوان للإنسان في جميع أوقات وجوده . وأمّا التي حكم فيها بضرورة السلب فهي ضرورية سالبة كقولنا لا شيء من الإنسان بحجر بالضرورة ، فالحكم فيها بضرورة سلب الحجر عن الإنسان في جميع أوقات وجوده . (راجع تعريفات الجرجاني) .

الضعيف

في الفرنسية Faible

في الانكليزية Weak

الضعيف ضدّ القوي . والضعيف من الكلام ما انحط عن درجة الفصيح . والضعيف في مصطلح الحديث ما كان أدنى مرتبة من الحسن ، والضعيف من الأدلة ما كان غير منتج .

والأضعف هو الأخسّ فالجزئي أخس من الكلي ، والسالب أخس من الموجب ، والنتيجة في القياس تتبع أخسّ المقدمتين .

ويطلق (دوبرولي - De Brogli) وغيره من العلماء المحدثين اصطلاح السببية الضعيفة (Causalité faible) على السببية التي يقال فيها ان العلة وان كانت شرطاً ضرورياً في حصول المعلول ، إلا أنه يمكن على العموم أن ينشأ عنها بعد حدوثها عدة معلولات مختلفة الاحتمال . وهي ضدّ السببية القوية (Causalité forte) التي تجعل ارتباط المعلول بالعلة ارتباطاً ضرورياً .

وكل ما كان أدنى مرتبة من غيره فهو ضعيف .

الضلال

في الفرنسية Erreur

في الانكليزية Error

في اللاتينية Error

الضلال هو العدول عن الطريق عمداً أو سهواً ، كثيراً أو قليلاً . ويجيء بمعنى الغي ، والفساد ، والخطأ ، والخسار ، والزلل ، والبطلان ، والجهالة ، والنسيان .

والفرق بين الضلال والخطأ ان الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، على حين ان الضلال هو سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب عمداً أو سهواً. فالضلال أعم اذن من الخطأ . وهو ضربان : ضلال في النظر ، وضلال في العمل . فكل من أخطأ في الإدراك الحسي أو العقلي فهو ضال ، وكذلك كل من أخطأ في الأعمال الشرعية والواجبات الخلقية .

وقد يطلق لفظ الضلال على سبيل الفعل أو على سبيل الانفعال ، فاذا أطلق على سبيل الفعل دلّ على الحكم الفاسد أو العمل الباطل ، وإذا أطلق على سبيل الانفعال دلّ على الحالة النفسية التي يكون عليها الفاعل عند عدوله عن الطريق المستقيم .

وقد قيل أيضاً إن للضلال وجهين (أحدهما) أن يضل عنك الشيء كما في ضلال الحواس ، (والآخر) أن نحكم به أو عليه حكماً فاسداً ، كما في ضلال النظر والعمل .

أما الإضلال فهو أن تدفع غيرك إلى العدول عن الحق . وهو ضربان أحدهما أن يكون شبيهاً بالضلال ، والآخر أن يكون سبباً له . وهذا الإضلال لا ينسب إلى الله ، لأن الله سبحانه لا يضل عباده (١) .

والضلالة (Errement) فعلة من الضلال ، وهي ضد الهدى .

---

(١) إن سبب ضلالهم هو — ما كانوا عليه من الخروج عن السنن الكونية التي جعلها الله عبرة لمن اعتبر ، وعن البراهين الدينية التي أيد الله بها الرسل ، وهي الحجج الدالة على صدق رسالتهم ، وأما نسبة الإضلال ، إلى الكبير المتعال ، فهي نسبة إلى عموم مشيئته وإرادته ، لا إلى رضاه ومحبته ، قال سبحانه « لا يرضى لعباده الكفر » وقال : « إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً » . (البيطار)

الضمني

في الفرنسية Implicite
في الانكليزية Implicit

الضمني هو المنسوب إلى الضمن ، وهو باطن الشيء وداخله ، وضده الصريح (Explicite) ، تقول : يفهم من ضمن كلامه كذا ، أي من دلائله ومراميه وكل معنى يتضمنه النص دون التصريح به فهو معنى ضمني .

والرأي الضمني هو الرأي الذي لا يستطيع صاحبه أن يصرح به لسبب داخلي أو خارجي .

والاعتقاد الضمني هو الاعتقاد الغامض ، ويطلق على الاعتقاد الناشيء عن التقليد أو المصحوب بالحذر ، أو المجرد من الروية والفكر .

ويطلق الضمني أيضاً على لوازم الشيء التي لا تدخل في تعريفه مثل مساواة زوايا المثلث لقائمتين فهي خاصة ملازمة للمثلث ، ولكن وجودها له ليس بيناً ، لأنك قد تفهم ذات المثلث من دون أن تعلم أن زواياه مساوية لقائمتين .

الضمير

في الفرنسية Conscience morale
في الانكليزية Conscience
في اللاتينية Conscientia

الضمير استعداد نفسي لإدراك الحسن والقبيح مصحوب بالقدرة على إصدار أحكام عفوية ومباشرة على قيمة بعض الأفعال الإنسانية .

ويطلق أيضاً على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء سلوكه الخاص ، أو تتنبأ بما يترتب على هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية .

وإذا أطلق الضمير على الملكة التي تحدد موقف المرء إزاء أفعال المستقبل سمي بالصوت الداخلي . قال (جان جاك روسو) : «الضمير صوت النفس والهوى صوت الجسد.» (كتاب اميل ، قسم ٤ ، ص ٣٤٨ من طبعة غارنية) وقال أيضاً : «أيها الضمير ... أيتها الغريزة الإلهية ، أيها الصوت السماوي الخالد ... أيها الحاكم المعصوم الذي يفرق بين الخير والشر ، أنت الذي تجعل الإنسان شبيهاً بالله ، فتخلق ما في طبيعته من سمو ، وما في أفعاله من خيرية . لولاك لما وجدت في نفسي ما يرفعني عن مستوى الحيوان إلا تميزي المؤلم بالانتقال من ضلال إلى ضلال بمعونة ذهن لا قاعدة له ، وعقل لا مبدأ له» (كتاب أميل ، ص ٣٥٤ — ٣٥٥ من الطبعة نفسها) .

وإذا أطلق الضمير على تحديد موقف المرء إزاء الأفعال الماضية دل على الشعور باللذة أو الألم ، أما اللذة فقوامها راحة الضمير ، وهي تنشأ عن شعور المرء بأنه أتى عملاً صالحاً وفقاً للقواعد والمبادئ التي أقرّها وسلم بخيريتها . وأما الألم فقوامه الندم والخجل والتبكيت ، وهو ينشأ عن شعور المرء بأنه خالف ما يجب عليه فعله .

والضمير قد يكون واضحاً أو غامضاً أو متشككاً أو ضالاً . وفي وسع المربي أن يؤثر في الطفل حتى يقلب ضميره الغامض إلى ضمير واضح ، وشعوره المصحوب بالشك والضلال إلى شعور مصحوب بالثقة والاطمئنان .

ويطلق اصطلاح (الضمير المطمئن) على شعور المرء بأنه لا يستحق اللوم على فعله ، ويطلق اصطلاح (الضمير القلق) على شعور المرء بالشك في شرعية فعله ، وعلى ما يساور هذا الشك من خوف أو تبكيت أو تقريع أو محاسبة للنفس . وهذا الاصطلاح الأخير قريب من اصطلاح شقاء الضمير (Malheur de la conscience) أو الضمير المؤلم (Conscience doulourense) عند الفيلسوف (هيجل) .

حرف الطاء

الطائفة

في الفرنسية	Communauté
في الانكليزية	Community
في اللاتينية	Communitas

الطائفة جماعة من الناس يجمعهم مذهب واحد أو رأي واحد أو مصلحة واحدة ، كالطائفة الكاثوليكية أو الإنجيلية . وتطلق الطائفة أيضاً على الفرقة تقول فرقة المعتزلة أو فرقة الباطنية . أو تطلق على الجزء والقطعة يقال طائفة من الشيء أي قطعة منه وأقلها اثنان .

والطائفي هو المنسوب إلى الطائفة تقول الوقف الطائفي والتعليم الطائفي . والطائفية هي التعصب لطائفة معينة .

(راجع الألفاظ التالية : الجماعة ، الفرقة ، الشركة) .

الطاعة

في الفرنسية	Obéissance
في الانكليزية	Obedience
في اللاتينية	Obedientia

الطاعة هي الانقياد والموافقة ، وقيل لا تكون إلاّ عن أمر ، والتاء فيها ليست للمرّة ، بل للدلالة على الكثرة ، أو لنقل الصفة إلى الاسمية .

والطاعة ضربان : طاعة العبد ، وهي مصحوبة بالتذلل والانقياد لصاحب السلطة المطلقة ، وطاعة الحـــر ، وهي لا تكون إلا عن رضى واختيار وطمأنينة .

الطاقة

في الفرنسية Énergie

في الانكليزية Energy

وأصل هذين اللفظين في اليونانية (Energeia)

الطاقة هي القدرة ، وتطلق على ما يستطيع الإنسان فعله بمشقة . وفي قوله تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ، إشارة إلى ما يصعب علينا فعله ، لا إلى ما لا قدرة لنا به .

وللطاقة في الفلسفة الحديثة معنيان : أحدهما نفسي ، والآخر مادي .

١ — المعنى النفسي . — الطاقة هي القدرة على بذل الجهد ، أو استطاعة فعل الشيء وإرادته بقوة .

٢ — المعنى المادي . — الطاقة هي القدرة على إنتاج عمل ميكانيكي يتعلق بجسم واحد أو بمجموعة من الأجسام . ولها في علم (الميكانيك) صورتان : إحداهما الطاقة المركبة (Énergie cinétique) والثانية الطاقة الممكنة (Énergie potentielle) ويسمى مجموع هاتين الطاقتين بالطاقة الكلية (Énergie totale) . أما في علم الفيزياء فإن للطاقة عدة صور كالطاقة الحرارية ، والكهربائية ، والضوئية ، والمغناطيسية الخ . ويعرف كل نوع من أنواع هذه الطاقات بمعادلته لغيره أي بامكان تحويل كمية معينة من كل نوع إلى كمية معينة من النوع الآخر .

— ومبدأ حفظ الطاقة (Principe de la conservation de l'énergie) هو المبدأ القائل : إن المجموعة التي لا تتبدل إلا بحركات أجزائها وبتأثير هذه الأجزاء بعضها في بعض تحتفظ بكمية ثابتة من الطاقة .

— ومذهب الطاقة (Énergétisme) قسمان : أحدهما مذهب الطاقة المطلق (Énergétisme absolu) وهو القول : إن الطاقة هي الحقيقـــة الجوهرية التي تتألف منها النفوس والأجسام ، والآخر مذهب الطاقة المحدود ، وهو القول : إن الطاقة هي الحقيقة الجوهرية التي تتألف منها المادة .

— والطاقة النوعية (Énergie spécifique) اسم يطلقه علماء النفس المحدثون على نظرية (مولر) وهي القول إن اختلاف الإحساسات لا ينشأ عن اختلاف صفات الأشياء الخارجية بل ينشأ عن اختلاف طبيعة الأعصاب . ويمكن تلخيص هذه النظرية في الفقرتين التاليتين :

١ — إذا تغير المؤثر ولم تتغير الحاسة لم يتغير الإحساس . مثال ذلك : ان التيار الكهربائي وأمواج الضوء والصدمة الميكانيكية إذا أثرت في العين لم تحدث إلا إحساساً بصرياً .

٢ — إذا تغيرت الحاسة ولم يتغير المؤثر ، تغير الإحساس ، مثال ذلك : ان التيار الكهربائي : إذا أثر في العين أحدث إحساساً بصرياً ، وإذا أثر في العصب السمعي أحدث إحساساً سمعياً ، الخ ..

— وعلم الطاقة (Énergétique) مرادف لمذهب الطاقة .

الطب النفسي

في الفرنسية Psychiatrie

في الانكليزية Psychiatry

الطب النفسي أو طب الأمراض العقلية فرع من علم الطب ، يبحث في تشخيص الأمراض العقلية ومعالجتها . وله في معالجة هذه الأمراض طريقتان : الأولى هي العلاج بالوسائل المادية (كالمعاقير والصدمات الكهربائية وغيرها) والثانية هي العلاج بالوسائل النفسية (Psychothérapie) (أي باتخاذ أفكار المريض ، وصوره الذهنية ، وانفعالاته ، ونزعاته ، ورغباته ، وغير ذلك

من الأحوال وسيلة للتأثير فيه) . من أمثلة العلاج بالوسائل النفسية الإيحاء (Suggestion) والتحليل النفسي (Psychanalyse) (راجع هذين اللفظين) .

والطبيب النفسي أو طبيب الأمراض العقلية (Psychiatre) هو الطبيب المتخصص في تشخيص الأمراض العقلية ومعالجتها .

ويطلق اسم علم الأمراض العقلية (Pathologie mentale) على العلم الذي يبحث في الاضطرابات العقلية وفيا يصحبها من التبدلات العضوية .

راجع كتاب جورج دوماس (G. Dumas , Traité de Pychologie II 811) .

الطبـع

في الفرنسية Naturel

في الإنكليزية Nature

الطبع هو الجبلة التي خلق عليها الإنسان ، أي مجموع ما يتصف به من استعدادات خلقية ونفسية ، ويرادفه الخلق والطبيعة والسجية .

ويطلق الطبع في علم الحياة على مجموع ما يتميز به الكائن الحي من صفات ذاتية . وقيل الطبع هو كل هيئة يبلغ بها النوع كماله ، فعلية كانت أو انفعالية ، وهو أعم من الطبيعة ، لأن الشيء قد يكون عن الطبيعة ولا يكون طبعاً ، مثل الاصبع الزائدة في اليد فهي ظاهرة طبيعية ولكنها ليست طبعاً بحسب الطبيعة الكاملة . وقيل أيضاً الطبع مبدأ الحركة مطلقاً سواء كان مصحوباً بارادة وعلم أو غير مصحوب بها . وهو بهذا المعنى مرادف للطبيعة . وقيل أيضاً الطبع هو الصورة النوعية أو النفس .

والطبع ضد التطبع لأنه فطري ، والتطبع كسبي . والطبعي هو المنسوب إلى الطبع ويرادفه الطبيعي .

الطبقات (نظام)

في الفرنسية Régime des castes

كلمة (Caste) مأخوذة من اللفظ البرتغالي (Casta) وأصله في اللاتينية (Castus) . والطبقة في اللغة العربية هي القوم المتشابهون في سن أو عهد ، وهي الحال ، والمنزلة ، والمرتبة ، والدرجة .

ونظام الطبقات في الهند نظام وراثي مغلق ، وله ملاك مدني أو سياسي خاص . وكل جماعة من الناس تغلق الباب على نفسها فهي جماعة طبقية .

والفرق بين طبقات البراهمة في الهند والطبقات الاجتماعيـــة الأخرى (Classes sociales) : (١) إن انغلاق طبقات البراهمة على نفسها أشد من انغلاق هذه الطبقات الاجتماعية . (٢) وأن لطبقات البراهمة كياناً شرعياً ودينياً على حين أن الطبقات الاجتماعية في سائر بلدان العالم ليست كذلك ، لأن الفرد قد يرقى من طبقة إلى أخرى ، ولأن القوانين المدنية والسياسية والعقائد الدينية عامة لا تفرق بين الأفراد .

ويطلق لفظ الطبقة الكادحة في أيامنا هذه على الأفراد العاملين الذين يكسبون رزقهم بعرق جبينهم .

وجملة القول أن تصنيف الطبقات الاجتماعية مختلف باختلاف الحضارات ، فقد بني هذا التصنيف على المال أو العرق أو الدين أو النسب أو العلم ، وقد يكون الانتقال من طبقة إلى أخرى ممكناً أو محظوراً . ومع أن مبدأ المساواة الديمقراطية يوجب أن يكون المجتمع غير طبقي ، فان معظم المجتمعات الحديثة لا تزال حتى اليوم مشتملة على طبقات اجتماعية ناشئة عن الفوارق الاقتصادية أو العرقية أو الدينية .

الطبيعة

في الفرنسية Nature

في الانكليزية Nature

في اللاتينية Natura

الطبيعة هي القوة السارية في الأجسام التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي ، وهذا المعنى هو الأصل الذي ترجع إليها جميع المعاني الفلسفية التي يدل عليها هذا اللفظ .

١ — فمن هذه المعاني قول ابن سينا : « الطبيعة مبدأ أول لكل تغير ذاتي وثبات ذاتي » (رسالة الحدود) . مثال ذلك أن الحجر لا يهوي إلى أسفل لكونه جسماً بل لمعنى آخر زائد على الجسمية . وهذا المعنى مبدأ هذا النوع من الحركة . وهو الذي يطلق عليه اسم الطبيعة . يقال طبيعة الحجر الهوي ، وطبيعة النار الارتفاع .

٢ — ومن هذه المعاني قولهم إن طبيعة الشيء ماهيته ، وهي مجموع ما يتميز به الشيء من خواص نوعية كطبيعة الحياة ، وطبيعة النفس ، وطبيعة الفرد ، وطبيعة المجتمع . والطبيعة النوعية (Nature spécifique) مجموع الصفات التي يتميز بها النوع . والطبائع البسيطة (Natures simples) هي الصفات التي تتألف منها الأجسام وهي عند (بيكون) و (ديكارت) عناصر أولية لا تتجزأ .

٣ — ومن هذه المعاني قولهم : إن الطبيعة هي ما يتميز به الإنسان من صفات فطرية . وهي ضد الصفات المكتسبة . يقال طبيعة الإنسان العاقلة أي وظائفه العقلية الفطرية . ويقال أيضاً طبيعة الإنسان الحسية ، أي دوافعه الغريزية . وفي قول (ديكارت) : إن في كل ما علمتني إياه الطبيعة شيئاً من

الحقيقة ، إشارة إلى الوظائف العقلية لا إلى الوظائف الحسية ، فالطبيعة عنده هي العقل وهو نور طبيعي (Lumière naturalle) يميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد .

٤ – ويطلق لفظ الطبيعة عند الوجوديين على ما يتميز به الإنسان من صفات مستقلة عن حرية إرادته . فاذا كان الإنسان حرًّا ، وكانت حريته ذاته لزم عن ذلك أن يكون غير مفتقر إلى طبيعة . وفي ذلك كما لا يخفى إغراب في القول ، لأن قوام حرية الإنسان أن يكون له قدرة على اختيار الطبيعة الموافقة له .

٥ – ويطلق لفظ الطبيعة على النظام أو القوانين المحيطة بجميع ظواهر العالم المادي وهي عند (آرسطو) ضد المصادفة والاتفاق . وإذا كانت الطبيعة كما يقولون لا تفعل الشيء عبثاً أمكننا أن نتكلم عليها كما لو كانت متصفة بالعقل والعلم ، كقولنا ، إن الطبيعة تلحظ جميع الحيوانات بعين عنايتها ، وتحرص كل الحرص على حفظ التوازن بين جميع ظواهر الأمور ، أو قولنا إن الطبيعة تعلم أنه من الخير لها أن تضيف الفحم والآزوت إلى الهيدروجين والأوكسجين . فكأن الطبيعة بهذا المعنى شخص عاقل يفعل بذاته . على أننا إذا أطلقنا لفظ الطبيعة على كل ما هو موجود في العالم وجب علينا لتوضيح هذا المعنى أن نفرق بين القول بخلق العالم والقول بقدمه ، فاذا قلنا بالخلق لزم عن ذلك أن يكون المخلوق تابعاً لإرادة الخالق ، وإذا قلنا بالقدم أمكن أن يكون القديم تاماً بنفسه . وفي هذه الحالة الثانية تكون الطبيعة مجموع ما يحدث في العالم بإرادة وعلم أو مجموع ما تكون عليه الموجودات من أحوال تضبطها السَّبَبية الطبيعية .

٦ – وإذا أطلقنا لفظ الطبيعة على العالم المرئي فقط ، دل على مجموع الأشياء التي نراها في السماء والأرض ، نقول طبيعة الكواكب ، وطبيعة الأرض ، وطبيعة الحيوان والنبات الخ .

٧ — وقد يطلق لفظ الطبيعة على الأشياء التي يكون حدوثها في مستقر المادة وهي بهذا المعنى ضد الأمور الخارقة أو الأمور الغيبية .

٨ — والطبيعة عند الأطباء القدماء هي المزاج والحرارة الغريزية وهيئات الأعضاء والحركات ، والنفس النباتية .

٩ — ومن معاني الطبيعة في الفلسفة الحديثة إطلاقها على مبدأ كل حكم قاعدي ، بحيث تصبح قوانين الطبيعة بحسب هذا المعنى قواعد مثالية كاملة ، أو صوراً عقلية تستنبط منها مبادئ الأخلاق والتشريع ، كالحق الطبيعي (Droit naturel) فهو المبدأ الذي تستمد منه القوانين معقوليتها . قال (دولباخ) : « أيتها الطبيعة ، إن لك على جميع الموجودات سلطاناً ، فلتكن بناتك المعبودات أعني الفضيلة والعقل والحقيقة آلهتنا الوحيدة دائماً » (D'olbach, Systeme de la nature II. 446) ، وقال (روسو) : من الأمور المضادة للطبيعة أن يأتمر الشيخ بأوامر الطفل ، وأن يكون الحكيم خاضعاً للجاهل . ومعنى ذلك أن الطبيعة عند هذين الفيلسوفين هي المبدأ الموجه للأخلاق .

١٠ — وإذا كان من عادة العلماء أن يعرفوا الأشياء بأضدادها أمكننا أن نورد هنا بعض أضداد الطبيعة . فالطبيعة ضد الحضارة لأن الإنسان الطبيعي الذي يكون على الفطرة ضد الإنسان المتحضر المتصف بالعلم . والطبيعة ضد الفن والصناعة ، لأن جمال الطبيعة الذي لم تمتد إليه يد الإنسان ضد الجمال الفني الذي يعبر عن تصورات الفنان وأحلامه . والطبيعة ضد الوحي ، لأن الطبيعة الواقعية التي يخلق عليها الإنسان ضد الطبيعة المثالية التي يريد الوحي الإلهي أن يوصله إليها ، الأولى فطرية والثانية مكتسبة . والطبيعة أخيراً ضد النعمة الإلهية ، لأن مجموع ما يميز به الإنسان من صفات ذاتية مضاد لما تفيضه عليه النعمة الإلهية من قدسية يحاذي بها شطر الحق .

والطبيعة الطابعة والطبيعة المطبوعة . — Nature naturante et nature naturée) اصطلاح انتشر في الفلسفة الأوربية بعد ترجمة كتب (ابن رشد) إلى اللغة اللاتينية . فالطبيعة الطابعة هي الله من جهة ما هو خالق كل شيء ، ومبدأ كل فعل ، والطبيعة المطبوعة هي مجموع الكائنات والنواميس التي خلقها الله .

ومذهب الطبيعة الواحدة (Monophysisme) هو القول إن للسيد المسيح طبيعة واحدة .

وفلسفة الطبيعة (Philosophie de la nature) ، أحد أقسام الفلسفة عند بعض فلاسفة الألمان في القرن التاسع عشر ، ولا سيا عند (شيلنغ) و (هيجل) . وفلسفة الطبيعة أيضاً هي القول بضرورة جمع الطبائع العامة والقوانين الكبرى الضابطة للطبيعة في نظام فلسفي كلي .

وعلم الطباع (Caractérologie) ، فرع من علم النفس تحدد فيه الطباع الفردية ، وله قسمان : أحدهما علم الطباع العام وهو لا يبحث في الصفات والسجايا واحدة بعد واحدة بحثاً تحليلياً ، بل يبحث فيها من جهة ما هي كل ، بحثاً تركيبياً يحدد العلاقات المشتركة بينها . والثاني علم الطباع الخاص وهو يبحث في الصفات التي يتميز بها كل فرد ، وذلك على سبيل الوصف والتصنيف ، فاذا اشتمل على تصنيف الفروق العضوية سمي بعلم الصور والأشكال (Typologie) وموضوعه البحث في الصور والأشكال الإنسانية من جهة تشابهها الجسماني وعلاقتها بالجوانب النفسية .

الطبيعي

في الفرنسية Naturel (adj)

في الانكليزية Natural

الطبيعي هو المنسوب إلى الطبيعة ، وضده المكتسب والإرادي ، والصناعي ، والمفتعل ، والوضعي ، والخارق والمعجز ، والغيبي ، والحضاري والشرعي . فاذا كان ضد المكتسب دل على الفطري والوراثي كالحاجات الطبيعية ، والمزاج ، والحرارة الغريزية ، وهيئات الأعضاء .

وإذا كان ضد الإرادي دل على الأفعال الصادرة عن جبلة الإنسان العضوية كالهضم ودوران الدم ودقات القلب ، فهي حركات طبيعية مستقلة عن الإرادة ، وإذا كان ضد الصناعي دل على الأشياء التي لم تمتد إليها يد الإنسان ، كالبحيرات الطبيعية ، والغابات الطبيعية .

وإذا كان ضد المفتعل دل على ما كان عفوياً من الأفعال كالبكاء الطبيعي فهو ضد البكاء المفتعل .

وإذا كان ضد الوضعي دل على ما كان بديهياً من القيم الأخلاقية المكتوبة على صفحات القلب كالحق الطبيعي ، فهو ضد الحق الوضعي المدون في الشرائع .

وإذا كان ضد الخارق والمعجز دلّ على ما هو موافق لطبائع الأشياء المادية والحيوية والنفسية كالمطر وغرق الحجر في الماء ، والغضب والتذكر والتفكير الخ فهي ظواهر طبيعية مضادة للمعجزات والخوارق وعجائب المخلوقات ، تقول : الوقائع الطبيعية ، والعقل الطبيعي ، والديانة الطبيعية ، ونعني بذلك كله أشياء وجودية مضادة للأمور الغيبية ، وتقول أيضاً ان أمور الطبيعة مضادة لأمور ما بعد الطبيعة ، وإن كل ما يتميز به الإنسان من صفات ذاتية وطبيعية مضاد لما يمكن أن يكون عليه من صفات مثالية .

ويطلق لفظ الطبيعي أيضاً على ما كان مضاداً للشرعي كالولد الطبيعي فهو ضد الولد الشرعي .

الطبيعي (المذهب)

في الفرنسية Naturalisme

في الانكليزية Naturalism

المذهب الطبيعي هو القول إن الطبيعة تشمل الوجود كله ، وأن لا وجود إلاّ للطبيعة ، أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض على النحو الذي نشاهده في عالم الحس والتجربة .

والمذهب الطبيعي في فلسفة الأخلاق هو القول أن الحياة الأخلاقيـــة ليست سوى امتداد للحياة العضوية ، وأن المثل الأعلى للأخلاق ليس سوى تعبير عن الحاجات والغرائز التي تتميز بها إرادة الحياة . قال فوييه « المثالية الصحيحة لا تختلف عن الطبيعة الصحيحة ، لأن الطبيعة نفسها هي التي تصل إلى التفكير في المثل الأعلى وإلى تحقيقه بالتفكير فيه » . (A. Fouillée l'idée Moderne du droit, I. V. ch v. p. 340) ، ومعنى هذا القول أن المثل الأعلى ليس صورة مفارقة للطبيعة ، وإنما هو صورة حقيقية ذات جذور طبيعية .

والمذهب الطبيعي في فلسفة الجمال هو القول أن قوام الفن محاكاة الطبيعة ، وهذا المذهب الطبيعي مرادف هنا للمذهب الواقعي (Réalisme) وهو ضد المذهب المثالي القائل بوجوب تغيير مظاهر الطبيعة والإعراض عن جوانبها الخسيسة . وقد يبالغ الفنان الطبيعي في واقعيته فيفصل جوانب الطبيعة القبيحة عن جوانبها الجميلة أو يتبع في التعبير عن هذه الجوانب طريقة العلوم الطبيعية .

والفرق بين الواقعية والمثالية أن الأولى تصور الطبيعة كما هي ، على حين أن الثانية تصورها كما يجب أن تكون . وسواء أكانت الطبيعة أخلاقية أم فنية ، فإن أمراً واحداً لا ريب فيه وهو أن ميلها إلى التقيد بالواقع مبني على اعتقادها أن الحقيقة الواقعية تامة التكوين ، وان الفرق بين فنان وآخر يرجع إلى ما يتميز به كل منهما من القدرة على التعبير ، فاذا كان تعبيره مطابقاً للحقيقة كان عمله الفني كاملاً ، وإذا كان غير مطابق لها كان عمله الفني ناقصاً . وبين هذا النقص والكمال درجات متفاوتة .

الطبيعية

في الفرنسية Naturisme

في الانكليزية Naturism

الطبيعية عبادة الطبيعة . والطبيعية أيضاً هي القول أن الدين قد نشأ عن تشخص قوى الطبيعة للإنسان . ومعنى هذا التشخص أن في الطبيعة أشياء تؤثر في مخيلة الإنسان الابتدائي كالشمس والكواكب والنار والليل والعاصفة ، فتتراءى له هذه الأشياء على صوره أشخاص عقلاء جديرين بالعبادة .

وتسمى هذه النظرية بنظرية الدين التاريخية . والطبيعية أخيراً هي القول بضرورة الرجوع إلى الطبيعة لأسباب فلسفية أو صحية . ومعنى الرجوع إلى الطبيعة ترك ما أكسبتنا إياه الحضارة من أغاط الحياة المعقدة ، والتخلق بأخلاق الشعوب الابتدائية البسيطة كالحياة في الهواء الطلق ، وتناول الأطعمة الطبيعية ، والعري وما شابه ذلك .

الطريقـة

في الفرنسية	Méthode
في الانكليزية	Method
في اللاتينية	Methodus

١ ـــ الطريقة هي ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب . ولها عند المحدثين صورتان : الأولى أن تكون الطريقة غير محددة تحديداً إرادياً مسبقاً ، والثانية أن تكون مبنية على منهاج واضح محدد من قبل ، يبين القواعد التي يجب اتباعها ، ومواطن الزلل التي يجب اجتنابها للوصول إلى المطلوب . والمثال من الطريقة الأولى أن يرتب المرء أفكاره وأحكامه ، واستدلالاته ترتيباً طبيعياً متناسباً مع طبيعة كل موضوع ، وتختلف أساليب الناس في ترتيب أفكارهم باختلاف عاداتهم ، حتى إن الذين لم يتعلموا قواعد المنطق قد يرتبون أفكارهم ترتيباً طبيعياً أحسن من ترتيب الذين تعلموا قواعده . والمثال من الطريقة الثانية ما أشار إليه (ديكارت) في قوله : لقد اهتديت منذ سني حداثتي « إلى مطالعات وحكم ألفت منها طريقة يبدو لي أنني أستطيع أن أتخذها وسيلة لزيادة معرفتي بالتدريج ، وللارتقاء بها شيئاً فشيئاً إلى أعلى درجة يسمح بلوغها عقلي الضعيف ، ومدى حياتي القصير » (مقالة الطريقة ص ٩ من ترجمتنا) .

٢ ـــ ويطلق لفظ الطريقه على ممارسه بعض الأساليب التقنية أو التجريبية في بعض العلوم والفنون كطريقة التجريب المستعملة في حل جملة رياضية عدد حدودها أكبر من عدد معادلاتها (Méthode des moindres carrés) أو طريقة استعمال المرايا المتحركة لقياس الزوايا ، أو طريقة تعليم اللغة الأجنبية بالوسائل السمعية والبصرية ، أو طريقة تعليم الرقص أو العزف على إحدى الآلات الموسيقية .

٣ ــ والطريقة العلمية مجموع الأساليب الموصلة إلى الحقيقة ، وهي تختلف باختلاف موضوع العلم ، فإذا كان الموضوع مجرّداً كما في الرياضيات كانت الطريقة استنتاجية عقلية ، وإذا كان محسوساً أو مشخصاً كما في العلوم الطبيعية كانت الطريقة تجريبية واستقرائية .

٤ ــ والطريقة التجريبية مجموع الأساليب الموصلة إلى استخراج القوانين العامة من الظواهر الطبيعية الجزئية . ولها عدة صور :

آ ــ طريقة الاتفاق أو طريقة التلازم في الوقوع (Méthode de concordance) وقاعدتها القول : إذا كان هناك ظاهرة تشترك حالتان أو أكثر من حالاتها في أمر واحد كان هذا الأمر المشترك علة حدوث تلك الظاهرة .

ب ــ طريقة الاختلاف أو طريقة التلازم في التخلف (Méthode de différence) وهي القول أن غياب العلة يوجب غياب المعلول . فإذا كان هناك حالتان تقع الظاهرة في إحداها ولا تقع في الأخرى ، وكانت كل واحدة منها متفقة مع الأخرى في كل شيء إلا في أمر واحد ، وكان هذا الأمر موجوداً في الحالة التي وقعت فيها الظاهرة وغير موجود في الأخرى ، أمكننا أن نستنتج أن هذا الأمر علة حدوث تلك الظاهرة .

ج ــ طريقة الجمع بين طريقتي الاتفاق والاختلاف أو طريقة التلازم في الوقوع والتخلف (Méthode de concordance et de différence réunies) وقاعدتها أن نقول : إذا بحثنا أولاً في جملة من الحالات التي تقع فيها ظاهرة معينة فوجدنا أنها تختلف في كل شيء عدا شرطاً واحداً مشتركاً ، وبحثنا ثانياً في جملة من الحالات التي لا تقع فيها تلك الظاهرة فوجدنا أنها لا تتفق في شيء عدا غياب ذلك الشرط ، أمكننا أن نقول أن الشرط الموجود في الجملة الأولى ، الغائب في الجملة الثانية هو علة تلك الظاهرة .

د – طريقة البواقي (Méthode des résidus) وقاعدتها أن تقول إذا حدث بعد العلتين معلولان مختلفان وكانت إحدى هاتين العلتين علة أحد هذين المعلولين ، كانت العلة الثانية علة المعلول الثاني .

هـ – طريقة التغير المتلازم أو طريقة التلازم في التغير (Méthode des variations concomitantes) وقاعدتها أن تقول إذا وجد بين ظاهرتين تلازم وكان كل تغير في الأولى مصحوباً بتغير موازٍ له في الثانية كانت الأولى علّة والثانية معلولاً .

ه – والطريقة هي السيرة والمذهب . وقيل أيضاً « هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات » (تعريفات الجرجاني) .

الطفل

في الفرنسية	Enfant
في الانكليزية	Child

الطفل في اللغة الصغير من كل شيء . يقال هو يسعى في أطفال الحوائج أي في صغارها . وهو في الأصل المذكر ، وقد يستوي فيه الذكر والمؤنث والجمع . ويطلق الطفل في علم التربية على الولد أو البنت حتى سن البلوغ ، أو على المولود ما دام ناعماً رخصاً . وقد يطلق أيضاً على الشخص ما دام مستمر النمو الجسمي والعقلي .

وللأطفال صفات مختلفة فمنهم المتقدم والمتخلف ، والنبيه والخامل ، والذكي والبليد ، والسويّ والشاذ ، والاجتماعي واللا اجتماعي الخ ...

وعلم الطفل (Pédologie) يبحث في الطفل من جهة ما هو كائن نام ذو ردود فعل تضبطها قوانين علم الحياة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع .

والفرق بين علم الطفل وعلم التربية (Pédogogie) أن الأول علم نظري والثاني علم عملي ، يطبق القوانين والطرق التي توصل الطفل إلى الكمال الخاص به .

وعلم نفس الطفل (Psychologie de l'enfant) فرع من علم النفس ، يبحث في سلوك االطفل وتطور أحواله النفسية حتى بلوغه سن الرشد .

وعلم نفس المراهق (Psychologie de l'adolescent) يبحث في سلوك المراهقين وميولهم ونموهم الجسمي والعقلي وأخلاقهم وأسباب جنوحهم وتخلفهم وكيفية مؤالفتهم لشروط الحياة الاجتماعية الخ .

والطفولة (Enfance) حالة الطفل ، والطفولية (Infantilisme) احتفاظ الراشد بصفات الطفل النفسية والعضوية ، وهي تنشأ عن توقف النمو العضوي والنفسي لأسباب تتعلق باضطراب الندد الصم كالغدة الدرقية وغيرها .

الطمأنينة

في الفرنسية	Quiétude
في الانكليزية	Quietude
في اللاتينية	Quietudo

الطمأنينة السكون والثبوت والاستقرار والثقة ، وضدها القلق والاضطراب . والنفس المطمئنة هي النفس الراضية المرضية الخالصة من الهم والغم .

ومذهب الطمأنينة أو الاطمئنان (Quietisme) مذهب مولينوس (Molinos) وغويون (M me Guyon) الذي أخذ به (فنلون) أيضاً في كتابه : حكم القديسين (Maximes des saints) . وهو القول إن الحب المحض يوصل إلى الاتحاد بالله في يسر ويولد في النفس سلاماً مطلقاً يغنيها عن العبادات . وكل مذهب يجعل الكمال الروحي نتيجة للتأمل الخالص

المستقل عن الفعل فهو مذهب اطمئناني ، وكل أمر يشعر النفس بالثقة والرضا والراحة والاستقرار فهو أمر مُطمئن (Quiétif) .

الطوطم

في الفرنسية	Totem
في الانكليزية	Totem

يطلق اسم الطوطم عند الأقوام الأمريكية والأوسترالية القديمة على الحيوان أو النبات الذي يعتقدون أنهم منحدرون منه . وإذا كانت القبيلة مؤلفة من عدة بطون كان لكل بطن منها طوطم خاص به . فالطوطم إذن عنوان البطن وربه وحاميه ، ويغلب على الطوطم أن يكون نوعاً من أنواع الحيوان إلا أنه يمكن أن يكون ضرباً من نوع أو فرداً من ضرب . ولكل شخص من أفراد القبائل في أوستراليا وأمريكا علاقة شخصية بشيء معين شبيهة بعلاقة البطن بطوطمه ، وهو يعد هذا الشيء طوطماً شخصياً له يقيه عوادي الحدثان . وقد تجد لنساء القبيلة عند بعض الأقوام طوطماً مختلفاً عن طوطم الرجال مها تكن البطون التي ينتسبون إليها . وهو ما يسمى بالطوطم الجنسي (Totem sexuel) وهذا كله يوجب على الأفراد أن يحيطوا طوطمهم بهالة من التقديس ، فإذا كان حيواناً امتنعوا عن إهراق دمه ، وإذا كان نباتاً تباركوا به ، ويحظر على الفرد أن يتزوج بفتاة تحمل طوطمه لأن أبناء الطوطم الواحد أشبه شيء بالأشقاء والشقائق .

والطوطمية (Totémisme) هي النظام الاجتماعي المبني على عقيدة الطوطم . وتطلق الطوطمية أيضاً على نظرية (دوركهايم) و (فرويد) القائلة أن الطوطمية هي الصورة الأولى للحياة الدينية ، والحياة الأخلاقية والاجتماعية لما تشتمل عليه من تحريم بعض الأشياء وإباحة بعضها الآخر .

حرف الظاء

الظاهر

في الفرنسية	Apparence
في الانكليزية	Appearancc
في اللاتينية	Apparentia

ظاهر الشيء ما بدا منه ، وظاهر الشيء أيضاً ما انكشف واتضح معناه للسامع من غير تأمل وتفكير وضده الباطن ويرادفه الواضح (Clair) . يقال ظاهر النقش على الحجر ، وظاهر النصّ أي ما تدل عليه ألفاظه من معان بديهية واضحة ، بخلاف باطن النص وهو ما تشتمل عليه ألفاظه من معان خفية عميقة . ومن قبيل ذلك قول بعض الفرق أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، فأما الباطن فهو المعاني الروحية التي لا تتجلّى إلا لأهل البرهان ، وأما الظاهر فهو الأمثال الحسية المضروبة لتلك المعاني .. وهم يعدون التأويل أصلاً يجب الاعتماد عليه في معرفة الباطن . والمقصود بالتأويل عندهم إخراج معنى اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية ، من غير إخلال بعادة لسان العرب من التجوز في تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء . (ابن رشد ، فصل المقال) .

والظاهر والباطن صفتان لله تعالى لا تقالان إلاّ مزدوجتين كالأول والآخر فالظاهر دلائله والباطن ذاته لاحتجابها عن نظر العقول .

وإذا أطلق الظاهر على الكيفيات المحسوسة دل على ما يبدو من الشيء مقابل ما هو عليـــه في ذاته ، كالحركة الظاهرة ، والأسباب الظاهرة ، وإذا أطلق على البديهي دلّ على ما لا يحتاج إلى دليل ، يقال رأي ظاهر التناقض .

ومن أسباب الاضطراب في العلاقات الإنسانية أن ظاهر المرء لا يدل على باطنه دائماً ، وإن الناس كثيراً ما ينخدعون بالظواهر .

الظاهرة

في الفرنسية Phénomène
في الانكليزية Phenomenon
في اللاتينية Phaenomenon

الظاهرة من الشيء أعلاه . وتطلق في الفلسفة على عدة معان :

١ — الظاهرة هي الحادث الخارجي المؤثر في الحواس كالظواهر الفيزيائية والكيميائية والحيوية والفلكية .

٢ — والظاهرة هي الحادث النفسي المدرك بالشعور كالظواهر الانفعالية والعقليّة والإرادية .

٣ — وتطلق الظاهرة أيضاً على كل ما يبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية ، أو على المعطيات التجريبية المباشرة من جهة ما هي مستقلة عن المدرك .

٤ — وللظاهرة عند (كانت) معنى خاص ، وهو إطلاقها على كل ما يمكن أن يكون موضوع تجربة ممكنة ، أي على كل ما يحدث في الزمان والمكان ، وتتجلّى فيه العلاقات المحددة بالمقولات العقلية . والظاهرة عنده ضد المادة المحضة من جهة ، وضد الشيء بذاته من جهة أخرى .

٥ — والظاهرة هي الأمر ينجم بين الناس . يقال بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة (المعجم الوسيط) .

٦ — والظاهرة الثانوية (Epiphénomène) هي الظاهرة العرضية التي تصحب ظاهرة جوهرية من دون أن تضيف إليها شيئاً ، ومن دون أن تبدل تسلسل العلل والمعلولات ، كظاهرة الشعور التي تكلم عليها (هكسلي) و (مودسلي) فهي ظاهرة عرضية ملحقة بالظواهر العضوية ، لأن الشعور عندهما ليس سوى نتيجة للظواهر الدماغية وهو لا يؤثر فيها ولا في غيرها من الظواهر الخاضعة للسببية الميكانيكية .

الظاهرية

في الفرنسية Phénoménisme

Phénoménalisme

في الانكليزية Phenomenalism

الظاهرية في الأصل هم المنسوبون إلى القول بالظاهر ، أما في الفلسفة الحديثة فهم الفلاسفة القائلون : لا علم إلا بالظواهر .

فاذا قالوا : لا وجود إلاّ للظواهر وإن الشيء بذاته (Chose en soi) ليس سوى لفظ أطلق عليهم اسم الظاهرية (Phénoménisme) كرينوفيه وهيوم . وإذا قالوا إن للظواهر وجوداً مستقلاً عن ذات المدرك ، وإن العقل يستطيع إدراك الظواهر ، وإن كان لا يستطيع إدراك الشيء بذاته ، أطلق عليهم اسم الظواهرية (Phénoménalisme) (كانت وأوغوست كونت) .

وكل أمر منسوب إلى الظواهر فهو ظاهري (Phénoménal) أو ظواهري (Phénoménique) .

الظواهر (علم)

في الفرنسية Phénoménologie

في الانكليزية Phenomenology

علم الظواهر هو العلم الذي يقتصر فيه على وصف ظواهر الأشياء كما هي عليه في الزمان والمكان . وهو مختلف عن العلم الذي يبحث في أسباب الظواهر وقوانينها الثابتة . وعن الدراسات التي تبحث عما تعبر عنه الظواهر من حقائق متعالية ، وعن الدراسات الانتقادية التي تبحث في قيمة الظواهر .

١ — فإذا أطلق علم الظواهر على دراسة الظواهر النفسية أو الأحوال الشعورية دل على وصف المعطيات النفسية كما تبدو لنا بالفعل . ويختلف

هذا العلم عن علم النفس القديم بحرصه على التقيد بالواقع ، وبعده عن كل تصور سابق أو غرض فلسفي . ولدراسة أحوال الشعور في علم الظواهر النفسية مرحلتان : الأولى ملاحظة المعطيات النفسية ، ووصفها وصفاً دقيقاً مستقلاً عن كل علم سابق أو تصور سابق . (راجع المقال الذي كتبه دوفالهنس (A. De Walhens) في مجلة ديوجين Diogène ـ كانون الثاني ١٩٥٤ بعنوان معنى علم الظواهر (Signification de la Phénoménologie)

والثانية تحديد (البنى) والأشكال العامة للظواهر النفسية كالإدراك والصورة والرغبة والتخيل الخ . . .

٢ — ويطلق علم الظواهر العام في الفلسفة الحديثة على دراسة ظواهر الأشياء . والغرض منه تحديد بنى الظواهر ومعرفة شروطها العامة . ولهذا العلم مرحلتان : الأولى دراسة الظاهرة كما هي بالفعل دراسة وصفية وتحليلية ، والثانية تفسير تكون الظاهرة وبيان ماهيتها (راجع كتاب الوجود والعدم) (L'etre et le néant) لسارتر (Sartre) .

٣ — وعلم الظواهر المتعالي (Phénoménologie transcendentale) عند الفيلسوف هوسرل (Husserl) هو العلم الذي يصل فيه العقل بالتحليل إلى محاذاة شطر الشعور المحض المستقل عن المعطيات التجريبية ، أو إلى محاذاة شطر (الانا) المتعالي في سبيل تحديد بناء الجوهرية ، وتبيين الخصائص الذاتية لكل ما يمكننا معرفته .

٤ — ويطلق علم ظواهر الفكر (Phénoménologie de l'ésprit) عند هيجل على تحليل المراحل التي يمر بها الشعور في انتقاله من المعرفة الحسية إلى معرفة الذات ، أي العقل حتى يبلغ العلم المطلق .

٥ — وعلم الظواهر الوجودي (Phénoménologie existentielle) هو العلم المشتمل على وصف ما يحيط بالفكر من شروط واقعية تحدد موقفه .

الظرف

في الفرنسية	Occasion , Circonstance
في الانكليزية	Occasion . . . .
في اللاتينية	Occasio . . . .

الظرف في اللغة الوعاء ، وكل ما يستقر غيره فيه . ومنه ظرف الزمان وظرف المكان عند النحاة . والظرف الحال . والظرفية هي حلول الشيء في غيره حقيقةً نحو الماء في الكوز ، ومجازاً نحو النجاة في الصدق .

والظرف في اصطلاحنا هو الفرصة المناسبة لحدوث الشيء . والفرق بينه وبين الشرط (Condition) أن الشرط قسم من العلة ، وهو ضروري لحدوث الشيء وإن كان خارجاً عن ماهيته . أما الظرف فهو غير ضروري لحدوث الشيء ، وإن كان من شأنه أن ييسّر حدوثه . ويمكنك أن تستبدل ظرفاً بظرف ، من غير أن يؤدي ذلك إلى منع حدوث الشيء . ومعنى ذلك أن تأثير العلة في المعلول قد يتم في ظرف كذا أو ظرف كذا ، وإن الظرف الواحد يمكن أن يكون فرصة مناسبة لتأثير هذه العلة أو تلك .

والظرفي (Occasionnel) هو المنسوب إلى الظرف ، وقد يطلق على ما يحدث اتفاقاً .

والعلل الظرفيـــة (Causes occasionnelles) هي الفرص المناسبة لحدوث الشيء ، وهي مختلفة عن العلل الفاعلة ، والشروط الدقيقة التي يتوقف عليها وجود الشيء .

والعلل الظرفية التي يتكلم عليها بعض الفلاسفة لا تختلف عن الشروط ، لأن ظروف الشيء عندهم شروطه .

مثال ذلك قول الغزالي إن مشاهدة التعاقب بين ظاهرتين لا يسمح لنا

بأن نقول إن الظاهرة الأولى علة الظاهرة الثانية ، فاذا حصل الاحتراق عند ملاقاة النار ، دل ذلك على الحصول عنده لا على الحصول به .

ومثال ذلك أيضاً أن (مالبرانش) يقول : إذا شاهدنا ارتباطاً بين تغيرات هذا العلم ، فإن هذه التغيرات لا تدل على سببية طبيعية مستقلة عن إرادة الله ، ومعنى ذلك أن الأجسام لا تتحرك بذاتها ، فإذا تلاقت أو تصادمت فإن تلاقيها ليس سوى علة ظرفية لتوزع حركاتها .

ومعنى ذلك كله أن القول بالعلل الظرفية يفضي إلى إنكار ضرورة السببية الطبيعية . إن جميع المخلوقات عند (مالبرانش) متصلة بالله مباشرة ، فهو الذي يبدع الأشياء إبداعاً دائماً ويحركها تحريكاً دائماً فيحرك يدي في الوقت الذي أريد تحريكها فيه ، ويخلق في نفسي بعض العواطف والانفعالات عندما يطرأ على جملتي العصبية بعض التغيرات . فكل سببية طبيعية عنده وعند الغزالي سببية ظرفية ، أما السببية الحقيقية فهي السببية الإلهية .

وقصارى القول إن المذهب الظرفي (Occasionalisme) يؤكد أن الفاعل هو الله وحده ، وأنه لا علة سواه ، وأن أحوال الموجودات ليست سوى ظروف مناسبة لإظهار الفعل الإلهي .

الظن

في الفرنسية Opinion , présomption , prévention

في الانكليزية Opinion , presumption

ظن الشيء ظناً اعتقده بغير يقين ، والظن في اصطلاح الفلاسفة هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك .

قال ابن سينا : « الظن الحق هو رأي في شيء انه كذا ، ويمكن أن لا يكون كذا . والعلم اعتقاد بأن الشيء كذا ، وأنه لا يمكن أن لا يكون

كذا وبواسطة توجيه والشيء كذلك » (النجاة ، ص : ١٣٧) . أما العقل فهو « اعتقاد بأن الشيء كذا ، وأنه لا يمكن أن لا يكون كذا طبعاً بلا واسطة ، كاعتقاد المبادئ الأولى للبراهين » (النجاة ، ص : ١٣٧) وهذا التفريق بين الظن والعلم والعقل مقتبس من الفلسفة اليونانية (راجع كتاب مينون وكتاب الجمهورية لأفلاطون) والمظنونات ، « آراء يقع التصديق بها لا على الثبات ، بل يخطر إمكان نقيضها بالبال ، ولكن الذهن يكون إليها أميل ، فإن لم يخطر إمكان نقيضها بالبال ، وكان إذا عرض على الذهن لم يقبله الذهن ولم يمكنه ، فليس بمظنون صرف بل هو معتقد » (النجاة . ص ٩٩) .

وما كان من الآراء ناشئاً عن تأثير العواطف والميول دون دليل حتى سمي ظناً سابقاً (Prévention) .

والظنون كل ما يوثق به ، يقال رجل ظنون أي متهم في عقله ، أو متهم في خبره ، ودين ظنون غير موثوق بقضائه والظنين (Prévenu) المتهم .

جميل صليبا

اللغة اللبنانية!..... (١)

كنا باللغة العامية ، فإذا بنا اليوم نصير إلى اللغة اللبنانية ! ومن يدري فقد نهبط غداً أو بعد غد إلى اللغة القروية ، فيكون لكل قرية لغتها المستقلة ـ وهذا بالقياس إلى ظاهر حجتهم ـ أدل على الاستقلال ، وأحفظ له ، وأبعد عن كل صلة بالعرب والعروبة .

---

(١) الذي قال باللغة اللبنانية ، أرادها لغة فخر الدين المعني ، ونحن نرحب بهذه الدعوة على شروط ثلاثة :

١ ـ أن يثبت أن فخر الدين : العربي الصريح ـ ابن ربيعة ـ كانت هذه اللغة العامية اللبنانية الدارجة اليوم ، لغته .

٢ ـ أن توحد أولاً هذه اللهجات اللبنانية نفسها ، التي تختلف لفظاً واستعمالاً ، ومخارج حروف وتقديماً في الحروف وتأخيراً فيها ، بين منطقة ومنطقة ، وبين جماعة وجماعة ، وبين مدينة ومدينة ، بل في القُرَيَّة الواحدة باختلاف القبائل العربية التي ينتمي إليها كل بطن من بطون هذه القبائل .

٣ ـ أن يُجمع اللبنانيون ، وأن تتفق كثرتهم على هذه اللغة اللبنانيـــة ، لكي يواجهوا العالم بلغة لبنانية موحدة ، لا اختلاف بين استعمالاتها ، ولا بين جملها ، مفردة ومركبة وبين ألفاظها ، وإلاّ ظل الأمر كما هو مهزلة من المهازل

وعشْ رجباً تر عجبــاً

أما القول بأن الرئيس المصري إنما يقرّب خطبه من أفهام الجماهير العامة ، أنه يلقي بعضها باللغة العامية ، فهذا غير صحيح ، فهذه الخطب على ما فيها من مبادىء صالحة ، وآراء صائبة يضعف من قيمتها البيانية ، أنها تُلقى بلغة عاميـــة ، إذا فهمها غير المصري سامعاً ، فلا يفهمها غيره قارئاً .

ولقد كان سعد زغلول ، وكان يُعَدُّ من خُطَبَاء العالم ، يلقي خطبه بلغة عربية فصيحة ، كان يفهمها الشعب المصري في عصر كان العلم فيه محدوداً نطاقـــه ، مقصوراً على طبقة خاصة من المصريين . =

وموضوع اللغة العامية ، موضوع تافه ، هو أقرب إلى الهزل منه إلى الجد ، عاناه من عاناه ، من جماعات الاستعمار وصنائعهم منذ عشرات السنوات ، وظل واقفاً في حيث بدأ . وهو موضوع ما كان يستحق أن يُعنى به ، أو أن يُبحث فيه ، لولا ما وراءه من خبايا يكمن فيها الاستعمار ، فإذا آنس في القوم غفلة ، ورأى اختلاف العرب في جملة أمورهم ، عاد يطل برأسه لعله يجد فُرجة يتسرب منها إلى اللغة ، بعدما كان من الفرجات التي وجدها أو أوجدها له الاستعمار فتغلغل منها إلى السياسة .

والقول باللغة العامية قول ظاهره الغيرة على العربية ، وباطنه من قبله القضاء عليها ، وتمزيق وحدتها وبعثرة أقطارها .

وقد كتب كثيرون يسفهون هذا الرأي ، ويبيّنون خطله وخطأه ، وأنه يستحيل تنفيذه ، وأن اللغة العامية لغة عاجزة قاصرة ، إذا صلحت للمحادثات البيتية ، والمعاملات السوقية ، فهي لا تصلح للعلم ، ولا للمواقف الخطابية التي تتطلب البلاغة ، وصحة الأداء والبيان ، حتى في الجماهير العامية والمجتمعات الشعبية ... وقد كنت في جملة من تعرض لهذا الموضوع وألقى دلوه في الدلاء . وكان من أقوال المدافعين عن العربية الفصحى ما قطع كل حجة ، فأسكت كل صوت .

= وعلى ذكر اللغة اللبنانية تعود بنا الذاكرة إلى اللغة السورية .

كان في رئاسة بلدية دمشق عهد الانتداب ، رجل كثير الموالاة لرجاله ، شديد الاندفاع في مسايرتهم . وقضى عليه منصبه في يوم من الأيام أن يقرأ خطبة في حضور المفوض الفرنسي تكلم فيها عن اللغة السورية ، ذهاباً منه إلى أن الحديث عن العرب وعن اللغة العربية من شأنه أن يغضب الفرنسيين . فكانت أهزوءة أضحكت الناس كثيراً ، وشغلت الصحافة طويلاً .

واليوم يقوم في لبنان من لا يقف عند الكلام عن اللغة اللبنانية كما فعل زميله السوري ، — بل يدعو الى لغة لبنانية مستقلة بنفسها ، قائمة بذاتها ، منفصلة عن اللغة العربية ...

والآن وقد تم على العرب ما تم ، ووقعوا في ما وقعوا فيه ، عاد هذا الصوت المنكر يرتفع ، ورجعت بعض النفوس المريضة إلى أقلامها المأجورة الوضيعة ، ووجدت لها في بعض الصحف مجالاً للقول ، فلا نرى بدّاً من العودة إلى هذا الموضوع ، والإشارة إلى بعض ما سبق فقلناه ، معززاً بما سبق لغيرنا قاله .

كان الدكتور « فولارس » الألماني (١) أول من طرق هذا الباب في ما نعلم ، وجاء بعده ـ في ما أظن ـ رجل انكليزي هو (والف ويلميور) . وكان مستشاراً (قاضياً) في محكمة الاستئناف الأهلية . فألّف كتاباً بالانكليزية . دعا فيه إلى ما دعا إليه صاحبه (فولارس) من العدول عن العربية الفصحى ، إلى العربية العامية المصرية ، محاولاً إقناع المصريين أن هذا خير لهم . وكانت دعوة هذا القاضي ترجيعاً لدعوة (ولهلم سبتنا) أمين دار الكتب المصرية (الخديوية قبلاً) . وألّف كتاباً في صرفها ! ... وكتاباً في أمثالها ، وقصصاً عامية ونشر ذلك باللغتين : الألمانية والإفرنسية بالحروف الافرنجية ، ليرغّب أوربة في تنفيذ مشروعه : تعليمهم اللغة العامية ، وجعلها لغة العلم والتعليم . ونشرت كرّاسة وزعت على الجرائد ، حثّاً على هذه اللغة ، وترغيباً فيها ، وكان من بعض الأغنياء الأجانب أن أرصد مبلغاً كبيراً من المال يدفع لمن يستجيب لهذه الدعاية .

وكأن (ويلميور) وهو القاضي ـ أخذته نزعة القضاء ـ وثقةٌ منه

---

(١) ألّف هذا الرجل كتاباً بالألمانية ، دعا فيه إلى اللغة العامية المصرية . وجمع فيه ـ على زعمه ـ ، قواعد هذه اللغة . أما ما هي هذه القواعد ومن أين جاء بها ؟ فهنا ما لا نعلمه ....

بنفسه ، وبصواب رأيه ـ فدعا إلى اجتماع يحضره رجال العلم لمناقشة مشروعه [١] .

وكتب المستشرق الدكتور مرتين هرتمن (Martin Hartmin) أستاذ اللغات الشرقية في برلين مقالة ضافية : « ذكر فيها الفائدة التي تعود على علوم اللغة العربية من جميع ألفاظها العامية . جاء فيها بفذلكة في تاريخ اللغة العامية من صدر الإسلام إلى الآن . وحثّ العلماء على درس لغة العامة ، وجمع شتاتها المتفرقة في مصر والشام والمغرب والعراق والحجاز وغيرها . وأورد مثالاً للكيفية التي يريد جمع تلك الألفاظ عليها .

---

(١) انبرى لهذا القاضي عبد العزيز جاويش قائلاً :

« لقد أخطأ المستر (ويلميور) في قوله « إن لغة القطر المصري لغة مستقلة عن العربية الصحيحة ، بعيدة عنها كل البعد . فاللغة المصرية ليست إلاّ لغة عربية ، دخلها بعض التحريف والدخيل ، وإن أكثر ما يُظن أنه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية ، وإنه إذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى ، فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الأخرى » .

وأورد له أمثلة على ذلك .

ثم ذكر للقاضي شيئاً كثيراً من عيوب اللغة الانكليزية بين ما يُنطق وما يُكتب ، وكالحروف « الزائدة » في كثير من الكلمات حتى أن متعلم هذه اللغة يضطر إلى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها في الرسم ، حتى يصح أن يقال : « أن لا قياس في هذه اللغة » .

وسأل الشيخُ المؤلفَ :

لِمَ لا تصلحون هذه العيوب ؟

فأجاب ، لأن ذلك إخلال بتاريخ لغتنا ، ومانع من الانتفاع بالكتب الكثيرة التي أودعت علوم سلفنا ومجدهم .

قال له الشيخ : « إن هذا المانع هو نفسه الذي يمنعنا من استبدال خط لغتنا بخط آخر . كما يمنعنا من التدلي من الصالح منها إلى الفاسد الذي لا يرجى إصلاحه .

فاقتنع القاضي وكان عادلاً ، وقبل هذه الأدلة والبراهين .

ونشر جدولاً ذكر فيه ألفاظاً من لغات : بيروت والقاهرة وتونس وتفسيرها باللغة الفصحى . »

فإذا بها ألفاظ كثرتها عربية الأصل ، حرفتها العامة تحريفاً منه الظاهر ، ومنه ما فيه بعض الخفاء ، لبعد العهد في التحريف ، واختلاف الأقطار في التصحيف . وقلة ضئيلة ، أخذت من لغات أجنبية ، اختلفت مصادرها باختلاف ما كان بين قطر عربي وقطر آخر من سيطرة أجنبي أو صلة به . هذا إلى أن بعض ما نسبه المستشرق هارتمن إلى قطر وزعمه مختصاً به ، قد يكون معروفاً في قطر آخر ، ولكنه غير مستعمل فيه ، أو غالب عليه لفظ آخر ، وكله مما لا يستحق هذه الدراسة ولا هذه العناية ، اللتين بذلها هذا الرجل ، ولا يشغل باله به ، إلاّ عربي حريص على رد العامي إلى الفصيح ، لا إحياء العامية ونشرها في البيئات العلمية والاعتماد عليها في كتابة أو تأليف .

وجملة القول : إن العمل على إحياء اللغة العامية بعثه الغرض أو المرض . غرض استعماري يرافقه انسياق أعمى عن حسن نية عند بعضهم ، أو سوء طوية عند بعضهم الآخر ، أو مرض في النفس عن عجز وقصور في الدرس .

ولسنا نعرف في العرب الصرحاء ، ولا في كتّابهم البلغاء الأبيناء ، من قال باللغة العامية ، ونادى بوجوب نشرها ، وإحلالها محل اللغة الفصحى ، إلاّ أن يكون (زهاوي زاده ، جميل صدقي أفندي) فلقد كتب في مجلة المقتطف سنة ١٨٩٦ مقالاً جاء فيه :

« فاللغة العامية ، لغة يتكلم بها الناس ، سواء رضي البعض أو لم يرض . وأكثر الناس يدرسون العربية لأجل معرفة كتب الدين ، وغيرها من الكتب القديمة الجليلة . فإذا هُذبت اللغة العامية وشاعت . ترى هل ينتفي الباعث المذكور ، كلاّ بل هو باقٍ . فلا مانع حينئذٍ من درس اللغة القديمة لمن

يطلب ذلك كما يدرسها الآن ، فإن قيل الاتفاق على وحدة العامية صعب دونه خرط القتاد . قلت : إنا نجاري في ذلك الطبيعة فكل اللغات الموجودة كانت في وقتها فروعاً ثم اتحدت » .

وهذا رأي من أغرب الآراء بادية مقاتله من جميع نواحيه ، وأغرب ما فيه أن يصدر عن الزهاوي وهو من هو في مجالات الأدب من نثر وشعر .

إلاّ أن يكون قال ذلك مسايرة المقتطف ، وكان رأيهما ما كان ، كما جارى الترك يومئذ في : (زهاوي زاده) .

وبعد ، فقوله :

١ — بتهذيب العامية معناه القضاء عليها . فإن العامية إذا هي تهذبت عادت إلى أصلها الصحيح الفصيح .

٢ — وأن تكون مدارسة العربية الفصيحة لأجل معرفة كتب الدين وغيرها من الكتب القديمة ، فليس هو بالسبب الذي يُستهان به . فكل أمة حريصة على تاريخها وعلى أمجادها . وقضية اللغة من هذا لها الصدارة والأولوية .

٣ — وكان الزهاوي رحمه الله يريد برأيه بقاء لغتين وهذه هي الثنائية اللغوية التي يُشتكى منها .

٤ — وقد يكون أغرب ما في هذا الرأي الغريب ، أن نجعل اللغة فروعاً ثم نعود فنوحدها . وبأي لغة من هذه اللغات العامية تتم لها وحدة ؟ وهل توحدت اللغات الغربية التي انشقت عن اللاتينية ، فنرجو لهذه العربية توحيداً بعد تمزيقها .

فالتجزئة تدعو إلى تباعد هذه اللهجات بعضها عن البعض الآخر ، فتصبح كل لهجة لغة مستقلة ، ثم تتباعد عن الأم : اللغة الأصلية ، كما وقع للاتينية مع الافرنسية والإيطالية وسائر ما اشتق منها .

ومشكلة العربية في مذهب القائلين بصعوبتها ، تقوم في رأيهم على هذه الثنائية التي نعانيها ، والتي سلمت منها على زعم بعضهم سائر اللغات ، وهذا خطأ قد يكون كثير منا وقع فيه (١) . غير أن الشيء الذي نشكو منه ،

(١) يقول الأستاذ جبر ضومط – رحمه الله – :
الانكليزية مثلاً ، ترى فيها لغتين : مكتتبة وهي الفصحى ، وعامية وهي الدارجة . والفصاحة في المكتتبة بالغة أعلى درجاتها في لندن . والدارجة بالغة أحط درجاتها أيضاً في بعض أقسام تلك المدينة ، حيث الفقر والجهل على أشدهما .
ومثل الانكليزية الفرنسية ، ومثل لندن باريس . فان اللغة المكتتبة فيها وصلت في كتابات بعضهم إلى ما وصلت إليه تماثيل اليونان الجميلة أو تماثيل ميشال انجلو ، أو إلى ما أشار إليه المتنبي :
والقائل القول لم يُترك ولم يُقل
بل في برلين : مدينة العلم والعلماء ، ومدينة الأدب والأدباء ، تهبط اللغة الدائرة على الألسنة في أفواه الأقوام من الغوغاء والحثارة إلى ما لا يستطيع أن يتصور مثله بين أقوام العامية عندنا – أبكى الباكين على الفصاحة العربية واندثارها من على الألسنة .

* * *

ثم يقول :
تعرفت منذ عدة سنين بمستشرق أسوجي جاء إلى بيروت ولبنان يدرس اللغة العربية الدارجة . وكان الرجل والحق يقال : يُفهِم ما يقول ، ويفهَم ما يُقال . فقلت له مرة في عرض الحديث :
– أعندكم يا أستاذ لغتان : فصحى ودارجة ؟
قال : عندنا .
قلت : مئة بالمئة عندكم يقرأون ، وعندكم لغة دارجة ! إذن ينبغي أن تكون قريبة جداً من اللغة الفصحى لغة (الكتابة) .
قال : بل هي بعيدة عنها .
قلت : وأي الدارجتين من لغتنا ولغتكم أقرب إلى أختها الفصحى ؟
قال : دارجتكم .
وكنت أنتظر جوابه هذا الخالي من العصبية ، لما كنت أتوسم فيه من سعة العلم والفضل والانصاف . (مجلة السيدات والرجال المجلد ٦ الصفحة ٤٤٩) . =

وقد عالجناه مراراً ، هو هذا الضعف الخلقي الذي تمكن منا ، فجعلنا نخجل أن نستعمل اللفظ العربي الصحيح ، والأسلوب العربي الفصيح ، وإن صح لفظه ، وعذب معناه ، ونخجل في المقابلة أن نجهل الكلمة الأجنبية مهما كان فيها من ركاكة وغرابة .

والحكومات العربية في الأقطار العربية ، ألقت الحبل في هذا على الغارب ، فتركت دوائرها ومدارسها ومصالحها ، وسائر مؤسساتها ، وشأنهم يتدبرون أمرهم كما يريدون ، لا مأخوذاً على يدهم في إصلاح ، ولا في تعبير . حتى إذا زاد خطأ رئيس من الرؤساء وفحش كان منتهى أمره أن يقول : لست سيبويه ، تقول : وإنه إن لم يكن سيبويهاً ، فليس مفروضاً فيه أن يكون شيئاً آخر غير سيبويه ...

وهذا شيء لا يقوله أحد من نظرائه ، إذا تكلموا لغة أجنبية فأخطأوا ، بل يتجنبون اللحن والخطأ مجتهدين كل الجهـــد في تصحيح ألفاظهم ، وتصويب عباراتهم .

وليست الحكومات غير العربية على هذا ، ولا سيما في مطلع نهضاتها وإرساء قواعدها . يقول العلاّمة الحصري في هذا المعنى :

= ويقول الأستاذ ساطع الحصري :

« إن القول بأنه لا يوجد في فرنسة فرق بين لغة الكتابة ولغة الكلام ، لا يخلو من المغالاة . فان ذلك إذا كان صحيحاً بالنسبة إلى معظم المدن والقصبات الكبيرة ، فانه بعيد عن الصحة بالنسبة إلى كثير من القرى في بعض الايالات .

فانه من الثابت بأن هناك ملايين من الفرنسيين لا يزالون في طور « ثنائية اللغة » فانهم يتكلمون في بيوتهم ، ولا سيما مع العجائز والجدات ، بلهجات عامية ولغات خاصة ، وإن كانوا يتقنون الفرنسية الفصحى ويتكلمون بها خلال اتصالاتهم الخارجية . فاللهجات العامية في فرنسة لم تندثر تماماً وإن كانت قد تضاءلت كثيراً .

(مجلة المجمع)

« إن زوال اللهجات ، يتطلب عملاً متواصلاً ، يستمر عدة أجيال » .

ولذلك دعا مجلس الثورة (الافرنسية) جميع الناس إلى الاهتمام بهذا الأمر (أمر اللغة) وذلك ببيان أصدره في السنة الثانية للثورة ، جاء فيه :

« فليدفع كل منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسة . لأن تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد » .

على أن هذا ، لا يمنع من يحرص على لغته ، ويعمل على سلامتها أن يهبط إلى درك العامية ، لا يمنعه هذا من أن يدعو إلى استعمال ما احتفظت به العامة من صحيح فصيح قد يجهله اليوم حتى بعض الخاصة ، ومما أحدثته هذه العامة من ألفاظ موفقة لأغراض محدثة ، جرت في اختيارها على منهج العرب الأصيل . هذا ، إلى ألفاظ اختارت لها العامة لغة صحيحة على أفضل مما تجري عليه الخاصة اليوم وما جرت عليه آباؤها قبل اليوم ، وهو حديث يتلو مقدمته هذه .

عارف النكدي

فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الأول)

- ٢ -

٦٧ - وجاء في الصفحة « ٣٤٠ » ترجمة من اسمه في المطبوع « شداد ابن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطـاهر » وتقدم في هذا الجزء أيضاً - ص ٢٥٩ - ما صورته « وكان أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الملقب بالطاهر كثير الملازمة للوزير المهلبي » . فكيف يترجم ابن شاكر مؤلف الفوات من اسمه « شداد » بالشين المعجمة بعد سحيم بن وثيل عبد بني الحسحاس وقبل « سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي » وقبل سحيم « السائب أبو العباس المـكي » وبعد سعد الله الدجاجي « سعد الله بن مروان الفارقي الموقع » ، فليس المؤلف واهماً في وضع هذا المترجم بين ذوي الأسماء التي أولها السين ، ولكن الشيخ أصرّ على إعجام الشين وزاد على ذلك قوله في فهرست الأسماء - ص٦٢٤- : « هكذا وقع هذا الإسم بين الأسمـاء المبدوءة بحرف السين المهملة ، وهو مخطىء للصواب في هذا الإصرار فان الشاعر اسمه « سَدّاد » بالسين المهملة ، وقد سُمي بسداد قال الذهبي في المشتبه : « شداد واضح ، وبمهملة مخففاً سداد بن سعيد الشيعي ، شيخ بن الصلت وبالكسر سيداد بن رشد الجعفي[1] » وأورده الصفدي في الأسماء التي أوائلها السين قال : « سداد بن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر[2] ... » والظاهر لنا أن خطأ ياقوت الحموي

(١) المشتبه ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ » .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٢٠٦٤ في الورقة ١١٦ » .

هو الذي جرّأ الشيخ على ارتكاب الخطأ فان ياقوتاً أورده في الشين المعجمة (١) فأخطأ وفتح باب الخطأ لغيره ولو اتبع الشيخ ما اتبعه في ترجمة أبي الفضل بن الأخوة « ص ٥٥٧ » لكان في نجوة عن الخطأ .

٦٨ — ووردت في الصفحة ٣٤١ ترجمة من اسمه في المطبوع « سعد الله بن نصر الله بن سعيد الدجاجي » وهو صاحب الأبيات التي تغنيها مغنية العصر السيدة أم كلثوم ومطلعها :

لي لذة في ذلتي وخضوعي وأحب بين يديك سفك دموعي

فعلق الشيخ في الحاشية أن « له ترجمة في شذرات الذهب ٤ : ٢١٢ » ولكنه ورد في الشذرات « سعد الله بن نصر » لا « ابن نصر الله » فلم يشر إلى ذلك ، ويؤيد أنه « نصر » غير مضاف إلى لفظ الجلالة نصّ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢ : ٣٠٢ قال « سعد الله بن نصر بن سعيد » ، وذكره قبله ابن الجوزي قال في وفيات سنة ٥٦٤ : « سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاجي أبو الحسن (٢) ... » وكذلك قال شمس الدين الجزري في طبقات القراء(٣) ولا حاجة بي إلى الاستشهاد بأكثر من ذلك كالمخطوطات .

٦٩ — وجاء في الصفحة ٣٥٣ « فلما بلغ ذلك المهدي عبد الله صاحب إفريقية » والصحيح « عبيد الله » ولعله من غلط الطبع .

٧٠ — وجاء في الصفحة ٣٦٢ « فبكت الخواتين وشققت الثياب بين يدي بُغا وقالوا : البرواناه هو الذي قتل رجالنا » . وقد ضمّ الشيخ باء بُغا ، كأنه صحيح معروف عنده ، وهذا خطأ والصواب « أبغا » وفي تلفظ آخر « أباقا » وهو « أبغا بن هولاكو بن تولي بن جنكزخان » وكان ملك الشرق أيامئذ .

(١) معجم الأدباء « ٤ : ٢٦١ طبعة مرغوليوث » .
(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٨ » .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء « ١ : ٣٠٣ » .

٧١ — وجاء في الصفحة ٣٦٦م قول عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني :

كأن القطوف الدانيات مواهب فني كل غصن ماس في الدوح خاتَمُ

وضبط الشيخ لفظ « خاتم » ضبط الصائغ الماهر وما أدري ما دخل الخاتم في ذلك فالمواهب تحتاج إلى حاتم لا إلى خاتم .

٧٢ — ووردت في الصفحة ٣٨١ ترجمة « شرف بن أسد المصري » فعلق الشيخ على اسمه « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من مصادر الرجال » . فليت شعري ما الذي عنده من مصادر التراجم ومن يتصدّ(١) لنشر هذا الكتاب وأمثاله ينبغ له أن لا يقتصر على ما بين يديه بل يختلف إلى دور الكتب وخزائن الكتب الكبرى ، ومن المعلوم عند أرباب التاريخ أن شاكر الكتبي اقتبس أكثر تراجم الفوات من الوافي بالوفيات للصفدي ، ولذلك نجد ترجمته فيه قال : « شرف بن أسد المصري»(٢) ... » وذكر الترجمة .

٧٣ — وجاءت في الصفحة ٣٨٤ ترجمة « شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون المزي (كذا) المغربي الأصل » فعلق الشيخ جملته المشهورة « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من مصادر الرجال» . قلت : ترجمه الصفدي ، قال : « شعيب بن محمد بن محمد بن ميمون المري المغربي الأصل(٣) ... » وذكر الترجمة .

٧٤ — وجاءت في الصفحة « ٣٩٠ » ترجمة صاعد بن هبة الله بن توما النصراني » وفيها « وقتل سنة ستمائة ، حضر عليه جماعة من الأجناد الذين كانت أرزاقهم تحت يده ... » وقال الشيخ المحقق الفاضل : له ترجمة

---

(١) مجزوم بمن الشرطية وعلامة جزمه حذف الألف .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٥ الورقة ١٥٥ » .

(٣) المرجع المذكور والنسخة المقدم ذكرها « الورقة ١٦٥ » .

في أخبار الحكماء . . » « وله ترجمة في « عيون الأنباء ... » قلت : ما فائدة الإحالة وقد بقيت في الترجمة إحالة وهي كونه « قتل سنة ستمائة » مع أن القفطي يقول : « وكان قتله وموته في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة عشرين وستمائة » فالفرق بين التاريخين عشرون سنة ، وكذلك قال ابن أبي أصيبعة في كتابه المذكور .

٧٥ — ووردت في الصفحة ٤١٢ ترجمة « طاشتكين مجير[١] الدين أبي سعيد المستنجدي » فعلق الشيخ عليه « في النجوم الزاهرة المقتضوي نقلاً عن رواية من عقد الجمان والذيل على الروضتين » . والحقيقة هي أن هذه النسبة لم ترد في النجوم الزاهرة بل وردت في حاشية المشرفين على طبعه ، فكان ينبغي التنبيه على ذلك والذي ورد في النجوم على حسب قول المشرفين هو « الصفدي » نسبة إلى الأمة المعروفة بهذا الاسم من الأمم الشرقية .

٧٦ ـ وجاء في آخر ترجمة « طغرل شاه محمد بن الحسين بن هاشم الكاشغري الواعظ » قوله أي قول المؤلف : « وأورد له محب الدين ابن النجار في تاريخه :

صدَّ بعد اللقا وأبدى القطيعَه من غدا قلبُ كل صب مطيعَه

وذكر القصيدة وجاء في آخرها » قال العماد : ورد طلحة هذا إلى البصرة في زمن الحريري صاحب المقامات وكتب إليه رسالته الشينية[٢] (كذا) نظماً ونثراً وكانت وفاته بعد العشرين والخمسمائة ـ رحمه الله ـ .

ولم يسائل الشيخ نفسه كيف بدأت الترجمة بطغرل شاه وكيف انتهت بطلحة ؟ إذن هذه بقية ترجمة رجل اسمه طلحة ، ألحقت بترجمة طغرل شاه وهو كما في معجم الأدباء ٤ : ٢٧٧ « طلحة بن محمد ـ وقيل أحمد ـ بن طلحة

(١) من أجار يجيرُ .
(٢) الصحيح « الشينية » كما وردت في خريدة القصر للعماد الأصفهاني .

أبو محمد النعماني ، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر ورد بغداد وخراسان وكاتبه الحريري صاحب المقامات وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة مات سنة ٥٢٠ » وأورد له أبياتاً .

وقال القفطي : طلحة بن محمد بن النعماني أبو محمد ، من النعمانية بلدة بين بغداد وواسط ، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب ، حسن الشعر ، رقيق الطبع ، كثير المحفوظ [١] ... » ولم يذكر سنة وفاته . وترجم له العماد الأصفهاني في الخريدة وذكر جملة من شعره ، ولم يذكر هذه القصيدة الميمية .

٧٧ — وجاء في الصفحة « ٤٢٠ » ترجمة ظفر بن يحيى بن محمد بن هبيرة شرف الدين وجاء فيها : « ولما توفي الوزير اتصل بالخليفة أنه عزم على الخروج من بغداد مختفياً فقبض عليه وحبسه [٢] ولم يزل إلى سنة اثنتين وخمسين وستمائة فخرج من الحبس ميتاً ودفن عند أبيه ... » . وأورد شعراً له ، ولم يكلف المحقق الشيخ نفسه تحقيق التاريخ « ٦٥٢ » مع أنه من خطأ النسخ أو من خطأ المؤلف عند النقل والصحيح « سنة ٥٦٢ » . قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٢ : « وفي يوم الأربعاء ثامن عشر صفر أخرج ابن الوزير الكبير المسمى شرف الدين من محبسه ميتاً فدفن عند أبيه بباب البصرة [٣] » .

٧٨ — وورد في الصفحة ٤٣٢ في ترجمة الخليفة القائم بأمر الله عبد الله ابن أحمد خبر الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه بالعراق هو : « وخلصه طغرلباك [٤] من بين يديه إلى أن وصل إلى عتبة باب التوبة فقبلها شكراً

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة « ٢ : ٩٣ » .
(٢) الصحيح أن عضد الدين محمد ابن رئيس الرؤساء الذي تولى الوزارة وأبناءه حبسوه حسداً له وخوفاً منه مع أن الدولة العباسية نهضت على كتفي أبيه وكتفيه وكتفي أخيه عز الدين محمد .
(٣) المنتظم « ١٠ : ٢٢٠ » .
(٤) الصحيح « خلصه القائم بأمر الله » أي خلّصه من طغرلبك الفاتح ، ولا يصح غير ذلك .

لله تعالى وصارت سنة بعده » . وليس في أبواب دار الخلافة العباسية باب يسمى « باب التوبة » ، والصواب « باب النُّوبي » نسبة إلى حاجب نُوبي من بلاد النوبة كان في أيام المتضد العباسي ، قال ياقوت في الكلام على « الحريم » من معجم البلدان وذكر أبوابه : « حريم دار الخلافة ببغداد ويكون بمقدار ثلث بغداد ... ثم باب النُّوبي وعنده العتبة التي تقبلها الرسل والملوك إذا قدمُوا بغداد » . وقال في المشترك وضعاً والمفترق صقعاً — ص ١٢٩ — : « ثم باب النُّوبي وفيه العتبة التي تقبلها الرسل والملوك وغيرهم إذا قدمُوا بغداد وهي قطعة من عمود رخام أبيض مطروحة أمام هذا الباب طولا » .

٧٩ — وجاء في الصفحة ٤٥٧ قول محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر المصري الكاتب :

لا واخـــذ الله بندك فكم وشى بي عندك
وقـــال عني بأني شبهت بالغصن قدك

فقال الشيخ — حفظه الله تعالى — معلقاً : « البند بفتح فسكون لفظ فارسي وأصله العقد واستعمل في العلم الكبير » وقالوا فلان كثير البنود . يريدون أنه كثير الحيل » . فما الذي يستفيده المستفيد بالنسبة إلى البند الذي ورد في الشعر ؟ لا شيء . فالوجه أن يقال « من معاني البند ضرب الأحزمة أو الحزم » ألا ترى ما ورد في الصفحة « ٣٧٧ » من هذا الجزء قول الشيخ شافع بن علي العسقلاني « في مليح وسطه مشدود ببند أحمر ... ؟ وذكر الشعر .

٨٠ — وجاء في الصفحة « ٤٦٢ » من ترجمة المقدم ذكره قوله أي قول المؤلف : وقال في منزلة القطيمة :

هذي القطيـــــة ألتي لا تشتهى نقلاً وعقلا
حُشيت ببرد يابـــس فلأجل ذاك الحشو تُقلى

وفي كل هذا التصحيف يحتاج إلى مُراجعة المراجع لهذه الترجمة ، وأقبحه تصحيف « القطيفة » إلى القطيمة والقطيفة ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق ويحشى بما لذ وطاب ، ولذلك قال « فلأجل ذاك الحشو تقلى » والقطيمة لا تقلى ولا تحشى كما هو معلوم .

٨١ — وجاء في الصفحة « ٤٩١ » قول ابن سنان الخفاجي :

أما الوشاة فقد أصابُوا عنكم سوقاً يَنفُق كل قول كاذب

وقد ضبط « يَنفُق » بفتح الياء وضمّ الفاء وكسر وزن الشطر من الكامل ، والصواب « يُنَفّق » على وزن يُؤيّد فيصح المعنى والوزن . والمراد تنفيق السوق لكل قول كاذب .

٨٢ — وورد في الصفحة ٤٩٤ في ترجمة ابن أبي الدنيا « وهو أحد الثقاة المصنفين للأخبار والسّير » . والصواب « ثقات » بكسر الثاء المثلثة والتاء المبسوطة والجمع هذا مثل جمع « هبه على هبات ، وشية على شيات ، ولِدة على لِدات » .

٨٣ — وجاء في الصفحة ٤٩٨ قول المؤلف لنفسة أو نقلاً : « ومن الاتفاقات العجيبة أن أول الخلفاء من آل أبي سفيان اسمه معاوية وآخرهم اسمه معاوية ... » فعلّق الشيخ على هذا القول مصححاً له ـ حفظه الله ـ : « آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الملقب بالحمار » . ولم يفهم النكتة من قول المؤرخ « آل أبي سفيان » فآخرهم « معاوية الثاني ابن يزيد بن معاوية الأول » . فالمؤرخ لم يقل « آل بني أمية » . وفرع مروان غير فرع آل سفيان فتأمل ذلك تعجب .

٨٤ — وجاء في حاشية الصفحة ٥١٩ « نقلاً عن كتاب مجمع الآداب في معجم الألقاب » وفي التسمية تصحيف فهو لكمال الدين ابن الفوطي المؤرخ البغدادي ، وهو مترجم في هذا الجزء « ص ٥٦٧ » وفيها « مجمع الآداب في

معجم الأسماء على معجم الألقاب» وهو الصواب ، وهذا الكتاب هو الذي طبعت تلخيص الجزء الرابع منه وزارة الثقافة .

٨٥ — وجاء في الصفحة «٥٢٣» في ترجمة تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الفزاري الدمشقي الفقيه الشافعي «ولم يكن له إلا تدريس البازدارية مع ماله من المصالح» . ولم يعلق على « المدرسة البازدارية » شيئاً لأنه لا يعلم عنها شيئاً كما أن التاريخ لا يعلم لها وجوداً فهي تصحيف « البادرائية » نسبةً إلى منشئها وهو نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد البادرائي ثم البغدادي ، والنسبة الأولى إلى بادرايا من قرى العراق الشرقية وتعرف اليوم باسم (بدرة) فهو الذي أنشأ المدرسة البادرائية ، قال المقريزي : « وله بدمشق مدرسة تعرف بالبادرائية كانت تعرف بدار أسامة ، عمل بها درساً وشرط على المقيم بها أن يكون غير متزوج وأن لا يكون بغيرها من المدارس . . . ووقف بها خزانة كتب نافعة وأول من درس بها الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن التاج الفزاري» . وقال قبل ذلك : « وولي قضاء بغداد كرهاً فأقام بعد ولايته سبعة عشر يوماً ومات ببغداد في ذي الحجة سنة خمس وستين[1] وستمائة وكان فاضلاً بارعاً رئيساً وقوراً متواضعاً »[2] .

٨٦ — ووردت في الصفحة «٥٣٢» ترجمة رشيد الدين بن عبد الرحمن ابن بدر بن الحسن النابلسي الشاعر فعلق الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه بقوله : « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال» . قلت : ترجم له الزكي المنذري في وفيات سنة ٦١٩ قال : « وفي المحرم أيضاً توفي الشيخ الأديب عبد الرحمن بن محمد ابن بدر النابلسي الشاعر المنعوت بالرشيد ودفن بباب الصغير ، حدث بكثير

(١) كذا والصواب « خمس وخمسين وستمائة » .

(٢) المقفى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٤٤ و٣٠٤ » .

من شعره ، ودخل مصر ومدح بها »(١) . وترجم له الصفدي في تاريخه للرجال وهو الوافي بالوفيات (٢) .

وترجم له الذهبي في تاريخه الكبير في وفيات سنة ٦١٩ قال : « عبد الرحمن ابن بدر بن الحسن بن مفرج رشيد الدين النابلسي الشاعر الملقب بجذلويه . سمع مقامات الحريري من منوجهر بن تركان شاه عن المصنف وحدث بها عنه وكان شاعراً محسناً مليح القول ، قيل إنه أقلع عما كان عليه قبل موته وصلحت حاله ومات في خامس محرم بدمشق وقد مدح أمير المؤمنين الناصر لدين الله بالقصيدة الطنانة التي مطلعها :

حرم الخلافة والمحل الأعظمُ فانظر لنفسك أيّ دُر تنظم ؟

ومدح السلطان صلاح الدين وولده الملك الظاهر غازيا ومدح الملك المعظم وهو عم الحافظ شرف الدين يوسف بن الحسن النّابلسي ، روى عنه الشهاب القوصي عدة قصائد » (٣) . فهذه ثلاثة مراجع لترجمة الرشيد النابلسي نقدمها للشيخ الفاضل .

٨٧ — وورد في الصفحة ٥٣٤ قول رشيد الدين النابلسي المذكور :

أفدي الأولى فارقتهم مُهجتي لا تطمع الأساة في افتراقها

ولا معنى للافتراق مقبولاً هنا والصواب « إفراقها » ، يقال : « أفرق المريض إفراقاً من مرضه :- أفاق من مرضه » .

٨٨ — وجاءت في الصفحة ٥٣٧ ترجمة بدر الدين عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن المسجف الكناني العسقلاني الشاعر فعلّق عليها الشيخ جملته السائرة « لم أعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب فيما بين يدي الساعة من كتب الرجال » .

---

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروف ج ٦ ص ١١٤ الترجمة ١٨٦٣ » .

(٢) نسخة باريس ٢٠٦٦ و ١٤١ » .

(٣) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٨٢ و ٢٥٣ » .

قلت : ترجم له الزكي المنذري في وفيات سنة ٦٣٥ قال : « وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله (كذا) ابن أبي القاسم ابن غنائم بن يوسف الكناني المسقلاني الشاعر المنموت بالبدر المعروف بالمسجّف [١] ، ودفن من الغد عند والده بأرض المزة [٢] . . . » .

وترجم له الصلاح الصفدي في تاريخه للرجال قال : « عبد الرحمن بن أبي القاسم بن غنائم بن يوسف الأديب بدر الدين الكناني المسقلاني ابن المسجف الشاعر ، ولد سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن عند والده بالمزّة وكان أديباً ظريفاً خليعاً ، توفي فجأة وخلّف خمسمائة ألف درهم فأخذها [الملك] الجواد صاحب دمشق وله أخت عمياء فقيرة فمنعها حقها من ميراثها ، وكان بدر الدين يتجر وله رسوم على الملوك وأكثر شعره في الهجو [٣] . . . » وذكر شيئاً من شعره ومناسباته وأخباره مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ . وقد وهم من سماه « عبد الله » لأن اسمه الحقيقي « عبد الرحمن » وقد أيده بقوله :

ومن عجب أني سميّ ابن ملجم وأرجو علياً شافعاً في مقاصدي

أراد علاء الدين علي بن الرام المصري الأمير الأديب [٤] ، كما جاء في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب .

٨٩ — وجاء في الصفحة « ٥٤٠ » من ترجمة ابن المسجف « وقال يخاطب الملك الأعظم » والصواب « الملك المعظم » وهو عيسى بن الملك العادل ابن أيوب الأيوبي المشهور ، ألا ترى أنه قال له :

---

(١) قال « والمسجّف بضم الميم وفتح السين وتشديد الجيم وكسرها وبعدها فاء » .
(٢) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ ص ٢٣ » . ونسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروف « ج ٨ ص ١٠٩٦ الترجمة ٢٨٤٢ » .
(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٥٨ » .
(٤) تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي « ج ٤ القسم ١ ص ١٠٠٠ الترجمة ١٥٦٣ » .

ومن هو كالمسيح اسماً وفعلاً   ونصب للحياة وحزم مجل (كذا)

ثم إن الشيخ علّق في الحاشية أن المراد الملك المعظم عيسى ، ولكنه ترك النصّ المحرّف على حاله واختلاله .

٩٠ — وجاء في الصفحة ٥٤١ قوله في النرز خليل والي دمشق :

ما خليــــل بخليل لا ولا   أصحابه أهل صلاح بل فساد

والشطر الثاني مكسور الوزن فلم ينتبه له الشيخ الفاضـــل والصحيح « صحبُه أهل صلاح بل فساد » .

٩١ — ووردت في الصفحة ٥٥٧ ترجمة « عبد الرحمن[1] » (كذا) ابن أحمد ابن الأخوة العطار الأديب المحدث الشاعر » . فعلق الشيخ على اسمه في الحاشية : « له ترجمة في دائرة معارف البستاني وما أظنها إلا صادرة عن هذا الكتاب نفسه وما أظن اسمه إلا عبد الرحيم[2] لوقوعه بين جماعة ظهر أن اسم كل منهم عبد الرحيم » . وهذا القول يعني أنه لم يعثر له على ترجمة في غير هذا الكتاب وهو الذي نعيذه من استعماله ومقاله فيما يستقبل من عمره — أطاله الله تعالى — فعبد الرحيم ابن الأخوة وردت ترجمته في عدة كتب غير فوات الوفيات الذي اعتاد مؤلفه أن يقتبس تراجمه من الوافي بالوفيات غالباً ، كما قلناه من قبل ، فممّن ترجم ابن الأخوة هذا ، العماد الأصفهاني قال : « جمال الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم ابن الاخوة البغدادي الشيباني » . وذلك بعد قوله في الثناء الحسن عليه : « الأجل الإمام الأوحد أفضل الإسلام » وقال : « أوحد الدهر وأفضل

---

(١) الصحيح أنّ اسمه « عبد الرحيم » كما جاء في عدة مراجع قديمة لم يعرف منها الشيخ مرجعاً واحداً .

(٢) هذا هو الاستدلال الذي أشرنا إليه في ترجمة « سداد بن إبراهيم » في النقدة السابعة والستين وقلنا إن الشيخ الفاضل لم يأخذ به في ترجمة سداد المذكور .

العصر ، خصّه الله بالعلم الكامل ، والأدب الشامل » (١) . وأطال في مدحه وأورد له شعراً جزلاً في أغراض مختلفة .

وترجم له الصلاح الصفدي وقال : « سمع أبا الفوارس طراداً الزينبي وأبا الخطاب نصر بن البطر والحسين النعالي وغيرهم وسافر إلى خراسان في طلب الحديث وسمع بنيسابور وبالري وبطبرستان وبأصبهان وقرأ بنفسه ونسخ بخطه ما لا يدخل تحت الحد وكان يكتب خطاً مليحاً وكان سريع القراءة والكتابة (٢) . . . » وذكر شيئاً من شعره وأن وفاته كانت بشيراز سنة ٥٤٨ .

وترجم له ابن حجر في لسان الميزان « ٣١٤ » وجاء في الترجمة « ابن الأفوه » بدلاً من « ابن الأخوة » وطبعة لسان الميزان الهندية ملأى من أنواع التصحيف ، وجاء فيها « قال أبو سعد ابن السمعاني : ما رأيت منه إلا الخير . . . وقال أبو مسعود : سمعته يقول : كتبت بخطي ألفي مجلد . وقال ابن السمعاني أيضاً : كان صحيح القراءة والنقل » . وتصحّف اسمه إلى « عبد الرحمن » على ابن خلكان استطراداً قال : « ومن غريب الاتفاق ما حكاه السمعاني عن أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي الغنائم محمد بن أحمد بن علي بن عبد الغفار بن الحسين ابن محمد بن محمد [ابن] الوزير أبي الصقر اسماعيل بن بلبل الشيباني المعروف بابن الأخوة البيّع الأديب الكاتب (٣) . . . » .

٩٢ — وجاء في ترجمته في الفوات — ص ٥٥٧ — « سمع عن أبي الفوارس طراد الزينبي » والصواب « من . . . الزينبي » وهو زينبي عباسيّ وزينب المنسوب هو إليها عباسية أيضاً مشهورة السيرة ، ترجم لها الخطيب البغدادي قال : زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ،

(١) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ٣٧ ، ٣٨ » .
(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ١٨٧ » .
(٣) وفيات الأعيان « ١ : ٣٩٧ من طبعة إيران وهي أصح الطبعات حتى الآن » .

كانت من أفاضل (١) النساء وحدثت عن أبيها ، روى عنها عاصم بن علي الواسطي » ثم روى عن أحمد بن الخليل قال : « رأيت زينب بنت سليمان . . . أيام المأمون وقد دخلت دار أمير المؤمنين فرفع عطاء لها الستر (٢) . . . » إلى آخر الخبر .

٩٣ — وجاء في الصفحة « ٥٦٥ » في ترجمة مهذب الدين عبد الرحيم ابن علي بن الدخوار الطبيب الكبير : « ومن شعره ما كتب به إلى الحكيم رشيد الدين أبي خليفة في مرضة مرضها شعراً . . . » هكذا ورد « أبي خليفة » والذي حفظناه كسائر ما قدَّمنا من المصحَّفات في هذا النقد « أبي حُلَيْقة » تصغير الحلقة ، قال ابن أبي اصيبعة : « رشيد الدين أبو حليقة هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن الفارس أبي الخير بن أبي سليمان داود ابن أبي المنى ابن أبي فانة يعرف بأبي حليقة ، كان أوحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية ، متفنناً في العلوم والآداب » ثم قال : « وأما سبب الحلقة التي وضعت في أذن الرشيد واشتهر بها اسمه فإن والده لم يعش له ولد ذكر غيره فوصف ووالدته حامل به أن يهيِّئ حلقة فضة قد تصدق بفضتها وفي الساعة التي يخرج فيها إلى العالم يكون صائغ مجهزاً يثقب أذنه ويضع الحلقة فيها ، ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاهدته والدته أن لا يقلعها فبقيت (٣) » . وذكر السبب في شيوع هذا الاسم في ذكره وتسميته وخطابه .

٩٤ — وجاء في الصفحة ٥٧٣ في ترجمة عبد الصمد بن عبد الوهاب أمين الدين ابن عساكر الدمشقي : « سمع من جدّه ومن الشيخ الموفق ومن

(١) كذا ورد والفصيح « من فضليات النساء » .
(٢) تاريخ بغداد « ١٤ : ٤٣٤ » .
(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ج ٢ ص ١٢٣ » .

ابن ألين » . هكذا بالهمزة القاطعة والياء كأنه اسم تفضيل من لان يلين وهو خطأ والصواب أنَّ الاسم « بِنّ » بالباء والنون المشددة ودخلت عليه الألف واللام ، قال الذهبي في كتابه المشتبه ـ ص ٥٣ ـ : « البِنّ أبو القاسم ابن البِنّ الأسدي الدمشقي أكثر عنه حفيده أبو محمد وروى لنا جماعة عن أبي محمد » ثم أكّد هذا الضبط في الصفحة ٥٣٦ .

٩٥ ـ وجاء في الصفحة ٥٨٢ في ترجمة صفي الدين الحلي الشاعر المشهور « وأنشده الصاحب شمس الدين بن السدي أبيات سليم الهوى النبلي المصفرة » . والصواب « السُّنَيدي » لا السدي ، يؤيد ذلك بيت ورد في القصيدة هو :

صُرِفَ الدهرِ يَعْجِز عن عبيد سُنَيِّدُ ظَهيرِه نجلُ السُّنَيدي

٩٦ ـ وجاء في الصفحة ٥٩٥ في ترجمة عبد العزيز بن عبد السلام : « فولي بدر الدين السخاوي قضاء القاهرة وولي ابن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر » . فمن بدر الدين السخاوي هذا ؟ لم يسأل عنه الشيخ محقق الكتاب وضابطه والمعلق عليه ، والصحيح أنه بدر الدين السنجاري نسبة إلى سنجار ، البلد المعروف المشهور ، ذكره الذهبي في وفيات سنة ٦٦٣ قال : « وبدر الدين السنجاري الشافعي قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزُّراري (١) ، صدر معظم وجواد ممدّح ، ولي قضاء بعلبك وغيرها قبل الثلاثين ، ثم عاد إلى سنجار فنفق على الصالح نجم الدين ، فلما ملك الديار المصرية وفد عليه فولاه مصر والوجه القبلي ، ثم ولي قضاء القضاة بعد شرف الدين ابن عين الدولة وباشر الوزارة ، وكان له من الخيل والمماليك ما ليس لوزير مثله ، ولم يزل في ارتقاء إلى أوائل الدولة الظاهرية ، فعُزل ولزم بيته ، توفي في رجب وقيل : كان يرتشي ويظلم (٢) » .

---

(١) في الشذرات ٥ : ٣١٣ « بالضمّ ومهملتين نسبة إلى زُرارة : جدّ » .

(٢) العبر في خبر من غبر « ٥ : ٢٧٤ » . ونقل الترجمة منه مؤلف الشذرات وفيه زيادة الضبط التي نقلتها .

٩٧ — ووردت في الصفحة ٥٩٦ ترجمة رفيع الدين عبـــد العزيز بن عبد الواحد الجيلي الشافعي القاضي وفيها « قال أبو المظفر بن الجوزي : حدثني جماعة أعيان أنه كان فاسد العقيدة دُهرياً مستهزئاً بأمور الشرع (١) » . وقد ضبط الشيخ محقق الكتاب وضابطه « دهرياً » بضم الدال وهو خطأ ، والصواب فتحها ، جاء في مختار الصحاح « والدُّهري بالضمّ : المُسنّ ، وبالفتح : المُلحد ، قال ثعلب : كلاهما منسوب إلى الدهر وهم ربما غيَّروا النسب كما قالوا سُهلي للمنسوب إلى الأرض السهلة » . قلت : هذا يعني أنهم لما جعلوا « الدهري » بفتح الدال للملحد القائل بعدم الدهر احتاجوا إلى نسبة أخرى لمن صاحب الدهر طويلاً فضمّوا الدال للتمييز ، أمّا ضمّهم السين في السُّهلي للمنسوب إلى السهل فإنه لتمييزه عن السَّهلي بالفتح للمنسوب إلى إنسان اسمه « سهل » لأنّ النسبة إلى الإنسان سبقت النسبة إلى غيره ، وكذلك السُّريّة للمرأة والنُّصفية لضرب من النسيج والقُبطيّة لضرب آخر منه ، كل ذلك من أجل التمييز .

٩٨ — وورد في الصفحة ٥٩٩ قول شرف الدين الحموي :

يُشهر اللحظ يماني ويهز القدّ خَطّي

وقد ضمّ الشيخ الفاضل الياء من « يُشهر » تنبيهاً منه على كونه رباعياً ماضيه « أشهر » . وليس ضبطه بصحيح فهو ثلاثي ، جاء في مختار الصحاح « وشهر سيفه من باب قطع أي سلّه » .

٩٩ — وجاء في الصفحة ٦٠٨ قول ابن أبي الاصبع :

انتخب للقريض لفظاً رقيقاً كنسيم الرياض في الأسحار

فتصحف على الشيخ القريض إلى « القريب » فاستحال المعنى .

(١) راجع مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ٧٤٩ ، ٧٥٠ » .

١٠٠ — وجاءت في الصفحة (٦١٠) ترجمة زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري وجاء فيها « قرأ القرآن على الأرباجي » . وعلّق الشيخ على الأرباجي قوله « في الطبقات : الأرياحي » ، وما استفاد القارىء المستفيد شيئاً فأيّهما هو الصواب ؟ كلاهما خطأ والصواب « الأرتاحي » نسبةً إلى « أرتاح » في بلاد الشام ، ولما كان الأرتاحي شيخ المنذري وكان المنذري مؤرخاً وجب على الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد أن يبحث عن سيرته آثر ذي أثير في تاريخ المنذري ليجد ترجمته في وفيات سنة ٦١٢ منه قال المنذريّ : « وفي الخامس والعشرين من صفر توفي الشيخ الأجل الصالح أبو الثناء حامد ابن الشيخ الصالح أبي العباس احمد بن محمد بن حامد بن مفرج ابن غياث الأنصاري (الأرتاحي) الأصل المصري المولد والدار المقرىء بمصر ودفن من الغد بسفح المقطم بتربتهم المعروفة بهم . قرأ القرآن الكريم بالقراءات ... وسمع بمصر ... وسمع بمكة ـ شرفها الله تعالى ـ ... وتصدر للإقراء بالجامع العتيق بمصر وبمدرسة السديد الطيب المطلة على النيل المبارك مدة طويلة ... وحدث وأقرأ وانتفع به جماعة ... قرأت عليه القرآن الكريم بالقراءات السبع وسمعت منه[1] ... » . فهذا واضح بحمد الله تعالى وتوفيقه .

وترجمه شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٦١٢ قال : « حامد بن أحمد ابن حامد بن مفرج أبو الثناء الأنصاري الأرتاحي ثم المصري المقري[2] ... » . ولا أرى حاجة إلى إيراد الترجمة بكمالها .

١٠١ — ووردت في الصفحة ٦١٣ ترجمة أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي ، فعلق عليها قوله : « له ترجمة موجزة جداً في النجوم

---

(١) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨٣ د ج ١ ص ٧٩ » . ونسخة الأستاذ المحقق بشار عواد المعروف « ٥ : ٨٧٢ الترجمة ١٣٨٦ » .
(٢) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية باريس ١٥٨٢ و ١٩٢ » .

الزاهرة ٥ : ١٠٨ وفي شذرات الذهب ٣ : ٣٤٠ ، وفي طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي ٣ : ٢٤٢ » . وكان جديراً أن يبحث عن ترجمته في نزهة الألباء في طبقات الأدباء « ص ٢٣٧ » طبعة علي يوسف ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة « ٢ : ١٨٨ طبعة دار الكتب المصرية » ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة « ص ٣١٠ طبعة مطبعة السعادة » فهذه هي الكتب المختصة بهذه الترجمة وأمثالها .

هذا منتهى ما استوقف النظر واستدعى الفكر من الأوهام الواردة في طبع الجزء الأول من كتاب فوات الوفيات الذي « حققه وضبطه وعلق حواشيه الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد عفا الله تعالى عنه » كما قال هو وعفا عنّا ، بلطفه وكرمه ، وقد نبهت على الصحيح وأصلحت ما أمكنني إصلاحه وذكرت المراجع التي اعترف الشيخ المحترم بتعذرها عليه دون التي تستدرك عليه ولم يشر إلى تعذرها فانها تُعد بالشرات . وإني مُتْبِعٌ هذه التعقيبات تعقيباتي على طبع الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى ، وقد عجلت بهذه لأني أكاد أكون حرَضاً وأخشى أن تذهب مني الفوائد التي تهم القارئ المستفيد لا المختصين بالتاريخ ومن الله تعالى العون والتسديد .

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد

صفحات من تاريخ الاستشراق

ـ ٤ ـ (١)

المستشرقون وسيرة الرسول

إن حياة الرسول محمد (ﷺ) وشخصيته وتعاليمه كانت دوماً تحتل المقام الأول بين الموضوعات التي يعالجها المستشرقون . ومازال علماء الاستشراق حتى عند البحث في تاريخ العرب الحديث يرجعون إلى شخصية الرسول وتعاليمه التي أحدثت ثورة من أعظم الثورات في العالم والتي مازالت آثارها ملموسة في حياة العرب والمسلمين .

لقد ظل الأوروبيون في القرون الوسطى ، وحتى القرن السابع عشر ، يتناقلون أسخف الأساطير عن الإسلام ، ويوجهون إلى مؤسسه أبشع المسبات والشتائم . ومنذ أن بدأ الاستشراق بالمعنى العلمي نرى الباحثين الغربيين يتظاهرون بأنهم قد تحرروا من التعصب الديني ، ويدعون أنهم يريدون معرفة سيرة محمد كما يرويها المسلمون أنفسهم . ولا شك في أن بعض الكتاب الغربيين قد أخذوا منذ القرن الثامن عشر يتحاشون التهجم على شخص الرسول ويحاولون التزام العدل والإنصاف في الحكم عليه . ولكن لا بد من الاعتراف أيضاً بأن أكثر المستشرقين ظلوا دوماً يقصدون تشويه الحقيقة وطمسها .

وسيتبين لنا ذلك من استعراض أهم دراسات المستشرقين عن حياة الرسول منذ القرن السادس عشر حتى الوقت الحاضر .

---

(١) تراجع الأقسام الثلاثة الأولى من البحث في أجزاء المجلد الأربعين من المجلة .

غيليوم بوستل :

ولنبدأ بالمستشرق الفرنسي (غيليوم بوستل Guillaume Postel) (١٥١٠ — ١٥٨١) الذي كان يدرّس العربية والعبرية واليونانية في جامعة (باريس) . وهو أول مستشرق ألف كتاباً في قواعد اللغة العربية .

كان (بوستل) يعد من أعلم رجال عصره : يدعي معرفة لغات شرقية عديدة ويقول إنه يستطيع أن يجوب كل البلاد حتى الصين دون حاجة إلى ترجمان . وقد سنحت له الفرصة ليتصل بالمسلمين مباشرة وأن يعيش بينهم إذ كان أحدَ أعضاء الوفد الذي أرسله الملك (فرانسوا الأول) في سنة ١٥٣٤ لمفاوضة السلطان (سليمان القانوني)، وطلب مساعدته ضد الامبراطور (شارلكن) . فإن (فرانسوا الأول) ، ملك فرنسا ، الذي تأثر بمبادىء ما يسمى « بالحركة الإنسانية » في عصره ، قد أدرك قيمة العلاقات الثقافية مع الشرق وفائدتها في دعم مصالح بلاده الاقتصادية والسياسية ، ولذلك أوفد بعض العلماء إلى (استانبول) وإلى ســورية وفلسطين لدراسة أحوال السكان ولشراء المخطوطات الشرقية .

وقد اقتنى (بوستل) مجموعة غنية من المخطوطات الشرقية . وهذه المجموعة هي التي اشتراها فيما بعد الأمير الألماني (فريدريك الثالث) ووضعها في مكتبة (هايدلبرغ) ، فأصبحت الأساس الذي قامت عليه الدراسات الشرقية في ألمانيا .

ومن مؤلفات (بوستل) كتـــابه « عن جمهورية الأتراك »

(De la Republique des Turcs) (Poitiers 1552)

في القسم الأول من هذا الكتاب يصف المؤلف حياة الرسول (ﷺ) بالاستناد إلى القرآن والحديث وحسب ما جاء في كتب المسلمين ، وذلك ، كما يقول ، لاعتقـاده بأن أحسن وسيلة للتغلب على المسلمين هي محاربتهم

بأسلحتهم هم أنفسهم . وفي الحقيقة لم تكن غاية (بوستل) الدراسة العلمية المجردة وإنما مكافحة الإسلام . لذلك نراه ينتقل في القسم الثاني من الكتاب إلى عرض حياة محمد (ﷺ) من وجهة النظر المسيحية . ثم يلخص في القسم الثالث تعاليم الإسلام ويشير إلى الأمور المقتبسة عن اليهودية والمسيحية ، ويتكلم أخيراً على الفرق الإسلامية ، وعلى طقوس دفن الموتى عند المسلمين .

كان (بوستل) يعلن أنه يستطيع البرهان على صحة العقائد المسيحية بالاستناد إلى العقل والفلسفة . ويبدو أنه كانت لديه تصورات ومشروعات خيالية تهدف إلى التوفيق بين اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وتوحيد جميع الأديان في ديانة واحدة هي المسيحية . على أن آراءه هذه قد أثارت سخط رجال الكنيسة الذين اتهموه بالخروج على الدين فسجن في أحد الأديرة وظل هنالك حتى مات .

ميشيل بوديه :

وفي أوائل القرن السابع عشر قام مؤرخ إفرنسي بارز هو (ميشيل بوديه Michel Baudier) فقال إنه لا يريد أن يقدم إلى القراء كتاباً من كتب الجدل الديني التي اعتاد رجال الكنيسة نشرها ، بل تاريخاً شاملاً لحياة محمد (ﷺ) وفي الواقع فإن كتابه قد تضمن معلومات كثيرة عن الرسول وعن الإسلام ، وكان له تأثير كبير في البلاد الأوربية حتى تعددت طبعاته . إلا أن (بوديه) كان بعيداً كل البعد عن الحياد العلمي . فهو من الكاثوليك المتعصبين ، وقد استقى معلوماته من المصادر الكنائسية ، فنقلها دون أي نقد لأن غايته إنما كانت الطعن في « نبي الأتراك المزيف » ، كما كان الأوربيون يسمون الرسول عليه السلام . ولا ننسى أن الأتراك العثمانيين كانوا في ذلك

المهد مازالوا يهددون قلب أوربة ، ويثيرون الخوف في نفوس الأوربيين .
ولذلك جعل عنوان كتابه : « تاريخ ديانة الأتراك » Histoire de la (Religion des Turcs) (Paris 1925) . مثلما تكلم قبله (بوستل) على « جمهورية » أو « حكومة الأتراك » .

إن الشيء الجديد في كتاب (بوديه) هو ذكره بالتفصيل لقسم من الوقائع التاريخية عن حياة الرسول ، وإن كان قد اختـار ما يعتقد أن فيه مجالاً للطعن ، ثم أضاف الى ذلك كثيراً من الأساطير السخيفة والمزاعم الوقحة . وعند البحث في تعاليم الإسلام يستشهد (بوديه) بكثير من الآيات القرآنية التي ترجمها إلى الفرنسية ، ولكنه وجّه اهتمامه إلى الآيات التي فيها ذكر للمسيحية فادعى مخالفتها لما ورد في الكتاب المقدس .

أدوارد بوكوك :

تشير كل الدلائل إلى أن الأوربيين أخذوا في القرن السـابع عشر يشعرون بضرورة الرجوع إلى المصادر العربية نفسها ليستطيعوا دراسة حياة محمد بصورة علمية — موضوعية ، وليعرفوا تعاليم الإسلام معرفة صحيحة . وكان ينتظر من المستشرقين الذين احتلوا منابر التدريس في الجامعات الكبرى إذ ذاك أن يقوموا بهذه المهمة . ولكن من الغريب أن يكون أول كتاب ينشر لهذه الغاية هو (تاريخ مختصر الدول) . فإن مؤلف هذا الكتاب (أبا الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي) « نسبة إلى (ملاطية) في الأناضول ، هو من رجـال الكنيسة وعلماء اليعاقبة . وكان أبوه يهودياً ، ثم اعتنق المسيحية ، ولذلك لقب (بابن العبري) (Bar Hebraeus) واشتهر بهذا الإسم بين العرب ، بينما عرف عند الأوربيين باسم (أبي الفرج) . وقد عاش في القرن السابع الهجري (٦٢٤ — ٦٨٥) أي في عهد غارات الصليبيين

والمغول ، واتصل بزعيم المغول (هولاكو) الذي عينه رئيساً لأساقفة السريان اليعاقبة في الولايات الشرقية ، فقام بنشر المذهب اليعقوبي ، وأسس كثيراً من الكنائس ، كما يذكر هو في كتاب آخر له عنوانه (تاريخ الكنائس السريانية) . وعلى كل فهو من الكتاب المتأخرين الذين اقتصروا على النقل والتلخيص عن القدماء ؛ وليس لكتابه ، الذي ألفه بالعربية والسريانية ، قيمة تاريخية كبيرة عدا ما تضمنه من أخبار مدسوسة مثل فرية حرق مكتبة الإسكندرية بأمر من عمر بن الخطاب .

لم يكن عبثاً أن يقدم المستشرق الانكليزي المشهور (أدوارد بوكوك Edwar Pocock) [١٦٠٤ — ١٦٩١] على اختيار هذا الكتاب ، فقام بنشر النص العربي مع ترجمته إلى اللاتينية ، وأضاف إليه كثيراً من التعليقات والهوامش والملاحظات (في سنة ١٦٦٣) . ثم تكرر طبع الكتاب في أوربة ، وترجم في القرن الثامن عشر إلى اللغة الألمانية .

كان (بوكوك) قد درس اللاهوت في جامعة (أوكسفورد) ، وتعلم العربية ثم عيِّن قسيساً للجالية الإنكليزية في حلب ، حيث أقام مدة خمس سنوات ، واتصل بعلماء المدينة ، وتوسع في دراسة اللغة العربية . وفي سنة ١٦٣٦ استدعي إلى جامعة (أوكسفورد) استاذاً للغة العربية . وقام برحلة ثانية إلى الشرق لجمع المخطوطات . وفي طريق عودته اجتمع في (استانبول) سنة ١٦٤٠ برجل الدولة الهولندي (غروتيوس Grotius) الذي كان يعيش منفياً هناك ، وبحث معه في مشروع ترجمة رسالة (غروتيوس) عن « حقيقة الديانة المسيحية » إلى اللغة العربية ونشرها في الشرق .

لقد كان (بوكوك) ، مثل غيره من المستشرقين في عصره ، يهدف إلى التبشير بالمسيحية والدفاع عنها . ولم يكن الأوربيون عامة يهتمون في تلك الأيام بالدراسات الشرقية والاطلاع على عادات الشرقيين وأخلاقهم مما

يساعد على فهم أعمق للبيئة التي حدثت فيها القصص المذكورة في الكتب المقدسة ، وبالتالي مما يفيد في تفسير هذه الكتب . ولما احتدم الجدال والنزاع بين الكاثوليكية والبروتستانتية في القرنين السادس عشر والسابع عشر أسرع الطرفان المتخاصمان إلى استخدام الدراسات الإسلامية وسيلة للطعن بعضهم في الآخر .

هوتنغر :

يتجلى لنا هذا القصد خاصةً في كتاب المستشرق السويسري المعروف (يوهان هاينريخ هوتنغر Johann Heinrich Hottinger [١٦٢٠ — ١٦٦٧] عن « تاريخ الشرق » الذي نشره في زوريخ سنة (١٦٥١) والذي يتكلم فيه على حياة محمد وعلى تعاليم الإسلام . وكان (هوتنغر) قد درس اللغات الشرقية في (غوتنغن) بألمانية و (ليدن) بهولندة ثم تولى تدريس تاريخ الكنيسة واللغات الشرقية في (زوريخ) . وقد حاول في كتابه « تاريخ الشرق » أن يقدم وصفاً دقيقاً لبلاد الشرق وحياة سكانها من كل النواحي ، وتوسع نسبياً في رواية تاريخ العرب ، ولا سيما حياة الرسول (ﷺ) وسيرة الصحابة . ويلاحظ أنه استفاد من مؤلفات المستشرقين قبله وزاد عليهم . وقد خصص الفصل السادس كلّه من كتابه للبرهان على أن الحجج التي يأتي بها الكردينال (بلّرمين Bellarmin) اليسوعي في كتاب الصلوات للدفاع عن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية هي مقتبسة عن المذاهب الإسلامية . وكان (هوتنغر) إنما يرد بذلك التهمة ذاتها التي حاول الكاثوليك إلصاقها بالعقيدة البروتستانتية .

ولا يغفل (هوتنغر) عن تذكير القراء بأن كتابه يهدف قبل كل شيء إلى « معارضة الإسلام ومقاومة سيطرة الأتراك » ، لأن هذه الصبغة الدينية ـ

كان من شأنها أن تزيد في رواج الكتاب . وفي الواقع فاننا نراه ، كلما اضطر إلى ذكر شيء من فضائل الرسول وأصحابه ، يسرع فيتبع ذلك بسيل من الشتائم خوفاً من أن يتعرض إلى النقد واللوم . ولابد من الإشارة إلى أن كتاب (هوتنغر) ظل يعتبر لدى الأوربيين من أهم المراجع عن تاريخ العرب لمدة طويلة من الزمن .

نشر القرآن وترجمته :

بعد الغارة الصليبية الأولى رأى رجال الكنيسة أن استيلاء الأوربيين على البلاد المقدسة لم يأت بالنصر الحاسم ، ولم يؤد إلى اعتناق المسلمين للمسيحية ، بل على العكس من ذلك قد نتج عنه أن تركت حضارة المسلمين وعاداتهم وطريقة معيشتهم تأثيراً ملموساً في الصليبيين . عند ذلك قامت بعض الأصوات تدعو الى ضرورة استخدام الوسائل الفكرية في محاربة الإسلام .

وكان في مقدمة هؤلاء (بطرس المحترم Petrus Venerabilis [١٠٩٢ - ١١٥٦] الذي أوفد في عام ١١٤١ إلى إسبانية لتفقد رهبان جماعته والتوسط بالصلح بين (الفونس السابع) ملك (قشتالة) و (الفونس الأول) ملك (آراغون) وبذلك سنحت له الفرصة للاطلاع على المناقشات بين المسلمين والمسيحيين في إسبانية وعلى سياسة الموحدين الدينية فتيقن « أنه لا سبيل إلى مكافحة العقيدة المحمدية إلا بالحجج العقلية وقوة المنطق ومظاهر الحب » حسب قوله . ورأى أن الشرط الأول لاتباع هذه الطريقة هو معرفة آراء الخصم جيداً . لذلك قرر العمل على ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية .

وقد اجتمع في إسبانية برجلين من رجال الدين المسيحي هما : (روبرتوس كيتينزيس Robertus Ketenesis) الانكليزي و (هرمانوس دالماتا Hermanus Dalmata) النمساوي ، اللذان كانا يعرفان اللغة العربية ، ويدرسان

علم الفلك واستطاع استمالتهما لتحقيق مشروعه بعد أن وعدهما بمكافأة كبيرة . فتولى (كيتينزيس) ترجمة القرآن بينما قام (دالماتا) بنقل ثلاث رسائل جدلية من العربية إلى اللاتينية . والرسالة الأولى تتضمن أجوبة الرسول على أسئلة عالم يهودي اعتنق الإسلام ؛ والثانية ، التي تنتهي سلسلة الرواة فيها إلى (كعب الأحبار) ، عبارة عن عرض أساطيري لنسب الرسول وولادته وطفولته ؛ والثالثة تشتمل على خلاصة للتاريخ الإسلامي حتى مقتل الحسين .

ولم تنشر هذه الترجمة للقرآن والرسائل الثلاث إلا بعد (٤٠٠) سنة إذ قام (تيودور بيبلياندر Theodor Bibliander) ، أحد علماء اللاهوت السويسريين بطبعها في مدينة (بال) عام ١٥٤٣ ، ثم أعيد الطبع في سنة ١٥٥٠ . وهذه الترجمة يشوبها كثير من الأخطاء ، وهي لا تتقيد بالأصل في تركيب الجمل وترتيبها ، ولا تراعي خصائص أسلوب القرآن وتقتصر في الغالب على محاولة التعبير بصورة مجردة عن المعاني الواردة في مختلف مقاطع السور .

ويبدو أن الكنيسة لم تكن ترغب في نشر نص القرآن أو ترجمته دون الرد عليه ، لذلك نرى أن أول طبعة لنص القرآن الكامل التي نشرها (باغانيني Paganini) في البندقية سنة (١٥٣٠) قد أحرقت جميع نسخها في الحال بأمر من البابا (بولس الثالث) . وقد أصدر البابا (اسكندر السابع) أمراً يمنع فيه طبع نص القرآن أو ترجمته مدة توليه البابوية (١٦٥٥ — ١٦٦٧) ولم يجسر القسيس الألماني (ابراهام هينكلمان Abraham Hinckelmann) في (هامبورغ) على نشر طبعة كاملة للقرآن إلا في سنة (١٦٩٤) . وقد قدم لها بكلمة يدافع فيها عن نفسه قائلاً : «من الضروري أن نعرف القرآن معرفة دقيقة إذا أردنا مكافحته وتمهيد السبيل لانتشار المسيحية في الشرق ...»

عدا أن اللغة العربية قريبة من اللغة العبرية ، فهي ضرورية لفهم الكتاب المقدس ... »

عندئذ رأي البابا (اينوسنس الحادي عشر) أنه من الأفضل أن يتولى أحد رجاله نشر نص القرآن مع ترجمته والرد عليه في وقت واحد ، فعهد بذلك إلى الراهب (ماراتشي) .

«المرعشي» :

كان هذا الراهب يرجع بأصله إلى سورية واسمه هو (المرعشي) . ولكنه عاش في إيطاليا بمقر البابوية وعرف باسمه الطلياني المحرف قليلاً عن العربية (لودوفيقو ماراتشي Ludovico Marracci) . وقد نشر في روما سنة ١٦٩١ كتابه « في الرد على القرآن » ثم أتبعه بالنص العربي مع الترجمة اللاتينية والتعليقات . وهو يقول إنه قضى (٤٠) عاماً في دراسة القرآن وكتب التفسير العربية ليستطيع محاربة الإسلام بأسلحته نفسها . ولا شك في أن المرعشي كان يعرف اللغة العربية معرفة جيدة ولذلك ظل المستشرقون يعتمدون عليه في العصور التالية . وقد قدم لكتابه « في الرد على القرآن » بترجمة حياة الرسول مستنداً إلى المصادر العربية . وهاكم ما يقوله في الاحتجاج لعمله ، وهو ما يكرره جميع المستشرقين :

« لو أردت وصف حياة (محمد) حسب رواية كتابنا لتعرضت إلى سخرية المسلمين . فإن هناك اختلافاً كبيراً بين ما تتناقله نحن عن (محمد) وبين ما يرويه المؤرخون المسلمون ، حتى أن القارئ لا يكاد يصدق أن الكلام في الحالتين يدور حول الشخص ذاته . لذلك سوف أتبع المؤرخين المسلمين ، ليس لأنني أعتقد بصدق كل ما يقولونه ، بل لأننا إذا أردنا مكافحة أعداء الدين لا بد لنا من أن نحاربهم بأسلحتهم . أضف إلى ذلك أن الكثيرين من كتابنا

يذكرون أموراً عن (محمد) لا يمكن أن تثير لدى المسلمين إلا السخرية ، ولا تزيدهم إلا تمسكاً بعقائدهم الباطلة . »

بعد هذه المقدمة هل يعقل أن يصدر المؤلف حكماً عادلاً ، منصفاً على الرسول (ﷺ) ؟

ريلاند :

منذ أواخر القرن السابع عشر ظهر اتجاه جديد في الدراسات عن الإسلام يتمثل لنا بصورة خاصة لدى المستشرق الهولندي (هادريان ريلاند Hadrian Reland) [١٦٧٦ — ١٧١٨] ، أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوترخت) . وكتابه (في الديانة المحمدية De religione Mohammedica) الذي نشر سنة ١٧٠٥ وأعيد طبعه بعد سبع سنوات ، يعتبره المستشرقون الدراسة العلمية الأولى للدين الإسلامي وللسيرة النبوية .

إن الكتاب عبارة عن خلاصة للعقائد الإسلامية ، باللغتين العربية واللاتينية ، حاول فيه المؤلف أن يصحح الآراء الشائعة لدى الأوربيين ، والغريبة جداً ، عن الإسلام .

وقد أثار الكتاب ضجة كبيرة ، واهتماماً زائداً ، واتهم المؤلف بأنه يقصد الدعاية للاسلام . ولا حاجة إلى القول بأنه كان ، على العكس ، يريد الدفاع عن المسيحية . وعلى الرغم من أن الكنيسة الكاثوليكية وضعت الكتاب في قائمة المؤلفات المحرمة فقد تُرجم إلى اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية والهولندية والإسبانية . وظل المستشرقون مدة طويلة يعتمدون عليه في أبحاثهم عن الإسلام .

وتتجلى لنا وجهة نظر (ريلاند) في مقدمة كتابه التي يتساءل فيها : « هل يعقل أن يعتنق الملايين من البشر الديانة الإسلامية لو كانت منافية للعقل وسخيفة كما يدعي المؤلفون المسيحيون ؟ » ثم يضيف قوله : « لندع

المسلمين أنفسهم يصفون لنا دياتهم . ألا نرى أن التعاليم اليهودية والمسيحية قد شوهت من قبل الوثنيين ، والتعاليم البروتستانتية من قبل الكاثوليك ؟ إنه لا يمكن معرفة حقيقة أي ديانة بالاستناد إلى أقوال خصومها . إننا جميعاً بشر ، أي كائنات معرضة إلى الخطأ ، كثيراً ما نستسلم إلى أهوائنا في المسائل الدينية خاصة . ثم كيف يجوز أن نحاول مجادلة المسلمين دون أن نعرف عقائدهم معرفة جيدة ؟ وها هي الفرص المناقشة المستنيرة تزداد يوماً بعد يوم بسبب نمو العلاقات واتساعها بين الأوربيين والمسيحيين في تركية وإفريقية وفارس والهند الهولندية . . ، حيث نشاهد مع الأسف الكثيرين من المسيحيين يلطخون اسم المسيحي بالعار . . . » وهو يخشى أن توجه إليه التهم بسبب هذه الدراسة . ولكنه لم يقبل أن يرجع عن هدفه . « فالحقيقة يجب البحث عنها مها كانت المصاعب . لذلك أريد في كتابي هذا وصف الديانة المحمدية ، ليس كما تبدو لنا من خلال ضباب الجهل وخبث البشر ، بل كما تدرس حقاً في مدارس المسلمين ومعابدهم . . . » ويختم (ريلاند) مقدمته قائلاً :

« إذا أراد الناس ، رغم كل ما قلته ، أن يتمسكوا بالخرافات السخيفة فذلك شأنهم . إن تجارب الحياة تبرهن لنا كل يوم على أن الناس ينقادون بسهولة إلى الأحكام السابقة ، المتوارثة وأنهم يفضلون الخـــداع والغش على معرفة الحقيقة . . » .

الدكتور كامل عياد

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

– ٥ –

---

١٣٩) المادي

في الأصل . — عنق الإنسان [انظر الرقم ٢٠] .

* * *

١٤٠) عنق الإنسان

في الأصل . — عنق الإنسان ، مذكر ومؤنث [انظر الرقم ٢٠] .

* * *

١٤١) القَصَرَة

ف Base du cou

ز Base of neck

في الأصل . — أصل العنق المركب الكاهل .

في (ق) . — بعد معانٍ عديدة ؛ وزمكّ الطائر وأصل العنق ج أقصار . والقَصَر محرّكةً ، أصول النخل وأعناق الناس ، ويُبْس في العنق .

[رؤوس عظام القصرة هي الوقائص] .

قلت : القَصَرَة أ) لأصل العنق أليست هي (الفقرة السابعة من العنق في الإنسان ؟) .

ب) لمعنى زِمِكّى الطائر هي باللغتين :

ف Croupion (m.); uropyge ; uropygium

ز Uropygium ; bird's rump

★ ★ ★

١٤٢) الصَّليفان

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ناحيتا العنق .

في (ق) . — الصليف كأمير عُرْض العنق وهما صليفان أو هما رأس الفقرة التي تلي الرأس من شقّيها .

★ ★ ★

١٤٣) اللِّيت

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — ما خلف مذبذب القرط .

في (ق) . — الليت بالكسر صفحة العنق .

★ ★ ★

١٤٤) السالفتان

ف Encolure

ز . . . . . .

في الأصل . — صفحتا مقدم العنق يميناً وشمالاً .

في (ق) . — السالفة ناحية مقدم العنق من القرط إلى قلب الترقوة . ومن الفرس هاديته أي ما تقدم من عنقه .

قلت : هي في الفَرَس (Encolure بالفرنسية) و (Neck and shoulder of a horse بالانكليزية) . وتطلق بالفرنسية مجازاً على عنق الإنسان أيضاً (*) . فهل لنا أن نضع الكلمة الفرنسية مقابلاً للعربية ؟

★ ★ ★

(*) Homme d'une robuste encolure (= cou)

١٤٥) الدّايات

ف Vertèbres cervicales

ز Cervical vertebra

في الأصل . — فقار العنق . واحدها داية .

في (ق) . — دَأْيٌ ، ودَأْيٌ ، ودئي : فقر الكاهل والظهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه في ملتقاه وملتقى الجنب ، والدايات أضلاع الكتف ثلاثة من كل جانب أو هي خرزات العنق ، أو خرزات الفقار .

قلت : إذا أريد بالداية تخصيصاً للفقرة الثانية في العنق ، فيقابلها بالفرنسية والانكليزية Axis وهو الفائق [انظر الرقم ٢٠] .

★ ★ ★

١٤٦) الملباوان

ف ، ز . . . .

في الأصل . — عصبتان صفراوان تأخذان من أصل الفقار إلى الكاهل بينهما أخدود .

في (ق) . — العَلَبُ محركةً ، داء يأخذ في العلباوين ، وعلباء البعير : عصبُ عنقه .

★ ★ ★

١٤٧) الأَخْدَعُ

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — عرق من عرض العنق . ج أخادع .

في (ق) . — عرق في المَحْجِمين وهو شعبة من الوريد . ج أخادع .

قلت : جاء في كتاب المُثَنَّى لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي [تحقيق عز الدين التنوخي ـ مجلة المجمع العلمي العربي سنة ١٩٦٠

المجلد ٣٥ ص ٤٤٨] ما أذكره فيما يلي للفائدة :

المرقان اللذان يكتنفان الأنف هما :	الناظران	Veine nasale
فاذا سارا إلى الحلق فهما :	الوَريدان والوَدَجان	Jugulaire
« استظهرا القفا « :	الأخْدَعان	Occipitale
« استبطنا اللسان « :	الصُّرَدان	Linguale
« انحدرا في العضدين « :	الأَلَقَتان	Humérale
« « في الذراعين « :	الأكحلان (؟)	Céphalique
« « في المتنين « :	الأَبْهَران (*)	Dorsal
« « إلى الفخذين « :	النَّسَيان	Fémorale
« « إلى الساقين « :	الصافنان	Saphène

★ ★ ★

١٤٨) الوِداجان

ف Veine jugulaire

ز Jugular vein

في الأصل . — الوادجان المرقان اللذان يقطعها الذابح [قلت : الصحيح الوداجان] كما وضعتها مصححةً في (الرقم ١٤٨) .

في (ق) . — الوَدَج محركةً عرق في العنق كالوِداج بالكسر ، والوَدَجان الأَخَوان .

قلت : وُضعت الكلمة الفرنسية لما يقابل وِداج (المفرد) وصفاً للوريد (= وريد وِداجي) .

★ ★ ★

١٤٩) الحبل = الملتق

ف ، ز . . . . . .

(*) الأبهر : الظهر وعرق فيه كما في (ق)

في الأصل . — (حبل العاتق) : العصبة الممتدة من العنق إلى المنكب .

في (ق) . — الحبل ، العاتق والطريق التي بين العنق ، وعصبة بين العنق والمنكب ، وعرق في الذراع وفي الظهر .

ملاحظتي . — العاتق هو المنكب . والحبل : العاتق . . . الخ ما ذكر في (ق) من المعاني . فقوله في الأصل (حبل العاتق) خطأ عن النسخ والصحيح (الحبلُ : العاتق : أو هو العصبة الممتدة ... الخ الشرح) كما جعلتُها مصححةً (في الرقم ١٤٩) . ثم إن كثرة المعاني مما يحيّر من يحاول التخصيص لما يقابل كلمةً أفرنجية بعينها .

★ ★ ★

١٥٠) العنق

(انظر الرقم ٢٠)

★ ★ ★

١٥١) الأجْيد

ف Doué d'un long cou

ز . . . . .

في الأصل . — الطويل العنق .

قلت : الجَيَد (Long cou) ومثله العنط (بالنون) محركةً وهو طول العنق وحسنه ومنه الاعنط . وكذا العَيَط (بالياء) محركةً وهو أعيط وهي عيطاء . ويرادف الأجيد : الأعنق وهو الطويل العنق .

★ ★ ★

١٥٢) الأوْقص

ف Qui a le cou très court

ز . . . . .

في الأصل . — القصير العنق .

في (ق) · — الوَقَص قِصَر العنق . وقص كفرح فهـــو أوقص وأوقصه الله صيَّره أوقص .

قلت : الوقص محركةً يوافق (Cou très court) .

★ ★ ★

١٥٣) المَنْكِب (= الكتِف)

ف Épaule (m.)

ز Shoulder

في الأصل · — المنكب رأس الكتف والعضد والعاتق موضع الرداء .

في (ق) · — المنكب مجتمَع رأس الكتف والعضـــدِ [(العاتق) للمنكب ، و (العضد) ما بين المرفق إلى الكتف] .

ملاحظتي · — قوله في الأصل (والعاتق موضع الرداء) يوهم أنه يشرح (العاتق) عضواً مستقلاً مع أنه هو (المنكب) . فلا يتبين المعنى من العبارة كلها إلا إذا جُملت : (المنكبُ رأس الكتفِ والعضدِ وهو العاتق موضع الرداء) بإضافة (وهو) فتستقيم العبارة ويصح الشرح . ويجوز أن يقال : [المنكبُ رأسُ الكتفِ والعضدِ ، والعاتقُ موضعُ الرداءِ ، (بوضع فارزة بين العضد والعاتق ووضع ضمة على العاتق) فيكون (العاتقُ) تفسيراً آخر للمنكب و (موضعُ الرداء) بدلاً] وهو صحيح لكنه تخريج متكلَّف ، هذا ويأتي بعد ذلك (العضـــد وشرحه) كما يلي في (الرقم ١٥٤) . ولم ينتبه إليها المحقق .

في (ل) · — هو مفصل التَّقا (= عظم العضد) بزُنْثار الكتف . وعلى التوسع ، جميع القسم العلوي من الطرف العلوي أو الأمامي .

★ ★ ★

١٥٤) العَضُد

ف Bras (m.)

ز Arm

في الأصل . — العضد ما بين الكتف إلى الذراع .

في (ق) . — العضد ما بين المرفق إلى الكتف .

في (ل) . — القسم الأول من العضو العلوي للإنسان ، بين الكتف والمرفق ، وعلى التوسع ، العضو العلوي بكامله .

ما أضفته :

١ً — عُضاد (ألم الضفيرة العضدية العصبي)

ف Brachialgie ; névralgie du plexus brachial

ز Brachialgia

٢ً — عضدي

ف Brachial

ز Brachial ; arm - brachial ; armbrachialis

★ ★ ★

١٥٥) العَضَلة

ف ، ز Muscle (m.)

في الأصل . — لحمة العضد .

في (ق) . — كل عصبة معها لحم غليظ .

في (ل) . — عضو مؤلف من ألياف قابلة للاستثارة والتقبض ، تحقق في الحيوانات الحركة . في الإنسان يميَّز : عضلة مخطَّطة سريعة التقبض[1] ، وعضلة ملساء بطيئة التقبض[2] .

١) Muscle strié [striped ; striate (d) ; streaky]

٢) Muscle lisse [smooth]

أم ما أضفته (*) :

١ — عضلة باسطة

ف Muscle extenseur

ز Extensor muscle

٢ — عضلة خافضة

ف Muscle abaisseur

ز Depressor muscle

٣ — عضلة ذات رأسين

ف ، ز Muscle biceps

٤ — عضلة رافعة

ف Muscle élévateur

ز Elevator muscle

٥ — عضلة شوكية

ف Muscle épineux

ز Muscle spinalis

٦ — عضلة قابضة

ف Muscle flaichisseur

ز Flexor muscle

٧ — عضلة مبعِّدة

ف Muscle abducteur

ز Abductor muscle

٨ — عضلة مدوَّرة

ف Muscle rond

ز Muscle teres

(*) للاستزادة يُرجع إلى معجم (للمصطلحات الطبية الكثير اللغات ، كلمة Muscle) .

٩ — عضلة مربّعة

ف Muscle carré
ز Muscle quadratus

١٠ — عضلة مقرِّبة

ف Muscle adducteur
ز Adductor muscle

١١ — عضلة مُقَفِّفة (= مُنْعِظة) الشَعَر

ف Muscle horripilateur. érecteur ; piloassecteur
ز Erector muscle ; rouser muscle ; arrector pilorum

١٢ — عضلة مضادّة

ف Muscle antagoniste
ز Antagonistic muscle

وعلى وجه عام :

آ — عُضال

ف Myalgie
ز Myalgia

يرادفها : وجع عضلي ، ألم عضلي

ف Myodynie
ز Myodynia

ب — عضلي

ف Musculaire
ز Muscular

ج — فقد القوّية العضلية

ف Myatonie
ز Myatonia

د — واهن العضلات

ف Myasthénique

ز Myasthenic

هـ — وَهْن عضلي

ف Myasthénie

ز Myasthenia

و — بدين (= لَحْمي ، لَحِيم)

ف Musculeux ; charnu ; robust

ز Brawny

★ ★ ★

١٥٦) المَنْبَثان

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — مما يلي الجنبين .

في (ق) . — الضَّبْع العضد كلها أو وسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . ج أضباع .

قلت : أليس هو ، العضلة ذات الرأسين العضدية ؟

Muscle biceps brachial [m. biceps brachii]

★ ★ ★

١٥٧) القبيح

ف Tête de l'humérus

ز Head of the humerus

في الأصل . — رأس العضد الذي يلتقي مع رأس الذراع .

في (ق) . — طرف عظم العضد مما يلي المرفق أو ملتقى الساق والفخذ كالقَبَاح كسحاب .

★ ★ ★

١٥٨) الإبرة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — رأس الذراع الذي يلي العضد .

في (ق) . — . . . وعظم وترة العرقوب وظرف الذراع من اليـــد أو عظم مستو من طرف الزند من الذراع إلى طرف الإصبع ، وما انحدّ من عرقوب الفرس . . . . الخ .

★ ★ ★

١٥٩) الساعد = الذراع

ف Avant - bras (m.)

ز Fore - arm

في الأصل : — الساعد ، الذرع ، واحد .

في (ق) . — ساعداك ، ذراعاك ، ومن الطائر جناحاه .

في (ل) . — قسم من العضو العلوي بين المرفق والمِعْصَم (= رُسْغ اليد) .

★ ★ ★

١٦٠) الزَّنْدان

ف Cubitus (m.)

ز Ulna

في الأصل . — العظمان اللذان اجتمعا فصارا ذراعاً .

في (ق) . — الزَّنْد موصل طرف الذراع في الكف ، وهما زَنْدان ؛ والعود الذي تُقدح به النار .

في (ل) . — أضخم عظم من عظمي الزند ، في رأسه العلوي بروز يسمى الناتئ المرفقي (١) (هو القسم البارز من المِرْفق) .

١) Olécrâne [olecranon]

قلت : العظم الآخر الذي إذا اجتمع مع الأضخم ليصيرا ذراعاً ، هذا العظم هو (الكُعْبُرة Radius) .

ما أضفت :

١ً — زند أرْوَح

ف ، ز Cubitus - varus

٢ً — زند أفحَج

ف ، ز Cubitus - valgus

٣ً — زنْدي

ف Cubital ; ulnaire

ز Cubital ; ulnar

٤ً — كُعْبري

ف ، ز Radial

★ ★ ★

(١٦١) الكُوع

ف Coude (du bras)

ز Elbow

في الأصل . — رأس الذي يلي أصل الخنصر [يعني رأس العظم الذي ...] .

في (ق) . — طرف الزند الذي يلي الإبهام كالكاع . أو هما طرفا الزندين في الذراع مما يلي الرسغ . أو الكوع طرف الزند الذي يلي الإبهام ؛ والكاع طرف الزند الذي يلي الخنصر وهو الكرسوع (قلت : انظر الرقم التالي ١٦٢) ؛ أو الكوع أخفاهما وأشدهما دَرمة والدَّرَم ألا يظهر للعظم حجم) ؛ والأكوَع العظيم الكاع ومن أقبل رسغاه على منكبيه وقد كَوِع كفرِح .

في المتن . — الكوع والكاع : طرف الزند الذي يلي الإبهام : أو من أصل الإبهام إلى الزند (أو الكوع : الذي يلي الإبهام . والكاع : الذي يلي الخنصر وهو الكرسوع) أو الكوع أخفاهما . . الخ ما جاء في (ق) .

ملاحظتي . — شرح الأصل يناقض تعريف (ق) و (المتن) . لاحظ هذا التناقض كذلك في الرقم التالي (١٦٢ – الكرسوع) .

★ ★ ★

١٦٢) الكُرْسوع

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — رأس الزند الذي يلي الإبهام (بل هو القلب « ا ») .

في (ق) . — طرف الزند الذي يلي الخنصر الناتئ عند الرسغ ، أو هو طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاه ونحوها من غير الآدميين .

في المتن . — طرف الزند مما يلي الخنصر ، وهو الناتئ عند الرسغ . ومن القدم : مفصلها من الساق ، أو عُظَيْم في طرف الوظيف مما يلي الرسغ من وظيف الشاة ونحوها من غير الإنسان .

ملاحظتي . — هي كما في الرقم (١٦١ — الكوع) . والخطأ ناجم عن النسخ والنقل ولا ريب . فالناسخ كتب شرح الأولى للثانية ذهولاً .

ما أضفته :

١) كراديس (= رؤوس العظام)

ف Têtes des os

ز Heads of bones

٢) رأس مفصلي لعظم

ف Tête articulaires (d'un os)

ز Articular head

٣) رُؤَيْس مَفْصِل

ف Tête (petite) d'une articulation

ز Small articular eminence ; small head

٤) مَفْصِل ، مَوْصِل

ف Articulation ; jointure

ز Articulation ; joint

٥) (فَخَخ) ، مفصل ارتفاقي

ف Articulation polichinelle ; amphiarthrose

ز Loose - joint ; flail - joint

٦) مفصل بَكَري ، رزّة زاوية

ف Articulation trochléenne ; ginglyme angulaire

ز Hing - joint ; ginglymus

٧ — مفصل ثابت ، دَرْز (= إلتحام)

ف Synarthrose ; suture

ز Synarthrosis ; suture

أنواعـــه :

آ — اِنسجامي :

ف Harmonique

ز False , harmonic suture

ب — حَرْشَفي

ف Écailleuse

ز Squamous suture

ج — محزّز

ف Dentée

ز Dented , dental suture

٨) مفصل حُقّي

ف Enarthrose

ز Enarthrosis

٩) مفصل حَيْدي أو لُقمي

ف Articulation condylienne ; condylarthrose

ز Condyloid joint ; condylarthrosis

١٠) مفصل سَلِس

ف Diarthrose

ز Diarthrosis

١١) مفصل مدوّري ، رزّة جانبية

ف Articulation trochoïde ; ginglyme latérale

ز Trochoid , rotary , pivot - joint

١٢) مفصل مسطَّح

ف Arthrodie

ز Arthrodical , gliding joint ; arthrodia

١٣) مفصل مُشاشي ، غضروف الاتّصال

ف Jointure épiphysaire ; cartilage de conjugaison

ز Epiphyseal cartilage

١٤) مفصل مُوهِم

ف Pseudarthrose

ز Pseudarthrosis

١٥) مفصل وتدي أو مِسماري

ف Gomphose

ز Gomphosis

★ ★ ★

١٦٣) الأَسَلَة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل · — مستدَقّ الذراع .

في (ق) · — من اللسان طرفه ، ومن النصل والذراع مستدقه ، ومن النصل رأسها [انظر الرقم ٩٤ أيضاً] .

ملاحظتي · — أرى التخصيص بإضافة الذراع (أسلة الذراع) تمييزاً من (أسلة اللسان) .

★ ★ ★

١٦٤) المِعْصَم (= رُسْغ اليد)

ف Poignet ; carpe

ز Wrist

في الأصل · — موضع السوار .

في (ق) · — موضع السوار من اليد .

في (ل) · — هو المفصل الذي يصل اليد بالساعد .

قلت : والسِّنْط كذلك هو المفصل بين الكف والساعد وهو الرسغ .

أضفت :

آ — رُسْغي

ف Carpien

ز Carpal

ب — رُسْغ القَدَم

ف Tarse

ز Tarsus

ج) رُسغي (ما يتعلق برسغ القدم)

ف Tarsien

ز Tarsal

د) هبوط الرسغ

ف Tarsoptose

ز Tarsoptosis

يرادفه : ١ً) ألم رسغ القدم في اليفعان

ف Tarsalgie des adolescents

ز Tarsalgia

٢ً) قدم مَسْحاء فَحْجَاء مؤلمة

ف Pied plat valgus douloureux

ز Tarsalgia

★ ★ ★

١٦٥) النَّواشر

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — عصب باطن الذراع والكف (*) .

في (ق) . — عصب من داخل وخارج أو عروق وعصب باطن الذراع أو العصب في ظاهرها . واحدتها ناشرة .

ملاحظتي . — في الأصل (النواشر عصب باطن الذراع ،) وجُعلت كلة (والكف) متصلةً مع (المرفق) (والكف والمرفق .. الخ ما جاء في الرقم ١٦٦) من العبارة المضطربة . فصححتها بنقل (الكف) إلى شرح هذا (الرقم ١٦٥) وحذفتها من الرقم التالي .

★ ★ ★

١٦٦) المِرْفَق

ف Coude (du bras) (m.)

ز Elbow

في الأصل . — مجتمع رأس العضد والذراع (« من باطن») .

في (ق) . — المرفق كمنبر ومجلس ، موصل الذراع في العضد .

(*) أضفت هذه الكلمة نقلاً من الرقم (١٦٦ التالي) تصحيحاً لشرح الأصل هنا وتقويماً لعبارة المضطربة في الرقم (١٦٦) كما سترى .

في (ل) . — مفصل في الجزء الوسط من العضو العلوي يصل العضد بالساعد.

ملاحظتي . — في الأصل المطبوع (والكف والمرفق مجتمع رأس العضد والذراع باطن) . وهذا خطأ في النقل كانت منه هذه العبارة المضطربة . والصحيح هو أن تنقل (والكف) إلى نهاية شرح الأصل (في الرقم ١٦٥) كما فعلتُ . فيبقى (المرفق) وحده (للرقم ١٦٦) على أن تحذف كلمة (باطن) من العبارة الآنفة في شرحه ، أو يقال (من باطن) فتستقيم العبارة [المرفق مجتمع رأس العضد والذراع «من باطن»] كما وضعتها مصححةً . ولم ينتبه إليها المحقق .

* * *

١٦٧) الرُّسغ = رسغ اليد (المِعْصم)

(انظر الرقم ١٦٤ — المعصم) .

في الأصل . — طرف الذراع المحدد .

وفي (ق) . — الموضع المستدق بين الحافر وموصل الوظيف من اليد والرِجْل ؛ أو مفصل ما بين الساعد والكف والساقِ والقدمِ . ومثل ذلك من كل دابة .

* * *

١٦٨) الكَفّ

ف Paume (f.)

ز Palm (of the hand)

في الأصل . — لم يُذكر لها تعريف .

في (ق) . — اليد أو إلى الكوع . ج أكُفّ وكُفُوف .

في (ل) . — هو جوف اليد .

قلت : الكف في الحيوانات أو الخُفّ أو الرِجْل هو Patte بالفرنسية ، و Paw بالانكليزيه .

ما أضفته :

أولاً — اليد

ف Main (f.)
ز Hand

في الأصل . — ليس لها ذكر .

في (ق) . — اليد : الكفّ أو من أطراف الأصابع إلى الكتف : أصلها يَدْيٌ ج أيْدٍ ويُدِيٌّ جج أياد . وهما يدان ويَدَيان . ورجُلٌ مَيْدِيٌ مقطوع اليد ، واليَدْاء كدعاء ، وجع اليد.

في متن اللغة . — اليد وتُشدّ الدال ، الكفّ أو من أطراف الأصابع إلى الكتف أو إلى المنكب « انثى » أصلها يدْيٌ . مثناها يدان ويديان . ج الأيدي . جج الأيدون . وجمع اليد أيضاً يُدِيٌّ جج الأيادي .

في (ل) . — اليد جزء من جسم الإنسان ممتد من المعصم (*) [= رسغ اليد (١) إلى أطراف الأصابع (٢)] .

قلت : وهو ما يشتمل : عظم رسغ اليد (٣) والسِّنْع (أي مشط اليد (٤) ، والسلامى (٥) ، والسلامى الثانية (٦) ، والسلامى الصغار (٧) ، [= والسلامى الظفرية (٨)] .

وإليك ما يقابل الأسماء باللغتين :

١) Poignet [Wrist]
٢) Extrémités des doigts [extremity or tip of the fingers]
٣) Os du carpe [Phalanx]
٤) Metacarpe [metacarpus]
٥) Phalange (Phalanx)
٦) Phalangine [second phalanx]
٧) Phalangette (= phalange unguéale) [distal, terminal,phalanx, phalangette] .

وعلى وجه خاص :

١ — يدٌ خُطّافيّة

ف Main en trident

ز Trident hand

٢ — يد الخَنْدَق

ف Main de tranchée

ز Trench hand

٣ — يد قَدْعاء

ف Main bote

ز Clubhand

٤ — يد القِرْد

ف Main de singe

ز Ape-hand ; monkey-hand

٥ — يد مِخْلَبية

ف Main en griffe (= griffe cubitale)

ز Claw-hand

٦ — يد كالِقْمَط

ف Main en pince de homard

ز Cleft hand; lobster hand

٧ — يد الولّيد

ف Main d'accoucheur

ز Accoucheur's, obstetrician's hand

٨ — يد مُحيلة (ذات علاقة بقصور المبيض)

ف Main hypogénitale

ز Circulatory disturbances the hand in girls, depending of ovarian insufficiency

٩ — يد هابطة

ف Main tombante
ز Wrid drop ; dropping wrist ; drop hand

١٠ — يد وارمة (ضخامة اليد)

ف Main succulente ; chiromégalie
ز Edema of the hand ; chiromegalia ; succulent hand

١١ — يد الواعظ

ف Main de prédicateur; de bénisseur
ز Preacher's hand; benediction hand ; apostolic hand

١٢ — يد وَهْمية

ف Main fantôme
ز Phantom hand

وعلى وجه عام :

آ — يد الهاون (مُدُقّ)

ف Pilon
ز Pestle

ب — يدوي

ف Manuel
ز Manual

ج — عادةُ استعمال اليد اليسرى

ف Main gauche (habitude de se servir de la)
ز Lefthandedness

د — أضْبَط (الذي يعمل بيديه جميعاً)

ف Qui se sert également des deux mains
ز . . . . . .

هـ — أعسر (الذي يعمل بيده اليسرى)

ف Gaucher
ز Lefthanded

و — مُطرِّف (اليدِ والبنان)

ف ، ز Manicure ; manucure

ثانياً — الظُّفُر (المِخْلَب)

ف Ongle (m.)
ز Nail

في الأصل . — ليس له ذكر .

في (ق) . — الظُّفُر بالضم وبضمتين ، وبالكسر شاذ : يكون للانسان وغيره كالأُظفور ج أظفار وأظافير . والأظفر الطويل الأظفار العريضها .

في (ل) . — الظفر ، جزء قرني يستر سطح رؤوس الأصابع .

ما أضفته :

١ — أطرّة الظفر العلوية أو الفوقانية

ف Replis sus - unguéal
ز Superior nail wall

٢ — جذر (الظُّفُر)

ف Racine
ز Nail - root

٣ — حافة ، حَدٌّ

ف Limbe
ز Limbus

٤ — سابقة الظفر ، مقدَّمة

ف ، ز Eponychium

٥ — طبقات مولّدة

ف Assises génératrices
ز Germ layer

٦ — عيراق ، حتوية

ف Bourrelet
ز Nailwall

٧ — عيراقان جانبيان

ف Replis latéraux
ز Lateral nail walls

٨ — فراش

ف Lit
ز Bed

٩ — ما حوْل الظفر

ف ، ز Perionychium

١٠ — مَزالج جانبية لنبيت الظفر

ف Rainures latérales du lit de l'ongle
ز Nail groove or furrow

١١ — ميزْلج تحت الظفر

ف Rainure sous - inguéale
ز Inferior nail - folds

١٢ — مَنْبِت

ف Matrice
ز Matrix

١٣ — هلَيْل

ف Lunule
ز Lunula

وعلى وجه عام :

آ) ظفر ناشب أو شاطب

ف Ongle incarné
ز Ingrowing nail

ب) ظُفُري

ف Unguéal
ز Ungual

ج) أظفَر (طويل الظُّفر)

ف Qui a les ongles très longs
ز . . . . . .

د) تقليم الأظفار

ف Couper les ongle
ز Paring ; cutting off the nails

هـ) قُلامة (قُصاصة الظفر (*))

ف Rognure d'ongle
ز Parings ; clipping of nails

و) وَبْش ، مَتْش

ف Taches blanches aux ongle
ز . . . . . .

★ ★ ★

١٦٩) الأشاجع

ف ، ز . . . . .

في الأصل · — هي مفرز الأصابع .

في (ق) · — أصول الأصابع التي تتصل بقصب ظاهر الكف . الواحد أشجع كأحمد وكإصبَع .

★ ★ ★

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي

(*) انظر أيضاً الرقم (١٨٢) القسيط ، الزِّقير .

مجتمع الهمذاني

من خلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من رسائلها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

- ٢ -

٢ — الفصل الثاني

أدب الهمذاني وموضوعات مقاماته :

تنحصر آثار الهمذاني الأدبية في مقاماته ورسائله وديوان شعـــره . أما المقامات فقد رأينا أنه أملاها في نيسابور ، ورأينا ما قيل في سبب وضعها وسبقه إليها .

وجدير بنا أن نعرف أن المقامات المطبوعة [١] ناقصة ؛ فبعضها لم يطبع لما فيه من فحش وبذاءة ، وبعضها طبع ناقصاً كما هو الأمر في المقامتين الشيرازية والدينارية .

قال شارح المقامات الأستاذ الشيخ محمد عبده : « وها هنا ما ينبغي التنبيه عليه وهو أن في هذا المؤلف من مقامات البديع رحمه الله افتتاناً في أنواع من الكلام كثيرة ، ربما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته ، ويخجل مثلي من شرح عبارته ، ولا يجمل بالسذّج أن يستشمروا معناه ، أو تنساق أذهانهم إلى منزاه ، وأعوذ بالله أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من

(١) نعني طبعة الأستاذ الشيخ محمد عبده ، وهي التي اعتمدنا عليها في هذا البحث .

قدره ، أو أعيبه بما يحطّ من أمره ، ولكن لكل زمان مقال ، ولكل خيال مجال . وهذا عذرنا في ترك المقامة الشامية ، وإغفال بعض جمل من المقامة الرصافية وكلمات من مقامات أخرى .. (١) »

معنى المقامة : قد تدل كلمة « المقامة » على مكان وقوع الحادثة التي يرويها بديع الزمان كالمقامة البغدادية والاصفهانية والبصرية والقزوينية ... وقد تدلّ على موضوع الحادثة كالمقامة الأسَدية والدينارية والحِرزية . وهي ، سواء دلت على هذا أم ذاك ، عبارة عن قصة قصيرة . على ألاّ يذهب بنا الظن إلى أنها حوت شروط القصة الفنيّة ، وإن كان بعضها قد بلغ في هذا المجال مبلغاً جيداً كالمقامة المضيرية التي يقول الأستاذ مارون عبود بصددها : « وتمرّ بمقامات البديع فتعجب بالمقامة المضيرية إذ تراها قصة عصرية قد تنوء عن مضارعتها اليوم قصة في تحليل الشخصيات ودرس النفسيات (٢) . » وأكثر ما تقوم عليه القصة عند الهمذاني أسلوب الحديث السرديّ يرويه لك عيسى بن هشام ، ولعل هذا ما دعا الدكتور شوقي ضيف إلى القول إن كلمة « المقامة » عند الهمذاني قريبة المعنى من كلمة « حديث » (٣) وغالباً ما تدور هذه الأحاديث حول الكُدية ، وقد رأينا ذلك سبباً دعا إلى الربط بين عمل البديع وعمل الجاحظ (٤) وأعمال المكدين فيها قائمة على المكر والخديعة .

وللمقامات أسلوبها الخاص ، تتحكم فيها الصنعة ويقيّدها فن البديع ولا سيا السجع والجناس ، ويكثر فيها الاقتباس والتضمين للأمثال والأشعار وأنصاف الأشعار ، وتستخدم فيها الصور البيانية ، وغالباً ما يختمها الهمذاني بأبيات من الشعر تلخّص المغزى منها ، وهو على الغالب مغزى غير خلقي ما دام إيجازاً لقانون السلب والمكر والخديعة ...

(١) مقدمة المقامات ص : ٧ .
(٢) بديع الزمان الهمذاني ص : ٣٦ .
(٣) المقامة ص : ٨ .
(٤) انظر ما سبق في ص : ١٥ .

وأهم من ذلك كله أن الهمذاني أنطق عيسى بن هشام ، راويتـــه ، وأبا الفتح الاسكندري ، بطله الخيالي ، بكثير من أوصاف الحياة التي عاشها كل منها ، وجعلها يرسمان صورة قريبة من الواقع للمجتمع الذي ضمّهما وضمّ الهمذاني معهما ، ولعل أوضح جوانب الصورة التي سنرى في المقامات جانب البؤس والفقر الذي وصفه أبطال المقامات ، وجانب الأخلاق الفاسدة التي ابتدع أصحابها أروع ضروب المكر والدهاء في سبيل الوصول إلى القوت أو المال . . .

زد إلى ذلك ما أضفاه أبو الفضل الهمذاني على المقامات من مرح نفسه وخفّة روحه ، حتى جاءت متعة مسلّية أغرت الناشئين بحفظها بما فيـها من مفردات وعبارات وصور ، وشغلت الكثيرين بما فيها من ظرف وفـكاهة عما تطويه في ثناياها وتحمله معها من تصوير للحياة .

رسائله : رسائل بديع الزمان هي الكتب التي بعث بها إلى أهله وإخوانه وأصدقائه ، وحدثهم فيها عن شوقه أو حياته ، أو قصّ لهم فيها بعض ما جرى له من أمور [1] . وهي رسائل فيها المديح وفيها الشكر وفيها الاستعطاف وفيها السّباب وفيها الهجاء المرّ . والهمذاني فيها مبالغ في كل ما يقول ؛ إن مدح ممدوحه لا تسعه الأرض والسماء . وإن هجا سقى كأس الحنظل وأطعم القذر بالخردل .

وأما أسلوب الرسائل ففوق أسلوب المقامات صنعةً وتزويقاً ، وزخرفة وتنميقاً . وللهمذاني فيها تلاعب بالألفاظ عجيب ، حتى ان الخوارزمي سماها « شعبذة لفظية » ، وما عرفنا كاتباً ينقاد له الجناس انقياده للبديع في هاتيك الرسائل ، ولعل أروع من الجناس في الرسائل ، بل أروع من الصنعة اللفظية فيها ، ما يشتلك به البديع من المعاني حتى تندمج معه فتضحك للهوه ، وتسخر لهزئه ، وتضجّ لتذمّره وشكواه .

---

(١) كشف المعاني ص.: ١٥١ .

ديوانه : ديوان الهمذاني [1] صغير الحجم ، ولكنه يحتوي على كثير من أغراض الشعر ؛ ففيه المديح وفيه الهجاء وفيه الرثاء وفيه الاعتذار وفيه الفخر ... وقد يتظارف الهمذاني في بعض قصائده فيخلط العربي بالفارسي ، وذلك أثر من آثار الثقافة الفارسية ، عرفناه عند غيره أيضاً من الكتّاب والشعراء من أبناء ذلك العصر .

على أن الجدير بالذكر أن الهمذاني لم يبلغ في الشعر ما بلغه في النثر من إجادة ونجاح .

خصائص أدبه : يقول الأستاذ مارون عبود : « لو أنصف الذين قسموا ميراث الأساليب القديمة لما حرموا البديع هذه الإمامة ، بل كان هو رأس هذه الطبقة لا ابن العميد . قال القدماء : بدئت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العميد . وأين ابن العميد من نابغتنا هذا ؟ » [2] والحق أن للهمذاني في الذين جاؤوا بعده أثراً لا ينتهي ؛ فلقد انسحب الكتّاب على ذيل أسلوبه حتى مطالع عصرنا الحديث ، ومع ذلك لم يبلغ أحد منهم في تصوير الشخوص ، وبعد الخيال ، وخفة الروح ، وإتقان الفن ، ما بلغه البديع .

لقد كان الهمذاني كاتباً صنّاعاً حذق « صنعة » اللغة ، وحفظ مفرداتها ، وأتقن رصفها ، فكان كصانع الفسيفساء المفنّ يأتي بقطعه الملوّنة البرّاقة فيعرضها عليك فتسرك ، ثم يغيّر تركيبها ويعيد عرضها فتسرّك أيضاً ، ثم يغيّر ويغيّر ويتلاعب بها كما يشاء له فنّه وذوقه فإذا هو ماهر في عرضه حاذق في تركيبه . وإلاّ فكيف نفسّر تحدّيه للخوارزمي حين ذكر له أنه يستطيع أن يكتب كتاباً يُقرأ منه جوابه ، أو كتاباً يُقرأ من آخره إلى أوله ، أو كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً فإن عكست

(١) طبع في مصر سنة ١٩٠٣ باسم « ديوان البديع » .
(٢) بديع الزمان ص : ٤٢ .

سطوره مخالفة كان جواباً(١)...؟ أليس هو في هذا كالرسّام يقدّم لك الصورة فتتعرّف فيها على شكل ثم يقلبها لك فإذا هي في وضعها الجديد صورة جديدة لشكل جديد ...

لقد كانت رسائل الهمذاني ومقاماته كنزاً لغوياً بما حوت من مفردات اللغة غريبها ومترادفها ، ومعرضاً بلاغياً بما حوت من صور وتشبيهات واستعارات . كما كان فيها الكثير من الحكم والأمثال والأشعار .

يقول الدكتور شوقي ضيف « إن الهمذاني كان بحق أحد أساتذة مذهب التصنيع ، ومقدمة من مقدّمات التصنّع بل إنه كان من أهم من رشّحوا لمذهب التصنّع وظهوره(٢) » إن قلنا هذا التصنّع والتصنيع .

ويقول الأستاذ مارون عبود إن الهمذاني « لم يتفرد في مقاماته أكثر من تفرده في رسائله التي بلغ فيها ما لم يبلغه أكابر الشعراء الهجائين العرب . فهو يمجن ويمزح ، ويتهكم ويكشف العورات ليكون له في كل عرس قرص ، ويرينا أنه ذلك القادر على القول في كل غرض ومطلب ، إنه في مجونه وهجائه مرّ موجع ، وهو فيهما أقرب إلى بشار منه إلى أبي نواس الخفيف الظل . ولكن نفس البديع نفس فنان أصيل يعرف كيف يبتدئ وكيف ينتهي وله كلمات مسكتة ونهايات طريفة . »(٣)

موضوعات مقاماته : وأما الموضوعات التي تتناولها مقامات الهمذاني فكثيرة مختلفة ، ويمكن أن نعدّد منها — دون حصر — : الحديث عن مجالس القوم سواءاً كان المجلس للأدب أم السمر أم للطعام والشراب أم للهو والطرب ... والحديث عن هيآت الناس وأزيائهم وعاداتهم ... والحديث

(١) كشف المعاني والبيان ص : ٧٤ .
(٢) الفن ومذاهبه في النثر العربي ص : ١١٥ .
(٣) بديع الزمان ص : ٤٤ — ٤٥ .

عن قصورهم ودورهم ومساجدهم ثم عن أسواقهم وما فيها من مخازن وحوانيت وحمّامات ... وحرصاً على وضوح هذه الموضوعات سأذكر عنوان المقامة وإلى جانبه الموضوع الذي تتناوله . وقد اعتمدت في ترتيب المقامات وأرقام صفحاتها طبعة المقامات المشروحة للأستاذ الشيخ محمد عبده :

تعليق : إن تصفح الموضوعات السابقة مما تناولته المقامات يكفي لبيان هذه الصلة الشديدة بين المقامات من ناحية والمجتمع وحياة الناس من ناحية ثانية . وإذا كان أكثر هذه المقامات قائماً على الكدية أو ما يتصل بها من أساليب المكر والاحتيال ، فإن هذا جانب من جوانب الحياة الفقيرة البائسة التي تحياها طبقة معيّنة من الناس ، ثم إنها صور مختلفة للأساليب المتنوعة التي يبتدعها المكدون في المساجد والأسواق والبيوت ...

ولقد كانت لحديث الهمذاني عن أولئك المكدين والمحتالين والمتماجنين قيمة خاصة ، إذ لو كانت مقاماته كلها في الوعظ مثلاً ، أو في الحديث عما في دور الملوك والأمراء ، لما استطعنا أن نرى من خلالها صورة لحياة العامة من الناس .

ولعل هذا التتبّع لأعمال فئات معينة من الناس هو الذي يشدّنا إلى معرفة حياتهم الاجتماعية التي تبحث عن صورتها .

والحق أن الهمذاني يقدم لنا صورة توشك أن تكون متكاملة ؛ إذ يحدثنا عن مجالس أهل العلم والأدب وما يدور فيها من مساجلات ومناظرات ، ومجالس الشراب والطرب وما يدور فيها من أقداح وآلات . ويحدثنا عن الوعّاظ والمساجد والأسواق والدور والحمّامات والحوانيت والمطاعم والحانات . وهو يرسم لنا من خلال ذلك كله كثيراً من صور الذين يتحدث عنهم بأزيائهم وهيئاتهم حتى نوشك أن نراهم بثيابهم ، ونستمع إليهم بألفاظهم ، ونرى مرآة نفوسهم وشخصياتهم في أعمالهم وتصرفاتهم .

وهذا بعض ما في الأدب من روعة ؛ إنه يعيدنا إلى الماضي حتى كأننا نعيش فيه أو يأتي به إلينا حتى كأنه هو يومنا الحاضر وليس قطعة من ماضينا الغابر . وربما قال قائل : وهذا ما يفعله التاريخ . والحق أن الفرق بين تاريخ الماضي وبين الأدب الذي يحدثك عن الماضي هو الفرق بين من يسرد لك أسماء في حوادث . وبين من يريك صور الأشخاص وما يحيط بهم من تلك الحوادث ، إنه الفرق بين الكلام والتصوير .

٣ ـ الفصل الثالث

مُجتمع الهمذانيّ من خلال مقاماته

لا بد ، قبل البدء بدراسة المجتمع الذي نريد ، من إلقاء نظرة على الحياة السياسية التي كان المجتمع خاضعاً لها ومتأثراً بها ؛ فإن معرفة الوضع السياسي تساعد على توضيح بعض الظواهر الاجتماعية كما تساعد على تفسيرها .

والفترة التي تهمنا في هذا البحث هي النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة ، ذلك القرن الذي كان العصر الذهبي للعقلية العربية والذي كان ، إلى جانب ذلك ، عصراً عجيباً بما كان فيه من اضطراب في الحياة وعدم استقرار في الحكم . وإذا عجبنا لبعض جوانب الصورة الاجتماعية التي تقدمها لنا المقامات ، فإن الاطلاع على بعض جوانب الحياة السياسية لذلك المجتمع كفيل بإزالة العجب وتوضيح ما يُظلم أو يلتبس من جنبات تلك الصورة .

حديث التاريخ : على أن بديع الزمان عاش بين سنتي ٣٥٨ و ٣٩٨ ﻫ فالعصر الذي نتكلم عليه إذاً هو النصف الثاني من القرن الرابع . والصورة التي يرسمها لنا التاريخ عن تلك الفترة من الزمن صورة ممتلئة بالفوضى والاضطراب وعدم الاستقرار .

الخلفاء والنفوذ الفارسي : وقد تداول الحكم في تلك الفترة أربعة من الخلفاء هم المستكفي (٣٣٤ ﻫ) والمطيع (٣٣٤ — ٣٦٤) والطائع (٣٦٣ — ٣٨١) والقادر (٣٨١ — ٤٢٢) . وفيها بدأ النفوذ الفارسي يستعلي ويزداد حتى أصبح الفرس هم الحكام الحقيقيين الفعليين . . وأما الخليفة فله من الحكم اسمه ، ومن الخلافة رسمها . وبسط أولاد بويه : علي والحسن وأحمد ، نفوذهم ، وتقلّدوا زمام الأمور ، واتخذوا الخلفاء عندهم صنائع يعطونهم

المرتبات كسائر الموظفين ، وتحدثت كتب التاريخ بأنه لم يبق للخلفاء في الواقع إلا الظاهر كالسكّة والخطبة (١) .

حالة البلاد : وغرقت البلاد في بحران من الفوضى عجيب ، وما عرفت بغداد عاصمة الخلافة أسوأ من تلك الفترة ، ولا أكثر فساداً أو انحلالا . وحسبك أن تاريخ تلك الفترة تاريخ تمتلئ منه النفس أسىً بما يطالعها في صفحاته من ظلم وعسف وقتل ، وفرقة واختلاف وضياع لهيبة الدولة !

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٣٣٤ هـ (٢) أنه في خلافة المطيع شغب الجند على معز الدولة وأزعجوه فضمن لهم أرزاقهم واضطر إلى ضبط الناس وأخذ الأموال من غير وجوهها ، وأقطع قواده وأصحابه القرى جميعها ... وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب (٣) . وذكر في حوادث سنة ٣٦١ هـ أنه وقعت في بغداد فتنة وفساد عظيم . وفي حوادث سنة ٣٧٧ هـ أنه اشتدّ الغلاء في العراق فضجّ العامة وشغب الجند (٤) . وفي حوادث سنة ٣٩٣ أنه اشتدت الفتنة في بغداد وكثر العيّارون والمفسدون ، واشتد الغلاء في بغداد فأكل الناس الميتة والسنانير والكلاب ، وأكل الناس ضروب الشوك وكانوا يسلقون حبّه ويأكلونه فلحق الناس أمراض وأورام في أحشائهم وكثر فيهم الموت حتى عجز الناس من دفن الموتى ، فكانت الكلاب تأكل لحومهم . وانحدر كثير من أهالي بغداد إلى البصرة فمات أكثرهم في الطريق وبيعت الدور والعقارات بالخبز (٥) .

(١) انظر كامل ابن الأثير ، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمن ٢ : ٩٤ .
(٢) انظر ـ إن شئت ـ ما كان يحدث قبل ذلك بقليل ، في عهد الخليفة المقتدر (المقتول سنة ٣٢٠) من حوادث التمرد وعجائب العصيان بزعامة خادمه مؤنس !
(٣) الكامل لابن الأثير ٨ : ١٧٩ .
(٤) المرجع السابق ٩ : ٧١ .
(٥) ابن الأثير ٨ : ٢٣ و ٢٦ و ٣٠ و ١٦٧ والمنتظم ٦ : ٣٣١ و ٣٣٤ .

قاطع طريق يؤسس دولة : وكيف تتصوّر حال دولة استطاع أحـد قطاع الطرق فيها أن يقيم دولة بالقوة ويجبر حاكم بغداد على الاعتراف به وبسلطانه ؟ وذلك هو ما فعله عمران بن شاهين حين اقتطع أرض « البطيحة » وأقام فيها دولة حكمها بنفسه من سنة ٣٢٩ إلى سنة ٣٦٩ ثم تتالى أعقابه على حكمها حتى سنة ٤٠٨ ؛ لقد كان عمران بن شاهين جابياً من جباة الضرائب في عهد معز الدولة ، جبى ما جبى من مال ، ثم فرّ به إلى ما بين واسط والبصرة ، وأقام هناك يقطع الطريق ويؤوي إليه اللصوص والصيادين حتى شكل منهم جيشاً استطاع أن يجابه قوة السلطان وأن يتصدّى لجيش الدولة وأن يجبر معز الدولة على الاعتراف بسلطانه على الأرض التي غلب عليها (١) . ويبدو أنه كان لقطّاع الطرق شأن يذكر حتى كانت أخبارهم وأساليبهم موضوعاً لكثير من المقامات .

بين أهل السنّة والشيعة : ومما يتصل ببحثنا ذلك الحديث الخطير الذي تتحدث به كتب التاريخ عن الخلافات التي كانت مستمرة بين المسلمين من سنيّين وشيعة . نعم ، لقد كانت هناك خلافات أخرى كتلك التي كانت بين عناصر الأمة المختلفة من عرب وديلم وأتراك جمعتهم دولة بني العباس تحت لواء الإسلام ، ولكن الخلاف الأخطر والأهم هو ذلك الخلاف المذهبي الذي يستند عند أصحابه إلى أساس من الفكر والعاطفة ، ويضاف إلى ذلك ما كان يقوم به بعض المتطرفين من أحد الجانبين المتخاصمين وما يسبّبه من ردة فعل قوية عند الجانب الآخر ؛ ولعل ما قام به معز الدولة البويهي مثل واضح لتلك التصرفات المتطرفة التي أججت نار الفتنة ؛ فلقد أمر معز الدولة أن يكتب شتم الصحابة على المنابر وفي المساجد ، فكان عمله هذا توسيعاً لشقة الخلاف . قال ابن الأثير : « ومما يدل على بعد الشقة بين السنة والشيعة ما كتب على مساجد بغداد بأمر معز الدولة من لعن وشتم (٢)...!

---

(١) انظر أخبار عمران بن شاهين في الكامل لابن الأثير ٨ : ١٩٠ و ٢٠٢ .

(٢) أنظر الكامل حوادث سنة ٣٥٣ والمنتظم ٦ : ٨٨ .

وقد ظل هذا الخلاف يستشري ويمتد خطره حتى غدت بغداد في بعض أزمانها مسرحاً لصراع عنيف قاسٍ دار بين أتباع المذهبين، كذلك الصراع الذي حدث في عهد الطائع حين كانت السلطة بيد بختيار بن معز الدولة وكرهت العامة — وأكثرها من أهل السنة — آل بويه لإفراطهم في التشيع مما كان سبباً لفتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والشيعة سفكت فيها الدماء وأحرقت الكرخ التي كانت محلة الشيعة ».

شمول الفوضى : وجدير بنا أن نتنبه إلى أن هذه الفتن والاضطرابات لم تكن مقتصرة على منطقة دون أخرى أو منحصرة في بغداد دون غيرها، وإنما كانت ـ كعادتها في كل حين ـ سريعة العدوى، وسرعان ما تطاير شرر الفتنة إلى كل بلد حتى كانت بلاد فارس كبلاد العراق، وكانت خراسان كبغداد؛ ولقد عمّت الفتن خراسان يوم دخلها على السامانيين شهاب الدين ابن سليمان التركي، وظلت الفوضى مستمرة فيها حتى قامت الدولة السبكتكية سنة ٣٨٩ على يد ملكها محمود الذي هزم السامانيين وأقام حكماً دام له حتى سنة ٤٢١ هـ.

أثر تعدّد العناصر واختلاف المذاهب : هذان الأمران اللذان حدثنا عنهما التاريخ وهما: صراع العناصر المتعددة في الدولة، وتناحر الفرق المذهبية، هما اللذان فتّا في عضد الدولة العباسيّة.

لقد أخطأ بنو العباس، في مجال الصراع العنصري، حين اعتمدوا على غير العرب كل ذلك الاعتماد. ولئن أخذ على بني امية إفراطهم في الاعتماد على العنصر العربي، لقد أخذ على العباسيين عكس ذلك تماماً. والحق أن الدولة الإسلامية أيام بني العباس كانت دولة وحّد الدين فيها عناصر متباينة وشعوباً مختلفة، ولكن من ذا الذي يزعم أن كل تلك العناصر والشعوب كانت متفقة المصالح موحّدة الأغراض؟ ومن ذا الذي يزعم حسن الطويّة

وسلامة النيّة عند أولئك « المواطنين » جميعاً ؟ ألم يكن بينهم طامح إلى سلطة يغتصبها ؟ أو مجد يرفع قومه إليه ؟.

لقد كان التنافس مستعر الأوار فيما بين المختلفين جنساً أو مذهباً ، وكانت من وراء التنافس فتن ودسائس ، وكان كل ذلك معولاً ارتفع من داخل الدولة الإسلامية العباسية ، لهدم تلك الدولة حتى جعلها نهباً موزعاً بين الأتراك والبويهيين والسلاجقة .

وأما في ميدان الصراع المذهبي فقد افتضح أمر العباسيين وانكشف خداعهم للناس ، وظهر تغريرهم بآل البيت وسلبهم حقهم الذي يعتقدونه في الخلافة ، وذلك أنه لم ينقشع ضباب الثورات ولم تهدأ نار الفتن ويستتب الحكم لبني العباس حتى وضح الأمر وظهرت الحقيقة : لقد خدع العباسيون آل البيت ، واتخذوا من حقهم في الخلافة التي تقمّصها معاوية قميص عثمان ، يقومون من أجل آل البيت في الظاهر فيكسبون منهم العون ومن أنصارهم التأييد ، وما يقومون إلا من أجل أنفسهم لو كانوا يفصحون .

كل ذلك كان مما أثار الناس ، وحرّك شعورهم بالشفقة على آل البيت ، وفسح مجال التدخل للحاقدين من غير آل البيت ومن غير العرب ، وجعل الألسن تتداول موضوع هذا الحق السليب بين المؤيدين والمناهضين .

ثم تمر السنون فإذا الاتجاهات تتوضح وتتبلّر أو تكاد ، وإذا هناك مذهب أهل السنة ومذهب الشيعة ، ويبدأ الكلام بأساويه الجدلي ينفث عقده بين هؤلاء وأولئك ، فإذا الاتجاهات تتفرع ، وإذا المذاهب تتنوع فيكون من وراء ذلك مناظرات ومحاورات ، ويكون من وراء هذه وتلك أخبث الآثار في نفوس الناس ، هذه الآثار التي تظهر حيناً وتختفي ـ ولكنها لا تزول ـ في حين آخر .

ولقد كانت بعض حوادث التاريخ تدل على أن تلك الآثار مستكنة في نفوس أصحابها تنتظر الفرصة المواتية للظهور ، وليست دعوة أبي العباس

السفاح لأحفاد عليّ في أحد مواسم الحج وإكرامه لهم أمام الناس إلا مداواة منه للجرح الذي نكأه ، وشعر أن أمره انكشف وأنه ما زال دامياً في قلوب أصحابه . بل كثيراً ما كانت تلك الآثار تلبس لباس القوة وتظهر في شكل ثورة أو تمرّد . وكم ثار رجال من آل البيت في وجوه الخلفاء العباسيين كثورة محمد النفس الزكية وغيره ممن كانت لهم في كل عهد ثورة أو انتفاضة ، ثم لم يلبثوا أن نظّموا أمرهم وأرسوا قواعد دعوتهم حتى كانت لهم في منتصف القرن الهجري الثالث دعاة منظمون منتشرون في كل بقعة من بقاع الدولة وأطرافها .

بين السياسة والمجتمع :

هذه إشارة إلى بعض ما له صلة بموضوعنا من المشاكل السياسية والمذهبية لذلك العصر . وهي فيما نرى كافية لإعطاء فكرة عن السياسة وفوضاها . على أن الذي يعنينا في هذا البحث إنما هو أثر هذه الحياة السياسية – وليس هو الحياة السياسية نفسها – في المجتمع الذي يعيش في ظلها .

لا شك أن هناك صلة قوية بين الوضعين السياسي والاجتماعي في المجتمع الواحد ، وأن الحياة السياسية لا بد أن تترك آثاراً من آثارها في المجتمع ، كما أن الحياة الاجتماعية ، ومستواها ، وتركيب الطبقات الاجتماعية ، والعناصر المكوّنة للمجتمع ، كما ذلك يؤثر في الحياة السياسية التي يحياها المجتمع .

والمجتمع الذي نتحدث عنه ليس بدعاً بين المجتمعات ، وطبيعي أن يتأثر بحياة الفوضى التي مرّت عليه وعاش فيها ، وكيف لا يتأثر المجتمع بحكام يضطرون تحت ضغط الجند وشغب الجيش أن يجمعوا الأموال من غير وجوهها ؟ وكيف لا يتأثر المجتمع بقاطع طريق يقاتل الدولة حتى يصبح حاكماً ذا سلطان تعترف به الدولة ؟ وكيف لا يتأثر المجتمع بحكم غير مستقر وعناصر مختلفة

ومذاهب غير مؤتلفة ؟ بل كيف لا يتأثر المجتمع بكل هذه العوامل مجتمعة ، وقد كانت كلها في ذلك المجتمع في تلك الفترة من الزمن ؟

قيمة الأخبار الأدبية : حين يتحدث التاريخ عن مجتمع من المجتمعات يلفت نظرنا في حديثه أمرٌ ذو شأن في بحثنا هذا ، وهو أنه إذا كان المجتمع عادة يتألف من طبقات متعددة تتدرج من الملوك والحكام ثم من يليهم إلى عامة الناس وسوقتهم ، فإن حديث التاريخ ينصرف أكثره إلى الطبقة العليا في المجتمع ، وربما لا يخصّ الأكثرية الساحقة من الناس إلا بجزء يسير مما يخصّ به الطبقة الحاكمة ؛ إنه يتحدث عن الخلفاء أو الملوك والوزراء بمزيد من البيان والتفصيل ، ويتناول أصغر أمورهم وصغائرها يتصل بهم من مسكن ومطعم ومشرب وملبس ، على حين يغفل أمر الطبقة العامة فلا يلتفت إلى ذكرها إلاّ إذا لفتته هي بثورة قامت بها أو عمل نبهه إلى شأنها .

ولن يكون شأننا في هذا البحث الأدبي شأن كتّاب التاريخ ، بل نحن على العكس منهم لا يعنينا أن نتحدث في أخبار المجتمع عن الخلفاء والأمراء والحكّام ممن تطوّع المؤرخون لسرد أخبارهم ، ولكن الذي يعنينا ونقصد إليه هو وصف الطبقة العامة من الناس والسواد الأعظم من الشعب ؛ سنسأل عن هؤلاء الناس كيف كانوا يعيشون ؟ وكيف كانت هيئاتهم وملابسهم ؟ وكيف كانت مجالسهم ومآكلهم ؟ وماذا كانوا يأكلون ويشربون ؟ وكيف كانت دورهم وأثاثاتهم ؟ وكيف كانت أسواقهم وحوانيتهم ؟ وما هي عاداتهم ؟ بل كيف كانوا يتماجنون ويتمازحون ويتشاتمون ؟

إن التاريخ لن يتولى الإجابة عن كثير من هذه الأسئلة ، وإن كانت في ثنايا أخباره إشارات إلى ذلك .. ولكن الذي يقرّب إلينا الكثير مما نريد إنما هو الأدب .. وإننا لواجدون في الأدب ، شعره ونثره ، وحكاياته

وأخباره ، ولواجدون في « المقامات » .. كثيراً من الأخبار التي تزيد . بل إننا سننظر في كتب التاريخ ثم سننظر في « المقامات » وسنرى بين سطورها كثيراً مما انطوت دونه صفحات التاريخ .

لقد تناول الهمذاني حياة القوم ووصفهم في دورهم ومساجدهم وأسواقهم وحوانيتهم ، ووقفنا على مجالس أنسهم ومكائدهم ، وصور لنا الكثير من أخلاقهم . وعرّفنا على كثير من فئاتهم . لقد كان الهمذاني بارعاً في جعل المقامات مسرحاً أقامه على بطولة أبي الفتح الاسكندري ، وهو يجعل أبا الفتح في كل مقامة من مقاماته نموذجاً لفئة من الناس يلبسه لباسها ، وينطقه بلسانها ، ويجري تصرفاته بوحي من أخلاقها ، حتى كان لأبي الفتح في كل مقامة دور ، وهو في كل دور من أدواره إنما يمثل رجلاً من رجال عصره ومجتمعه .

١ — الزهد والوعظ ـ اللهو والمجون ـ عقليّة العامّة وما يدلّ عليها من معتقد ولغة وهيأة :

كنا نرغب أن نبدأ هذا البحث بالكلام على (حياة العامة) ولكننا رأينا أننا لن نعرف حياتهم إلا عن طريق الإلمام بما تمكن معرفته من صفاتهم وعقليتهم وعاداتهم وخصائصهم وأساليب حياتهم في الدور والأسواق والمساجد وغيرها .

وسنحاول في سبيل الوصول إلى ذلك أن نتتبع أخبارهم المتصلة بذلك في كتب التاريخ أولاً ، ثم في مقامات الهمذاني ثانياً ، لنرى فضل الأديب في الكشف عن كثير من خبايا الحياة التي أغفلها التاريخ فأضاعها ، أو خجل من ذكرها فكادت تضيع .

كان المجتمع الإسلامي ، ولسنا نسمّيه بغير ذلك لأنه لم يكن عربياً خالصاً ، وإنما كانت فيه أجناس وشعوب تلاقت تحت راية الإسلام ، تقول

كان هذا المجتمع في عصر الهمذاني مجتمعاً فيه الكثير من المتناقضات ، إلا أنه التناقض المنسجم مع طبيعة الحياة ، وظريف أن يكون في التناقض انسجام . نعني أنه كان تناقضاً طبيعياً ؛ كوجود الزهد والورع جنباً إلى جنب مع الخلاعة والمجون . إذ أليس من التناقض الطبيعي مثلاً أن يؤدي الإفراط في الأمر إلى عكسه ؟ ألم يقولوا : إن تجاوز الأمر لحدّه يقلبه إلى ضدّه ؟ وهذا ما وقع حين أدّى الإفراط في الخلاعة والمجون عند طائفة من الناس إلى التمسّك بالدين والزهد في متع الحياة عند طائفة أخرى منهم .

الزهد في التاريخ : لم يغفل المؤرخون الذين تحدثوا عن ذلك المجتمع الكلام على ما كان فيه من ورع وتقى ، وما انتشر فيه من زهد وتصوّف ، كما تناولت ذلك كتب التراجم فذكرت الكثير من أخبار الزهّاد والمتصوّفين ، ويذهب بعض الباحثين إلى أبعد من ذلك فيزعم أن التصوف نفسه كان مجالاً للتنافس كغيره من علوم النحو والكلام .. ، يقول آدم متز : « وكانت بغداد والبصرة مختلفتين في أمر التصوّف ، كما كانتا مختلفتين في مسائل اللغة وعلم الكلام ؛ فكانت بغداد أكبر مدرسة للمتصوفين على حين كانت البصرة أكبر مركز للزهّاد ، وبقيت كذلك حتى أيام المقدسي [1] . » والمقدسي ، كما نعلم ، من رجال النصف الثاني من القرن الرابع . وحسبنا للدلالة على مدى انتشار الزهد والتصوّف في تلك الفترة أن نذكر أنه عاش فيها عدد من أعلام الزهاد والمتصوفين كصاحب الرسالة القشيرية ، وقد كتبها سنة ٤٣٧ ، وأبي العباس محمد البشتي الزاهد المتوفى سنة ٣٨٤ هـ . بل أصبحت للمتصوفين والزهّاد كتب خاصة تتناول تراجمهم وطبقاتهم ككتاب « طبقات الصوفية » للسلمي المتوفى سنة ٤١٢ وكتاب « طبقات النسّاك » لأبي سعيد الأعرابي المتوفى سنة ٣٤١ ...

(١) الحضارة الإسلامية ٢ : ١٦ .

النزعة إلى الزهد في المقامات : ليس حديث التاريخ عن انتشار الوعاظ في الأسواق وتحلق الناس حولهم بأوضح من حديث أبي الفضل إذ قال في المقامة الوعظية (١) « حدثنا عيسى بن هشام قال : بينا أنا بالبصرة أميس حتى أداني السير إلى فرضة قد كثر فيها قوم على قائم يعظهم وهو يقول : أيها الناس ، إنكم لم تتركوا سُدى وإن مع اليوم غدا ، وإنكم واردو هوّة ، فأعدّوا لها ما استطعتم من قوة . وإن بعد المعاش معادا ، فأعدّوا له زادا ، ألا لا عذر فقد بيّنت لكم المحجة ، وأخذت عليكم الحجة من السماء بالخبر ومن الأرض بالعبر . ألا وإن الذي بدأ الخلق عليما يحيي العظام رميما . » وهو لا يكتفي بمجرد الوعظ ، وإنما يعنى ببيان موضوعه وأنه وعظ يلائم تكالب الناس على الدنيا إذ هو في الحث على الزهد وترك مباهج الحياة فيقول : « ألا وإن الدنيا دار جهاز وقنطرة جواز ، من عبَرها سلم ومن عمرها ندم . ألا وقد نصبت لكم الفخ ونثرت لكم الحب فمن يرتع يقع ومن يلقط يسقط . ألا وإن الفقر حلية نبيكم فاكتسوها والغنى حلة الطغيان فلا تلبسوها . »(١) ويقول : « يا قوم الحذر الحذر ، والبدار البدار ، من الدنيا ومكايدها وما نصبت لكم من مصايدها وتجلت لكم من زينتها واستشرفت لكم من بهجتها :

وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضها داعٍ وبالزهد آمرُ
فجدّ ولا تغفل فعيشك بائد وأنت إلى دار المنيّـــة صائرُ
ولا تطلب الدنيا فإن طلابها وإن نلت منها رغبة لك ضائرُ

ويبين أن من موضوعات وعظهم الحث على الإيمان وكأنه يصوّر لنا بذلك ما أخذ يتغلغل في ذلك المجتمع من شك وإلحاد ، فهو يدعو إلى عدم الالتفات

---

(١) المقامة الوعظية : ١٣٦ .
(٢) » » : ١٣٧ .
(٣) » » : ١٤٠ .

إلى المشككين وإلى آرائهم ومذاهبهم فيقول على لسان أحد الوعاظ : « كذبت ظنون الملحدين ، الذين جحدوا الدين ، وجعلوا القرآن عضين (١) » وإذا كان بين الناس من ينكر البعث فهو يرد عليه إذ « ان بعد الحدث جدثا ، وإنكم لم تخلقوا عبثا . فحذار حرّ النار وبَدار عقبى الدار . » (٢) « ألا تعجبون ممن ينام وهو يخشى الموت ولا يرجو الفَوت .

ألا لا ، ولكنّا تغرّ نفوسنا وتشغلها اللذّات عمّا تحاذر

وكيف يلذّ العيش من هو موقن بموقف عدْل حيث تُبلى السرائر

كأنّا نرى أنْ لا نشورَ وأننا سُدًى ما لنا بعد الفناء مصاير (٣) . »

اتخاذ الوعظ وسيلة للخداع : ولسنا نغالي إذا قلنا إنّ بديع الزمان أعطانا صورة أوضح مما أعطانا التاريخ عن نَفاق سوق الوعظ حين ذكر لنا مدى انتشار الوعاظ وإقبال العامة عليهم حتى لفت ذلك الإقبال أنظار الدجالين فتطفّلوا على الوعظ ، واتخذوه حرفة للكسب ، ومطية لنيل المآرب ؛ إنهم كانوا يتخذون من حث الناس على الزهد فخّاً يسلبون من ورائه ما يكرّهون الناس به من متع وأموال . وهذا واحد من هؤلاء الماكرين يروي لنا بديع الزمان قصته فيقول إنه فقير محتاج فكّر في أمر معاشه فلم يجد خيراً من سبيل الوعظ فكان وعظه مطية للكدية وهو يقول : « ونفرت عن الدنيا نفور طبع الكريم عن وجوه اللئام . ونبوت عن الخزيات نبوّ السمع الشريف عن شنيع الكلام . والآن لمّا أسفر صبح المشيب وعلتني أبهة الكبر عمدت لإصلاح أمر المعاد بإعداد الزاد ، فلم أرَ طريقاً أهدى إلى الرشاد مما أنا سالكه » (٤) .

(١ و ٢) المقامة الوعظية : ١٣٧ .
(٣) المقامة الوعظية : ١٤١ .
(٤) المقامة السجستانية : ٢٦ .

وهو يعتقد أنه بوعظه هذا يؤدي أمانة في عنقه ؛ فيقول « ودُفعت إلى مكاره نذرت ألاّ أدّخر عن المسلمين منافعها . ولا بدّ لي أن أخلع ربقة هذه الأمانة من عنقي إلى أعناقكم ، وأعرض دوائي هذا في أسواقكم ، فليشترِ مني من لا يتمزّز من موقف العبيد ولا يأنف من كلمة التوحيد(١) .

وذاك مخادع آخر يتظاهر بالورع والزهد ويبطن الخداع والمكر ويتخذ الوعظ والزهد وتكريه الغنى إلى الأغنياء وسيلة إلى الإيقاع بالسذّج ، إنه كما يقول عيسى بن هشام : « شاب قصير من بين الرجال ، محفوف السبال(٢) ، لا ينبس بحرف ، ولا يخوض معنا في وصف . حتى انتهى بالكلام إلى مدح الغنى وأهله وذكر المال وفضله . وأنه زينة الرجال وغاية الكمال ، فكأنما هبّ من رقدة ، أو حضر بعد غيبة ، وفتح ديوانه وأطلق لسانه فقال : صه . لقد عجزتم عن شيء عدمتموه ، وقصّرتم عن طلبه فهجنتموه ، وخُدعتم عن الباقي بالفاني ، وشغلتم عن النائي بالداني . هل الدنيا إلا مناخ راكب ونعلة ذاهب ؟ وهل المال إلا عارية مُرتجعة ووديعة منتزعة ؟ ينُقل من قوم إلى آخرين ، وتخزنه الأوائل للآخرين ؟ وهل ترون المال إلا عند البخلاء دون الكرماء ؟ والجهال دون العلماء ؟ إياكم والانخداع فليس الفخر إلا في إحدى الجهتين ، ولا التقدم إلا بإحدى القسمتين : إما نسب شريف أو علم منيف ، وأكرم بشيء يُحمل على الرؤوس حامله ، ولا ييأس منه آمله . والله لولا صيانة النفس والعرض لكنت أغنى أهل الأرض ...(٣) » ثم يستطرد زاعماً أنه يعرف موضع مطلبين عظيمين وكنزين ثمينين ، فيقبل عليه الناس ويعطونه المال الوافر أملاً في إرشادهم

---

(١) المقامة السجستانية : ٢٧ .

(٢) السبال : ج سبلة ما يخف بالفم من شعر الشارب .

(٣) المطلبية : ٢٥١ .

إلى مكان ذينك الطليين فيأخذ المال ويعدهم بأن يدلهم في اليـــوم الثاني ثم يذهب ولا يعود !

أليست هذه الطرف الهمذانية كافية لإطلاعنا على مدى انتشار الوعظ حتى نزل إلى ميدان الكسب وتنافس فيه الخادعون ووقـــع في شباكهم سذج القوم ؟

وقد كثر الوعظ في المقامات ، وكثر اتخاذه وسيلة للكدية أو الخداع ، حتى أصبحنا نعجب إذا رأينا في مقامة من المقامات وعظاً صادقاً ليس للمقامة غرض آخر سواه ، على غير ما تعوّدنا في جميع المقامات ؛ وذلك هو الوعظ الذي نسمعه في المقامة الأهوازية ، حيث نفاجأ بجواب الواعظ الذي سألوه في آخر وعظه : ما حاجتك ؟ فقال : « أطول من أن تُحدّ ، وأكثر من أن تُعد . قلنا : سانح الوقت . قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر . قلنا : ليس ذلك إلينا ، ولكن ماشئت من متاع الدنيا وزخرفها . قال : لا حاجة لي فيها ، وإنما حاجتي بعد هذا أن تخِدوا[1] أكثر من أن تموا[2] . » إنها فلتة من أبي الفتح الاسكندري الواعظ . ولكنها على كل حال ليست غريبة عن المجتمع الذي يصوّره أدب الهمذاني .

(يتبع) الدكتور زكي مبارك

❋❋❋

(١) الوخد : ضرب من السير السريع .
(٢) المقامة الأهوازية : ٦٣ .

ملاحظات

على الموسوعة العربية الميسرة

- ٥ -

(حرف الصاد)

٢٦٠ — ص ١١٢ « الصابي الحراني ، ابراهيم بن هلال ٩٢٥ — ٩٩٤ ، أديب ... له ديوان ، ألف « التاجي في أخبار بني بويه » ... طبع له ببيروت رسائله إلى الشريف الرضي ... » .

ومن الملاحظات على هذا أ — لا بد من القول أنه : أبو إسحق ... لأن الكنية هنا جزء مهم من تعريفه . ب — الصابي : الصابئ . قال ابن خلكان : الصابئ بهمزة آخره . ج — له ديوان : لم يصل إلينا . د — بيروت : الكويت (رسائل الصابي والشريف الرضي ، التراث العربي ١٩٦١) .

٢٦١ — ص ١١١٢ « صابئة ... أبي إسحق الصابي وزير الطائع والمطيع ... » بطلت وزارة الخليفة في بغداد منذ دخل البويهيون في عهد المستكفي (ينظر مسكويه ٦ : ١٥٧) ، ولم يكن أبو إسحاق وزيراً وإنما كان كاتب الإنشاء عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار . وعرض عليه عز الدولة بختيار الوزارة إن أسلم فامتنع (ينظر ياقوت ٢ : ٢١) .

٢٦٢ — ص ١١١٢ « الصاحب بن عباد ، اسماعيل ... أولع في رسائله بالسجع والجناس والعبارات القصيرة ، وهي خصائص مدرسة ابن العميد ... » .

أ — لا داعي إلى استعمال كلمة « مدرسة » ، ويفهم القارئ أن الصاحب وابن العميد على درجة واحدة من الولع بالسجع ... وليس الواقع كذلك .

قال الزيات : « سار على نهج ابن العميد وأربى عليه في الحلية اللفظية ولا سيا في السجع والجناس » . ب ـ نشرت للصاحب ـ ولا سيا في العراق ـ عدة رسائل .

٢٦٣ ــ ص ١١١٢ « صاحب الزنج ، علي بن محمد ... ظهر أيام المهدي العباسي ... » المهدي : المهتدي .

٢٦٤ ــ ص ١١١٦ « صحافة ... وفي العراق ... أصدر يوسف غنيمة وداود حليوا « صدى بابل ... وصدرت ... العراق ... لرزق داود غنام ...

وفي الحجاز ... صدرت مجلة الإصلاح « بمكة المكرمة ١٩٢٨ لمحررها محمد حامد الفقي » . وتعاقب صدور الصحف في أنحاء المملكة ... ومن الصحف الحالية « الرائد» ... و « الندوة » لصالح جمال ... و « الخليج العربي » ... و « قريش » ... و « عكاظ » لعبد الغفور عطار ... والجزيرة لعبد الله ابن خميس وتصدر بالرياض منذ ١٩٦٠ ... » .

ومن الملاحظات أ ـ حليوا : صليوا . ب ـ رزق : رزوق . ج ـ الإصلاح ، صحيفة أصدرتها شعبة الطبع والنشر التابعة لمديرية المعارف إذ ذاك ... د ـ الرائد ، والخليج العربي وقريش ليست من الصحف الحاليـــة . هـ ـ الندوة الحالية ليست ندوة صالح جمال ، وعكاظ الحالية ليست عكاظ عطار لأن الصحف الحالية ملك لمؤسسات وليست لأشخاص وذلك بمقتضى نظام المؤسسات الأهلية للصحافة الذي أصدرته المملكة العربية السعودية في ١٣٨٣/٨/٢٤ للهجرة . و ـ أما « جزيرة » عبد الله بن خميس فهي مجلة أدبية صدر العدد الأول منها بالرياض في ذي القعدة من عام ١٣٧٩ واستمرت ثلاث سنوات ، وتوقفت في الرابعة . وهي غير « الجزيرة » الحالية التي تصدر بالرياض عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ، وكان عبد الله بن خميس مديراً عاماً للمؤسسة في أول أمرها ... وفي الجرائد الحالية التي

تصدر عن مؤسسات وكان اسمها ملكاً لأشخاص : المدينة ، البلاد . ومن الجرائد التي صدرت بعد نظام المؤسسات : اليامة ، الرياض ، اليوم .

٢٦٥ — ص ١١٢٤ « الصفار ، يعقوب بن الليث ... عمل في شبابه بصناعة النحاس بخراسان ... » .

... بصناعة النحاس : بصناعة الصفر (النحاس) . قال ابن خلكان ٥ : ٤٧٣ « وإنما قيل ليعقوب الصفار لأنه كان يعمل الصُّفر ـ وهو النحاس ـ بضم الصاد المهملة » .

٢٦٦ — ص ١١٢٤ « الصفاريون ... اسسها يعقوب ... بفارس وأفغانستان اسـقط الدولة الطاهرية في خراسان ، وجعل مقر ملكه تارة بمرو وأخرى بنيسابور ... » .

أ — الصفاريون : الصفارون . ب — مقر ملكه ... سجستان (وقاعدتها زرنج) ...

٢٦٧ — ص ١١٢٥ « الصفويون : أسرة إيرانية حاكمة (أواخر ١٥ — ١٧٣٧) ... مؤسسها اسماعيل الصفوي (ت ١٥٢٤) ... وخلفه ابنه طحمسب ... » .

أ — طحمسب : طهماسب .

٢٦٨ — ص ١١٢٥ « صفي الدين الحلي ... وله ديوان مطبوع ، وألف العاطل الحالي والمرخص الغالي ... وصفرة الشعراء ... » .

أ — العاطل الحالي ... مطبوع أيضاً . ب — صفرة الشعراء : صفوة الشعراء ...

٢٦٩ — ص ١١٢٨ « صلاح الدين الأيوبي مقاتل وبطل مسلم ... » .

كلمة « مقاتل » نابية وهي مما يمكن أن يصفه بها الغربيون ، أما في موسوعة عربية ... فيمكن الاستغناء عنها أو استبدال بشجاع أو فارس بدلها .

٢٧٠ — ص ١١٣٧ « الصولي ، ابراهيم بن العباس .... ألف كتاب « الدولة » و « العطر والطبيخ » وخلف مجموعة رسائل وديوان شعر ... يعد أشهر كتاب عصره » .

أ — يحسن أن تذكر الكنية : أبواسحاق . ب — ألف ... : لم تصل إلينا . جـ — خلف ... لم تصل إلينا . و — أشهر : من أشهر ...

(حرف الضاد)

٢٧١ — ص ١١٤٣ « ضرغام ... وزير العاضد آخر خلفاء الفواطم بمصر ... » .

الفواطم : الفاطميين (الفواطم : جمع لفاطمة) .

(حرف الطاء)

٢٧٢ — ص ١١٤٦ « طارق بن زياد ... قبيلة نفزة ... التقى الجيشان عند بحيرة تعرف باسم لاجندا ... » .

أ — نفزة : نقزة . ب — لاجندا : لاجاندا .

٢٧٣ — ص ١١٥٢ « الطباطبائي ، علي بن رضا ١٨٠٩ — ١٨٨١ عرف بلقب بحر العلوم ، من أعلام الشيعة له « شرح على الكتاب النافع .... » .

أ — بحر العلوم اللقب الذي عرف به جده ومن ثم صار لقباً للأسرة . وجده هو السيد محمد مهدي . ب — قبل السيد علي هذا وبعده عشرات من أعلام الشيعة لم تشر إليهم الموسوعة من قريب أو بعيد ، مع أنهم أهم منه كثيراً . فلم وقع اختيارها عليه ؟ جـ — شرح على الكتاب النافع : اسمه ، البرهان القاطع — ط .

٢٧٤ — ص ١١٥٣ « الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ٨٣٩ — ٩٢٣ ... لم يعمر طويلاً ، وكتابه « تاريخ الرسل والملوك » من الكتب الجامعة ، وإن

لم يصلنا إلاّ مختصراً . . . وكتابه «جامع البيان في تفسير القرآن ...» .

أ – لم يعمر طويلاً : لا موجب إليها ، فليس الشرط بالإنسان أن يعمر طويلاً ، وإن ما عاشه الطبري – بحساب الموسوعة نفسها – ليس قليلاً (٨٤ عاماً) . ب – لم يقل أحد ان تاريخ الطبري لم يصل إلينا إلا مختصراً – وهو مطبوع . ج – جامع البيان – ط . هـ – ذكر الخطيب البغدادي ٢ : ١٦٣ أنه «قال لأصحابه أتنشطون لتفسير القرآن . قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون ألف ورقة . فقالوا : هذا مما تفني الأعمار قبل تمامه ؟ فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة . ثم قال : هل تنشطون لتاريخ العالم ... ؟ قالوا : كم قدره ، فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك ... » .

وأشك في أن تكون الموسوعة أرادت إلى هذا إذ قالت عن التاريخ «ولم يصلنا إلاّ مختصراً» لأن هذا لا يعني هذا ، ولأنها لو قصدت إليه لقالت مثله عند ذكرها التفسير ...

٢٧٥ – ص ١١٥٦ «طربوش ... وهي كلة فارسية الأصل تسللت إلى العربية في القرن ١٦ ، والطربوش مصنوع من الصوف الأحمر ...» .

أ – قد يكون الأولى في الكلمة أن تكون تركية وأنها تسللت عن طريق العثمانيين . لم أجدها في القاموس الفارسي . . . ب – الطربوش مصنوع من الصوف الأحمر : لا يوجد صوف أحمر (احمرار الطربوش) ، وإنما هو مصبوغ . كما انه لا يشترط في كل طرابيش الدنيا أن تكون حمرا إذا كان الطربوش المصري أحمر ...

٢٧٦ – ص ١١٥٧ «طرفة بن العبد ... شاعر جاهلي ، ولد بصحراء البحرين واليمامة ، وقتل غيلة بالبحرين ... وله شعر قليل مطبوع يدل على استهتاره ونزعته إلى التفكير المتشائم الهارب إلى اللذة والخمر ، وله معلقة طويلة » .

أ – لا توجد صحراء اسمها «صحراء البحرين واليمامة» . وقد يكون

الأنسب أن يقال ولد بالبحرين ، ولا بد من شرح البحرين ، لتغير مدلولها على مر الزمن ، لأنها اليوم تطلق على ما كان يسمى جزيرة « أوال » ، أما في القديم فالبحرين ـ كما ذكر ياقوت : « اسم جامع لبلاد على ساحل الهند بين البصرة وعمان ... » ويسمَّى الأحساء أو هجرا أو الخط ...

ب ـ له شعر ... : له ديوان مطبوع . ج ـ استهتاره : يحسن أن يذكر بعدها جار ومجرور : استهتاره بالخمر ـ مثلاً . إذا كان لا بد من استعمالها ، لأنها تعني في حقيقتها : الولوع بالشيء والإفراط فيه . والمستهتَرون هم الذين استهتروا بذكر الله أي أولعوا به ... ينظر اللسان (هتر) ، وهي من فوائد أستاذنا الدكتور مصطفى جواد . د ـ له معلقة طويلة : لا موجب لكلمة طويلة ، وكل المعلقات « مطوّلات » .

٢٧٧ ـ ص ١١٦٠ « الطغرائي ، الحسين بن علي ... أديب ولد بأصبهان . وكتب للسلطان ملكشاه وابنيه محمد ومسعود في أربل والموصل ، وتولى الوزارة ... » .

أ ـ مسعود هو ابن محمد . ب ـ كتب الطغرائي لملكشاه وتولى الطغراء لمحمد ولمحمود بن محمد . ج ـ تولى لمسعود الوزارة في الموصل .

٢٧٨ ـ ص ١١٦٠ « طغرل بك ، ركن الدين محمد بن مخائيل ١٠٣٨ ـ ١٠٦٣ من سلاطين السلاجقة (الفرع الإيراني) أخضع ملوك جرجان وطبرستان ، غزا خوارزم وما إليها في فارس ، دخل آسيا الصغرى ، فتح بغداد وخطب باسمه » .

أ ـ مخائيل : ميكائيل . ب ـ الفرع الإيراني : السلاجقة العظام . ج ـ خط فتوح السلاجقة بقيادة طغرلبك معروف وليس فيه أو منه ملوك جرجان وطبرستان وخوارزم ... وآسيا الصغرى ... د ـ فارس اقليم من أقاليم بلاد العجم وليست جرجان وطبرستان وخوارزم فيه وإنما هي أقاليم

تقع في شماله ـ يبدو أن الموسوعة خلطت بين أكثر من سلطان وبين أكثر من مكان وزمان .

٢٧٩ — ص ١١٦١ « الطقطاق ، محمـــد بن ... زعيم علوي في الحلة والنجف وكربلاء ، من أهم مؤلفاته « الآداب السلطانية » المعروف بالفخري ، تناول فيه علم السياسة وخلاصة تاريخ الدول الإسلامية » .

أ — الطقطقي : ابن الطقطقي لأنه محمد بن علي بن طباطبا بن الطقطقي .

ب — لا بد من ضبطه بالشكل : ابن الطِّقْطِقَى . جـ — لا معنى أو داع إلى : « زعيم علوي في الحلة ... » . إن حياته ترتبط بالموصل، وفيها ألّف كتابه لصاحبها فخـــر الدين عيسى بن إبراهيم (أو إبراهيم بن عيسى) .

د — الاسم الكامل للكتاب : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية .

هـ — علم السياسة كلمة ضخمة . قال صاحبه في المقدمة : « هذا كتاب تكلمت فيه على أحوال الدول وأمور الملك ... » .

٢٨٠ — ص ١١٦٤ « طه حسين ... تولى منصب مدير جامعـــة الاسكندرية ... « ... ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية ... » .

أ تولى ... . لم يكن طه حسين مديراً لجامعة الاسكندرية وإنما كان منتدباً لإدارتها يوم كان مستشاراً فنياً لوزارة المعارف وقد شغل المنصبين معاً . وكان مقره في القاهرة . ب — قول الموسوعة « ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية » غير دقيق لأنه يجعل حياة ابن خلدون جزءاً مهماً جداً من الكتاب وهذا غير صحيح ، ولم يتضمنه العنوان الفرنسي للكتاب بترجمته الحرفية : دراسة تحليلية ونقدية لفلسفة ابن خلدون الاجتماعية » أو عنوان الكتاب عنـــدما ترجمه عبد الله عنان إلى العربية : « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » .

٢٨١ — ص ١١٦٤ « طه الراوي ... له مؤلفات منها ... « تاريخ تفسير القرآن » و « تاريخ علوم الأدب ... » .

أ — لا أعلم أن للراوي كتاباً بعنوان «تاريخ تفسير ...» وقد ذكر ولده حارث طه الراوي في كتاب عنه مؤلفاته المخطوطة فجاء فيها: «تفسير بعض آيات القرآن الكريم، وتضمن هذا الكتاب محاضرات ألقاها الراوي على طلبة جامعة آل البيت ببغداد». ب — العنوان الصحيح لـ «تاريخ علوم الأدب»: تاريخ علوم اللغة العربية — ط. (بغداد، ١٩٤٩).

٢٨٢ — ص ١١٦٤ «طه الهاشمي ... جندي وسياسي عراقي ...».

كلمة جندي لا دلالة لها عند العرب عند إطلاقها على رجل وصل إلى مرتبة عميد في الجيش وشغل رئاسة الأركان ووزارة الدفاع ...

٢٨٣ — ص ١١٦٥ «الطهطاوي، رفاعة رافع ... اتصل بالمستشرقين سيلنستر دوساسي وكوزين دوبرسفال ...».

أ — سيلفستر: سلفستر Silvestre. ب — كوزين ...: كتوسان Cassin de Perceval.

(حرف الظاء)

٢٨٤ — ص ١١٧١ «الظفير: إمارة بالمملكة العربية السعودية تقع في جبال السراة ... أهم جبالها شمروخ ... قاعدتها بلجرشي، ومن بلادها الظفير وكانت العاصمة من قبل ...».

أ — الظفير: امارة ...: بــلاد غامد وزهران: امارة ...
ب — شمروخ: شمرخ (وهو في بلاد زهران). جـ — قاعدتها ...: كان مركز الإمارة في «الظفير» ثم انتقل إلى بلجُرشي (حوالي عام ١٣٧٥ هـ)، ثم انتقل إلى الباحة (عام ١٣٨٣).

الدكتور علي جواد الطاهر

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

- ٢ -

وصف جملة آثار الديار

الصورة الأولى الشهيرة التي تستوقفنا، وتلفت نظرنا في وصف الديار بجملة آثارها، ولا سيا الدِّمن والبقايا المنتثرة على الأرض، هي تشبيه الديار بالكتاب، أي الصحيفة المكتوبة. قال المرقش الأكبر في ذلك (١):

هل بالديار أنْ تجيبَ صَمَمْ　　لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ
الدارُ قفرٌ، والرسومُ كما　　رقَّش في ظهر الأديم قلمْ (٢)
ديارُ أسماءَ التي تبلَتْ　　قلبي، فعيني ماؤها يَسْجُمْ (٣)

أقام المرقش في هذه الصورة التشبيه بين فناء الدار وما أبقى فيها القوم الراحلون من دِمَن ورسوم ذات ألوان تخالف لون الرمال الممتدة حول الديار، وبين الصحيفة المكتوبة بما فيها من سطور مكتوبة بالسواد، يختلف لونها عن لون الصحيفة الأصلي.

(١) المفضليات ٢٣٧.
(٢) رقش: أي كتب وحسّن الكتابة. والأديم: الجلد، وكانوا يكتبون عليه.
(٣) تبلت قلبي: أي أصابت قلبي. ويسجم: أي يقطر بالدمع.

وينضاف إلى ذلك عنصر القِدَم والبلى في بقايا الديار التي تمحوها الرياح والمطر مع الزمن ، وفي الصحيفة المكتوبة التي تبلى وتمّحي سطورها على مر الزمن أيضاً ، فتحول ألوانها ، وتتمزق أطرافها . وهذا هو عنصر التأثير الفني في هذه الصورة .

وقد اكتشف شعراء العرب بخيالهم الشعري هذه العناصر المشتركة ، وكشفوا ما بينها من علاقة . فرسموا لذلك صوراً كثيرة على هذه الطريقة في شعر الوقوف على الأطلال . على أن الأعلم الشنتمري قال في شرح شعر لامرىء القيس : « وإنما يشبهون الرسوم بالكتاب ، لأنها تدل على مواضع الديار وتبينها ، كما يدل الكتاب على المعنى المراد ، ويعبر عنه ، مع دقته وحَقْرة حروفه [1] » . وهذا نظر عقلي ، فيه تكلف ظاهر ، وبعد عن الواقع . وقد شبه الشعراء الرسوم بأشياء أخرى غير الكتاب .

ولم تكن رؤية الصحيفة المكتوبة شائعة بين العرب في الجاهلية . ولم يكن الشعراء يرونها كثيراً في بيئة البادية . ولكنهم كانوا يرونها في أيدي الرهبان من النصارى والأحبار من اليهود . ولذلك تردد ذكر الرهبان والأحبار في هذه الصور . كما تردد ذكر المهـــارق [2] الفارسية ، أي الصحائف المكتوبة . والظاهر أن شعراء العرب كانوا يرون الصحائف الفارسية المكتوبة ، ولا سيما في مناطق شرقي جزيرة العرب ، وشمالها الشرقي في مشارف العراق ، حيث كان التأثير الفارسي سائداً بين قبائل العرب .

وخلاصة القول أن الكتابة لم تكن شائعة بين العرب في الجاهلية ، ومعرفتها كانت نادرة جداً بين قبائل العرب الضاربة في بوادي نجد ووسط

---

(١) ديوان امرئ القيس ٨٩ .

(٢) المهارق : ج مُهْرَق ، وهي الصحيفة المكتوبة ، فارسية معربة ، أصلها مُهرَه (المعرب ٣٠٣ ـ ٣٠٤) .

جزيرة العرب البعيدة عن العمران ، وهي جنة الشعر العربي في الجاهلية . ولكن الشعراء كانوا يرون الصحائف المكتوبة في أيدي رهبان النصارى وأحبار اليهود ورجال الفرس . فاستمدوا صورة الصحيفة المكتوبة منهم بطريق الاتصال بهم .

وقد ذكروا هؤلاء جميعاً في شعرهم الذي صوروا فيه آثار الديار بالصحيفة المكتوبة . والأمثلة على ذلك كثيرة موفورة . قال امرؤ القيس يذكر رهبان النصارى (١) :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفانِ ورسم عفَتْ آياتُه منذ أزمانِ (٢)
أتَتْ حِجَجٌ بعدي عليها ، فأصبحتْ كخط زَبُورٍ في مصاحف رهبانِ (٣)

وقال الشماخ يذكر الحَبْرَ اليهودي (٤) :

أتعرف رسماً دارساً قد تغيَّرا بذَرْوَةَ أقوى بعد ليلى وأقفرا (٥)
كما خطَّ عبرانيَّةً بيمينــه بتيماءَ حَبْرٌ ، ثم عرَّض أسطرا

وقال الحارث بن حِلِّزةَ يذكر المهارق الفارسية (٦) :

لمن الديارُ عَفَوْنَ بالحُبْسِ آياتُهـا كمهارق الفرسِ

* * *

(١) ديوانه ٨٩ .
(٢) عرفان : أي عرفان الديار . وآياته : علاماته وآثاره .
(٣) حجج : أي سنون ، مفردها حِجَّة . والمصحف : هو الكتاب في أصل اللغة . والزبور : الكتاب المزبور ، أي المكتوب .
(٤) ديوانه ٢٦ .
(٥) ذروة : اسم موضع . وأقوى : أي خلا .
(٦) المفضليات ١٣٢ .

والصورة التي تلي صورة الصحيفة المكتوبة في وصف الديار هي تشبيه آثار الديار بالثوب ، ولا سيما الثوب البالي منها . قال عَبيد بن الأبرص في ذلك[1] :

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هطّال   بالجوّ مثل سحيق اليُمْنَة البالي[2]
جَرّتْ عليها رياحُ الصيف فاطّردتْ   والريحُ فيها تعفّيها بأذيالِ[3]

نرى في هذه الصورة الأرض الواسعة الممتدة ، وعليها آثار الديار التي تخالف بألوانها الداكنة لون الأرض الأصلي ، وهو أغبر . وفي الطرف الآخر نرى الثوب اليمني البالي ، وعليه النقوش والزخارف بألوانها الحائلة التي تخالف لون الثوب الأصلي . ونلحظ أن هناك عنصراً مشتركاً بين آثار الديار القديمة وبين الثوب البالي هو صفة البِلَى والقِدَم . وبناء هذه الصورة يشبه بناء الصورة الأولى ، كما أن عناصر التصوير فيهما متشابهة .

ويستمد الشاعر عناصر صورته من بيئته التي يعيش فيها . فقد كان كثير من العرب ، ولا سيما الرؤساء والأشراف منهم يلبسون الثياب اليمنية . فهي من المرئيات التي يراها البدوي حوله كل يوم في بيئة البادية .

وقد أكثر شعراء الجاهلية من ذكر الثياب اليمنية في مجال التصوير في شعر الوقوف على الأطلال ، وتشبيه الديار بالثوب . والسبب في ذلك هو شهرة اليَمَن بصنع الثياب الملونة المنقوشة في الجاهلية ، واعتياد العرب لبس هذه الثياب الواردة من اليمن . والبرود اليمنية مشهورة عند العرب

---

(١) ديوانه ١٠١ .
(٢) الهطال : السحاب الذي يهطل بالمطر . والجو : المكان الواسع الخالي . والسحيق : البالي المسحوق . واليمنة : الثوب اليمني .
(٣) اطردت : أي صار فيها خطوط متتابعة متعرجة من هبوب الرياح .

في القديم، وقد تردد ذكرها كثيراً في شعر الشعراء في شتى أغراض الشعر. ولقد كانت اليمن موطن حضارة زاهرة في القديم. ومعظم الأشياء والأدوات المصنوعة التي كان العرب يستعملونها في الجاهلية مصدرها اليمن، مثل السيوف والثياب وغيرها.

هذا ونجد أمثلة كثيرة لتشبيه الديار بالثياب اليمنية في شعر شعراء الجاهلية.

* * *

والصورة الثالثة التي رسمها شعراء الجاهلية في مجال وصف آثار الديار هي تشبيه الديار بجفن السيف المزين المنقوش. قال طرفة بن العبد البكري في ذلك(١):

أتعرفُ رسمَ الدار قفراً منازلُه ... كجفن اليماني زخرف الوَشْيَ ماثِلُه(٢)

ديارٌ لسلمى إذ تصيدكَ بالمنى ... وإذ حَبْلُ سلمى منك دانٍ تُواصلُه(٣)

يشبّه طرفة في هذه الصورة بقايا الديار بغمد السيف اليماني المزخرف الموشى. والعلاقة بين عناصر الصورة هي الألوان والأشكال، واختلافها أو تشابهها. فهناك لون الأرض في البادية، وعليها بقايا الديار وآثارها بألوانها وأشكالها من جهة، ولون جفن السيف، وعليه النقوش والزخارف بألوانها وأشكالها، من جهة أخرى. والغاية هي تصوير آثار الديار بألوانها وأشكالها، ويتم ذلك للشاعر بتشبيهها بألوان النقوش والزخارف وأشكالها في جفن السيف اليماني.

---

(١) ديوانه ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) اليماني: السيف اليماني. وجفن السيف: غمده. وماثله: أي صانعه.

(٣) حبل سلمى: وصالها ومودتها.

والعلاقة بين الديار وجفن السيف في هذه الصورة كالعلاقة بين الديار وبين الثوب البالي والصحيفة المكتوبة في الصورتين السابقتين . وذلك أن الموضع الذي تقع فيه الديار له لون خاص ، هو لون الصورة العام ، ويكون أغبر أصفر مائلاً إلى البياض ، أي اللون الغالب في البادية . أما الديار فلها لون خاص ، يختلف عن اللون العام للموضع الذي تكون فيه ، وتضرب في الغالب إلى الدكنة والسواد . وكذلك الأمر في جفن السيف والثوب البالي والصحيفة المكتوبة . فهذه الأشياء لها لون في الأصل ، هو اللون العام فيها . وفوق هذا اللون العام تأتي الزخارف والنقوش في جفن السيف أو الثوب البالي ، وتكون جميعها بألوان مختلفة عن اللون العام الأصلي . وتأتي كذلك سطور الكتابة في الصحيفة المكتوبة ، وتكون بالمداد الأسود في الغالب ، وتغاير لون الصحيفة العام ، وهو الأبيض أو الأصفر وما إليهما .

ونرى أن العلاقة بين عناصر التصوير واحدة في الصور جميعاً . فلون الموضع العام الذي تقع فيه الديار يقابل اللون الأصلي في الصحيفة أو الثوب أو جفن السيف . ولون آثار الديار يقابل لون السطور في الصحيفة ، وألوان النقوش والزخارف في الثوب وجفن السيف .

وقد استمد الشعراء التشبيه في هذه الصورة من بيئتهم الخاصة التي يعيشون فيها ، إذ كان السيف من أدوات الحرب الضرورية في الجاهلية ، لأنه سلاحهم الأول الذي كانوا يستعملونه في حروبهم ، وكانوا يحملونه في أسفارهم . والسيوف اليمانية هي مدار التصوير في هذه الصورة ، كما كانت الثياب اليمانية مدار التصوير في الصورة السابقة . فقد ردد الشعراء ذكرها كثيراً في معارض هذه الصور . وذلك لاشتهار اليمن بطبع السيوف الجيدة

المزخرفة مثل اشتهارها بصنع الثياب الجميلة الملونة . وهذا أيضاً دليل آخر على غنى اليمن القديمة ، وازدهار الحضارة فيها .

* * *

وهناك أخيراً صورة رابعة شائعة في شعر الوقوف على الأطلال ، رسمها الشعراء في مجال وصف آثار الديار ، وهي تشبيه آثار الديار بالوشوم في الكف أو في معصم اليد ، والوشم نقوش تنقش بطريقة خاصة (١) في ظاهر الكف ومعصم اليد وأنحاء معينة من الوجه وغيره للزينة والتجميل ولذلك شاع اتخاذ الوشم بين النساء بصورة خاصة . قال زهير بن أبي سلمى في ذلك (٢) :

لمن طللٌ برامةَ لا يَرِيمُ   عفا ، وخلا له عهدٌ قديمُ (٣)
يلوحُ كأنه كفَّـا فتـاةٍ   تُرَجَّعُ في معاصمها الوشومُ (٤)

يقيم زهير التشبيه في هذه الصورة بين بقايا الدار على الأرض بألوانها الحائلة التي تختلف عن لون الأرض ، وبين آثار الوشم في المعاصم بألوانها الكامدة التي تخالف لون المعاصم .

---

(١) وذلك أن المرأة تغرز ظهر كفها ومعصمها بإبرة أو بمسلة حتى تؤثر فيـــه ، ثم تحشوه بالكحل أو النيل أو النَّؤور ، وهو دخان الشَّحم ، فيزرق أثره أو يخضرّ .

(٢) ديوانه ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٣) لا يريم : لا يزول . وخلا له : مضى له .

(٤) ترجع أي تُرَدَّد مرة بعد مرة ، ويعاد عليها حتى تثبت .

والعلاقة بين عناصر التصوير في هذه الصورة هي علاقة الألوان واختلافها ، وعلاقة الأشكال وتشابهها ، كما هي الحال في الصور السابقة سواء . يقابل زهير في مخيلته الشعرية بين لون المكان الأصلي الذي تقع فيه الديار وبين لون المعصم الذي فيه الوشم . ثم يقابل بين ألوان آثار الديار وأشكالها وبين ألوان الوشوم وأشكالها في المعصم .

والوشم عادة اجتماعية كانت معروفة عند العرب في الجاهلية ، هي مازالت منتشرة بينهم في البوادي والأرياف إلى اليوم . ولذلك يمكننا أن نقول إن الوشم كان من الأشياء التي يراها الشاعر كل يوم في بيئته الخاصة . فاستمد التشبيه في هذه الصورة من هذه الرؤية الدائمة .

(يتبع) عزة حسن

التعريف والنقد

الغابة المنسية

ديوان للشاعر المصري أحمد مخيمر

من منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر

عدد الصفحات (٣٨٠) صفحة من القطع الصغير طبع عام ١٩٦٥

الأستاذ أحمد مخيمر شاعر عربي الأصل ، بل هو من أصل دمشقي ، وإن ولد في مصر ، وشعره يوحي إليك بالطبع السليم والسليقة الصادقة ، وإن كنت تلمح فيه بعض الإبهام حيناً ، وبعض الضعف التركيبي في أحيان أخـــرى ، رغم أنه من طلاب دار العلوم التي خرَّجت أفضل شعراء الشباب في مصر .

قدَّم الشاعر لديوانه مقدمة ضافية وصف فيها بصراحة ووضوح بداية حياته ، ورأيه في الشعر الذي تراوح بين الرجمية والواقعية ، كما بحث حرية الفنان وإيمانه بهذه الحرية التي أدت بالشاعر إلى ـ تحطيم البحور المعروفة ـ عافاه الله وأبقاه ، كما فعل في ديوان « بوذا » ، ولست أدري كيف استطاع هذا الشاعر الموهوب الذي عاش بين مضارب البدو في بلدته وبين الأزهر ودار العلوم في القاهرة ، وكلاهما حصن من حصون اللغة العربية ، أقول لست أدري كيف استطاع أن يعمل على تحطيم بحور الشعر العربي .

أما شعر الشاعر فقوي عربي ، لولا شيء من التفكك ، في بعض أبياته ، وهذه من طبيعة الشاعر الذي يتصب عليه الشعر انصباباً ، ويأتيه وحياً وإلهاماً ، فلا يكون لديه وقت للتجويد والتصنيع ، ولكن أحمد مخيمر

شاعر مطبوع ، يشهد بذلك ديوانه هذا ودواوينه الأخرى ، والمجلات ودور الإذاعة ، وهاتيك الأغاني الوطنيَّة التي تحمل طابع أحمد مخيمر ، في السهولة والانطباع والجمال الفني .

وأرجو أن تقرأ هذه الأبيات الثلاثة التي أثبتها في مقدمة ديوانه « النابة المنسية » وهي :

قلبي بقلب الوجود متصل يأخذ منه الحقيقة الأولى
يا لزماني ، فكيف يفهمني قلت سؤالاً ، أو كنت مسؤلا
برغم ما تقرأون من كلي فإنني ما أزال مجهولا

لتعرف أي شاعر هذا الشاعر الذي احتل مقاماً مرموقاً بين شعراء مصر المعاصرين.

أحمد الجندي

ديوان الكعبي

من منشورات المكتبة الحيدرية في النجف عام ١٩٦٥ (الطبعة الثانية)
عدد صفحاته (٥٠٠) صفحة من القطع المتوسط

هذا ديوان شاعر يدعى الحاج هاشم بن حردان الكعبي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري والربع الأول من القرن الثالث عشر في العراق ، وقد جمع هذا الديوان المراثي التي قالها الشاعر في سيدنا الحسين (عليه السلام) شهيد كربلاء ، حتى لقد عُدَّ هذا الشاعر مختصاً بالتفجع على الإمام الشهيد وذكر مناقبه وفضائله ، وقد قدم للديوان وعلّق عليه وصححه السيد محمد حسن آل الطالقاني .

ويبدأ الديوان بمقدمة طويلة للأستاذ الطالقاني بدأت بـ : التمهيد والاستشراق والمستشرقين ثم انتهت بالحديث عن ديوانيه : المخطوط والمطبوع وبعض الملاحظات والخاتمة : وهذه المقدمة الطويلة تقع في قرابة (٩٠) صفحة .

أما شعر الديوان فمن الشعر المحافظ على الأسلوب العربي والقافية المعروفة عند العرب ، وهو يعتبر شعراً تقليدياً ، فلا ترى فيه أثراً للتجديد ، والشاعر يحاكي الشعراء العرب في ذكر العيس والأطلال واجتماع الشمل والتعريس والنزوح بحيث تجد نفسك أمام ديوان قديم في طريقته وإن كان جديداً في تاريخه .

أما رثاؤه للحسين (عليه السلام) فلم يخرج عن رثاء رجل أحس بالفجيعة فبكى بكاءً صادقاً وذكر أهل البيت ممن شهدوا الوقيعة .

وهذا اللون الشعري كثير في دواوين شعراء النجف وكربلاء والحلة ، وهو يكاد يكون لوناً خاصاً بأدباء هذه المنطقة الذين أخلصوا الود والفجيعة إزاء مقتل الحسين كما جعلوا ذكرى هذه الواقعة جزءاً من حياتهم .

أ . ج .

ديوان السيد موسى الطالقاني

تحقيق محمد حسن آل الطالقاني وطباعة النجف عام ١٩٥٧ م

عدد صفحاته / ٤٧٢ / صفحة

هذا ديوان لشاعر نجفي عاش ما بين عامي ١٢٣٠ — ١٢٩٨ للهجرة ، تضمنت الصفحات الأولى تقريظاً بخط العالم الجليل الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله ، وفهرساً بأبواب الديوان ، ثم بصورة للشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب الكتابين الكبيرين (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) وقد أهدي الديوان إليه : كما أثبت صورة أخرى لناشر الديوان . وبعد ذلك حديث عن أسرة الشاعر ، ثم مقدمة بقلم الناشر ، تحدث فيها عن حياته وأسرته وتأثره بالشعراء السابقين وخاصة الشريف الرضي .

أما الشريف الرضي فكل شاعر في النجف وما جاورها من المناطق العراقية متأثر به ، كما هو متأثر بمهيار وبنهج البلاغة للامام علي رضي الله عنه .

أما التقريظات الكثيرة والأماديح المتعددة في مقدمة الديوان فلا تعطينا فكرة صحيحة عن الشاعر وكنا نتمنى لو أن الناشر استغنى عنها لقلة جدواها ، ولأن الناظر في الديوان لا يجوز ، أو لا يمكن أن يعتمد عليها في تكوين رأي خاص بالشاعر .

والديوان يشتمل على الأبواب الشعرية الآتية : المدائح ، المراثي ، الوجدانيات ، التهاني ، الموشحات الحماسيات ، التخميس والتشطير ، المراسلات ، الإخوانيات ، التفرقات . كما تضمن عدداً من الفهارس المختلفة .

وأما شعر الديوان ؛ فقوي ، بالغ القوة ، وهو كما رأيت من أبوابه ، يسير على الطريقة التقليدية المعروفة ، ولكن الشاعر يتمتع بملكة لفظية حبته إياها حافظة قوية وثقافة عربية أصيلة ، واسمع لهذه الأبيات يخاطب فيها أحد أصحابه ، وهي تذكرك بكثير من شعر البحتري وأبي تمـــام والشريف الرضي ، قال :

ملكت قيادي بالجميل الذي تسدي ... إليَّ يدا جدواك يا كوكب المجد
وأرغمت حسّادي فأضحت روامقاً ... نواظرهم شزراً إليَّ من الحقد
وما أنا ممن يُخْلِقُ البين ودَّهُ ... ولا أنا ممن حال يوماً عن العهد

إنه الشعر القوي الذي يعتمد على الديباجة الرصينة والحبكة المتينـة ، ولكنه ، كالكثير من الشعر العراقي ، يزهد دائماً بالصور البراقة اللماحة والخيال البعيد الرائع .

أ . ج .

شوقي وأمارة الشعر

تأليف عبد الرحيم محمد علي ، عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة
طبع الكتاب في مطبعة « الغري الحديثة » في النجف عام ١٩٦٨ م
ويقع في (٦٤) صفحة

هذا كتاب تعرّض لموضوع قامت حوله مناقشات كثيرة كانت أقرب إلى التشاحن والتنابذ ، وهو موضوع أمارة الشعر التي لم يفد منها شوقي الشاعر إلا كثرة الخصـــوم وتأريث العداوات التي أملاها الحسد وأوجدها التنافس البغيض .

فشوقي كان أكبر شاعر في عصره ، سواء أكان أميراً أو لم يكن ، وشوقي كان إذا نطق بزّ القائلين ، وإذا نظم ترك الناظمين خلفه ما يطيقون له لحاقاً ، والذي أراه أن شوقي لم يكن راضياً عن هذا اللقب إلا لأنه ذكرى من ملك صدقه الودّ ومنحه من كرمه وحبه ما لم يستطع جحوده ونكرانه ، كما قال صاحبه المتنبي قبله :

لكن وجدت قبيحاً أن يجاد لنا وأننا بقضـاء الحق نُبخّالُ

وقد أهدى المؤلف الكتاب إلى روح الشاعر الكبير الشيخ عبد المحسن الكاظمي ، وحسناً ما فعل ، ثم يلي الإهداء المقدمة القصيرة التي كتبها المؤلف والتي وردت فيها العبارة التالية التي لفتت نظرنا وهي :« وبالرغم من أن شوقي كان متصلاً بالقصور ، ومتفانياً في طلب رضى ساكنيها . فهو علم من أعلام عصره » وقد وجدنا أن جزء العبارة الأول لا يتعلق بجزء العبارة الثاني ، وما العلاقة بين اتصال الشاعر بالقصر وبين شعره ما دام الشعر جيلاً والكلام موفقاً .

لقد كنا نريد للمؤلف أن لا يسير على غرار النقاد الذين ينظرون لشعر الشعراء من خلال صفات خاصة بهم لا ارتباط بينها وبين شعرهم ، وإن أحسن النقد هو النقد الوضعي الذي يدرس الشعور مجرداً ، كما يدرس المؤرخ أحداث الزمن من خلال الواقع الصحيح .

ولم يكن شوقي كما قال العقاد ـ رحمه الله وغفر له ـ (علماً في جيله) فحسب ، بل إنه لَعَلَمٌ في تاريخ الأدب العربي كله ماضيه وحاضره ، فالعبارة ـ العقادية ـ تبدو وكأنها انتزعت من كتاب « الديوان » القديم لا من رأيٍ جديدٍ مبنيٍ على الدرس وأصول النقد .

ثم تتعاقب فصول الكتاب : النظرة التاريخية ، شوقي مبدأ المشكلة ، جماعة تحدثوا عن الأمارة ، الخاتمة ، ثم الفهارس .

ونحمد الله أخيراً على أن هذا الجيل الأدبي قد نسي البحث في الأمارة الشعرية ، فالشعر هو الذي يؤمن نفسه .

على أن الكتاب يعتبر بحثاً جريئاً وفهماً خاصاً للشعر قد توافقه على بعضه وتخالفه في بعضه الآخر ، وخاصة في آرائه التي تراها تحاملاً صريحاً على الشاعر ولعل المؤلف قد تأثر بمدرسة العقاد وغيرها من المدارس المتطرفة ، ولكن هذا الكتاب ، على كل حال ، يتضمن علماً ، ويتضمن دراسة واعية .

أ . ج .

ديوان الشيخ أحمد تقي الدين

جمعه ونشره المحامي حليم تقي الدين

الطبعة الأولى في (٣١٠) صفحات من القطع المتوسط

طبع عام ١٩٦٧ في (دار الأحد) ـ بيروت ـ لبنان

لخصت الصفحة الأولى من الديوان محتواه الفني فهو : يحتوي مجموعةً من شعر الشاعر وما قيل في مأتمه وفي حفلة ذكراه ، في مدرسة الحكمة ، وما نشرته الصحف عنه .

وتضمنت الصفحة الثانية صورة الشاعر وبيتين من شعره يوحيان بشعور من التشاؤم ، وأثبت تحت الصورة عمر الشاعر الذي امتد بين عامي (١٨٨٨ — ١٩٣٥ ميلادية) .

كتب مقدمة الديوان الأستاذ فؤاد افرام البستاني رئيس الجامعة اللبنانية وهو شخصية أدبية معروفة ، وكتب التصدير نديم ناصر الدين ، وهو صديق الشاعر أو قريبه ، وكتب الإهداء ناشر الديوان المحامي حليم أحمد تقي الدين ولد الشاعر .

وشعر الديوان حافل بالمناسبات فأكثرها نظم أو ألقي في الحفلات المدرسية أو الاجتماعات البلدية ، أو بتكليف من لجنة خيرية أو جمعية للبر والتقوى ، وقد أشار ناشر الديوان إلى كل هذه المناسبات في صدور القصائد .

ولا يفهمنَّ من ملاحظتي هذه أنني أنكر على الشاعر شعر المناسبات ، بل إني لأرى أن الشعر لا يكون بغير مناسبة ، أما شخصيةٌ يحس بها الشاعر بين جوانحه أو يراها قبلة يحيط به من عالم مملوء بالمناسبات التي توحي بالكثير من الشعر الرائع الجميل كتلك المناسبات التي نظم فيها شوقي قصائده الوطنيات

في دمشق والبلاد العربية الأخرى ، فالناسبة تهيء الجو الشاعر ، ولكن على الشاعر أن يحسن الاستفادة من هذا الجو . أما المناسبات التي لا شعر فيها فلسنا في معرض الإشارة إليها لأنها خارجة عن موضوعنا ، ولأنها أساءت في كثير من الأحيان إلى كثير من الشعراء .

على أن شعر الشاعر فيه رصانة وفيه وضوح وإن لم يكن يوحي إليك بثقافة عميقة لأن الصور فيه قليلة والخيال قصير المدى لا يحلق بك ولا يطير ، وكل ما تلقاه في هذا الشعر أنك تجد نغماً عذباً وألفاظاً جميلة وموسيقى تريحك وترضيك كما في قصيدته (النقاط الثلاث) ومطلعها الجميل :

هل لمثلي قريحة سمحاء وبراع يطيعه ما يشـــاء
فأريك الجمال روحاً وجسماً في حديث يسيل منه الرواء

أ. ج.

آرا الجميل

ملحمة شعرية تاريخية نظمها لويس رزق

تقع في (٢٥٨) صفحة من القطع المتوسط طبعت عام ١٩٦٦ م

هذه ملحمة شعرية تاريخية ، وهي قصة شعرية كما أراد تسميتها مقدمها الأستاذ سعيد عقل ، شعر هذه القصة من الشعر المحافظ على الأسلوب العربي الأصيل ، وقد التزم ناظمها فيها البحر الخفيف ، والتزم القافية الواحدة في مقطوعات تتراوح بين عشرة وخمسة عشر بيتاً ، وهي طريقة تريح الشاعر من عناء تكلف القافية الموحدة .

أما أشخاص القصة فغرباء عن أدب العرب كما يبدو من العنوان ، فهم ملك أرمني وابنه وملك آشوري وزوجته ، والأسماء غير عربية أيضاً من مثل : آرام ، آرا ، شامرام ، ارداز .. الخ .

أما الموضوع فعادي يشبه الموضوعات التي تناولتها القصص التمثيلية في أدب الغرب ، فهو يتلخص في أن ملكة تنتزع من زوجها الملك وتحب أميراً آخر فتجد في النهاية أن هذا الأمير قد أحب واحدة أخرى غيرهـا . وقدّم للقصة الأستاذ سعيد عقل الشاعر اللبناني المعروف فكتب ما كتب بالطريقة التي عرفت عنه من تجديد يعتمد على غموض العبارة ، وتطور يحاول تغيير الجملة العربية بإيثاره الصعوبة البيانية على السهولة الأخاذة .

الشعر في القصة جميل والمعاني موفقة ، إلا أن الأسماء الأعجمية التي تكاثرت فيه قد أساءت إلى نغمته وموسيقاه العربية ، وهناك اصطلاحات لجأ إليها الشاعر قد لا تتلاءم مع الأذن العربية التي لا تعرف غير الوضوح بياناً عربياً غير ذي عوج ، من مثل قوله : رفوف العذارى ، وغنج السعود ، ولكن الشاعر يوفق إلى حد بعيد حين يتضح له المنى في مثل قوله :

آه ما أعذب الحياة ، فما الخلـــــد سوى الحب ، تقتفيه حيارى

إنه يصور عذوبة الحياة ، وخلود الحب ، وحيرة المحبين أحسن وصف وأعذبه .

كنت أرجو للشاعر أن يكون موضوعه عربياً صرفاً ، لا عن تعصب وضيق صدر ، بل لأني أوثر العرب على غيرهم في كل مزية حسنة .

أ . ج .

❋❋❋

خمس رسائل ليوسف يعقوب مسكوني

١ — الألحان والتراتيل الأرامية والعربية في كنائس البلاد العربية الشرقية ، فقد ذكر فيها أقسام الألحان السريانية ، والموسيقى الكنائسية ، والألحان الموسيقية في الطقس الكلداني ، وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٥م وعدد صفحاتها ١٠ .

٢ — مخطوط كتاب الفاضل في صفة الأدب الكامل لمحمد بن أحمد بن اسحاق المعروف بالوشاء وهو عالم بالأدب ، من أهل بغداد ، كان يحترف التعليم ، وتوفي سنة ٣٢٥ هـ = ٩٣٤ م ، والمخطوطة كلها من خط يد واحدة وتنسيق واحد ، وخطها واضح جداً ، وعناوين الفصول والمواضيع مكتوبة بالخط الأحمر ، والكتابة بالحبر الأسود الثابت الجيد . وقد تم نسخ هذا المخطوط في ١٦ شوال سنة ١٣١١ هـ بخط محمود بن عثمان الشهير بخطيب التمانية (ببغداد) . وطول المخطوط ٢٤ سنتيمتراً ، وعرضه ١٥ سنتيمتراً ، وعدد سطور كل صفحة ٢٥ سطراً بالخط الواضح الجيد ، وقد طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .

٣ — نصارى كسكر وواسط قبيل الإسلام ، ذكر المؤلف فيها مار ابراهام الكشكري الأول الجاثليق سنة ٩٨ — ١٢٠ م ، ويعد أول مؤمن مسيحي من ديار كشكر الكائنة في جنوب العراق ، والقرية آثارها ، وآثار مدينة واسط التي شيدت على أنقاضها ، من مدينة الحي الكائنة على نهر الحي المتفرع من نهر دجلة ، وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩٦٤ م ، وعدد صفحاتها ١٥ .

٤ — فتح العرب للصين ومعركة طلس أو الطليع لغزو بلاد الصين للمستشرق الانكليزي دي . ايم . دنلوب الأستاذ بجامعة كولومبيا . ترجمه عن

الانكليزية الأستاذ مسكوني . فذكر المؤلف فيها معلومات قيمة وقد رجع إلى مصادر جديدة ساعدته على تجويد بحثه واتقانه ، وقد طبعت بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٨ ، وعدد صفحاتها ١٤ .

٥ — رسالة يعقوب بن اسحق الكندي في حوادث الجو ، قام بنشرها وتعريفها مع موجز لحياة الكندي الأستاذ مسكوني ، وهي ضمن مجموعة من مخطوطات خزانة فاتح بجامع السليمانية باستانبول برقم ٥٤١١ ، وطبعت بمطبعة شفيق ببغداد سنة ١٩٦٥ ، وعدد صفحاتها ١٦ .

وبالختام نشكر الأستاذ يوسف يعقوب مسكوني على ما بذل من جهد في تأليف وتحقيق ونشر هذه الرسائل التي تعد من المباحث الأصيلة لتراثنا العلمي والأدبي ، متمنين له النجاح والتوفيق .

عمر رضا كحالة

❊❊❊

النار في حياتنا وتراثنا

تأليف : عبد القادر عياش

عدد صفحاته ٩٦ ، من منشورات صوت الفرات ـ دير الزور ١٩٦٨

هذه رسالة تحوي ٥٣ فصلاً ، جميعها وثيقة الصلة بأجزاء موضوعاتها . ويتمم بعضها بعضاً ، وما من تقليد أو معتقد قديم حول النار عند شعب إلا وقد ترك أثراً صغيراً أو كبيراً في الحياة الحاضرة لذلك الشعب .

وقد قصد المؤلف من عرض هذه الفصول ، إثارة موضوعات وضع النار في منطقة وادي الفرات ، وتسجيل ما يتصل بالنار من فنون الإبداع الشعبي دون الإحاطة بها .

فذكر المؤلف اكتشاف النار واستعمالها ، وأماكن النار وآنيتها ، ونشوء وسائل الاستضاءة ، والنار في الأساطير ، والنار في الفلسفة الاغريقية ، والنار في اللغة العربية ، ومعالجة النار وأحوالها ، وأصوات النار ، وآثار النار في الإنسان والأشياء ، وألفاظ النار والاستنارة في تسمية المعاني والأشياء ، والنار في الحرب ، ونيران العرب ، والنيران المجازية ، والنار عنوان الكرم عند العربي الجاهلي ، ونار القرى في القصص العربي ، والنار في الشعر العربي القديم ، والنار في أمثال الشعوب ، والنار في تقاليد الشعوب ، والنار في ألعاب الشعوب ، والنار في معتقدات الشعوب ، والتحريق ، وإحراق جثث الموتى ، وإحراق الأشخاص أحياء ، وإحراق الكتب ، والانتحار بالنار ، والأرض المحترقة ، والنار في قصص القرآن ، ونار الآخرة في مؤلفات عربية وأوربية ، والحريق وإطفاؤه ، والنار في التشريع ، والنار في الفكاهة ، والنار في الفنون التشكيلية وغيرها ، والنار في تعابير الكتّاب ، والنار في الشعر العربي الحديث ، والنار وما إليها في وادي الفرات ، واستحداث النار واقتباسها ، والوقود المستعمل في الفرات ، وأسماء النار وأفعالها ، والنار في أمثال أهل الفرات ، والنار في قصص أهل الفرات ، والتداوي بالنار ، والاحتكام إلى النار ، والنار في ألعاب صبيان دير الزور ، والانتحار بالبترول في دير الزور .

وبالختام نشكر الأستاذ المؤلف على ما لاقى من عناء ونصب في جمع هذه المعلومات القيمة وتنسيقها ، متمنين له كل نجاح وتقدير .

ع . ك .

Les bibliothèques arabes publiques et
semi - publiques en Mésopotamie
en Syrie et en Egypte au
Moyon age
par : Youssef Eche
447 p.
Damas 1967

المكتبات العربية العامة ونصف العامة
في العراق وسورية ومصر في القرون الوسطى
تأليف : يوسف العش

عدد صفحاته ٤٤٧

من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٧ م

مؤلف هذا الكتاب الدكتور يوسف العش ، أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في القطر العربي السوري ، فقد درس في معهد الوثائق والشروط باريز ، وعاد إلى دمشق فعين محافظاً لدار الكتب الظاهرية ، فمكث فيها ما يقرب من عشر سنوات ، نسق فيها كتبها المطبوعة والمخطوطة ، ووضع فهرساً في مجلد للمخطوطات التاريخية التي تحويها الدار المذكورة .

ثم انتدب لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فعهد إليه بمديرية معهد المخطوطات العربية ، فرحل إلى بعض البلاد العربية والإسلامية ، وصور عدداً كبيراً من المخطوطات القيمة التي تبحث في كثير من المعارف البشرية ، فكانت خير مصدر للباحثين والمؤلفين .

وعاد إلى دمشق فعين مديراً للاذاعة العربية السورية ، فأميناً لجامعة دمشق ، فأستاذاً بكلية الشريعة للتاريخ واللغة الفرنسية ، فعميداً لها ، وتوفي بدمشق في ١١ نيسان ١٩٦٧ م .

وقد خلف بعض المؤلفات المخطوطة والمطبوعة — منها هذا الكتاب القيم الذي نقدمه للقراء . وقد قدمه الأستاذ المرحوم لجامعة السوربون بباريز ونال به درجة دكتوراة الدولة ، ويضم هذا السفر بين دفتيه الأبحاث الآتية :

الحضارة العربية والكتاب ، تنسيق المكتبات العربية العامة ، عصر بيت الحكمة ، عصر بيت دار العلم ، مكتبات بغداد وغيرها بالعراق ، مكتبات دمشق ، مكتبات حلب ، وغيرها من مكتبات المدن السورية ، ومكتبات القاهرة العامة وغيرها من مكتبات مصر .

ثم ذكر مجموعات هذه المكتبات وما فيها من الكتب ، والطريقة التي اتبعت في تنسيقها وفهرستها ، فإدارة هذه المكتبات وميزانياتها وأعمالها .

وختم أبحاثه بخلاصة عامه ، ثم اتبعها بفهرس عام للأعلام ، ودور الكتب ، والأمكنة والبلدان ، وأسماء الكتب التي وردت في الكتاب ، ففهرساً للموضوعات ، فثبتاً بالمصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، وقد بلغ عددها ٣٥٣ مصدراً في العربية والفرنسية والإنكليزية .

وقد أحسن المعهد الفرنسي بدمشق صنعاً بنشر هذا الكتاب الذي يعد من المصادر الأصيلة لباحث حضارة العرب والإسلام ، كما نشكر الأساتذة اندره ريمون ، وبرجه ، وفهد عكام ، على ما بذلوا من جهد في تصحيح الكتاب ووضع فهارسه ، راجين للمعهد المذكور كل تقدم ونجاح .

ع . ك .

الأستاذ الرئيس

الأمير مصطفى الشهابي

(١٨٩٣ — ١٩٦٨ م)

فقيد العربيّة
الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي

نعى مجمع اللغة العربية بدمشق عصر يوم الإثنين في ١٥ صفر ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٣ أيار (مايو) ١٩٦٨ م، رئيسه العلامة الأمير مصطفى الشهابي، كما نعاه مجمع القاهرة، فكان لنعيه الصدى الأليم في أرجاء الوطن العربي، إذ كان الفقيد الكبير علماً من أعلام العربية، تقدم صفوف حماة الفصحى المنافحين عنها، المرابطين على ثغورها المتصلة بالحضارة المعاصرة والعلم الحديث.

بدأ الفقيد حياته على فترة من الزمن دالت فيها دولة العرب، فتسربت الرطانة إلى لغة الناس، واستعجمت خلالها لغة الدواوين والعمال، حتى إذا ما تطلع الغيارى على الفصحى إلى من يحمل عبء الحفاظ على لغة القرآن، تقدم الفقيد وزملاء له عاقبين الطلائع من الرجال، فحملوا الأمانة ووفوا أمّ اللغات حقها عليهم، فكان وكانوا أعلام النهضة العربية الحديثة.

لقد ظل فقيدنا العظيم أكثر من نصف قرن يدافع عن سلامة العربية، ويعمل على إثرائها لتساير ركب الحضارة وتقوم بمتطلباتها، ولتفي بحاجات العلوم المستحدثة، حتى قضى، وهو وراء مكتبه، بعد أن دفع إلى المطبعة آخر مقال له لينشر في هذا العدد من مجلة مجمع دمشق، وبعد بضعة أيام فقط من آخر جلسة عقدها مجلس هذا المجمع، ولقد ظل الفقيد ما يقرب من تسع سنوات رئيساً له، فكان ثالث رؤسائه الأعلام المغفور لهم كرد علي ومردم بك.

★ ★ ★

نسب الفقيد ونشأته ودراسته

ينتسب الفقيد إلى أمراء بني شهاب القرشيين المخزوميين الذين دخلوا بلاد الشام عند الفتح الإسلامي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، والذين حكموا جبل حوران في سنة ٥٦٨ هـ أيام الملك العادل نور الدين محمود زنكي، ثم حكموا وادي التيم فلبنان حتى سنة ١٨٧٠ م على ما هو معروف في تاريخ الشام وتاريخ جبل لبنان والأسرة الشهابية .

ولد الفقيد في غرة شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٩٣ للميلاد (١٣١١ هـ)، في بلدة حاصبيا مقر بني شهاب في وادي التيم في سفح جبل حرمون (الشيخ) اللبنانية، وكانت من أعمال دمشق، وفي حاصبيا أولاً ثم في بعلبك، حيث انتقل أبوه الموظف في مالية ولاية سورية إليها، تلقى الفقيد علومه الأولية، ثم انتقل إلى دمشق سنة ١٩٠٥ م حيث دخل المدرسة البطريركية الكاثوليكية ومكث فيها سنتين، يتلقى دروساً في العربية والفرنسية ومبادىء العلوم العصرية .

وفي سنة ١٩٠٧ م سافر الفقيد مع شقيقه الأكبر الشهيد الأمير عارف الشهابي [1] إلى الآستانة عاصمة الدولة العثمانية، وفيها دخل مدرسة إعدادية

---

(١) ترجم الزركلي صاحب « الأعلام » الشهيد الشهابي كما يلي :

[عارف بن محمد سعيد بن جهجاه بن حسين، من أمراء الأسرة الشهابية كاتب من الخطباء الشعراء، من شهداء العرب صبراً في ديوان عاليه التركي .

ولد في حاصبيا (من أعمال دمشق) - ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م - وتعلم في دمشق والآستانة، وشارك في إنشاء « المنتدى الأدبي » في الثانية، وحمل شهادتي الحقوق والملكية، وعاد إلى سورية، فمارس بعض الأعمال الكتابية والإدارية سنتين، واستقال فاحترف المحاماة، ودرّس التاريخ في إحدى المدارس الأهلية، متطوعاً لبث المبادئ القومية في تلاميذها . ونشر مقالات كثيرة في =

فرنسية مكث فيها سنتين كان خلالها يدرس على شقيقه الطالب في المدرسة الملكية العالية ، اللغة العربية وآدابها وتاريخ العرب والإسلام ، حتى إذا ما أنهى الشقيق دراسته عاد مع أخيه إلى دمشق .

ودخل الفقيد في دمشق المدرسة السلطانية الثانوية (مكتب عنبر) ولبث فيها سنة ، فلما كانت سنة ١٩١٠ م ، اختارته جمعية أهلية ، ألفها أهل الفكر في دمشق ، واحداً من بعثة قررت إيفادها إلى فرنسة لمتابعة التحصيل العالي فيها ، فسافر وحصل بعد سنة دراسية واحدة على شهادة الدروس الابتدائية العليا من مدرسة مدينة Chalon - sur - Saône ، ثم دخل مدرسة غرينون Grignon الزراعية العليا وتابع دروسه فيها حتى حصل سنة ١٩١٤ م على شهادة (مهندس زراعي) . وعاد الفقيد صيف السنة المذكورة إلى الآستانة حيث نجح في فحص شهادة التعادل العثمانية ، وكانت نيران الحرب العالمية الأولى قد اندلعت ، فاضطر الفقيد إلى دخول المدرسة الحربية في العاصمة العثمانية مرشحاً لرتبة ضابط احتياط في المشاة ، ثم انتقل إلى مدرسة البرق والهاتف الحربية وتخرّج بعد ستة أشهر برتبة وكيل ضابط ، فعيّن قائد فصيل في سرية البرق في مدينة القدس ، ثم نقل إلى دمشق ترجماناً في رهط الإشارة اللاسلكية ، وفيها حصل على رتبة ملازم ، وفي سنة ١٩١٦ م عين الفقيد قائداً لسريتين زراعيتين في

= جريدة « المفيد » البيروتية ، وكان توقيعه عليها « عبد الله بن قيس » ثم تولى تحريرها ، وأصبح شريكاً فيها ، وانتقل إلى بيروت ، ولما نشبت الحرب العامة (١٩١٤ م) عاد إلى دمشق ونقلت الجريدة إليها ، فلم يلبث أن أحسّ بشر الحكومة ، وكان من أعضاء جمعية « العربية الفتاة » السرية ، ففرّ إلى البادية ، فقبض عليه ، وحوكم في « عاليه » ونفذ به حكم الإعدام شنقاً في بيروت (١٣٣٤ ﻫ / ١٩١٦م) .

كان يجيد التركية والفرنسية ، وترجم عن الأولى رواية « فتح الأندلس ـ ط » للشاعر عبد الحق حامد . وله كتاب في « تاريخ الإسلام ـ خ » ثلاثة أجزاء ، وقصائد وخطب جديرة بالجمع والطبع] انظر الأعلام ج ٤ ص ٩ .

برج ابن عامر ثم في بيسان ومجدل طبرية ، وفي سنة ١٩١٨ م عين مديراً لزراعة الجيش في دمشق ، وما لبث أن أصبح بعد قيام الحكومة العربية في سورية ، إثر انسحاب الجيش العثماني منها ، مديراً للزراعة في الحكومة المذكورة ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٩١٨ م ، ومن هذا التاريخ بدأت حياة الفقيد في المناصب الحكومية التي تولاها بعدئذ .

هذا ولم يكتف الفقيد بما تعلمه في المدارس وما تلقاه عن أخيه الشهيد ، بل ثابر على الدرس والبحث العلمي ، فأتقن العربية حق الإتقان ، كما أتقن الفرنسية والتركية وألم بالإنكليزية ، وأخذ يكتب ويحاضر ويؤلف حتى غدا العالم الذي يشار إليه بالبنان .

المناصب التي تقلدها الفقيد

تقلب الفقيد في مناصب الدولة العالية في سورية ومنح أعلى الأوسمة فيها ، وتسلم منصب الوزارة أربع مرات ، فكان على التتابع منذ عام ١٩١٨ م حتى ربيع عام ١٩٥٤ م يوم أحيل إلى المعاش ، في المناصب التالية :

مدير الزراعة والخراج (١٩١٨ — ١٩٢٣) .

مدير أملاك الدولة (١٩٢٣ — ١٩٣٤) .

مدير الاقتصاد الوطني (١٩٣٥) .

وزير المعارف (١٩٣٦) وكان أحد أعضاء الوفد السوري المفاوض لوضع معاهدة بين سورية وفرنسة .

محافظ حلب (١٩٣٧ — ١٩٣٩) .

وزير المالية ، ثم وزير دولة للمالية والاقتصاد الوطني (١٩٤٣) .

محافظ اللاذقية (١٩٤٣ — ١٩٤٥) .

الأمين العام لرآسة مجلس الوزراء (١٩٤٥) .

محافظ حلب (١٩٤٦ — ١٩٤٧) .

محافظ اللاذقية (١٩٤٨ — ١٩٤٩) .

وزير العدل (١٩٤٩) .

وزير سورية المفوض في مصر (١٩٥١ — ١٩٥٤) وكان أول سفير لسورية في مصر بعد أن رفع التمثيل السياسي بين الدولتين إلى درجة سفارة ، وقد منحته الحكومة المصرية الوشاح الأكبر مع الرصيعة من وسام النيل .

وكان له في المناصب الحكومية التي تولاها مآثر عمرانية كثيرة ، منها العمل على توزيع أملاك الدولة وهي مئات من القرى على الفلاحين تشجيعاً للملكيات الصغيرة ، وذلك عندما كان مديراً لأملاك الدولة ، ومنها تشييد « دار الكتب الوطنية في حلب » و « دار الكتب الوطنية في اللاذقيـــة » عندما كان فيها محافظاً .

الفقيد العالم المجمعي

أخذ الفقيد يكتب وينشر في أهم الجرائد والمجلات العربية مقالات وبحوثاً يمدها العارفون من خالص الأدب الرفيع ، ولكن ما لبث أن طغت على كتاباته الناحية العلمية واللغوية فأصبح في عداد العلماء وكبار المفكرين .

وفي سنة ١٩٢٦ م انتخب الفقيد عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق ، وانتخب سنة ١٩٤٨ م عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في مصر ، ثم انتخب سنة ١٩٥٤ م عضواً عاملاً فيه ، وفي سنة ١٩٦١ م انتخبه المجمع العلمي العراقي عضواً مراسلاً . وانتخب غير مرة عضواً في مجلس المعارف الأعلى في سورية ، وعين عضواً في مجلس إدارة المتاحف والآثار ، كما عين عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة وفي دمشق ، ومثل جامعة الدول الدول العربية ثلاث مرات في حلقة الدراسات الإجتماعية ، وفي سنة ١٩٥٣ م انتخبه مجلس جامعة الدول العربية رئيساً للجنة المواصلات الدائمة في الجامعة .

وفي ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٦ م انتخب نائبـاً لرئيس المجمع العلمي العربي، وبتاريخ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٩ م أجمع أعضاء المجمع المذكور على انتخابه رئيساً له لمدة أربع سنوات خلفاً للرئيس الراحل خليل مردم بك، وقد جددوا انتخابه لمدة أربع سنوات أخرى سنة ١٩٦٣ م، كما جددوا انتخابه مرة ثالثة سنة ١٩٦٧ م.

وبتاريخ ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٦ م منحته الجمهورية العربية السورية جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٦٥، فكان أول من يمنح هـذه الجائزة منهـا.

وفي اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية في لندن بتاريخ ١ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ م، قررت اللجنة انتخابه عضواً مشاركاً، وأتاه رجاء بالقبول فقبل.

منزلة الفقيد العلمية واللغوية

أجمع أرباب الزراعة في بلاد الشام على أن الفقيد الأمير مصطفى الشهابي يعد أكبر عالم زراعي في العصر الحديث، أما من حيث المصطلحات الزراعية، فقد قال الدكتور أمين المعلوف صاحب معجم الحيوان [1]: «لا يختلف اثنان في أن الأمير هو علامة العربية الأوحد في المصطلحات الزراعية وأنه فيها نسيج وحده»، ذلك أنه قضى سنين عديدة من حياته يدرس نباتات الشام الزراعية وحشراته وحيواناته الأهلية وجويّاته واقتصادياته ومياهه، فاستطاع أن يطبق العلوم الزراعية الحديثة في بلاد الشام، سواء في أعماله الحكومية أم في مؤلفاته الزراعية، وكان لزاماً عليه، في نقل علوم

(١) انظر مجلة المقتطف المصرية عدد كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٥ م.

الزراعة الحديثة إلى العربية ، أن يتحرى أصلح الألفاظ في المعاجم العربية وفي كتب النباتات والحيوان والزراعة القديمة ، وقد قام بهذا العمل المضني خير قيام ، وحقق به عدداً كبيراً من المصطلحات العربية وجعلها أمام الكلم الفرنسية .

أما النباتات الزراعية التي كانت العرب تجهلها فقد وضع الفقيد لها أسماء عربيّة أو معربة بطريقته الخاصة ، وهي الرجوع إلى أصول الأسماء العلمية الدالة على هذه النباتات ، ثم ترجمة تلك الأسماء بمعانيها الأصلية أو تعريبها إذا كانت تدل على أعلام ، وهكذا تمكن الفقيد من إضافة مئات الألفاظ إلى اللغة العربية .

وقد نشر الفقيد كثيراً من المصطلحات التي وضعها في هذه المجلة وفي مجلة المقتطف المصرية ، ثم أودع معظمها كتاباً أطلق عليه اسم « معجم الألفاظ الزراعية » وقد طبع بدمشق سنة ١٩٤٣ م أولى طبعاته ، وداوم الفقيد على وضع المصطلحات أو تحقيقها فنياً لمعجمه المذكور نحواً من ألف مادة جديدة أثبتها في طبعته الثانية التي ظهرت في القاهرة سنة ١٩٥٧ م بعد أن ساعدت الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية في نشرها .

وشارك فقيدنا الكبير مجمع اللغة العربية في مصر بتحقيق عدد كبير من المصطلحات العلمية ، وأصبح معروفاً في جميع الأقطار العربية بأنه أحد العلماء الذين أغنوا العربية بالمصطلحات العلمية ، وأنه من أوسعهم إطلاعاً على طرائق وضع المصطلحات العربية ، وقد دل على ذلك كتابه المسمى « المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث » وهو كتاب يضم عشر محاضرات ألقاها الفقيد في أوائل سنة ١٩٥٥ م على طلاب معهد البحوث والدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ؛ ويعد هذا الكتاب فريداً في بابه من حيث رسم طرق وضع المصطلحات وبيان تطور اللغة العربية لاستيعاب

العلوم القديمة والحديثة ، وقد طبعه المعهد المذكور في القاهرة فجاء في ١٣٥ صفحة ، وأعاد المجمع العلمي العربي بدمشق طبعه سنة ١٩٦٥ م ،فجاءت طبعته الثانية المزيدة في ٢٠٩ صفحة ، وقد اعترف كثير من أعضاء المجامع العلمية واللغوية وأساتذة الجامعات وكبار الأدباء بأن هذا الكتاب الفريد ، هو أنصع دليل يرشد العلماء العرب إلى أصلح السبل التي يجب أن تتبع في وضع المصطلحات العلمية باللغة العربية .

وشل مما قيل في مؤلفات الفقيد

أ — كان فقيدنا الكبير أهدى نسخة من معجم الألفاظ الزراعية إلى شاعر القطرين خليل مطران ، وكان الخليل يومئذ أميناً للنقابة الزراعية في مصر فشكره برسالة مؤرخة في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٥ م جاء فيها :

يا أميراً أهدى إلى لغة الضاد ... كنوزاً من علمه وبيانه
ذلك المعجم الزراعي قد كان ... رجاء حققته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا ... مجمع بالكثير من أعوانه
دمت ذخراً له مآثره في ... نفع هذا الحمى وفي رفع شانه

ب — وأثنى الفقيد مرة على محاضرة ألقاها الأمير شكيب أرسلان في ردهة مجمع دمشق ، فكتب أمير البيان رسالة شكر بتاريخ ٢٧ من رمضان سنة ١٣٥١ هـ جاء فيها :

« ... وما أريد الآن أن أتواضع لأزداد تمدحاً ، ولا أريد أن أقابل ثناء بثناء ، ولكن أقول مقالة معترف بالحقائق راثٍ للوقائع أين المُثنَى عليه من المُثني في تحقيقاته العلمية ، وتدقيقاته التاريخية ، وملاحظاته الأدبية ، وتقريراته الزراعية ، وبحاره الزاخرة ، إنه لأمير العلماء حقاً وعالم الأمراء

فعلاً . وإني مع شيخوختي هذه لراضٍ أن أنضوي تحت لوائه ، كما انضوي شيوخ الصحابة تحت لواء أسامة ..) .

ج — وكتب الدكتور منصور فهمي الأمين العام السابق لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، رسالة إلى فقيدنا بتاريخ ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٩ م جاء فيها :

« .. وإني لا أشك أن إخواننا في المجمع سيجدون أكبر الفوائد في بحوثكم القيمة وتوجيهاتكم الطيبة ، والله نسأل أن يمد في نشاطكم المبارك لخدمة العلم .

وأما اقتراحكم الخاص بالنسب إلى كلمة كيمياء فقد استعرضت لجنة الأصول ما كتبتموه في شأنها ، وما جاء في بحث الأستاذ الكرملي وما نصت عليه المعجمات القديمة ، ورأت أنه يجوز في النسب إليها إثبات الهمزة وقلبها واواً . وترى أن القلب أولى .. [1] »

د — وكتب العلامة الدكتور أحمد زكي عند صدور الطبعة الثانية من معجم الفقيد الزراعي ، مقالاً بعنوان « مجمع دمشق ومجمع القاهرة ، عالم من دمشق جدير بالتنويه[2] » ما يلي :

« وعالم فح ، هو أحد علمائهم ، وهو في علم الحياة خاصة أحسبه أوسع علمائهم علماً باللغة ، وهو على كل حال عالم فرد فذ في ذاته ، غير مقارن بغيره ولا منسوب ، فهذا العالم الأحيائي جمع وحده ، وصنع وحده ، شيئاً

(١) ضاع بحث الفقيد عن النسب إلى كيمياء في ديوان مجمع اللغة العربية في القاهرة على ما يظهر ، فكتب الديوان إليه يرجوه نسخة من بحثه ، وكان أن عثر عليه فبعث به إلى مجمع مصر ، ورأت مجلتنا نشره تعميماً لفائدته فطلبت من الفقيد نسخة منه فأرسله إليها وكان آخر ما نشره ، وتم النشر في هذا العدد بعد شهرين من وفاته رحمه الله .

(٢) انظر جريدة الشعب الصادرة في القاهرة بتاريخ ٨ آذار (مارس) ١٩٥٨ م .

كثيراً من مصطلحات علم الحياة ، جمعها في معجم ، وصفه بأنه معجم صغير ، فبلغ نحواً من ثمانمائة صفحة من القطع غير الصغير . فهذا هو أخونا الأمير مصطفى الشهابي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ونائب رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ..»

هـ — وكتب الأديب الكبير الراحل الأستاذ عباس محمود العقاد بحثاً طويلاً إثر صدور «معجم المصطلحات الحراجية» الذي طبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٦٢ م ، بعنوان «كتاب الشهر[١] وبما جاء فيه :

« ... وليس هذا المعجم ، في الواقع ، بالجديد بالنسبة إلى العالم الباحث مؤلفه القدير ، سواء في الكثير من مفرداته ، أو في الطريقة العلمية التي يتوخاها عند نقل المصطلحات أو تعريبها أو وضعها بما هو معروف عنه من سعة المعرفة بعلمه ، وفرط الغيرة على لغته ، وحسن التصرف في أدائه لعبارته ، وقد اطلعنا على هذه الطريقة في معجمه السابق للألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ، ووقفنا على شيء من تفصيلاتها التي يعرضها للمناقشة في جلسات المجمع اللغوي ، وهو علم من أعلامه النابهين الذين يمحضون له أكبر العون في علم النبات خاصة ، وفي غيره من العلوم على الاجمال » .

ومضى المرحوم الأستاذ العقاد في بحثه إلى أن قال : « وليس لنا أن نحكم على المعجم من ناحيته العلمية النباتية ، وإن كنا نعرف رجاحة المؤلف الكبير في علمه من متابعة المناقشات التي تجري بينه وبين فطاحل علماء النبات خبراء هذا العلم في لجان مجلس المجمع أو في جلسات مؤتمراته العامة ، ولكننا من الناحية اللغوية ـ نلمس دلائل الكفاية التي يتطلبها تأليف أمثال

(١) انظر مجلة « قافلة الزيت » التي تصدر في الظهران ع ٣ المجلد ١١ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ وتموز (يوليو) ـ آب (أغسطس) ١٩٦٣ م .

هذه المعجمات ، وتزداد الحاجة إليها كما ذكرنا في مستهل هذا المقال عاماً بعد عام . . . وهي كفاية تمت للمؤلف الكبير بالاطلاع والمثابرة على المراجعة في أبواب من الثقافة لا تتصل جميعاً بثقافة فنه . ولا شك أنه اطلاع يسعده الحب والرغبة إلى جانب الفهم والدراية ، تلك الرغبة التي استمدها من قدوة أخيه (عارف الشهابي) شهيد القضية العربية ، الذي قال في إهدائه معجم الألفاظ الزراعية أنه : « علمني أن أحب لغتنا الضادية ، وأن أبذل جهدي في خدمتهـــا » .

الفقيد والقومية العربية

كان فقيدنا من أفراد الرعيل الأول الذين عملوا على استقلال الأقطار العربية ، وقد عمل على ذلك في بعض الجمعيات العربية السرية والعلنية التي قامت منذ أوائل هذا القرن في كل من دمشق والآستانة ، وقـد أخذ المبادىء الوطنية والاندفاع في بذل المستطاع من أجل استقلال بلاد العرب عن أخيه الشهيد الأمير عارف الشهابي ، الذي بذل نفسه في سبيلها ، لهذا نشأ فقيدنا من أشد أقرانه تعصباً لقوميته ، على أن طبيعته ونفسيته جعلته في الأحداث الانقلابية والثورات السياسية يتبع سبل الحكمة دائماً ، وتبعاً لطبيعته هذه ، أصبح أيام انتداب فرنسة على سورية ولبنان ، صلة للتفاهم بين إخوانه الوطنيين وبين الحكام الفرنسيين ، وكان ينصح هؤلاء الحكام بالإقلاع عن سياسة العنف وبالتخلي لأبناء البلدين عن المصالح التي يسيطرون عليها ، وبأن يجعلوا التفاهم قائماً على أساس الاستقلال ، حتى أنه لم يتأخر عن نصحهم بأن مصالح فرنسة نفسها لا يمكن تأمينها إلا باتباع هذه السياسة .

على أن الفقيد كان صريحاً في إعلان عدائه للاستعمار وكرهه للمستعمرين ، وهو يرى أن معظم الحروب الحديثة من جناياتهم ، وقد ألف « كتـــاب الاستعمار » لدحض نظرياتهم وبيان أضرار الاستعمار في المجتمع البشري .

وللفقيد رأي خاص في « من هو العربي » ، فكان يقول : « إن العربي هو من تكلم بالعربية وأراد أن يكون عربياً » ، مما دعا لقيام جدل بينه وبين رواد آخرين للقومية العربية .

وآراء الفقيد في القومية العربية وتاريخها وقوامها ومراميها ، مبثوثة في محاضراته في معهد البحوث والدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية ، وقد طبعها المعهد نفسه سنة ١٩٥٩ م .

وكان الفقيد من أكبر قدماء الدعاة إلى تأسيس جامعة للدول العربية ، على أن يُسار بتلك الدول نحو الاتحاد فالوحدة تدريجياً ، وكان يجهر برأيه هذا ، كما دونه في مقال نشرته له جريدة « الأهرام » المصرية ، قبل أن تؤسس « جامعة الدول العربية » بنحو من خمس عشرة سنة .

وكان من آراء الفقيد ضرورة حصر العرب جهودهم في نطاق بلادهم خدمة للإنسانية كلها ، ولا يجوز في رأيه تفكيك عرى القومية العربية بالدعوة إلى مبادئ أو مذاهب مستوردة ، حتى أن الدعوة إلى ما يسمى بـ « الإنسانية الشاملة » كان يراها لا تتفق ومصلحة الأمة العربية في أوضاعها المعاصرة ، لأن النظر إلى العالم نظرة إنسانية يليق بأبناء الشعوب المستقلة القوية ، لا بأبناء الشعوب التي قصاراها الدفاع عن كيانها واستقلالها ، لا سيما وأن الجمهرة من الغربيين الأقوياء يربون أبناءهم ويسيرون في معاملة بعضهم لبعض ، وفي معاملتهم للشعوب الضعيفة ، على مبادئ القومية المتطرفة ، وعلى قواعد الأثرة والاستعمار .

هذا وكان فقيدنا الكبير من المؤمنين بالعلاقة الوثيقة بين القومية العربية والدين الإسلامي ، وبأن هذه القومية مدينة للإسلام كثيراً ، ولا سيما في الخوالي من العصور ، ولكنه مع هذا الإيمان كان يرى أن النهضة العربية الحديثة يجب

أن تؤسس على مبادئ قومية يحمل أعباءها المسلمون والمسيحيون من العرب والمستعربين على السواء .

والقومية العربية في رأي الفقيد ، كما أورده ملخصاً في خاتمة كتابه عن « القومية العربية » : [ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولا مذهباً محدوداً قوامه الأثرة والتعصب أو البغضاء ، بل هي فلسفة اجتماعية مثالية بنّاءة تقدمية ، تدعو كل عربي إلى محبة أمته العربية ووطنه العربي ، وإلى الاعتزاز بماضي هذه الأمة ، وإلى العمل التقدمي لحاضرها ومستقبلها ، كما تدعو إلى محبة الإنسانية ، وإلى خير البشرية ، وإلى حق كل شعب على الأرض بتقرير مصيره] .

صفات الفقيد وخُلُقه

كان فقيدنا طويل القامة ممتلىء الجسم ، أشقر الشعر ، أشهل العينين كبيرهما ، قصير الرأس عريض الجبهة ، دقيق العظم ، قوي العضل ، مستقيم الأنف ، حاد النظر .

وكان رحمه الله قوي الإرادة ، عالي الهمة ، دقيق الحس ، واسع الصدر ، طيب القلب ، رقيق الشعور ، صريح الكلام ، نافذ البصر ، وقد ورث صفات الحاكم والرئيس عن أجداده ، فكان معدوداً من أصلح الحكام عندما تولي محافظة حلب ومحافظة اللاذقية ، وعندما كان وزيراً في دمشق .

وقد عرف الفقيد بالإباء والشمم ، واشتهر بالترفع عن الدنايا وسفاسف الأمور ، وكان جاهلوه يظنون فيه كبرياء ، أما الذين يخالطونه فكانوا سرعان ما يحكمون بأنه وديع متواضع تواضع العلماء ، ولكنه مع وداعته شديد الشكيمة لا تأخذه هوادة فيمن يزيغون عن الحق ، أو يجانبون الاستقامة .

كما اشتهر فقيدنا الكريم بطهارة النفس والجيب ، وبازدراء المال والترفع عن جمعه ، فعد لهذه الصفات من أشرف رجال الدولة وأزههم ، ولقد قضى أكثر من ثلاثين سنة في أعلى مناصب الدولة يعيش براتبه وبقليل مما ورثه عن آله ، عيشة متوسطي الحال ، واكتهل وليس له من الملك إلا الدار التي كان يسكنها في جبل قاسيون ، جبل دمشق ، المدينة التي أحبها وأحبته وأوصى أن يدفن في ترابها .

ونزاهة الفقيد المجردة ، مضافة إلى علمه الواسع وإرادته القوية ، جعلته مرفوع الرأس ، مهيب الجانب ، محترم الرأي ، في جميع البيئات والمجتمعات ، ومكنته من إقامة قسطاس العدل ومن تطبيق أحكام القانون على الغني والفقير وعلى الوجيه والوضيع على السواء ، كما مكنته أيضاً من القيام بأعمال عمرانية وخيرية كثيرة ، ما عرفها أحد إلا وذكره بكل خير وأثنى عليه الثناء العريض .

★ ★ ★

دمشق تبكي الفقيد وتمشي وراء نعشه

استيقظت دمشق صباح نعي إليها الفقيد الكبير ، باكية أخلاقه السامية وعلمه الغزير وغيرته على العربية ، وأخذ كبار القوم من العلماء والمفكرين ورجال الدولة يتوافدون منذ الصباح الباكر على دار الفقيد يقدمون العزاء لأسرته وزملائه أعضاء مجمع دمشق .

وما حان وقت الظهر ، إلا ومشت دمشق بمفكريها وعلمائها وراء نعش الفقيد بموكب مهيب تشيعه إلى مثواه الأخير في جبل قاسيون .

وعند القبر الذي أوصى بأن يضم رفاته ، وقفتُ أمام الجمع الحاشد أرثيه باكياً ، وجادت السماء على ثراه ، وهو يوارى فيه ، بوابل غزير ، كان بشرى للمحزونين بغفران للفقيد وجنات ونَهَر ، مع الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وكان مما قلته في رثائه رحمه الله :

[نقف الساعة خاشعين لنواري الثرى ، علماً من أعلام الوطن العربي . نقف لنُودع التراب بطلاً من أبطال الذود عن الورد الذي يجمع أمة ربيعة وقحطان . نقف لنغمد سيفاً من بقيـــة سيوف ما كلّت في الدفاع عن لغة القرآن .

لقد ولد فقيدنا الكبير مصطفى الشهابي في فجر النهضة العربية الحديثة ، وشارك في حمل لواء من أكبر ألويتها ، ثم كان من كبار مؤرخي هـذه النهضة المطلعين على أسرارها ووسائلها .

وشارك الفقيد العظيم ، في الكفاح من أجل استقلال الأمة العربية . وعمل جاهداً مع العاملين على إقامة بناء متين لدولتنا الفتية ، وكان في طليعة رجال الإدارة فيها مذ قامت في هـذا القطر العربي ، الذي حمل مشعل النهضة العربية ، دولة .

وجاهد الفقيد في سبيل إعلاء كلمة العربية ، وقضى وهو ما زال في ساحة الجهاد التي هيأته الأقدار لتولي القيادة فيها ، يذود عن حمى الفصحى ، ويدعم بما أوتي من علم وعزيمة ، العاملين في خدمتها . لقد سقط الفقيد شهيداً في ميدانه ، بعد أن ختم بحثاً من أبحاثه اللغوية القيمة ، لينشر في العدد القادم من مجلة مجمع دمشق الخالد بأمثاله من أعلام العربية ، خلود دمشق ، قلب العروبة النابض ، رغم العيدى وصروف الزمن .

لقد كان فقيد العرب الكبير ، عالماً غزير المعرفة والاطلاع فيما اختص به من علوم اللغة والنبات ، واسع الثقافة ، مطبوعاً على الأدب ، يتحلى بأسمى ما يتحلى به العلماء من أخلاق ، فكان إذا تكلم فهو العالم الثقة ، وإذا رأى الحق رضخ له ، رضوخ من يؤمن به ولا يعتـــد بسواه .

لقد كان كرسيّ الفقيد في الوزارات والإدارات التي تولاها ، مهيباً يحف به الكثير من الجلال والوقار ، ويفرض على من يقف أمامه الاحترام والتقدير . كما كان كرسيّه في مجمع دمشق متميزاً بطابع الجهد المضني في خدمة اللغة ، والدأب المتواصل في الدفاع عن حماها . بينما كان كرسيّه في مجمع القاهرة مرموق المكانة تتطلع إليه الأنظار كلما حزب أمر من أمور المصطلحات العلمية ، أو اختلف القوم في قاعـدة من القواعد التي ترضاها أصول اللغة .

لقد كان فقيدنا الكبير هذا كلّه ، وله مع هذا كلّه ، صدر ينطوي على قلب يزخر بالحب والعطف على الآخرين . كان فقيدنا إنساناً في مشاعره وتواضعه ، وكان رجلاً في حزمه وإدارته . وكان أميراً في أخلاقه واستقامته . فضلاً عن أمارته بالنسب .

إني وإن كنت أبكي الفقيد استاذاً جليلاً أدين له بجوانب من المعرفة أفخر بها ، كما أبكيه صديقاً كبيراً أدين له بالوفاء والتقدير ، فأنا أبكيه أيضاً وباسم مجمع اللغة العربية ، زميلاً فذاً كانت له فيه الصدارة والرياسة . وإني لأتقبل باسم المجمع الأسيف ، من هذا الجمع الكريم ، جميل عزائه ، شاكراً له نبيل مشاعره ، مستمطراً شآبيب الرحمة ، وها قد هطلت بإذن الله ، على جدث ضم رفات الفقيد الكبير ، سائلاً الله أن يضوّع بالمسك جوانبه ، وأن يعطر بالشذى الفوّاح أجواءه .

وإنا لله وإنا إليه راجعون] .

★ ★ ★

الفقيد يوارى الثرى في دمشق

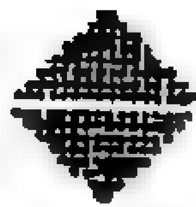
وقبيل عصر يوم الثلاثاء الواقع في ١٦ صفر سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٤ أيار (مايو) سنة ١٩٦٨ م ، ووُوري الفقيد الشهابيّ ترابه الموعود في بقعة من جبل قاسيون تطل على دمشق ، والواقف عليها يرى ما كان قلب فقيدنا الكبير يخفق كلما رآه ، مسجلاً خفقاته في « الشذرات » قائلاً : [والتفتُّ إلى دمشق ، فاذا بها غرقى في خضم أخضر كأنها ياقوتة في نثير من الزمرد ، والجامع الأموي يبرز عظيماً جباراً بمآذنه الشاهقة وقبته العالية] .

وفي تلك البقعة من الأرض أقيم قبر للأمير الراحل كتب عليه ، بوصية منه ، بيت من الشعر من نظمه يقول فيه :

أمّ اللغات قضيتُ العمر أخدمها   فهي الشفيعة في غفران زلاتي

اللّهم رحمتك نرجو ، وبك نستعين .

عدنان الخطيب



انتخاب رئيس لمجمع اللغة العربية بدمشق

دعا الأمين العام لمجمع اللغة العربية بدمشق ، أعضاء المجمع العاملين إلى عقد جلسة خاصة لانتخاب رئيس للمجمع إثر شغور منصب الرياسة بوفاة المرحوم الأستاذ الرئيس الأمير مصطفى الشهابي .

وعقد مجلس المجمع جلسته مساء يوم الخميس في ٤ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ ﻫ الموافق لـ ٣٠ أيار (مايو) سنة ١٩٦٨ م برآسة الأستاذ الدكتور أسعد الحكيم وحضور الأكثرية القانونية من الأعضاء . وبعد أن وقف الحاضرون دقيقتين حداداً على الفقيد الكبير قارئين سورة الفاتحة ؛ ألقيت بعض الكلمات في مآثر الرئيس الراحل ، ثم وزعت على الأعضاء أوراق الانتخاب ، وتبين بعد فرزها أن الأستاذ الدكتور حسني سبح قد فاز بثقة إخوانه أعضاء المجمع ، فأعلن رئيس الجلسة رياسته للمجمع راجياً للمجمع في عهده الازدهار والنشاط في تحقيق أغراضه .

وبعد أيام صدر المرسوم الجمهوري التالي :

مرسوم رقم (١٤٠٦)

رئيس الدولة

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠

وعلى القرار رقم ٣١ لعام ١٩٦١

وعلى أحكام المرسوم رقم ١٤٣ تاريخ ١٩٦٦/١١/٢٤ المتضمن إحداث وزارة التعليم العالي

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم ١٤٨ تاريخ ١٩٦٧/١٠/٢٢

وعلى ضبط الجلسة التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق بتاريخ ١٩٦٨/٥/٣٠ والتي تم فيها انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية خلفاً للرئيس الراحل .

يرسم ما يلي :

١ — يعين الدكتور حسني سبح عضو مجمع اللغة العربية العامل رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات .

٢ — يتقاضى الدكتور حسني سبح تعويضاً ثابتاً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الممتازة ويصرف من الباب الأول — البند الأول (الرواتب) — من موازنة مجمع اللغة العربية .

٣ — ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٣٨٨/٣/٣٠ و ١٩٦٨/٦/٢٦

الدكتور نور الدين الأتاسي
صدر عن رئيس الدولة

وزير التعليم العالي
الدكتور مصطفى السيد

الدكتور يوسف زعين
رئيس مجلس الوزراء

فقيد العربية

الأستاذ أحمد حسن الزيات

نعى مجمع اللغة العربية في القاهرة، كما نعى مجمع دمشق، الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات عضو المجمعين وصاحب «مجلة **الرسالة**» توفاه الله صباح يوم الأربعـــاء الواقع في ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م.

★ ★ ★

ولد فقيد العربية الكبير **أحمد حسن الزيات** سنة ١٣٠٢ هـ — ١٨٨٥ م في بلدة كفر دميرة القديم بطلخـا من أعمال محافظة الدقهلية في مصر، وتلقى مبادئ تعليمه الأولي في طلخا، ثم رحل إلى القاهرة والتحق بالجامع الأزهر يتلقى فيه علوم العربية والدين، وكان يتابع دروساً خاصة في اللغة الفرنسية مكنته بعد سنوات من الالتحاق بمدرسة الحقوق الفرنسية في القاهرة.

وبدأ الفقيـــد يشتغل بتدريس الأدب العربي وعلوم العربية في بعض المدارس الأهلية، ولم تمض بضع سنوات عليه وهو في التدريس إلا وأخرج للناس كتابه القيم عن «**تاريخ الأدب العربي**». وهذا الكتاب يعتبر في القمة من كتب تاريخ الأدب، إذ كان للفقيد فيه فضل السبق في **النهج الواضح لدراسة الأدب العربي**، وفي حسن اختياره النماذج العالية من هذا الأدب في مختلف عصوره، وفي تصويره أصحاب تلك النماذج تصويراً حياً فيه جدة وفيه عمق، وكل ذلك بأسلوب متين مشرق وبعبارة بليغة مكينة.



الأستاذ أحمد حسن الزيات

(١٨٨٥ — ١٩٦٨ م)

واشتهر الفقيد بكتابه المذكور شهرة عمت أرجاء الوطن العربي ، وزاد شهرة وتألق اسمه بعد أن ترجم إلى العربية عن الفرنسية قصتين هما : « آلام فرتر » للشاعر الألماني غوته و « وفاليل » للشاعر الفرنسي لامرتين ، وهما في القمة من الأدب العالمي الرفيع ، ولم تقصر ترجمتها العربية بها عن مكانتها في لغتيها الأصليتين .

ولم تلبث الحكومة العراقية أن دعت فقيدنا لتولي تدريس الأدب العربي في دار المعلمين العليا في بغداد ، فبقي بضع سنوات صنع خلالها نواة مدرسة دانت له بالحب والتقدير طوال حياته رحمه الله .

الفقيد علم من اعلام العربية

كان فقيدنا الكبير طرازاً فريداً في أسلوبه الإنشائي وبيانه الرائع ، إذ كان على عمق الفكرة عنده ، يضن بهذه الفكرة على الناس ، إلا إذا انتقى لها الألفاظ اللائقة وصاغها بالعبارة البليغة التي يحاكي بها العربية في أوج عصورها الزاهية ، حتى أنه أخرج للناس كتاباً خاصاً أطلق عليه اسم « دفاع عن البلاغة » عالج فيه مذهبه البلاغي ورأيه في أصالة الأسلوب وجمال العبارة ، وكان مما قاله في هذا الكتاب تبياناً لمذهبه في الإنشاء : [. . وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخلق ، لأن الكلمة ميتة مادامت في المعجم ، فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها في التركيب ، ووضعها في موضعها الطبيعي من الجملة ، دبّت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة في الجملة كالقطعة في الآلة إذا وضعت موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب ، تحركت الآلة ، وإلا ظلت جامدة ، وللكلمات أرواح كما قال موپاسان] .

الفقيد صاحب مدرسة «الرسالة»

ولعل أهم ما اشتهر فقيدنا الكبير به ، مجلته « الرسالة » إذ أنه ما عاد من بغداد إلى القاهرة ، إلا وكانت فكرة إصدار مجلة اسبوعية للأدب الرفيع والعلوم والفنون قد اختمرت في ذهنه ، وكان أن شع نور « الرسالة » في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٣٣ م على فترة من المجلات الأدبية الجدية في العالم العربي ، خبا فيها نور اللغـــة السليمة والبيان المشرق ، فملأت فراغاً عظيماً وسدت حاجة كان الناس يتطلعون إليها ، وليس أبلغ في وصف تلك الفترة من قول الفقيد نفسه (١) : [.. كان العالم العربي على أثر خروجه من جهالة الترك إلى ضلالة الاستعمار ، يشكو شتات الوحدة وضعف القومية وذلّ التبعية ، فهو يريد أن يتعرف بعضه إلى بعضه ، وينضم قاصيه إلى دانيه ، ويرتبط حاضره بماضيه ، عن طريق اللغة الواحدة والكيان المتميز والوطن المستقل والأدب الموروث والتاريخ المشترك والأمل الحافز ؛ مجتمعاً كل أولئك في مجلة تترفع عن الإقليمية ، وتعتز بالعروبة والعربية ، وتساير ركب الثقافة والمدنية ، وتضطلع بعبء السفارة الفكرية ، بين المصري والمغربي والجزائري والتونسي والسوداني والفلسطيني والسوري والسعودي واللبناني والعراقي . فكانت تلك المجلة ، المرجوة التي قربت البعد ووشجت القرابة وجمعت الشمل وسهلت الوحدة وحققت الأمل هي الرسالة ...] .

وتابعت مجلة الرسالة تأدية « الرسالة » التي أرادها الفقيد لها ، بعد أن وضع لها منهاجاً واضحاً يقوم ـ كما يقول الزيات نفسه ـ على : [قاعدة ثابتة من مزج الدين بالدنيا وربط القديم بالحديث ووصل الشرق بالغرب باللغة الفصحى والأسلوب الصحيح والفكر المتزن ..] .

---

(١) انظر مجلة « قافلة الزيت » عدد آب (أغسطس) ١٩٦٣ م .

واشترك في تحرير « الرسالة » ، أعلام الفكر وأصحاب القلم في مختلف البلاد العربية يوم صدورها ، كما فتحت صدرها لكل أديب موهوب ، حتى أصبحت « مدرسة » تخرج منها أكثر الذين أصبحوا اليوم من الأعلام المرموقين في أرجاء الوطن العربي ، وقد تميزوا جميعهم - على حد تعبير فقيدنا رحمه الله - على : [نظرائهم من سائر الأدباء بالتعبير العربي الخالص والتفكير الإسلامي الصادق والإتجاه التقدمي المستقيم ، فتكونت منهم مدرسة في الأدب ، كان لها الأثر البالغ في إنماش اللغة وإنهاض الأسلوب ، في المقالة والقصيدة والقصة والبحث والنقد والترجمة ..] .

واشتهرت مدرسة « الرسالة » في العالم العربي ، على سعة أرجائه ، شهرة لا يدانيها شهرة ، فكانت ملتقى الفكر الحديث والعبارة المشرقة ، وكان أتباعها ، كأعضاء الأسرة الواحدة تجمعهم أواصر المحبة وتؤلف بينهم النزعة المشتركة ، يفخر بهم الزيات وبالمدرسة التي جمعتهم معتزاً بأنها : [.. لم تنحرف أبداً بلغة القرآن وأدب العرب ، وهما وليدا الشمس المشرقة والجو الصافي ، إلى تلك المذاهب الشاذة التي أبهمتها العقد النفسية والجو الغائم .. وجملة القول في مدرسة « الرسالة » أنها أنشأت جيلاً من الأدباء تزعّم النهضة الفكرية بحق ، وألفت موسوعة في عشرين مجلداً من آداب العرب وعلوم الشرق ، وقادت ثورة النفوس المؤمنة بالإصلاح على الفساد والاستبداد والحزبية والإقليمية والتخلف ، حتى قرت في الأذهان معاني الحرية والديمقراطية والعدالة والقومية وأصبحت من مآرب الأفراد ومطالب الشعوب ، تجيش في صدورهم أملاً ، وتظهر في جهادهم عملاً ، وتضطرب في نفوسهم حاجة] .

وظلت مجلة الرسالة تحمل مشعل الفكر في العالم العربي عشرين سنة متواصلة ، أي من مطلع سنة ١٩٣٣ م ، حتى اضطرتها ظروف قاهرة الى

الاحتجاب في شباط (فبراير) من سنة ١٩٥٣ م ، وظل فقيدنا الكبير يسمع أماني الزعماء والأدباء والقراء تتجه إلى عودة الرسالة ويسألونه أن يستجيب إلى هذه الأماني ، وهو يعتذر قائلاً لهم : [يشق عليّ ألا أجيبكم إلى ما تسألون ، لأن تقدم سني وتأخر صحتي يجعلان هذه الاستجابة وراء قدرتي وفوت يدي . .] .

وأخذت جهود محبي الأدب الرفيع وبعض القائمين على سياسة مصر تتضافر من أجل إعادة الرسالة إلى الصدور ، وبعد فترة دامت عشر سنوات من احتجاب الرسالة ، قامت خلالها في العالم العربي أحداث وأحداث غيرت كثيراً من معالمه وبنيته ومفاهيمه ، عادت الرسالة إلى الصدور بتاريخ ٢٥ تموز (يوليو) ١٩٦٣ م ، وقد وصف فقيدنا هذه العودة قائلاً : [عادت الرسالة اليوم لترى اللغة وقد طغت عليها عامية الأسلوب ، والأدب وقد بغت عليه ضلالة الفكر ، فالتعبير السليم يعتل ، والمذهب المستقيم ينحرف ، والعمود الشعري ينهار ، والبيان العربي يغيم ، والبدع الكتابية التي ابتدعها الغرور أو الشذوذ تحاول أن تضرب على القصة والمسرحية والقصيدة نطاقاً من الضباب والخطل يجعلها ضرباً من الألغاز والمعاياة والشعوذة ، تكد الذهن وتبهم القصد وتعني القارئ . . .] .

ولكن لم تلبث « الرسالة » بعد جهاد مرير في سبيل الاستمرار على تأدية رسالتها ، الرسالة التي حملت أعباءها في الخضم الذي وصفه الفقيد ، أن اضطرتها أمواج عاتية وعواصف متلاحقة ، جعلت القائمين عليها أعجز من أن يثبتوا على الخطة التي يرتضونها وترضي محبي العربية ، إلى الاحتجاب نهائياً بعد فترة غير طويلة من عودتها . واكتفى فقيدنا من صناعة الكلمة بالإشراف على تحرير « مجلة الأزهر » حتى وافاه الأجل المحتوم .

الفقيد في المجمع

كان المجمع العلمي العربي بدمشق أول من قدر في الفقيد أدبه الرفيع وأسلوبه الكتابي الفريد ، فقد رشحه الأستاذ الرئيس محمد كرد علي سنة ١٩٢٦ م عضواً مراسلاً له في القاهرة . وفي الجلسة التي عقدهـا المجمع بتاريخ الثاني من حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٧ م قدم الأستاذ الرئيس العضو الجديد إلى زملائه وكان مما قاله : « الأستاذ أحمد حسن الزيات مؤلف تاريخ الأدب العربي ، ومترجم آلام فرتر لكيتي ورافائيل للامارتين ، وهو كما عرفتموه مبدع في تصنيفه ونقله أوتي البلاغة والفصاحة حتى ليخيل لمن يقرأ كلامه ، أنه يقرأ كلام بلغاء القرن الرابع أو الخامس » .

وأرسل فقيدنا الزيات إلى الأستاذ الرئيس كرد علي رسالة شكر مؤرخة في الثامن من كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧ ومما قاله فيها : « .. أنا يا سيدي سعيد بمعرفتك مزهو بها حريص عليهـــا . فإن مكانك السامي في الأمم العربية وفضلك العظيم على الجمهرة الأدبية ، وقبضك على أزمة البلاغة وتمكنك من زعامة البيان ، تجعل عنايتك بتلي من النعم التي تسترق الأعناق ، ولا ينهض بها الشكر ، أسأل الله أن يعينني على تحقيق ظنك بي فأوازرك في جهادك ، وأخدم هذه اللغة الشريفة الأسيفة تحت رعايتك وإرشادك .. » .

وزود الفقيد مجلتنا هذه ، ببعض بحوثه الممتعة في تاريخ الأدب العربي ، كما أشار إلى مجمع دمشق في الطبعة الرابعة من كتابه « تاريخ الأدب العربي » قائلاً : [مما يسجل في صحائف الدهر ويذكر بالإعجاب والفخر ، أن إخواننا السوريين كانوا أسبق الأمم العربية إلى إنشاء المجامع العلمية ، على ضيق مواردهم وغلّ سواعدهم ، كما كانوا أسبقها إلى الترجمة والصحافة والتمثيل] .

وفي سنة ١٩٤٩ م اختير فقيدنا الزيات عضواً **بمجمع اللغة العربية في القاهرة** ، فكان من أعضائه البارزين ، وقد اشترك في تحقيق الأهداف التي أنشئ المجمع من أجلها ، فكان عضواً في لجنة تيسير الكتابة وعضواً في لجنة ألفاظ الحضارة وعضواً في لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم ، كما كان عضواً في لجنة الأدب ولجنة اللهجات ولجنة الأصول ولجنة المعجم الكبير ، وكان أحد أربعة أعضاء تولوا إخراج « **المعجم الوسيط** » ، كما كان رئيس لجنة إعادة النظر في هذا المعجم ، وقد قاربت على إنهاء مهمتها .

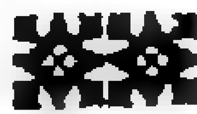
وكان الفقيد أيضاً عضواً في المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية ، وفي سنة ١٩٦٢ ، قدرته الجمهورية العربية المتحدة فمنحته **جائزة الدولة التقديرية** .

* * *

إن العربية فقدت بموت الراحل الكريم علماً من أبرز أعلامها في القرن الرابع عشر للهجرة والعشرين للميلاد ، كما خسر مجمعا دمشق والقاهرة عضواً في مقدمة أعضائها العاملين على تحقيق أهدافها في النهوض باللغة العربية وخدمة علومها المختلفة .

لقد شيعت القاهرة ظهر يوم الخميس الواقع في ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٨٨ هـ الموافق لـ ١٣ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٨ م الراحل الكريم ، باحتفال مهيب اشترك فيه رجال الفكر والأدب ، ثم حمل جثمانه إلى مسقط رأسه في كفر دميرة القديم حيث ووري التراب . رحم الله فقيدنا الكبير رحمة واسعة وأجزل ثوابه وأنزله منازل الأبرار في جنات النعيم .

عدنان الخطيب



حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

[مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها]

— ٢ —

ج ش ب جَشِيبُ المَرْعَى : يابسه ، والجُشْبُ : قشور الرُّمّان .
الجَشّابُ : النَّدى الذي لا يزالُ يقعُ على البَقل . وكلامٌ جَشِيبٌ : جافٍ خَشِنٌ .

ج ع ب الجَعْبَةُ : كِنانةُ النُّشّاب ، وقد تطلق على أكبر أواني الشُّرْب .
والجُعْدُبَةُ : نُفّاخاتُ الماءِ التي تكون من ماء المطر .

ج ل ب جَلَبَ الدَّمُ وأجْلَبَ : يَبِسَ .
والجُلْبَةُ : القِطْعَةُ من الغَيْم ، يقال : مافي السَّماء جُلْبَةٌ ، أي غَيْمٌ يُطَبِّقُها . و الجُلْبَةُ أيضاً : الرُّوبَةُ تُصَبُّ على الحليب ليَتَرَوَّب .
والجُلْبُ ، بالضم ويكسر : السَّحابُ لا ماءَ فيه ، وقيل : سَحابٌ رقيقٌ لا ماءَ فيه ، والجمع أجلابٌ .
والجُلّابُ : ماءُ الورْد ، وهو فارسيٌّ مُعرَّب . والجُلّابُ اسمُ نَهرِ مدينةِ حَرّانَ .
وأجْلَبَ قَتَبَه : غَشّاهُ بالجِلْدِ الرَّطْب فَطيراً ثم تركه عليه حتى يَبِس .

والتَّجلُّبُ : التماسُ المرعى ما كان رَطْباً ؛ وفي الأمثال : جَلَبَتْ جَلْبَةً ثم أمسكتْ ، قالوا : ويُروى بالمهملة ، أي السَّحابةُ تُرعِدُ ثم لا تُمطِر ، يُضرب للجبان يتوعَّدُ ثمَّ يسكتُ .

واجْلَعَبَّ كَثُر ، والمُجْلَعِبُّ من السُّيُول : الكبير وقيل : الكثيرُ القَمْش ، وهو سيلٌ مُزْلَعِبٌّ أي مُجْلَعِبٌّ .

والجِلْهابُ : الوادي .

ج ن ب الجَنَبُ : اشتداد العَطَش ، أو التلوي من شِدَّة العطش . يقال : جَنِبَ البعيرُ : أصابه وَجَعٌ في الجَنْب من شِدَّة العَطَش . وجَنَّبَ القوم فهم مُجَنِّبُون إذا انقطعت ألبانهم أو قَلَّتْ ، وقيل إذا لم يكن في إبلهم لَبَنٌ ، وجَنَّبَ الرجلُ ، إذا لم يكن في إبله ولا غنمه دَرٌّ ، وهو عامُ تجنيبٍ .

ج و ب الجَوْبُ : الدَّلوُ العظيمة .

والجَوْبَةُ : شِبْهُ رَهْوَةٍ تكون بين ظَهْرانَيْ دُورِ القوم يسيل فيها ماءُ المطر .

واجْتابَ البِئر : احتفرها . وأرضٌ مُجَوَّبَةٌ : أصاب المطرُ بعضَها ولم يُصبْ بعضاً .

وجوَّاب : لقبُ مالك بنِ كعبٍ ، قال ابن السكّيتِ سُمّي جوَّاباً ، لأنّه كان لا يحفر بئراً ولا صخرةً إلا أماهها .

ح أ ب الحَوْأبُ : الواسعُ من الأوْديةِ والمَنْهلُ ، والحَوْأب والحوْأبة أوسعُ ما يكون العِلابِ والدِّلاءِ .

ح ب ب حَبَاب الماء وحَبَبُه وحبَبُه : مُعظَمُه . وقيل : حَبَابُ الماء : موْجُه الذي يتبعُ بعضُه بعضاً ، أو هو نُفّاخاته وفَقَاقيعُه التي تطفُو كأنّها القوارير .

والحُبُّ : الخابيةُ أو الجرّةُ صغيرةً كانت أو كبيرةً ، وقال ابن دُريد : هو الذي يُجعلُ فيه الماء ، وهو فارسيٌّ مُعرَّب .
وحُبابٌ جمع حُبَابةٍ : اسم لدويبةٍ سوداءَ مائيةٍ .
والحَبَابُ الطَّلُّ الذي يصبحُ على الشَّجَرِ .
والتَّحَبُّبُ : أول الرِّيِّ ، وتَحَبَّبَ الحمارُ وغيرُه : امتلأ من الماء ، والحبحبةُ : جَرْيُ الماء قليلاً . وحَبَّبْتُ القِرْبَةَ إذا ملأتُها .

ح ث ب حَثْرَبَ الماءُ : كَدُرَ ، وحَثْرَبت البئرُ : كَدُرَ ماؤهـا واختلط بالحمأة ، والحُثْرُبُ : الماء الخـاثِرُ ؛ والحِثْلِبُ : عكَر الدُّهن أو السَّمْن .

ح د ب الحَدَبُ من المـاء : تَراكُبُهُ أو تَراكُمُه في جَرْيِه ، وقيل مَوْجُه ؛ وقال الأزهريُّ : حَدَبُ الماء ما ارتفع من أمواجِه .
وقال ابن الأعرابيّ ويقال حَدَبُ الغَدير : تحرُّكُ الماء وأمواجُه .
وحَدَابِ : السَّنَةُ المُجدِبَةُ أو الشَّديدةُ القحط .
والحُدَيْبِيَةُ : بئرٌ قُرْبَ مَكَّةَ . والحُدَيْبـاءُ : تصغير الحدباء : ماء لجَذِيمة .

ح ز ب الحِزْبُ : الوِرْدُ أو النَّوْبَةُ في ورود الماء .

ح س ب حَسَّبَهُ : أطعمَهُ وسَقـاهُ حتى شبعَ ورَوِي كأحْسَبَه .
والحُسْبَانَةُ : السَّحَابَةُ ، والأحاسِبُ : جمع أحْسَبَ : مَسَايِلُ أوْدِيَةٍ تَنْصَبُّ من السَّرَاةِ في أرض تِهَامة .

ح ص ب الحَصْباءُ : ما تناثر من دُقاق الثَّلج والبَرَد ، والحاصِب : ريحٌ شديدة تحمل الحَصْباءَ ، أو هو السَّحاب يرمي بالثلج والبَرَد رمْياً .
والحَصِيبُ : اللَّبَن لا يَخْرجُ زُبْدُه من بَرْدِه .

ح ض ب الحِضْبُ : سَفحُ الجبل وجانبُه . وكلُّ مملوءٍ مُحْضَرِبٌ .

ح ط ب الحَطَبُ : معروفٌ ، والحِطَابُ هو أن يُقْطَعَ الكَرمُ حتى ينتهيَ إلى حَدٍّ ما جرَى فيه الماء . واحتطبَ المطرُ : قلع أصولَ الشَّجَر .

ح ظ ب حَظَبَ من الماء : تملأ . وحَظْرَبَ السِّقاءَ ملأه فتحظرَبَ .

ح ق ب حَقِبَ : تعسَّر عليه البَوْلُ . وحَقِبَ المطرُ : احتَبَسَ .

ح ل ب الحَلْبُ: استخراج ما في الضَّرع من اللّبن . والحَلَبُ والحَليب : اللّبنُ المحلوب .

وتحلّبَ سال ، ويومٌ حلاّب : فيه ندًى . ودمٌ حَليبٌ : طَرِيٌّ .

وحوالبُ البئر : منابعُ مائِها .

وحَلَبَان : ماءٌ لبني قُشَيْرٍ .

ح ن ب مُحَنَّبٌ : بئرٌ بالمدينة .

والحُنْجُبُ : اليابسُ من كلِّ شيءٍ .

ح و ب الحَوْأَبُ : لَبَنٌ كَثُرَ ماؤُه .

خ ب ب خَبَّ البحرُ : هاج ، والخِبُّ : هَيَجانُ البحر كالخِبَاب .

والخِبَّةُ : الطريقةُ من السَّحاب . والخُبَّةُ : مُستنقَعُ الماء ، وبطنُ الوادي .

خ د ب الخَدْبُ : الحَلْبُ الكثير .

خ ر ب الخَرّاب : النَّفِيُّ من المطر .

وخُرْبَةُ: ماءٌ في ديار بني سعد . وخَرِبٌ : ماءةٌ بنجد .

وأخْرابُ من أكرم مياه نجد .

استخربَ السِّقاءُ : تَثَقَّبَ .

الخُرْخوب : النّاقةُ الكثيرةُ اللّبن .

خ ش ب خَشِبَ : يَبِس . والخَشِبُ كالخَشِيب : اليابس . وجَبْهَةٌ خَشْباء : اليابسة والكريهة . وأرضٌ خَشَاب : يابسةٌ تسيلُ من أدنَى مَطَرٍ .

خ ص ب الخِصْبُ : نقيضُ الجَدْب . وأخْصَبَتْ الأشجار إذا جرَى الماء فيها .

خ ض ب خَضَبَ الشجرُ كاخضوْضَب : اخْضَرَّ . وخَضَبَتْ العِضَاهُ وأخضَبَت : جرَى الماء في عيدانها واخضَرَّتْ .

ماءٌ خُضَارِبٌ : يموج بعضُه في بعض ، ولا يكون ذلك إلاَّ في غدير أو وادٍ . والخَضْرَبَة : اضطرابُ الماء .

خ ط ب أخْطَبَةٌ : من مياه بكر بن كلاب .

خ ل ب الخُلُب : الطين . والخُلَّبُ : السَّحابُ الذي لا مَطَر فيه .

خ ن ب الخِنْبَةُ : النَّاقة النزيرة اللَّبن .

خ و ب الخَوْبَةُ : الأرضُ لم تمطر أو التي لا ماء فيها .

د ب ب دَبَّ : سرَى . ومَدَبُّ السَّيْل : مجراه . وطَعْنَةٌ دَبُوبٌ : يَدِبُّ الدَّمُ منها سيلاناً .

الدَّبْدَبَة : أخثَر ما يكون من اللَّبن .

دَبَابٌ : ماءٌ بأجَاءٍ .

د ر ب الدَّرْبُ : المضيقُ في الجبال ، وكلّ مَوْضع يُجعل التَّمرُ فيه ليَيْبَس .

د ع ب ماءٌ دَاعِبٌ : يَسْتَنُّ في سَيْله .

د ل ب الدُّلْبُ : شجرٌ معروفٌ يحب الماء .

الدُّولاب : شكلٌ كالنَّاعورة يُستقى به الماء ، وهو معرَّب .

ذ ب ب ذَبَّ الغَديرُ : جَفَّ من شدة الحَرّ . وذَبَّ : يَبِسَ وذَبَلَ من شِدَّة العَطَش أو لغيره .

وظِمْءٌ مُذَبِّبٌ : طويلٌ يُسارُ فيه إلى الماء من بُعْدٍ فيُستَعجَلُ بالسَّيْر .

الذُّبَابَةُ : البَقِيَّةُ من مياه الأنهار .

ذ ر ب ذَرِبَ الأنفُ : قَطَرَ وسال . وذَرِبَ الجرح : سال صديده وفسد .

ذ ع ب انذَعَبَ الماء كانشَعَبَ إذا سال واتَّصَلَ جريانه . قال الأصمعيّ : رأيتُهم مُذْعابِّين كأنَّهم عُرْفُ ضِبْعانٍ ، بمعنى أن يتلُو بعضُهم بعضاً ؛ قال الأزهريُّ : وهذا عندي مأخوذٌ من انذعبَ الماء وانشعَبَ ، قُلِبَتْ الشاء ذالاً .

ذ ن ب الذَّنوب : الدَّلْو المَلأى أو التي فيها ماء . قال الأزهريّ : ولا يقال لها وهي فارغةٌ .

الذِّنابُ : مَسِيلُ ما بَيْنَ كلِّ تَلْعَتَيْن . وذِنابُ الوادي : المَوْضِعُ الذي ينتهي إليه سَيْلُه .

والمِذْنَبُ : الجَدْوَلُ يسيلُ عن الرَّوضةِ بمائها إلى غيرِها .

ومُذَيْنِبٌ : اسم وادٍ بالمدينة يسيل بالمطر .

والذَّنَبانُ : ماء بالعِيص .

الذُّنابَى : شِبْهُ المُخاط يسيلُ من أُنوف الإبل .

ذ و ب ذابَ ضدُّ جمد . وذابَ : سالَ .

ذ ه ب المَذْهَبُ : المُتَوَضَّأُ . وقولُهم : به مُذْهَبٌ يعنُون الوَسوَسةَ في الماء وكثرة استعماله في الوُضوء . قال الأزهريّ : وأهل

بغداد يقولون للمُوَسوِسِ من النَّـاس المُذْهِبُ ، وعوامُّهم يقولون ، المُذْهَبُ .

الذَّهْبَةُ : المطرةُ الضَّعيفةُ أو الجَوْدُ ، واحدة الذِّهَاب ، وهي الأمطارُ اللَّيِّنةُ .

ذ ي ب الأذْيَبُ : الماءُ الكثيرُ .

ر ب ب رَبَّ السَّحَابُ المَطَرَ : جمعَهُ . وأَرَبَّتْ السَّحَابةُ : دام مطرُها ، والرِّبَّةُ : نباتٌ تبقى خضرَتُهُ شتاءً وصيفاً . والمَرَبُّ : الأرضُ الكثيرةُ الرِّبَّةُ .

والرَّبَابُ : السَّحَابُ يركب بعضُه بعضاً .

والرُّبَبُ . الماءُ الكثير المجتمعُ .

والرُّبُّ : سُلافَةُ خُثَارَةِ كل ثمرَةٍ بعد اعتِصارِها .

والرُّبَّابِيَّةُ : ماءٌ باليمامَة .

ر ح ب الرَّحْبَةُ من الوادي : مَسِيل مائه من جانبيه فيه ، جمعه رِحَابٌ ، وهي مواضعُ متواطِئَةٌ يستنقعُ الماءُ فيها ، وهي أسرع الأرض نباتاً ، تكون عند منتهى الوادي وفي وسطِه ، وقد تكون في المكان المُشرف يستنقِع فيها الماء وما حولها مُشرِفٌ عليها ولا تكون الرِّحاب في الرَّمل ، وتكون في بطون الأرض وفي ظواهرها .

والرُّحَيْبَةُ : اسم لماءات عديدة ومواضع فيها مياه .

ر د ب الإرْدَبُّ : القناةُ يجري فيها الماءُ على وجه الأرض .

ر ز ب المِرْزابُ لغة في المِزاب .

ر س ب رَسَبَ في الماء : ذهب سُفْلاً .

ر ش ب الرُّشْبَةُ : النّارَجيل الفارغ الذي يغترف به الماء .

ر ض ب الرُّضاب : الرِّيق ، وما تقطّع من النَّدَى على الشَّجر .

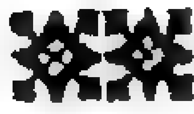
الرَّاضب من المطر : السَّحُّ . ورَضَبَ المطر : هَطَل .

ر ط ب رَطَبَ الثوْب وأرطَبَه ورَطَّبَه : بَلَّهُ بالماء .

الرَّطْبُ : ضد اليابس . والرُّطْبُ ما كان غضّاً من الكلإ .

والرُّطوبَةُ فضلٌ يقوم لذات الماء .

(يتبع) عدنان الخطيب



ضبط الكتب المدرسية بالشكل (١)

درست وزارة التربية موضوع الكتب المدرسية بالشكل ورأت أن تحدده بشروط مناسبة تتدرج ونمو الوعي اللغوي لدى التلميذ وتتفق مع مراحل اكتسابه اللغة ووقوفه على أسرارها .

وقد رأينا أن التقيد بهذه الشروط من شأنه توحيد صور ضبط الكلمات في الكتاب المدرسي ومساعدة الناشئة على اكتساب اللغة بلفظها السليم وتجنيبهم مواطن الزلل والتحريف حتى يغدو الصواب طبعاً في ألسنتهم فان تخرجوا في المرحلة الثانوية أمسوا قادرين على قراءة النصوص غير المشكولة قراءة سليمة .

لذا نرجو تعميم هذه التوجيهات على السادة المفتشين والمدرسين والمعلمين في مديريتكم لاعتمادها في التدريس والتأليف بكل دقة .

وزير التربية

سليمان الخش

---

(١) آثرنا نشر التوجيهات التي وضعتها وزارة التربية بشأن (ضبط الكتب المدرسية بالشكل) في مجلة المجمع بالنظر إلى أهميتها الكبرى وفائدتها الجلّى ، شاكرين للوزارة المشار إليها اهتمامها بموضوع من أكثر الموضوعات فائدة للطلاب ، ومن أجلّها خدمة للغة العربية . (لجنة المجلة)

١ — الشكل

أ — أهداف الشكل :

١ — مساعدة التلميذ على القراءة الصحيحة .

٢ — تثبيت صيغ الكلمات الصحيحة وتراكيبها السليمة في أذهان المتعلمين .

٣ — تدريب التلميذ على قراءة النصوص غير المشكولة قراءة صحيحة .

ولتحقيق هذه الأهداف تقسم الدراستان الابتدائية والثانوية إلى أربع مراحل وتراعى في كل مرحلة قواعد لشكل وفق الخطة التالية :

١ — المرحلة الأولى :

وتشمل الحلقتين الأولى والثانية من الدراسة الابتدائية (الصفوف الأربعة الأولى) ويراعى في هذه المرحلة القواعد التالية :

١ — تشكل جميع الكلمات شكلاً تاماً .

٢ — يُهمل شكل الحرف الممدود مثل : باب ـ بوق ـ وفيل .

٣ — يهمل شكل الحرف الذي يوقف عليه في أواخر الجمل مثل : طارَ العصفور .

٤ — يهمل الشكل بالسكون ، إلا في مثل بَيْع ومَيْل ويَوْم، حين تُستعمل الياء والواو كحرفين صامتين ويثبت في فعل الأمر والفعل المجزوم بالسكون .

٥ — يراعى الشكل الاعرابي مراعاة تامة .

٢ — المرحلة الثانية :

وتشمل الحلقة الثالثة من المدرسة الابتدائية (الصفين الخامس والسادس) وتراعى فيها قواعد الشكل في المرحلة الأولى ويضاف إليها :

١ — يهمل شكل الكلمات المألوفة ، والمتكررة ، والأعلام المشهورة ، وبعض الأدوات المعروفة وذلك إذا أمن اللبس .

٣ — المرحلة الثالثة :

وتشمل الصفوف الاعدادية الثلاثة . وتراعى فيها القواعد الآتية بالإضافة إلى القواعد الآنفة الذكر :

١ — يُهمل الشكل بالفتحة إلا إذا أوقع ذلك في لَبْس . مثــــل : أجَل ـ قلم ـ يوْم ـ ليْل ـ مدرسة ـ مشى .

٢ — يُهمل بالتدريج جانب من الشكل الاعرابي تبعاً لتقدم التلميذ في دروس النحو . مثال : يهمل شكل الفاعل والمجرور بحرف الجر والمفعول به والمبتدأ والخبر ...

٤ — المرحلة الرابعة :

وتشمُل الصفوف الثلاثة الثانوية . وتُراعى في هذه المرحلة القاعدتان التاليتان فقط :

١ — شكل ما يُشكِل في بنية الكلمة .

٢ — يبقى من الشكل الاعرابي شكل الكلمات التي يُحتمل وقوع الخطأ فيها.

أحكام خاصة :

١ — الهمزة تثبت دائماً إذا كانت همزة قطع . وتُكتب فوق الألف مضمومةً ومفتوحةً ، وتحت الألف مكسورة .

٢ — الشدّة تَثبت دائماً .

٣ — المدّ تَثبت دائماً .

أين تطبّق هــذه القواعد ؟

— تطبّق هذه القواعد في المرحلة الابتدائية على جميع الكتب المدرسية في جميع المواد .

– وما يتصل منها بالمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية يطبق على كتب اللغة العربية فقط .

– تطبق على كتب المواد الأخرى في المرحلتين الاعدادية والثانوية قاعدة « شكل ما يُشكِل » في بنية الكلمة وفي الإعراب .

– يعتمد المعلمون والمدرسون هذه المبادىء في ضبط النصوص وكتابة الموضوعات والحواشي .

وفيما يلي نماذج مشكولة من مختلف الحلقات الدراسية مختارة من كتب اللغة العربية وغيرها لتُحتذى في الشكل .

* * *

نماذج مضبوطة من مختلف المراحل التدريسية

١ – المرحلة الأولى :

– ١ –

مَوْكِبُ الرَّبيع

هذا أنتَ – أيُّها الرَّبيعُ ! – أقبلتَ فأقبلَت معَكَ الحَياةُ بجَميعِ أصنافِها وألوانِها ، فالنَّباتُ ينمو ، والأشجارُ تورِقُ وتُزهِرُ ، والهِرَّةُ تموءُ ، والحَمامُ يهدِلُ ، والبَقَرُ يخورُ : فكلُّ شيءٍ يشعرُ بالحَياةِ ، ويُنسي الهُمومَ .

لَقد مَلأتَ الجَوَّ عِطراً بِأزهارِكَ الطَّيِّبةِ ، فأنعشتَ النُّفوسَ وَبَعثتَ الأمَلَ ، لَيتَ الزَّمانَ كلَّهُ رَبيع ؟!

« حديقتي في اللغة العربية »
للصف الثالث الابتدائي

٢ — المرحلة الثانية :

— ٢ —

صُوَرٌ مِنَ الماضي العَرَبيّ

.... أمّا الأزهارُ فَكانَ أحَبّها لِلعَرَبِ الوَردُ ، وقدِ استَخرَجَ العَرَبُ منهُ ماءَ الوَرْدِ والعُطورَ ، وأُلِّفت في صِناعَتِهِ كُتُبٌ كثيرة . وفي مَيدانِ الطِّبِّ قامَ الأطِبّاءُ العَرَبُ بالدّراساتِ الطِّبّيَّةِ ، وكَشَفوا الأمراضَ ، ووَصَفوا الأدوِيَةَ ، واختَرَعوا الأدَواتِ الطِّبّيّةَ ، وأنشَؤوا حَوانيتَ لِبَيْعِ الأدوِيَةِ ، وألَّفوا كُتُباً في العَقاقير .

« التربية الوطنية والاجتماعية »
الخامس الابتدائي

٣ — المرحلة الثالثة :

— ٣ —

قسم

بأقدام أطفالنا العارية
يميناً ، وبالخبز والعافية
إذا لم نعفّر جبينَ الطغاة
على هذهِ الأرجُلِ الحافيَة
وإن لم نذوّب رصاصَ الغزاة
حروفاً هي الأنجُمُ الهاديَة

« بدر شاكر السياب »
القراءة الجديدة : الأول الاعدادي

— ٤ —

تطبيقات المتوسط الحسابي

١ — الخلط والمزج

كثيراً ما يلجأ الإنسان في حياته اليومية إلى إضافة مادّة لأخرى ، أو إضافةِ أنواع متعددة لمادّةٍ واحدة ، للحصول على مادة جديدة

تحوي مُميِّزاتٍ وخصائصَ معيَّنة ، فيُضاف الشّاي الذهبيّ إلى الشايّ السّيلانيّ ، مثلاً ، لتحسين لَون النّوع الثّاني ، ويُضاف البنّ العدنيّ إلى البُنّ البرازيليّ للغرض نفسِه ، وتُضاف كميةٌ كبرى من الماء إلى روح الخلّ الصّافي لِيُصبح صالحاً للاستعمال .

٤ — المرحلة الرابعة :

— ٥ —

تاجر البُنْدقِيّة

بورشْيا : إلحقّ أقولُ لكِ — يا نِريسا — أنّ جسديَ الضّئيلَ قد أضناه هذا العالَم الكبير .

نِريسا : لعلّ هذا يكون صحيحاً — ياسيّدتي الحسناء ! — لو تعادل شقاؤكِ معَ حُسن طالِعك ، بَيدَ أنني تبيّنتُ أنّ هنالِك مرضى آذتهمُ التّخمة ، وآخرون أضناهم الجوعُ والحرمان .

ولا شكّ أنّ في الاعتدال سعادةً أيّما سعادة . وأما

الاغراق في التّرَف فسرعانَ ما يجلِب المشيب ، بينما يطول العُمر مع القليل الكافي .

الصف الأول الثانوي

— ٦ —

مشكلات الأسرة العربية

إن إنشاء الأسرة يتطلب من الراغِبَين في الزّواج معرفة بعضهما بعضاً معرفة موضوعية دقيقة ؛ ومن الضّروريّ أن يعرف كلّ منهما عادات الآخر وطباعه وميوله وقدراته وأنماط تفكيره .

ومن الضّروري أن يستوثق كلّ منهما من عواطف الآخر تجاهه إذ أن عاطفة الحبّ من الأسس المتينة التي يُقام عليها بناء الأسرة ، إلا أنها ليست بالأساس الوحيد .

علم الاجتماع ـ الأول الثانوي

- ٧ -

الواقعيّة الجديدة في الأدب العربيّ

الواقعيّة الجديدة هي التعبير الأدبيّ عن نضال الشعب العربيّ من أجل بناء مجتمع عربيّ اشتراكيّ حرّ موحّد ؛ وهذا الاتّجاه الأدبيّ جديدٌ في أدبنا ، مهّدت له طبيعة الحياة العربية ، وطبيعة الحركات الإنسانية والتاريخية ، وقد بدأ قويّاً عارماً ، وكانت الغَلَبة فيه للشّعر ، ولكنه أخذ يخمُد من حين إلى حين آخرَ بفعل الأحوال السياسيّة والاجتماعيّة . ولم يسلم من ثغراتٍ وأخطاء ؛ وبعضُ ما أنتجه زائف أملته المناسبات ، وافتقر إلى الصدق والوعي العميق .

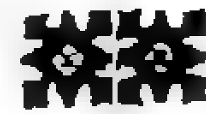
التراجم والنقد — الثالث الثانوي

****

تصويبات

لأخطاء وقعت في الجزء الأول والثاني
من المجلد الثالث والأربعين

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٠٨	١٠	نفسيلات	تفصيلات
٢٦٩	١٦	والفراء	والقراء
٢٨٠	١١	وأمل	ولعل
٢٩٥	١٢	التاريخ	التارنج
٣٣٦	١٣	يبق	يبق
٣٤٠	٦	٦٨٦٨	١٨٦٨
٤٠٤	٩	المستشرفين	المستشرقين
٤١٦	١١	فصل	فضل
٤١٦	١٥	يفضل	بفضل
٤١٦	١٨	يسبب	بسبب
٤٦٠	١٠	العرمية	العربية
٤٦١	١١	المزلف	المؤلف
٤٦٢	١٠	السليم	التعليم



الجزء الرابع　　　　　　　　　　　　　　　　المجلد الثالث والاربعون

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

تشرين الأول « اكتوبر » سنة ١٩٦٨ م　　　　　　رجب سنة ١٣٨٨ هـ

لغة الغناء

قد يكون هذا العنوان : لغة الغناء مبايناً لموضوع المقال ، فلست أريد بلغة الغناء ما يُستعمل في هذا الباب من الألفاظ فاني غريب عن هذا الفن ، وإنما الذي أريده بلغة الغناء مايستعمله الأدباء في وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، وقد رأيت أن كتاب الأغاني إنما هو أوسع مرجع إلى هذا الوصف .

اهتمّ أبو الفرج الأصبهاني في مقدمة كتاب الأغاني الاهتمام كلّه بالإشارة إلى الأغاني ، فلم يبال بشيء مبالاته بذكرها ، ويكاد ذكر الأغاني يستغرق المقدمة كلّها ، فقد أوتي من ذوق الغناء والمعرفة بأصوله وبالأصوات والألحان الشيء الكثير ، فإنّ له في هذا الميدان الباع الطويل ، وهذا أمر يؤيّده تأليفه في الغناء ، من ذلك رسالته إلى بعض إخوانه في علل النغم ، وقد جاء ذكرها في كتاب الأغاني ، فضلاً عن دخوله في المناظرات والمجادلات

والمراسلات والمشاتمات التي كانت تجري بين أئمة المغنين ، وآراؤه في هذا المنى مبثوثة في أضعاف كتاب الأغاني .

فكما كان أبو الفرج إماماً في الأدب فكذلك كان إماماً في الغناء ، ولقد نشأ في بيت يذوق أهله الغناء ، فقد طلب أبوه هذا الفن وواظب عليه ، وسمع مرّة لحناً لجميلة في منزل يونس بن محمد الكاتب فانصرف وهو كئيب ، حزين ، مغموم ، وكما كان لأبيه ذوق في الغناء فكذلك كان لعمته مثل هذا الذوق .

وقبل الشروع في موضوعنا وهو الإتيان بنماذج من وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، لابأس بذكر ماجاء في أخبار جميلة على لسان شيخ ذي سنّ وعلمٍ وفقهٍ وتجربة من وصف الغناء نفسه ، فالغناء في رأي ذلك الشيخ من أكبر اللذّات ، وأسرُ للنفوس من جميع الشهوات ، يحيي القلب ويزيد في العقل ، ويسرّ النفس ويفسح في الرأي ، ويتيسّر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويذلّل به الجبّارون ، حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبري المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد أهل الثروة غنى ، وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فيعزفون عن طلب الأموال ، من تمسّك به كان عالماً ، ومن فارقه كان جاهلاً ، لأنه لامنزلة أرفع ولا شيء أحسن منه ، فكيف يستصوب تركه ؟ ولا يستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ ...

فاذا كان للغناء هذه المنزلة في النفوس فلا عجب إذا خاض أبو الفرج في أمور كثيرة تتعلّق بهذا الفن ، فقد جاءت في كتاب الأغاني إشارة إلى ضروب الغناء ، منها الضرب المطرب المحرّك ، ومنها الضرب ذو الشجا والرقّة ، ومنها الضرب ذو الحكمة وإتقان الصنعة .

لقد تتبّع أبو الفرج أخبار الغناء فذكر أصله ونشـأته ، وذكر الذين تعلّموا ألحان الفرس وغناءهم ، والذين تعلّموا ألحان الروم وغناءهم ، وألمّ إلى البلاد التي ضعف فيها الغناء ، مثل الشام ، فلم يغفل عن أمور كثيرة تتصل بالغناء ، ولا سيّما بالخلفاء الذين حذقوا الغناء ونقدوه ، فميّزوا بين متانته وبين انخناثه ولينه ، أو الخلفاء الذين كانوا يؤثرون الطرب على كل شيء .

والخلاصـة لم يغفل أبو الفرج عن شيء يتصل بالغناء ، مثل انتشـاره والاستماع إليه ، وتعليمه في قصور الخلفـاء ، واللجوء إليه في الأعراس وغير ذلك ممّا قد يفوتني ذكره .

نريد أن نعرف بعد هـذه المقدمة الوجيزة كيف كان وصف الغناء في بعض كتاب الأغاني ، كيف كان التعبير عن تأثير الأصوات والألحـان في النفوس ، على أنه لا سبيل إلى استيعاب هذا الوصف في مقال مثل هذا المقال ، وإنما نجتزىء بالإتيان بأنماط منه حتى نحيط ببعض الإحاطة به .

لقد استفاضت في كتاب الأغاني أساليب مختلفة في وصف الغناء وتأثيره في النفوس ، مرّة كانوا يمدون في وصف الغناء نفسه للتشبيه ، فقد كان الواثق يقول : غناء علوية مثل نقر الطست ، يبقى ساعة في السمع بعد سكوته ، ومن هذا النحو وصف الوليد بن يزيد ، فقد غنّى ابن عائشة يوماً فطرح الوليد في مثل الطناجير من حرارة غنائه ، فالطست والطناجير كانت أدوات يُلجأ إليها في التشبيه في وصف الغناء .

وقد يكون الطير في بعض الأحيان مادّة لهذا التشبيه ، ففي موضع من الأغاني نجد أن أشعب كان يغنّي وكأنّ صوته صوت بلبل .

ومرّة كانوا يستغنون عن التشبيه في وصف الغنـاء ، فيصفون فنّ الغناء نفسه من حيث أصوله ، فقد غنّى اسحق لحناً صنعه في شعر ابن ياسين ، فجاء في وصف هذا الغناء ما يلي : فقد غنّى إسحق استهلالاً

وبسيطاً وصاح وسجح ورجّع النغمة واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات .

وهذا هو شعر ابن ياسين :

الطـــلول الدوارس فارقتهـا الأوانـــس
أوحشت بعـــد أهلها . فهي قفـــر بسابس

وقد تكرّر هـــذا الوصف في مقام آخر من كتاب الأغاني على لسان الواثق الذي قال : أوّل بيت في هذا الصوت أربع كلمات ، الطلول كلمة والدوارس كلمة ، وفارقتها كلمة والأوانس كلمة ، فانظر هل ترك اسحق شيئاً من الصنعة يتصرف فيه المغنّي لم يدخله في هذه الكلمات الأربع ، بدأ بها نشيداً وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صياحاً واسجاحاً وترجيحاً للنغم واختلاساً فيها ، وعمل هذا كله في أربع كلمات فهل سمعت أحداً تقدم أو تأخر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟

ومن هذا النوع وصف غناء إبراهيم بن المهدي ، فقد غنّى إبراهيم يوماً فوفّى الصوت نغمه وشذوره ، وكانت كتفاه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك ، وكان إذا غنّى :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفّكم أو تسترون هلالها

فبلغ إلى قوله : جبريل بلّغهـــا النبيَّ فقالها ، هزّ حلقه فيه ورجّعه ترجيعاً تتزلزل منه الأرض ، لقد كان إبراهيم بن المهدي أحسن الناس كلّهم غناء في رأي محمد بن موسى المنجّم ، وذلك أنه كان يراه بمجالس الخلفاء مثل المأمون والمعتصم يغنّي ، فإذا ابتدأ الصوت لم يبق من الغلمان والمتصرفين في الخدمة وأصحاب الصناعات والمهن ، الصغار والكبار ، أحد إلاّ ترك ما في يده وقرب من أقرب موضع يمكنه أن يسمعه فلا يزال مصغياً إليه ، لاهياً عمّا كان فيه ما دام يغنّي ، حتى إذا أمسك وتغنّى غيره رجعوا

إلى التشاغل بما كانوا فيه ، ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون ... ونظن أن هذا الإصغاء إلى إبراهيم بن المهدي إنما هو أبلغ إفصاح عن تأثير غنائه .

وإذا فرغنا من وصف الغناء فلا بأس بوصف تأثيره في نفوس السامعين ، كيف كان وصف هذا التأثير .

لقد بلغ من تأثير الغناء في النفوس أنهم إذا وصفوا هذا التأثير حملوا النبات والجماد على مشاركتهم في الطرب ، فقد نجد خبراً يتعلق بتشديد والي مكة نافع بن علقمة الكناني في الغنـــاء والمغنّين والنبيذ ، وفي خلال هذا الخبر نرى أنّ ابن سريج قد غنّى في ظلال شجرة بشعر العرجي مرتجلاً ، فخيّل إلى الذي يسمعه أن الشجرة تنطق معه .

وغنّى ابن عائشة يوماً فخيّل إلى الذي سمعه أن الأودية تنطق معه حسناً .

ومثل هذا الأسلوب من الوصف قد نراه في مقام آخر من كتاب الأغاني ، نراه في نسب إبراهيم الموصلي وأخباره ولا حاجة بنا إلى ذكر الخبر بأجمعه على طرافته ، فقد خلا إبراهيم الموصلي في يوم من الأيّام بجواريه وإخوانه ، وإذا هو بشيخ ذي هيبة وجمال ، عليه خفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قلنسوة لاطية ، وبيده عكّازة مقمّعة بفضة ، وروائح المسك تفوح منه ، حتى ملأ البيت والدار .. إني أجاوز ما جاء في هذا الخبر من غيظ إبراهيم بسبب دخول هذا الشيخ وأقف على غناء الشيخ الذي أخذ العود من إبراهيم وجسّه حتى خاله إبراهيم ينطق بلسان عربي لحسن ما سمعه من صوته ، ثم تغنّى الشيخ فقال إبراهيم : فوالله لقد ظننت الحيطان والأبواب وكل ما في البيت يجيبه ويغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خلت والله أني وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيت مبهوتاً لا أستطيع الكلام ولا الجواب ولا الحركة لما خالط قلبي .

وتبيّن بعد ذلك لإبراهيم أن هذا الشيخ إنما هو إبليس نفسه ، فقد كان جليسه ونديمه ذلك اليوم .

الخبر غاية في الطرافة ، ويستحسن الرجوع إليه لطرافته ، ولكن المهمّ فيه إنما هو الوصف ، فقد جاء هذا الوصف على لسان إمام من أئمة الغناء ، عرف أسرار الغناء ووقف على البراعة فيه ، فكان الوصف مشتملاً على أبلغ ما يكون من الإفصاح عن التأثير ، وأيّ وصف أبلغ من أن تكون عظام إبراهيم وثيابه تجاوب الشيخ في غنائه .

وقد يخلو وصف تأثير الغناء في بعض الأحيان من التشبيه ولغة الشعر ، فيستعملون ألفاظاً مجرّدة تكاد تنطق بنفسها ، من ذلك ما وجدته في دفتري في وصف غناء لا أذكر صاحبه فان الذي سمع هذا الغناء طرب ونعر ونخر .

ويجدر بنا بعد هذا كله أن نشير إلى وصف حركات السامعين الذين كان يهزّهم حسن الغناء والصوت ، فقد كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسّط وقلّ ترجيعه فغنّاه يوماً حكم الوادي بشعر النابغة الجعدي فوثب عن فراشه طرباً .

وسمع عمر الوادي يوماً إنساناً يغنّي غناء لم يسمع قط أحسن منه ، فكاد يسقط عن راحلته طرباً .

وغنّت جميلة يوماً فسمع للبيت زلزلة وللدار همهمة ، ثم غنّت فاستخفّ غناؤها القوم أجمعين ، وصفّقوا بأيديهم ، وفحصوا بأرجلهم ، وحرّكوا رؤوسهم ، وقالوا لها : نحن فداؤك من السوء ووقاؤك من المكروه ، وأنشدت قصيدة في عمر بن الخطّاب وعملت فيها لحناً لا يسمعه أحد إلاّ بكى ، حتّى قال الذي سمعه : والله ما سمعته قط إلاّ أبكاني لأني أجد حين أسمعه شيئاً يضغط قلبي ويحرقه فلا أملك عيني .

وقريب من هذا الوصف ما جاء في أخبار عبد الله بن جعفر ، فقد أمر جارية له أن تغنّي ، فغنّت ، فجعل شيخ من الحضور يصفّق ويرقص ويحرّك رأسه ويدور ، حتّى وقع مغشياً عليه .

ومنهم من كان يسمع حسن الصوت فيطرب طرباً يهمّ معه أن ينطح برأسه الحائط .

ولم يقتصروا على وصف تأثير الغناء في الناس ، فقد وصفوا تأثيره في الوحش . غنّى إبراهيم بن المهدي يوماً على أشدّ طبقةٍ يتناهى إليها في العود ، وقد وصف صوته من كان يسمعه فقال : كان إذا ابتدأ يغنّي أصغت الوحش إليه ومدّت أعناقها ، ولم تزل تدنو من الحضور حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدكّان الذي كانوا عليه ، فاذا سكت نفرت وبعدت من القوم حتّى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنهم .



في هذا القدر من الاستشهاد مقنع ، فانّ كتاب الأغاني لا تكاد ورقة من أوراقه تخلو من وصف محاسن الأصوات والألحان وتأثيرها في النفوس ، والذي تبيّن لنا من الاستشهاد بما استشهدنا به أن لغة الغناء ، أي لغة وصف الغناء وتأثيره كانت تعبّر عن هذا الوصف تعبيراً واقعاً ، فانّ حركات السامعين التي تقدمت الإشارة إليها ، نكاد نشهد أمثالها يومنا هــــذا ، فالتصفيق باليد والفحص بالرجل وهزّ الرأس ، كل هذا من حركات الاستحسان ، وقد يبالغون في بعض الأحيان فينطقون الأودية والجبال والبيوت والحيطان والأبواب في هذا الاستحسان ، أو يفصحون عن النطح

بالرأس أو السقوط عن الراحلة من الطرب ، أو عن زلزلة البيت وهمهمة الدار من حسن الغناء ، أمّا وصف الغناء نفسه فلا شك في أن ألفاظ النغم والترجيع والصياح والأسجاح والترجيح للأنغام والاختلاس فيها ، كل هذا داخل في لغة الغناء ، فالبلاغه كل البلاغة في الوصف أن يلجأ الواصفون إلى الألفاظ التي يستلزمها هذا الوصف ، ولوصف كل أمر من الأمور لغة خاصة ، فالألفاظ التي تستعمل في وصف الغناء تختلف عن الألفاظ التي تستعمل مثلاً في وصف الطبيعة .

شفيق جبري



الاصطلاحات الفلسفية

- ٣٢ -

العائق

في الفرنسية	Obstacle
في الانكليزية	Obstacle
في اللاتينية	Obstaculum

عاقه عن الشيء منعه منه وشغله عنه. وعوائق الدهر شواغله وأحداثه. والعائق في اصطلاحنا ما يعوق الفكر أو الإرادة من شواغل داخلية أو خارجية. وعوائق النمو هي الأسباب التي تمنع الكائن الحي من بلوغ الكمال الخاص بنوعه. من هذه العوائق ماهو طبيعي كالنقص الجسمي أو المرضي، ومنها ما هو اقتصادي كالفقر، ومنها ما هو اجتماعي كالاعتقادات الفاسدة والتقاليد البالية، ومنها ماهو سياسي كالاستبداد والظلم، ومنها ماهو نفسي كالخوف والقلق والشذوذ. وكثيراً ما تكون التربية الفاسدة عائقاً عن النمو الاجتماعي والاقتصادي، أو تكون المفاهيم العقلية القديمة عائقاً عن التقدم العلمي والحضاري. ومع ذلك فإن شعور المرء بالعوائق قد يدفعه في كثير من الأحيان إلى التغلب عليها، هذا إذا كان شعوره مصحوباً بالعزم والإقدام والثقة والإيمان. وكلما كان طموحه إلى الكمال أشد كان ميله إلى مجاوزة شروط الواقع أقوى.

ويطلق اصطلاح الطفل المعوق (Enfant Handicapé) على الطفل المتخلف عن مسايرة أقرانه لنقصٍ جسمي أو عقلي أو سلوكي موروثٍ أو مكتسب

العادة

في الفرنسية	Habitude
في الانكليزية	Habit
في اللاتينية	Habitus, habitudo

١ — العادة كيفية راسخة في النفس ، أو هيئة مكتسبة ، تمكن صاحبها من إنجاز بعض الأفعال أو تحمل بعض المؤثرات في سهولة . فإذا كانت سريعة الزوال سميت حالة ، وإذا كانت متعسرة الزوال سميت ملكة يقال : لايكون الفاسق شريراً بقوة الشر بل بعادة الشر ، ويقال أيضاً : الفضيلة عادة ، وهي التوسط بين الإفراط والتفريط .

٢ — والعلماء المحدثون يعرفون العادة بقولهم : إنها استعداد مكتسب يحصل للنفس بتكرار الفعل ، أو استمرار التغير . فالعادة الفاعلة كعادة الكتابة تتكون بتكرار الفعل ، والعادة المنفعلة كتعود الجسم تحمل بعض المؤثرات ، تتكون باستمرار التغير . ومع أن لكل فعل أو تغير أثراً في النفس فإن هذا الأثر لايصبح كيفية راسخة إلاّ بالتكرار والتمرين .

٣ — ويطلق الفلاسفة الكشطلطيون (Gestalt) اسم العادة على كل صورة للفعل تصبح بحكم تفردها واستقرار الأحوال اللابسة لها شائقة وثابتة إلاّ أن المألوف عند جمهرة العلماء إطلاق اسم العادة على الظواهر التالية .

آ — العادة هي التكيف العام حيوياً كان أو مادياً . وتحقيق ذلك أن الموجود إذا تأثر بالفعل مرة واحدة أحدث هذا الفعل فيه تغيراً يجعل تأثره بتكرار ذلك الفعل أو استمراره أقلّ من تأثره بالأول . مثال ذلك أن تسخين اليد يحول دون إحساسها بحرارة الماء ، وإن إدمان شُرْب الأدوية يخفف من تأثيرها في الجسم .

ب — العادة ظاهرة حيوية خاصة ، غير مصحوبة بالوعي تتميز بتكرار بعض الحركات الناشئة عن الأسباب الخارجية تكراراً عفوياً . كحركات النبات الناشئة عن تأثير النور في النهار أو الظلمة في الليل ، أو كبعض الحركات الآلية التي لايحتاج المرء في القيام بها إلى إعمال الروية والفكر .

ج — العادة كيفية نفسانية ، تحصل بتكرار فعل مصحوب بالشعور يولد في المرء بالدربة والممارسة قدرة على إنجاز ما كان في بداية الأمر عاجزاً عن فعله . وقد يؤدّي اكتساب المرء لهذه العادات النفسية إلى استغنائه عن الشعور والإرادة في إنجاز ما يفعله كعادة المشي أو الكتابة أو ركوب الدراجة ، فهي مصحوبة بتضاؤل الإحساس بالحركات الجزئية الداخلة في تركيبها ، أو يؤدي في بعض الأحيان إلى عكس ذلك كعادة إتقان العمل ، أو عادة امتلاك النفس ، أو عادة التفكير قبل الكلام ، فهي عادات مصحوبة بالشعور والانتباه والإرادة .

ء — والعادات في نظر مين دوبيران (Maine de Biran) فاعلة (Actives) ومنفعلة (Passives) . فالعادات المنفعلة ، كتعود الكائن الحي تحمل بعض المؤثرات ، تتميز بتضاؤل الإحساس وضعف الشعور ، والعادات الفاعلة كعادة المشي والكتابة والمروءة والشجاعة والعفة ، تتميز بوضوح الإدراك وسهولة الفعل ودقته . إلاّ أن القول بانقسام العادات إلى فاعلة ومنفعلة لايخلو من الالتباس ، لأن العادات المسماة بالفاعلة لاتخلو من الإنفعال ولأن العادات المسماة بالمنفعلة لاتخلو من الفعل . لذلك رأى الفيلسوف اغجر (Egger) أن يستبدل بهذا التقسيم تقسيماً آخر ، وهو القول : إن العادات سلبية وإيجابية . فالسلبية هي العادات المصحوبة بتضاؤل الشعور والإرادة ، والإيجابية هي العادات المصحوبة بزيادة الشعور والانتباه والجهد .

٥ — وللعادات في نظر (اغجر) أيضاً قسمان : العادات الخاصة ، والعادات العامة . أما الخاصة فهي التي يقتصر فيها على تكرار الفعل على نمط واحد ، كتعود المرء عزف لحن معين على إحدى الآلات الموسيقية ، وأما العامة فهي العادات المشتملة على أفعال مختلفة من جنس واحد كتعود الموسيقار عزف كل لحن جديد على جميع الآلات الموسيقية ، بسبب ملكة حصلت له .

(راجع لفظ : كشطلت « Gestalt ») .

العادل والعدل

في الفرنسية	Juste
في الانكليزية	Just , Right
في اللاتينية	Justus

العادل أو العدل هو المرضي الحكم أو الشهادة ، وهو مشتق من عدل تقول : عدل في أمره عدلاً ، استقام . وعدل في حكمه ، حكم بالعدل ، وعدّل الشيء قومه ، وعدل فلاناً بفلان سوّى بينهما .

فإذا كان العادل أو العدل نعتاً للشيء دلّ على المثل والنظير والمساوي ، أو على المطابق للحق الوضعي أو الحق الطبيعي ، كالجزاء فانّ وصفه بالعدل يدل على مطابقته للحق ، تقول : جزاء عادل ، وثمن عادل ، وميزان عادل .

وإذا كان العادل أو العدل نعتاً للعاقل دلّ على اتصافه بالإنصاف . أي على إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه . تقول : شاهد عدل أي صادق ، وحاكم عادل أي منصف .

فالعادل بالجملة هو الذي « من شأنه أن يساوي بين الأشياء غير المتساوية » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٥) ، ويحكم على نفسه

بما يحكم به على غيره ، ويجعل حكمه مجرّداً من العواطف ، خالياً من الغرض والعبث والأنانية . فكل من كان صادق الحكم ، مريداً للخير منزهاً عن فعل القبيح ، وعن الإخلال بالواجب كان عادلاً ، وكذلك كل من كان متمسكاً بالشريعة ، معترفاً بحقوق الناس وحرياتهم . فالعادل إذن هو المنصف الذي يعامل غيره بما يعامل به نفسه . ويجعل إرادته مطابقة للقانون الأخلاقي .

والعادل عند علماء اللاّهوت صفةٌ للإنسان الخاضع لأوامر الله ونواهيه وهو ضد الظالم والفاسق والجائر . أو هو صفة لله تعالى لامتناع الجور عنه . ولأنه سبحانه لا يأمر عباده إلاّ تخييراً ، ولا يكلفهم إلاّ يسيراً . ومعنى ذلك أن القول بالعدل الإلهي يوجب القول بالحرية الإنسانية ، لأنه لا يعقل أن تكون المعاصي بتقدير الله [1] . ولو كانت كذلك لما كان الله عادلاً .

العاطفة

في الفرنسية	Sentiment
في الانكليزية	Sentiment

عطف عليه أشفق ، وعطفت الناقة على ولدها حنّت عليه ودرّ لبنها ، والعاطفة الميل ، والشفقة ، والرأفة وجمعها عواطف .

وللعاطفة عند المحدثين عدة معان :

١ — فنهم من يطلقها على الانفعالات الناشئة عن أسباب معنوية لا عن أسباب عضوية .

٢ — ومنهم من يطلقها على اللذات والآلام وغريزة حفظ البقاء ، والمشاركة الوجدانية ، والحب ، والكبرياء ، والتواضع ، والغريزة الجنسية ، والنازع الخلقية والاجتماعية والدينية والجمالية والعقلية .

(١) أي لا بمحبته ولا برضاه .

٣ — ومنهم من يطلقها على الميول الغيرية دون الميول الأنانية والنفعية . فالعطوف من الرجال هو الذي يحمي الضعفاء ، والعطوف من النساء هي المحبة لزوجها .

٤ — والعاطفة في اصطلاحنا استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات معينة ، والقيام بسلوك خاص حيال فكرة معينة . ففيها إذن انفعال وتصور وفعل ، كالعواطف الدينية أو الخلقية أو الاجتماعية فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض مصحوب بفعل محدد أو غير محدد .

٥ — ومذهب العاطفة (Morale du Sentiment) في الأخلاق مذهب (روسو) و (آدم سميث) و (جاكوبي) ، وقوامه الشعور بالغيرية أي بحب الآخرين ، وطريقته المعرفة الحدسية .

٦ — وكما ينزع المرء بعاطفته إلى الشعور بالانفعال ، فكذلك ينزع بها إلى الكشف عن الحقيقة ، ولكن الحقائق التي نكشف عنها بعواطفنا لا تصبح حجةً عند غيرنا إلاّ إذا حصل لهم من الكشف ما حصل لنا .

٧ — والعاطفي (Sentimental) هو المنسوب إلى العاطفة ، ولا سيما عاطفة الحب . تقول التربية العاطفية (Education Sentimentale) والسياسة العاطفية (Politique du Sentiment) وهي ضد السياسة الواقعية (Politique réaliste) .

والعاطفي من الرجال هو الذي يتغذى بالعواطف أو يتبع عواطفه في علاقاته الإنسانية ، أو يفضل إظهار عواطفه على سترها . والمقصود بالعواطف هنا العواطف العذبة ، والذكريات الطيبة ، والأحلام الجميلة .

العالم

في الفرنسية	Univers . monde
في الانكليزية	Universe , World
في اللاتينية	Universum , mundus

١ — العالم بالمعنى العام مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان ، وهو واحد ، قال (ليبنيز) : « إذا كنت أطلق لفظ العالم .. على مجموع الأشياء الموجودة فمرد ذلك إلى رغبتي في اجتناب القول إنه يمكن أن يوجد في الأزمنة والأمكنة المختلفة عدة عوالم ، لأن هذه العوالم لو وجدت لوجب عدّها كلها عالماً واحداً » (Leibniz , Théodicée , 1, 8) . وفي كتاب النجاة لابن سينا (ص ٢٢٢) فصل عنوانه : « إن العالم واحد وإنه لا يمكن التعدد » .

والعالم بالمعنى العام أيضاً كل ما سوى الله من الموجودات قديمة كانت أو حادثة . وقد يطلق على المخلوقات كلها ، أي على كل ما وجوده ليس من ذاته من حيث هو كل . وينقسم إلى قسمين أحدهما روحاني وهو عالم الأرواح والعقول ، والآخر جسماني وهو مجموع الموجودات المادية .

٢ — والعالم بالمعنى الخاص هو مجموع الأجسام الطبيعية البسيطة كلها (ابن سينا رسالة الحدود) أو مجموع الأجسام السماوية ، أو العالم المرئي ، أو الأرض من جهة ما هي مركز ما تحت القمر ، أو مجموع الحقائق الواقعية الموجودة في المكان والزمان ، وهذه الحقائق الواقعية إما خارجية وإما داخلية ، فالخارجية هي الأعيان المدركة بالحس ، والداخلية هي الأحوال النفسية المدركة بالشعور .

ويطلق العالم بالمعنى الخاص أيضاً على جملة موجودات من جنس واحد ، كقول ابن سينا : « يقال عالم لكل جملة موجودات متجانسة كقولهم عالم الطبيعة وعالم النفس وعالم العقل » (رسالة الحدود) . وقد عم استعمال هذا الاصطلاح في أيامنا هذه حتى أطلق على كل جملة من الأشياء المتجانسة ، كقولنا عالم القيم وعالم السياسة ، وعالم الأدب ، وعالم الألفاظ .. الخ .

والعالم بالمعنى الخاص لا يمنع التعدد . قال الغزالي : « والعوالم كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى » ، كما قال : « وما يعلم جنود ربك إلاّ هو » ، وإنما خبره من العوالم بواسطة الإدراك ، وكل إدراك من الإدراكات خلق ليطلع الإنسان به على عالم من الموجودات ، ونعني بالعوالم أجناس الموجودات » (المنقذ من الضلال ، فصل في حقيقه النبوة ، ص ١١٠ من طبعتنا السابعة ، بيروت ١٩٦٧) فعالم الحس مجموع الأشياء المدركة بالحواس ، وعالم الإدراك مجموع الصور النفسية المطابقة للظواهر الحسية ، وعالم المعقولات مجموع الحقائق العقلية المفارقة الخ . .

٣ — والقدماء يفرقون بين العالم السفلي أي عالم الكون والفساد ، والعالم العلوي أي عالم الأفلاك وما فيه من الأجرام السماوية .

وعالم الأمر عندهم ضد عالم الخلق . (الأول) عالم الملكوت والغيب ، ويطلق عند المتصوفة على عالم وجد بلا مدة ولا مادة كالعقول والنفوس ، والثاني عالم الملك والشهادة ، ويطلق على عالم وجد بمادة كالأفلاك والعناصر والمواليد الثلاثة .

وهم يفرقون أيضاً بين العالم الكبير (Macrocosme) والعالم الصغير (Microcosme) فيطلقون الأول على ما فوق السماوات أو على السموات والأرض وما بينها ، ويطلقون الثاني على ماتحت السموات أو على الأرض أو الإنسان ، ومنهم من يقول العالم الكبير هو القلب ، والعالم الصغير هو

النفس ، والذين يسمون الإنسان عالماً صغيراً يقولون إن صورة هيكله مماثلة لصورة العالم الكبير ، وإن فيه قوى متضادة الأفعال ، متباينة الأعمال ، كالقوى التي يتألف منها العالم الكبير . (رسائل إخوان الصفا ، الرسالة الثانية عشرة ، الرسالة الجامعة ، جزء ١ ص ٥٦٥) ، وعالم القدس عندهم عالم المعاني الإلهية المقدمة على الأحكام الخلقية والنقائض الكونية .

٤ — والعالم (في العهد الجديد) مجموع الأشياء والأفعال المضادة للحياة الروحية ، مثال ذلك قوله : « ثم أخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه مجموع ممالك العالم ومجدها » (متّى ، الأصحاح الرابع ، ٨) وقوله : « لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (متّى ، الأصحاح السادس عشر ٢٦) وقوله : « لا يقدر العالم أن يبغضكم ، ولكنه يبغضني أنا ، لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة » (يوحنا ، الأصحاح السابع ، ٧) .

٥ — والعالمي هو المنسوب إلى العالم ، تقول المواطن العالمي . والعالمية هم القائلون بتقديم حب الإنسانية على حب الوطن ، كالرواقيين فهم يسمون أنفسهم مواطنين عالميين (Citoyens du monde) .

٦ — راجع الألفاظ التالية : الكون (Cosmos) ، والكوني (Cosmologique) ، وعلم العالم (Cosmologie) وعلم نشأة العالم (Cosmogonie) .

العالي والأعلى

في الفرنسية	Supérieur
في الانكليزية	Superior, higher
في اللاتينية	Superior

إذا كانت الأشياء مختلفة المراتب أطلق لفظ العالي على الشيء الذي تكون مرتبته متقدمة على مرتبة الآخر . مثال ذلك مراتب المعاني ، ومراتب

العلوم وغيرها . فإنه إذا كان أحدها متقدماً على الآخر مباشرة كان الأول عالياً ، والثاني سافلاً ، كالجنس بالنسبة إلى النوع ، وكعلم الرياضيات بالنسبة إلى علم الفلك ، تقول الحيوانات العالية ، والأفعال العقلية العالية ، والقيم العالية ، والوظائف الاجتماعية العالية .

وإذا كانت مرتبة أحد الحدود متقدمة على مراتب جميع الحدود الأخرى سمي ذلك الحد بالحد الأعلى أو بجنس الأجناس ، مثل الوجود المطلق بالنسبة إلى سائر الموجودات .

والعلو قد يكون في المكان أو في الرتبة ، وهو عند المحدثين قسمان : علو مطلق ، وعلو نسبي ، ويقابله النزول .

والعلو والسفل مفهومان متضايفان .

العـام

في الفرنسية	Général
في الانكليزية	General
في اللاتينيـة	Generalis

العامّ الشامل ، وهو خلاف الخاصّ . يقال مطر عـام أي شامل ، ويقال أيضاً المصلحة العامة ، والرأي العام . وكل ما يتناول أفراداً متفقة الحدود على سبيل الشمول فهو عامّ .

وللعام باعتبار شموله حالتان :

فإذا كان شموله محدّداً دلّ على أكثرية الأفراد الداخلين في الحكم كقولنا : الإضراب عام ، والتعبئة عامة ، فان إطلاق الحكم في هذين القولين لا يمنع الاستثناء .

وإذا كان شموله غير محدد دل على مجموع أفراد الجنس لاشتراكهم جميعاً في طبيعة واحدة بلا استثناء ، ويرادفه الكلي (Universel) وهو خلاف الخاص (Spécial) والفردي (Individuel) والجزئي (Particulier) . تقول : إن الاستقراء هو انتقال من الجزئي إلى الكلي ، لأنه حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي ، إما كلها وهو الاستقراء التام ، وإما أكثرها وهو الاستقراء المشهور .

وتختلف درجة شمول المعاني أي درجة عمومها (Généralité) باختلاف مرتبتها في التسلسل ، فاذا كانت أعلى كانت أعم ، وإذا كانت أدنى كانت أخص . كقولنا : إن وظيفة التغذي في الكائنات الحية أعم من وظيفة الحركة ، وإن معنى المثلث أعم من معنى متساوي الساقين .

والفلاسفة القدماء يطلقون لفظ العام على الخاصة المشتركة بين جميع الأجزاء ، كقول ابن سينا : إن الأمور العامة لجميع الطبيعيات هي المادة والصورة والحركة .

والعرض العام عندهم كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون . والقضايا الكلية هي القضايا التي يكون الحكم فيها إيجاباً أو سلباً على كل واحد من الموضوع ، كقولنا كل إنسان فان . ومعنى ذلك أن الكلي يشمل جميع أفراد النوع بلا استثناء ، على حين أن العام قد يشمل جميع الأفراد أو لا يشمل إلاّ معظمهم ، كالقواعد العامة في المسائل الإنسانية فهي لا تمنع الاستثناء .

والعامي هو المنسوب إلى العام كقول ابن سينا : « فلا كلي عامي في الوجود » (النجاة ص ٣٦٠) .

والعامي أيضاً هو المنسوب إلى العامة كقولنا : المفهوم بحسب التعارف العامي ، أو قولنا المعرفة العامية (Connaissance vulgaire) وهي خلاف المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية .

والعامية لغة العامة من الناس وهي خلاف الفصحى .

(راجع الألفاظ التالية: العموم (Généralité) والتعميم (Généralisation) والكلي (Universel) .

العامل

في الفرنسية	Facteur
في الانكليزية	Factor
في اللاتينية	Factor

العامل عند النحاة ما يقتضي أثراً إعرابياً في الكلم ، وهو قسمان : لفظي وهو ما يتلفظ حقيقة أو حكماً ، ومعنوي وهو ما لا يكون له أثر في اللفظ أصلاً لا حقيقة ولا حكماً .

والعامل عند الفلاسفة ما يؤثر في الشيء ويرادفه السبب والشرط والباعث ، يقال : كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء .

والعامل في علم الحساب هو العدد الصحيح الذي يقسم عدداً صحيحاً آخر بلا باق .

والعامل عند المؤرخين ما يؤثر في تعاقب الأحداث التاريخية .

والعامل في علم النفس هو العنصر المؤثر في الحالات العقلية التي تؤدي مجتمعة أو مفترقة إلى نتيجة معينة .

والعامل في علم الإحصاء هو الخاصة أو المتغير الذي يؤخذ بعين الاعتبار في بحث من الأبحاث ، أو هو السبب الخاص بمتغير واحد ، أو السبب المشترك بين عدد من المتغيرات يتخذ أساساً لتقرير العلاقة بينها .

وتحليل العوامل (Analyse des facteurs) أو (Analyse factorielle) هو الطريقة المتبعة في تحليل العلاقات الموجودة بين عدد من المقادير المختلفة ،

أو هو الطريقة المتبعة في تحليل الروائز (Tests) لردّ مختلف العوامل إلى عدد من العوامل الأولية البسيطة ، أو الكشف عن طبيعة العمليات التي تتطلبها الاستجابة لبنود الروائز .

والعامل العام (Facteur général) في نظرية سبرمان (Spearman) هو العنصر المشترك بين جميع قابليات الشخص تمييزاً له من العوامل الخاصة المختلفة باختلاف القابليات .

العبادة

في الفرنسية	Adoration
في الانكليزية	Adoration
في اللاتينية	Adoratio

العبادة هي خضوع الإنسان لربه على سبيل التعظيم ، أو هي فعل المكلّف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه (تعريفات الجرجاني) . والعبادات هي الشعائر الدينية .

ويطلق لفظ العبادة مجازاً على الخضوع للآلهة الكاذبة ، كعبادة الكواكب ، وعبادة الأرواح ، أو يطلق على الأشياء التي ترمز إلى الآلهة كعبادة الأصنام (Idolâtrie) ، أو على الميل الشديد إلى أحد الأشخاص والتذلل له كعبادة المشوق .

والفرق بين عبادة الأصنام وعبادة الأشياء المادية (Fétichisme) أن الأولى تقوم على اتخاذ الصنم وسيلة للتقرب إلى الله ، على حين أن الثانية تقوم على عبادة الأشياء المادية لذاتها . ومعنى ذلك أن الصنم ليس إلهاً ، وإنما هو صورة ترمز إلى الإله .

ومن ظواهر عبادة الأشياء المادية في علم الأمراض العقلية حالة الانحراف الجنسي التي تجعل العاشق يستبدل بعشق الشخص المعشوق عشق بعض أعضائه أو بعض ملابسه .

وعبادة المجتمع (Sociolâtrie) اصطلاح وَضَعه (اوغوست كومت) للتعبير عن ميل الأفراد إلى تقديس الروابط الاجتماعية .

(راجع الورع « Piété » والتقوى « Dévotion ») .

العبـــد

في الفرنسية	Esclave
في الانكليزية	Slave
في اللاتينية	Servns , slavus

العبد في الأصل هو الإنسان حراً كان أو رقيقاً لأنه مربوب لله . ويطلق أيضاً على إنسان يملكه غيره ويسمى بالرقيق . ويجمع على عباد وعبيد . (فالعباد) لا يضاف إلا إلى الله ، أما (العبيد) فيضاف إلى الله وإلى غيره ، وهو أعم من العباد .

ويطلق لفظ العبد مجازاً على الرجل الذي يتقيد بقواعد السلوك تقيداً شديداً . تقول هذا الرجل عبد الواجب أو عبد الوفاء بالعهد . ويطلق أيضاً على الرجل الذي ينقاد لإحدى قواه الطبيعية أو المكتسبة انقياداً تاماً . تقول هذا الرجل عبد الغريزة أو عبد المادة .

والعبودية (Esclavage) صفة العبد ، وهي ضد الحرية .

وقد قيل إن عبودية النبيّ لله تعالى أشرف من رسالته ، لأنه بالعبودية ينتقل من الخلق إلى الحق ، وبالرسالة ينتقل من الحق إلى الخلق . وقيل أيضاً : العبودية هي الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود (تعريفات الجرجاني) .

العتبة

في الفرنسية	Seuil
في الانكليزية	Threshold
في اللاتينية	Solium , limen , liminis

العتبة في اللغة خشبة الباب التي يوطأ عليها لدخول الدار . وتطلق مجازاً على بداية كل شيء ، تقول عتبة الحياة ، وعتبة الامتحان .

والعتبة في علم النفس هي الحد الأدنى الذي يجب أن يكون عليه المؤثر حتى يكون مصحوباً بالاستجابة ، لأن المؤثر لا يحدث إحساساً إلا إذا بلغ درجة معينة من الشدة .

والعتبة قسمان : عتبـــة مطلقة (Seuil absolu) وعتبـــة فاصلة (Seuil différentiel) . أما العتبة المطلقة فهي الحد النهائي لكية المؤثر التي يزول الإدراك الحسي دونها أو بعدها ، أو هي أصغر كية للمؤثر تستطيع أن تولد إحساساً . وأما العتبة الفاصلة فهي أصغر كية تضاف على المؤثر لتوليد إحساس مختلف عن الإحساس السابق .

وليست العتبة في كلا الحالين ثابتة ، وإنما هي مترجحة حول حـــد متوسط خاص بكل نوع من الإحساس ، فتتغير بتغير الأفراد ، وتتبدل بتبدل الحالة النفسية التي يمر بها كل فرد .

وقد انتشر لفظ العتبة في علم النفس الحديث حتى عم جميع مسائله تقول : عتبة المؤثر ، وعتبة الإحساس ، وعتبة الشعور ، وعتبة الانتباه .. الخ .

العَتَه

في الفرنسية Idiotie

في الانكليزية Idiocy

العته في اللغة نقص في العقل من غير جنون . والمعتوه (Idiot) اسم مفعول منه ، وهو الشخص المختلط العقل الذي يشبه بعض كلامه كلام العقلاء ، وبعضه كلام المجانين .

والعته في علم النفس مختلف عن البلاهة .

فالمعتوه شخص ضعيف القوى العقلية منذ ولادته . وهو يتميز على العموم ببطء حركاته ، وبلادته ، وغلاظة إحساسه ، وعدم انتباهه ، وشدة خجله وعجزه عن التخيل والمبادرة ، وميله إلى القعود ، كأن به داء يقعده عن العمل . وهو وإن كان قليل التأثر بالإيحاء إلا أنه مطيع للأوامر والنواهي متقيد بالنظام ، قادر على الشعور بالحب ، والاعتراف بالجميل ، يسهل عليك أخذه باللطف أكثر مما يسهل عليك أخذه بالخوف .

أما الأبله (Imbécile) فيتميز بالفوضى في تخيله ، وبالسرعة في تداعي أفكاره تداعياً غير متماسك . وهو وإن كان يقظ الانتباه ، إلا أنه قليل الاستمرار عليه ، ومع أنه عاجز عن إتمام كل عمل أو إتقانه فإنه شديد الاغترار بنفسه ، يلحف في المطالبة بحقوقه ، ويسوف في القيام بواجبه ، شديد التحمس للأشياء الباطلة أو المضرة ، كثير الاندفاع ، قليل النظام ، شارد الفكر ، يفخر بقلة إحسانه ومعروفه وخشونة أفعاله ، شديد الميل إلى تلقي الإيحاء ببعض الأشياء دون بعض ، قليل التأثر بحسن المعاملة ، كثير التأثر بالتهديد والتملق .

ومما يتميز به المتوه عن الأبله أن الأول يتصف ببعض العاهات الجسمانية كالعمى والصمم والحول والتأتأة والفالج النصفي والتشنج على حين أن الثاني قلما اتصف بشيء من ذلك . إلا أن الاثنين يشتركان في صغر حجم دماغيهما .

ويمكن القول في ذلك قولاً عاماً وهو أن المتوه يتميز بنقص نموه أو توقفه على حين أن الأبله وإن كان متصفاً بالنمو إلا أن نموه غير سوي ، وغير متجه إلى الخير .

والعته الأخلاقي (Idiotisme moral) مختلف عن الجنون الأخلاقي (Folie morale) ، فالأول يتميز بضمور الدوافع الغيرية والاجتماعية والجمالية على حين أن الثاني يتميز ببعض الدوافع الشاذة كجنون السرقة (Kleptomanie) وجنون إدمان الشراب (Dipsomanie) .

(راجع لفظ : الجنون) .

العُجب

في الفرنسية	Orgueil
في الانكليزية	Pride

العجب هو أن يتصور المرء استحقاق رتبة لايكون مستحقاً لها ، أو هو كما قال مسكويه : « ظن كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة غير مستحقة لها » (تهذيب الأخلاق ص ٩٦ ، طبعة قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٦٦) ويرادفه الزهو والكبرياء ، والصلف ، والتمدح ، والافتخار ، والتيه والغرور . ولهذه الألفاظ معان متقاربة : فالصلف تكبر مع ثقل الروح ، والتمدح افتخار المرء بما ليس عنده ، والافتخار هو « المباهاة بالأشياء الخارجة عنا » (مسكويه : تهذيب الأخلاق ص ١٩٦) والتيه قريب من العجب . « والفرق

بينها أن المعجب بنفسه يكذب نفسه فيما يظن بهـا ، والتياه يتيه على غيره ولا يكذب نفسه ، (مسكويه ، المصدر نفسه ، ص ١٩٨) . وأما الغرور (Vanité) فهو قريب من التيه ، والفـرق بينه وبين العجب أن المعجب بنفسه يفرح بما يظنه بنفسه من الفضائل ، ولا يبالي بآراء الآخرين فيه على حين أن المغرور يتصف بحب الظهور وبالميل إلى إشهار ماعنده من الفضائل حتى يكون إعجاب الناس به سبيـــلاً إلى فرحه بنفسه . ولا تبال بقول (اوغوست كومت) إن العجب مصحوب بحب السيطرة ، والغرور بحب المديح ، لأن المعجب بنفسه قد يعيش في عزلة تامة عن الناس مكتفياً بشعوره الذاتي بتفوقه على غيره ، أما المغرور بنفسه فإنه وإن كان يحب المديح إلاّ أنه لايكتفي بحسن ثنائك عليه ، بل يريد أن تبالغ في ذلك ، وان تكرر ما تقوله فيه أمام الناس ، حتى يعترفوا جميعاً بفضله . ومعنى ذلك كله أن الغرور هو الطمع بالباطل ، على حين أن العجب هو الزهو والكبرياء . (راجع كتاب السياسة الوضعية لاوغوست كومت A. Comte, politique positive I. 698) .

العجز عن الكتابة

في الفرنسية Agraphie

في الانكليزية Agraphia

يطلق هـذا الاصطلاح على فقدان المرء قدرته على الكتابة وإن كان غير مصاب بالشلل . وقد سماه شاركو (Charcot) حبسة اليد (Aphasie de la main) . وإذا لحق هذا العجز قدرة الموسيقار على التعبير عن عواطفه بالإشارات الموسيقية سمي بالحبسة الموسيقية .

(راجع لفظ الحبسة « Aphasie ») .

العجز عن الفعل

في الفرنسية	Apraxie
في الانكليزية	Apraxia

يطلق هذا الاصطلاح على عجز المرء عن تنفيذ بعض الحركات القصدية بإرادته وإن كان غير مصاب بالشلل أو الخلل العصبي، كعجزه عن مخط أنفه، أو عن استعمال أدوات الطعام، أو عن رسم إشارة الصليب. ولهذا العجز عن الفعل صور مختلفة منها العجز عن تنفيذ الحركات، والعجز عن التصور والتنفيذ، والعجز عن النطق أي الحبسة (Aphasie)، والعجز عن الكتابة (Agraphie).

العدالة

في الفرنسية	Justice
في الانكليزية	Justice
في اللاتينية	Justicia

العدالة في اللغة الاستقامة، وفي الشريعة الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور، ورجحان العقل على الهوى. وفي اصطلاح الفقهاء اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، واستعمال الصدق واجتناب الكذب، وملازمة التقوى، والبعد عن الأفعال الخسيسة. وهي مرادفة للعدل باعتباره مصدراً، وهو الاعتدال والاستقامة وملازمة الحق.

والعدالة عند الفلاسفة، هي المبدأ المثالي، أو الطبيعي، أو الوضعي الذي يحدّد معنى الحق، ويوجب احترامه وتطبيقه.

فاذا كانت نعتاً للأشياء المطابقة للحق دلت على المساواة والاستقامة، وإذا كانت نعتاً للفاعل دلت على إحدى الفضائل الأصلية. وهي الحكمة

والشجاعة والعفة والعدالة . « وليست العدالة جزءاً من الفضيلة ، وإنما هي الفضيلة كلها » . (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١١٧) .

والعدالة باعتبارها فضيلة جانبان : أحدهما فردي ، والآخر اجتماعي . فاذا نظرت إليها من جانبها الفردي دلت على هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال المطابقة للحق . وجوهرها الاعتدال والتوازن والامتناع عن القبيح ، والبعد عن الإخلال بالواجب . وإذا نظرت إليها من جانبها الاجتماعي دلت على تقديس حقوق الآخرين وعلى إعطاء كل ذي حق حقه .

وقد بين الفلاسفة أن أساس العدالة المساواة ، وان مبدأها التوسط بين الإفراط والتفريط .

والعدالة عندهم عدالتان : عدالة المعاوضة (Justice commutative) وعدالة التوزيع أو القسمة (Justice distributive) ، الأولى تتعلق بتبادل المنافع بين الأفراد على أساس المساواة كما في عقود البيع والشراء وسائر المعاملات ، والثانية تتعلق بقسمة الأموال والكرامات على الأفراد بحسب ما يستحقه كل واحد منهم ، بحيث يمكن القول إن نسبة هذا الإنسان إلى هذا المال كنسبة كل من كان في مثل مرتبته إلى قسطه . ومعنى ذلك أن عدالة المعاوضة تنظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض على حين ان عدالة التوزيع تنظم علاقات الأفراد بالدولة ، وفي كلا هذين النوعين من التنظيم نسبة ، إلا أن نسبة عدالة المعاوضة عددية ، ونسبة عدالة التوزيع هندسية .

والفرق بين العدالة والمحبة ان العدالة توجب على المرء التقيد بالحق أي أخذ ماله وإعطاء ما لغيره ، على حين أن المحبة توجب عليه أن يريد لغيره أكثر مما يريده لنفسه . والإنسان لا يحتاج إلى العدالة إلا إذا فاته شرف المحبة : « ولو كان الناس جميعاً متحابين لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف » (مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، ص ١٣٣) .

لذلك قيل إن واجبات العدالة أضيق من واجبات المحبة ، لأن الأولى توجب على المرء الامتناع عن الشر واجتناب الاعتداء على حقوق الآخرين ، على حين ان الثانية توجب عليه الجود بنفسه في سبيل غيره . وإذا اعتبرنا المحبة مبدأً خلقياً عاماً ملازماً للذات الإنسانية ، والعدالة قاعدة عملية موضوعية ضرورية لضبط علاقات الناس ، لم يكن بين هاتين الفضيلتين تعارض ، لأن مبدأ المحبة يصبح في هذه الحالة أساس الأفعال العادلة ، ولأن قاعدة العدالة يمكن أن تمتد إلى جميع الواجبات حتى تشمل تحديد علاقات المحبة وتحديد صورها القابلة للتنفيذ . ولا معنى لقول بعضهم إن فضيلة العدالة سلبية وفضيلة المحبة إيجابية ، لأن من شرط كل فضيلة أن تكون موجبة ، وقديماً قيل : إن الكف عن الفعل فعل . ونحن نعتقد أن العدالة المثالية والمحبة المعقولة لا تؤلفان في حقيقة الأمر إلا شيئاً واحداً .

والعدالة الاجتماعية (Justice sociale) هي احترام حقوق المجتمع والتقيد بالصالح العام ، أو هي احترام الحقوق الطبيعية والوضعية التي يعترف بها المجتمع لجميع أفراده ، كتنظيم الأجور والتأمينات الاجتماعية ، والخدمات الصحية ... الخ . التي يحق للأفراد أن يحصلوا عليها في سبيل إدامة حياتهم وحفظ بقائهم . (راجع الألفاظ التالية : الفضيلة ، المحبة ، الرحمة) .

العدد

في الفرنسية Nombre

في الانكليزية Number

في اللاتينية Numerus

١ — العدد هو الكمية المؤتلفة من الوحدات ، أو الكمية المؤلفة من نسبة الكثرة إلى الواحد . ويسمى بالكم المنفصل ، لأن كل واحد من

أجزائه منفصل عن الآخر دون اشتراك بينها ، بخلاف الكمّ المتصل وهو ما كان بين أجزائه حد مشترك .

وعلم العدد هو العلم الرياضي المحض ، وينقسم إلى علم الكم المنفصل كعلم الحساب وعلم الجبر . وعلم الكم المتصل كعلم الهندسة وحساب اللانهايات .

٢ — والعدد عند بعض الفلاسفة قيمة مطلقة من جهة دلالته على طبائع الأشياء . فالفيثاغوريون يزعمون أن الأعداد المجردة مطابقة لصور الموجودات . و (مالبرانش) يقول : إن صور الأعداد قائمة بالذات الإلهية ، وهو يسميها بالأعداد العادّة (Nombres nombrants) .

٣ — أما الرياضيون فانهم يفرقون بين العدد المجرد ، والعدد العيني ، والعدد الصحيح ، والكسر ، والعدد الربع ، والعدد المنطق ، والعدد الأصمّ ، والعدد الأولي ، والعدد المركب ، والعدد التام ، والعدد الخيالي .

آ — فالعدد المجرد (Nombre abstrait) هو المعنى الدال بذاته على الكثرة دون النظر إلى ما يعده ، بخلاف العدد العيني (Nombre concret) الذي يضاف إلى مايعدّه كقولنا : ثلاثة كتب وعشرة دنانير .

ب — والعدد الصحيح (Nombre entier) هو الذي يتألف من إضافة الواحد إلى نفسه . وتسمى الأعداد الصحيحة بالأعداد الطبيعية (Nombres naturels) وهي تتألف من الحدود التالية :

١ ، ١ + ١ ، ١ + ١ + ١ .. الخ . (أي ١ ، ٢ ، ٣ ... الخ)

وتنقسم هذه الأعداد إلى أصلية (Cardinal) وترتيبية (Ordinal) أما الأصلية فهي التي تستعمل في عد المجموع دون النظر إلى ترتيب أجزائه وأما الترتيبية فهي التي تشير إلى مرتبة كل جزء من المجموع كرتبة الآحاد ومرتبة العشرات ، ومرتبة المئات ... الخ .

ج — أما الكسر (Nombre fractionnaire) فيتألف من عددين صحيحين أحدهما صورة والآخر مخرج ، وهو أعم من العدد الصحيح لأن هذا الأخير ليس سوى كسر مخرجه واحد ، ويسمى الكسر الذي مخرجه عشرة أو إحدى قوى العشرة بالكسر العشري .

د — وأما العدد المربع (Nombre carré) فهو المضروب في نفسه بخلاف العدد المسطح المضروب في غيره . ومضروب المربع في جذره يسمّى مكعباً ، ومضروب المسطح في أحد جزئيه يسمى مجسّماً .

هـ — وإذا كان للعدد الصحيح جذر سمي بالمنطق (Rationnel) وإذا لم يكن له جذر سمّي بالأصمّ (Irrationnel) . وكل عدد ليس بينه وبين الواحد اشتراك في القياس فهو عدد أصم .

و — وأما العدد الأولي (Nombre premier) فهو العدد الذي لا ينقسم إلا على نفسه وعلى الواحد .

ز — وأما العدد المركب (Nombre complexe) فهو المؤلف من عدة أعداد لا تدخل في التعداد العشري كقولنا ثلاث ساعات وعشرين دقيقة وخمس عشرة ثانية (١٥ً ، ٢٠ْ ، ٣) أو هو المؤلف من جزئين أحدهما حقيقي والآخر خيالي .

ح — وأما العدد التام (Nombre parfait) فهو العدد المساوي لمجموع أجزائه المفردة ، مثال ذلك : (٦ = ١ + ٢ + ٣) و (٢٨ = ١ + ٢ + ٤ + ٧ + ١٤) . فاذا نقص مجموع أجزائه عنه سمي ناقصاً كالأربعة فان مجموع أجزائها المفردة ثلاثة ، وإذا زاد مجموع أجزائه المفردة عليه سمي زائداً كالإثنى عشر فان مجموع أجزائه ١٦ .

ط — وأما العدد الخيالي (Imaginaire) فهو القيمة التي تعطى لـ(هـ)

في الجملة (ب + جـ هـ) عندما يكون هـ٢ = — ١ . وهـذا يجعل للجملة هـ = √— ١ معنى خاصاً يسوقنا إلى قضايا جديدة ومعادلات جديدة ، تصبح الأعداد الحقيقية معها حالات خاصة من الأعداد الخيالية . وذلك لأن الجملة (ب + جـ هـ) تكون مساوية لـ (ب) عندما يكون (جـ) مساوياً لصفر .

٤ — والعـدد إما سـالب (Négatif) مثل (— ق) أو موجب (positif) مثل (+ ق) ، ويسمّى مجموع الأعـداد السالبة والموجبة بالأعداد الجبرية (Nombres algébriques) .

٥ — والعددان المتحابان (Nombres amiables) هما العددان اللذان يكون كل منهما مساوياً لمجموع أجزاء الآخر مثل (٢٢٠) و (٢٨٠) .

٦ — ونظرية الأعـداد (Théorie des Nombres) فرع من العلم الرياضي ، وهي تبحث في اختلاف الخواص العددية باختلاف الأعداد ، خلافاً للخواص المشتركة المسماة بالخواص الجبرية .

٧ — وقانون الأعداد الكبرى (Loi des grands nombres) الذي أشار إليه الرياضي پواسون (Poisson) هو القول ان تكرار أكبر عدد من الحالات المتشابهة الطبائع الخاضعة لأسباب متغيرة يكشف لنـا عن وجود علاقات ثابتة بينها ، بحيث يمكن القول إن هذه الحالات المتكررة كلما كانت أكثر كان الفرق النسبي بين أفرادها أقل ، والتنبؤ بنتائجها أدقّ . وقانون العدد الأكبر أساس حساب الاحتمالات (Calcul des probabilités) .

العدم

في الفرنسية	Néant
في الانكليزية	Non being
في اللاتينية	Non ens

١ — العدم ضد الوجود ، وهو مطلق أو إضافي . فالعدم المطلق هو

الذي لا يضاف إلى شيء . والعدم الإضافي أو المقيد هو المضاف إلى شيء ، كقولنا : عدم الأمن ، وعدم الاستقرار ، وعدم التأثر .. الخ .

قال ابن سينا : « البالغ في النقص غايته فهو المنتهي إلى مطلق العدم فبالحري أن يطلق عليه معنى العدم المطلق » (الإشارات ١ ، ص : ٦٩—٧٠) ، وقال أيضاً : « وأما العدم فليس هو بذات موجودة على الإطلاق ولا معدومة على الإطلاق ، بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة » (النجاة ص : ١٦٤) . والأولى أن يسمى العدم المضاف إلى الشيء بفقد الشيء أو غياب الشيء ، أو نقص الشيء .

٢ — والعدم إما أن يكون سابقاً وهو المتقدم على وجود الممكن ، وإما أن يكون لاحقاً وهو الذي يكون بعد وجوده . قال ابن سينا : « واعلم أن الفاعل الذي يفيد الشيء وجوداً بعد عدمه يكون لمفعوله أمران : عدم قد سبق ، ووجود في الحال » (النجاة ، ص : ٣٤٧) .

٣ — ولكن العدم المحض لا يوصف بكونه قديماً ولا حادثاً ولا شاهداً ولا غائباً (كليات أبي البقاء) .

٤ — قال (هنري برغسون) في كتاب التطور المبدع (Evolution créatrice, 307) : ان معنى العدم المطلق معنى متهافت وهو يهدم نفسه بنفسه ، لأنه إذا كان حذف الشيء يوجب الاستعاضة عنه بغيره ، وكان لا يمكن تصور غياب الشيء إلا إذا أمكن تصور حضور شيء آخر في مكانه ، وكان معنى الحذف في النهاية هو الإبدال ، فانّ فكرة حذف كل شيء ليست سوى فكرة متناقضة كفكرة الدائرة المربعة . إن تصور عدم الشيء أغنى من تصور وجوده ، لأنه يتضمن فكرة الوجود ، وفكرة ارتفاع الوجود معاً .

٥ — ومعنى العدم عند (هيجل) مساو لمعنى الوجود ، أما عند الفلاسفة الوجوديين فان العلاقة بين هذين المعنيين مختلفة . مثال ذلك قول (ياسبر) :

إن العدم عنوان الوجود ، وقول (هيدجر) : إن العدم يتجلى على هيئة شهود تارة ، وعلى هيئة غياب أخرى . وقول (سارتر) إن العدم متأخر عن الوجود وهو يتبعه دائماً .

٦ — وقد بين (كانت) أن العدم عدة معان .

أ — فهو يطلق على كل مفهوم أجوف ليس له موضوع حقيقي كمفهوم الشيء بذاته .

ب — وهو يطلق على غياب إحـــدى الكيفيات المحددة كالظل والبرودة وغيرها .

ج — وهو يدل على كل صورة حدسية ليس لها جوهر كالمكان والزمان .

د — وهو يطلق أخيراً على كل مفهوم متناقض كالضلع المؤلف من ضلعين .

٧ — وبين (سارتر) أخيراً في كتاب الوجود والعدم (L'être et le néant,58) أن لمفهوم العدم صفة مصطنعة لأنه لا معنى له إلا من جهة ما هو نفي شيء أو فقدان شيء ، ولأنه لا يمكن إقراره إلا بالفكر . ومعنى ذلك أنه لا وجود للعدم بذاته . إنما الوجود للكائن الذي يتصور عدم الأشياء لا للأشياء المعدومة فكأن العدم لا يجيء إلى العالم إلا بواسطة الإنسان .

٨ — والعدمي هو المنسوب إلى العدم . وكل شيء مصيره إلى الزوال كالسماء المظلة والأرض ، والمال ، والجاه ، والملك فهو عدمي .

العدمية

في الفرنسية Nihilisme

في الانكليزية Nihilism

وهو مشتق من اللفظ اللاتيني (Nihil) ومعناه لا شيء .

العدمية ثلاثة أقسام : فلسفية وأخلاقية وسياسية .

١ — أما العدمية الفلسفية (Nihilisme philosophique) فهي مطلقة أو انتقادية الأولى تتميز بانكار وجود كل شيء والثانية تتميز بانكار قدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة . وهي في كلا الحالين مرادفة للريبيـــة (Scepticisme) .

٢ — وأما العدمية الأخلاقية (Nihilisme moral) فهي مذهب نظري أو حالة فكرية . فاذا كانت مذهباً نظرياً دلت على إنكار وجود القيم الأخلاقية وإبطال مراتبها ، وإذا كانت حالة فكرية دلت على عجز العقل عن تصور هذه القيم .

٣ — وأما العدمية السياسية (Nihilisme politique) فهي اصطلاح سياسي استعمله للمرة الأولى (تورجنيف) في روايته المسماة : « الآباء والأبناء » سنة ١٨٦٢ ويطلق على المذهب السياسي والاجتماعي الذي اعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية سنة ١٩١٧ ، وقوام هذا المذهب انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية ، والامتناع عن الاعتراف بشرعية القيود القانونية المفروضة على الأفراد . إلا أن أنصار هذا المذهب أخذوا بعد عام ١٨٧٥ يحبذون الإرهاب والاغتيال السياسي ، ويعملون على هدم الأوضاع السياسية والاجتماعية الفاسدة ، دون التفكير في الأنظمة التي يجب أن تحل محلها .

والعدمية السياسية مرادفة للفوضوية (Anarchisme) .

راجع لفظ الفوضى .

العدوى

في الفرنسية Contagion

في الانكليزية Contagion

العدوى في الأصل انتقال الداء من المريض إلى الصحيح وهي إما جسمية ، وإما عقلية .

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية (Contagion mentale) على انتقال الأحوال النفسية من شخص إلى آخر من غير أن يكون أحدهما مريداً لهذا الانتقال. ويمكن تفسير هذا الاشتراك في الأحوال النفسية بإرجاعه إلى ظاهرة التقليد العامة.

ويطلق اصطلاح العدوى العقلية أيضاً على انتقال الداء النفسي من المريض إلى الصحيح، والفرق بين المعنيين أن الأول عام يشمل انتقال الأحوال النفسية جميعاً من شخص إلى آخر مرَضية كانت أو غير مرضية، على حين أن الثاني خاص بانتقال الاعتلال النفسي من المريض إلى الصحيح.

العدوان

في الفرنسية	Agression
في الانكليزية	Agression

العدوان، الظلم وتجاوز الحد، وهو صفة من يعدو على غيره. وغريزة العدوان أو العدوانية (Agréssivité) نمط من السلوك يتميز بروح الاعتداء والإقدام على المخاطر بدلاً من اجتنابها.

ويطلق لفظ العدوانية أيضاً على ميل الإنسان إلى الأعمال العنيفة أو إلى الدفاع عن النفس أو على انتهازه كل فرصة لإثبات ذاته أو على تعصبه للمبادئ والعقائد التي يؤمن بها تعصباً شديداً.

والعدوانية أخيراً هي الطموح، وحب السيطرة، وميل المرء إلى تسخير كل شيء لأهدافه الخاصة.

لقد زعم (فرويد) أن هذه العدوانية غريزة تخريب وتهديم، إلاّ أن معظم علماء التحليل النفسي المعاصرين يجعلون العدوانية مظهراً من مظاهر إثبات الذات.

العرض

في الفرنسية	Accident
في الانكليزية	Accident
في اللاتينية	Accidens

١ — عرض الشيء ظهر وبدا ولم يدم . والعرب يطلقون لفظ العرض على عدة معان . فهو يدل عندهم :

آ — على الأمر الذي يعرض للمرء من حيث لم يَحْتَسِبْه .

ب — أو على ما يثبت ولا يدوم .

ج — أو على ما يتصل بغيره ويقوم به .

د — أو على ما يكثر ويقل من متاع الدنيا .

فكأن المتكلمين والفلاسفة استنبطوا معنى العرض من أحد هذه المعاني ، فدلوا به على ما لا يقوم بذاته وهو الحال في الموضوع .

٢ — قال ابن سينا : « يقال عرض لكل موجود في موضوع » (رسالة الحدود) . وقال أيضاً : كل ذات لم يكن في موضوع فهو جوهر ، وكل ذات قوامها في موضوع فهي عرض (النجاة ص ٣٢٥) ، وقال الغزالي : « العرض اسم مشترك :

آ — فيقال عرض لكل موجود في محل .

ب — ويقال عرض لكل موجود في موضوع .

ج — ويقال عرض للمعنى الكلي المفرد المحمول على كثيرين حملاً غير مقوم .

د — ويقال عرض لكل معنى موجود للشيء خارج عن طبعه .

هـ — ويقال عرض لكل معنى يحمل على الشيء لأجل وجوده في آخر يفارقه .

و — ويقال عرض لكل معنى وجوده في الأول لا يفارقه .

(راجع معيار العلم ، طبعة مصر ١٣٢٩ ، ص : ١٧١) .

وقال الخوارزمي : « العرض هو ما يتميز به الشيء عن الشيء لا في ذاته كالبياض والسواد والحرارة والبرودة وغير ذلك » . (مفاتيح العلوم ، طبعة مصر ١٣٤٢ ص ٨٦) .

٣ - وفي وسعنا أن نرجع هذه المعاني كلها إلى المعنيين التاليين :

آ — العرض ضد الجوهر ، لأن الجوهر هو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلى غيره ليقوم به ، على حين أن العرض هو الذي يفتقر إلى غيره ليقوم به . فالجسم جوهر يقوم بذاته ، أما اللون فهو عرض لأنه لا قيام له إلاّ بالجسم . وكل ما يعرض في الجوهر من لون وطعم وذوق ولمس وغيره فهو عرض لاستحالة بقائه بذاته .

ب — العرض ضد الماهية ، وهو ما لا يدخل في تقويم ماهية الشيء ، كالقيام والقعود للإنسان فهما لا يدخلان في تقويم ماهيته .

٤ — على أن الفلاسفة يقسمون العرض إلى لازم ومفارق . فالعرض اللازم هو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، كمساواة زوايا المثلث لقائمتين ، فهي بمعنى ما عرض لعدم دخولها في تقويم ماهية المثلث ، ولكنها مع ذلك لا تفارقه . أما العرض المفارق فهو ما لا يمتنع انفكاكه عن الشيء كالنوم للانسان . وهو إما سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل ، وإما بطيء الزوال كالشباب والكهولة .

٥ — والعرضي (Accidentel) هو المنسوب إلى العرض ، وهو ضد الجوهري (Substantiel) والذاتي (Essentiel) والضروري (Nécessaire) قال ابن سينا : « وأما العرضي فربما كان خاصاً بطبيعة المحمول عليه لا يعرض

لغيره ، كالضحاك والكاتب للإنسان ، ويسمى خاصة ، وربما كان عارضاً له ولغيره كالأبيض للإنسان وغيره ويسمى عرضاً عامّاً ، (الشفاء ، المنطق) .

٦ — فالعرض العام (Accident commun) هو كل كلي مفرد عرضي أي غير ذاتي يشترك في معناه أنواع كثيرون كالبياض للثلج واللبن .

٧ — وأقسام العرض عند الحكماء المشائين تسعة وهي : الكم (Quantité) والكيف (Qualité) والاين (Lien) والوضع (Position) والملك (Possession) والإضافة (Relation) ومتى (Temps) والفعل (Action) والانفعال (Passion) وتسمّى هذه الأعراض مقولات .

٨ — ويطلق العرض في علم الطب على ما يحسّه المريض من الظواهر الدالة على المرض وجمعه أعراض .

٩ — فائدة : من الفلاسفة من ينكر وجود الأعراض ويزعم أن العالم كله جواهر كابن كيسان ، ومنهم من يثبت وجود العرض ويزعم أنه لا يقوم بنفسه ، إلاّ العلاّف ، فإنه جوّز وجود إرادة عرضية تحدث لا في محل . ومنهم من يجوز قيام العرض بالعرض ومنهم من لا يجوزه ، ومنهم من يقول إن العرض لا يبقى زمانين ، ومنهم من يجوز بقاءه .

١٠ — راجع الألفاظ التالية : الجوهر ، الماهية ، الذات ، المقولات .

جميل صليبا



أدب الفقهاء

- ١٥ -

كلمة ختامية

الآن وقد أثبتنا بما لامزيد عليه من البيان والتبيين ، والأمثلة والشواهد أن أدب الفقهاء أدب حيّ مميّز ، لايقصر عن أدب غيرهم ممن ليسوا بفقهاء وان التهمـة التي توجّه إليه بالضعف والتخلف حتى جعلته مَثلاً مضروباً لكل أدب بارد سخيف ، هي تهمة باطلة فيها كثير من التجني والظلم لهذا الأدب والمنتجين له ، نريد أن نقول في كلمة ختامية لهذا البحث ، أننا لاننفي أن بعض الفقهاء ليس لهم من الأدب حظ ولا نصيب ، وأنهم حين يتعاطَوْن النظم يتكلّفون ما ليس من سجيتهم ، فيأتي نظمهم فجّاً ركيكاً .. ولكن يجب أن لاننسى أن في أدب غيرهم من الفسولة والرداءة ماينطي على أدب الفقهاء الذين يُقرَنون بأنهم متطفلون على موائد الأدباء ، بخلاف مَن يقول أنا به زعيم . وكلّنا نعلم أن شواهد علماء البلاغة التي يوردونها مثالاً للتنافر والغرابة ومخالفة القياس وضعف التأليف والتعقيد وغير ذلك من عيوب اللفظ والمعنى ، هي من كلام كبار الشعراء المعترف لهم بالسبق في مضمار صناعة النظم ، وليست من كلام الفقهاء ، وكذلك شواهد علمَيّ العروض والقافية على مايعتري النظم من اختلال وعدم انسجام بما يدخله من زحافات قبيحة وعلل مُستكرهَة ، هي من كلام أعلام الشعر وفصحاء العرب جاهليين وإسلاميين ، فالفقهاء ونعني بهم العلماء على العموم ، إذا لم ينظموا

على الطبع والسجية ، يقعون في مثل ماوقع فيه أئمة الصناعة وأمراء الكلام ، وهم بحكم علمهم بما يُتَرخَّص فيه من مخالفة للقواعد ومجاوزة للقيود يكثر منهم التساهل ولا سيما عندما يعتمدون التقطيع ويتحاكمون إلى أجزاء التفعيلة فيجيء نظمهم قلقاً مضطرباً ، ولكنهم لايرون بذلك بأساً ، لأنه جار على المسطرة كما يقولون . وقد لاحظتُ غير ما مرة على بعض النظّامين ما في كلامهم من الكسر والسقوط ، فكانوا يلجأون إلى التقطيع ويحتجون بأنهم على سَوِية العروض .

وهذا فيما يكون من الشكل غيرَ مُخِل بالمحتوى ، أما ما اشتمل على الخلتين واعتَورته العلةُ من الناحيتين ، فهو مما لا كلام عليه ، وصاحبُه حريٌ بأن لايعد في الفقهاء ولا في الأدباء ، ومع ذلك ففي كلام فحول الشعراء مايذهب بعضُه بكل مافي كلام هؤلاء من مآخذ ومعايب . ولو ذهبنا نضرب الأمثال ونتخيَّر « النماذج » مما انتُقِد على متقدمي الشعراء فأحرى متأخريهم لضاق بنا المجال عن استيعاب ذلك ، ويكفينا أن نعطي مثالا واحداً ، وهو هذان البيتان من قول بشار بن بُرد زعيم الشعراء المولّدين :

إنما عَظْمُ سُلَيْمى قصَب ... قصَبُ السكَّر لا عظمُ الجمل

وإذا أُدنيتَ منهـا بصَلا ... غلب المسكُ على ريح البصل

فأي شعر لفقيه انحطّ إلى هذا الدرك من السخف والغثاثة حتى تُضربَ الأمثال بشعر الفقهاء ويُثنى هذا « النموذج » من شعر الأدباء ؟ فاذا قيل إن هذا وشبهه قليل في كلام الشعراء المطبوعين ، قلنا إنه كذلك قليل في كلام الفقهاء أو طبقة قليلة منهم على الأصح ، مع العلم بأن الشعر عندهم إنما هو هواية ، وليس حرفة ، وهذا القليل من المحترفين المختصين لايقال له قليل ، فكان الأولى أن « ينوه » به كما « ينوه » بقليلِ القِلّة من الفقهاء الذي جاء على مثاله أو قريباً منه ان تسامحنا في المقارنة .

وبَسْطُ القضية تزيد من الوضوح أن أدب الفقهاء الحقيقي هو ما عرضناه وتعرّضنا له بالنقد والتحليل في الأبواب المتقدمة والتراجم السابقة ، وما لم يكن على غراره فهو من عمل ضعاف الفقهاء ، وشيء قليل بالنسبة إلى الكثير الطيب الذي أوردنا منه ما أوردنا ، فإطلاقُ الكلام إلى حدّ إرسال المثَل بضعف أدب الفقهاء لا يُوافق الحقيقة ، وفيه تحامل كبير على هـذه الطبقة من رجال الفكر وحملة القلم ، ويُنتج عنه صرفُ النظر عن كثير من الروائع التي تفيد أدبنا غِنىً وثروة كما بيَّناه فيما سلف ، ولو كان هناك حق وإنصاف لما حُمِل الإحسانُ الكثير في إنتاج هـذه الطبقة الشِّمْري على الإساءة القليلة التي وقعت منهم فيه ، مثلما عليه الحال مع الأدباء والشعراء الكبار على الأقل ، وهم الذين كان الواجب أن لا تُغتفر زلّتهم ، لأنهم بمحل القدوة في هذا الشأن .

وجانب آخر من القضية هو أن بعض الفقهاء كثيراً ما يتساهلون في أنظامهم العلمية لقصدهم إلى عموم الفائدة وتقريب المعنى إلى الطلاب ، وهذا ليس من الحق أن تؤخذ به جميع أفراد هـذه الطبقة ويَعمَّها حُكمُه ، خصوصاً وان الكثير منهم كان على خلاف ذلك ؛ ينظم الفوائد العلمية ويُحصِّل قواعد الفنون في شعر بليغ مُحكَم على نحو ما مثَّلناه في باب النظم التعليمي حتى قيل في منظومات بعضهم في الكيمياء القديمة إنهـا إن لم تفدك العلم أفادتك الأدب .

وقد نبه على هذه الظاهرة العلامة الأديب أبو العباس أحمد المقري صاحب نفح الطيب ، في كتابه فتح المتعال في مدح النعال ، لمَّا أورد أبياتاً من ألفية الحـافظ زين الدين العراقي في السيرة النبوية ، تتعلق بوصف النعل الشريفة ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، ولاحَظ ما فيها من دَرَك عليه صناعةً ، وبعد أن التمس المخرج لذلك ، قال معتذراً عنه : « على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه ـ والمقصود الإفادة ، وهي حاصلة على كل حال » .

وقد سلك هذه الطريقة جماعة من العلماء الصلحاء أعني عدم تحسين النظم إذ قصدهم الجميل إيصال المعاني إلى السامع ولم يشتغلوا بحوك الكلام على طريقة الأدباء كابن الوردي وأنظاره ، فجزى الله الجميع عن الدين خيراً . ولقد كان شيخنا مفتي مدينة فاس العلامة سيدي الشيخ محمد القصار القيسي الفاسي الغرناطي الأصل ، كثير الإصلاح لأبيات العراقي (ألفية في علوم الحديث) وكنتُ لا أحبُّ ذلك منه ، مع أن مقصده رحمه الله حسن والتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا كلام المقري . ونحن نسجل الفكرة الأساسية فيه ، وهي أن مايقع في نظم بعض العلماء من مآخذ ، منشأه هو التساهل الذي يحملهم عليه قصد النفع والتفهيم بأقرب الطرق وأسهل العبارات ، وليس ذلك من عجز ولا قصور والدليل على ذلك أن قائلَ هذا الكلام والملاحِظَ على النظم المَعْنِيّ بالأمر ، أي ألفيةِ العراقي ، هو نفسه من أكبر الفقهاء وألمع الأدباء ، وهو الذي ألّف لنا أعظم موسوعة عن الأندلس ، وأدبها وعلمائها وشعرائها أعني كتاب نفح الطيب ، وشعره ونثره من الطبقة الممتازة ، وله نظم تعليمي مشهور في غاية الجودة ، ومنه أرجوزته المعروفة في علم الكلام المسماة بإضاءة الدُّجُنَّة في عقيدة أهل السنّة . ولا نطيل في التعريف به فالمقري قد طبقت شهرته المغرب والمشرق عالماً وأديباً ومؤرخاً للأدب العربي معتمَداً عند جميع الباحثين . ومع هذه المكانة الأدبية التي له فهو يتسامح مع الحافظ العراقي ويرى عدم التعلق بما في نظمه من لينٍ ، لأن قصد النفع سوّغ له ذلك ، وإن كان هو لا يرتكبه ، وهذا ما يجعلنا نتحفّظ بازاء قوله في العراقي « على أن نظمه رحمه الله نظم فقيه » إذ هو يتناقض مع الفكرة الأساسية التي سجلناها عليه ، وأول ما يتنقيضْ بنظمه هو ؛ الذي لا تتنزّل عليه تلك الكلمة ولا يقبل هو أن تقال فيه مع أنه من جملة الفقهاء .

ودليل آخر يؤخذ من كلام المقري ، وهو عناية شيخه الإمام القصار باصلاح الأبيات الضعيفة في ألفية الاصطلاح للعراقي . فهذا فقيه كبير وعالم شهير لا تخفى عليه علل النظم التي دخلت بعض أبيات الألفية الشهيرة ويحاول إصلاحها ، وما ذلك إلا لتمكنه من صناعة الشعر واختلاف نظره عن نظر العراقي في مسألة التساهل في قواعد النظم ، وإن كان نظماً تعليمياً فليس الفقهاء بإطلاق ممن يقرون هذا النظر ويأخذون به ، فالحكم عليهم بعين الجمع هو من الخطأ الذي قصدنا إلى تلافيه في هذا البحث .

وإذا كان المقري معروفاً لدى عامة المشتغلين بالبحوث العلمية والأدبية فان القصار هو شيخه وشيخ العلماء المغاربة في عصره ، بل إن مترجميه يحلونه بشيخ الأعصار والأمصار ، وقد تجاوزت شهرته في زمنه حدود بلاده ، فيحكى أن الشيخ عبد الواحد ابن عاشر لما حج ومر في طريقه بمصر سأله الشيخ عبد الله الدنوشري من علماء مصر ، عن شيوخه فسمى له منهم الإمام القصار فقال الدنوشري في مدحه :

قد حاك شقات العلوم أئمة　　وكسوا بها بالفضل من هو عار
رقت حواشيها ، ورق طرازها　　لكنها تحتاج للقصار

وهذا شعر جيد يشتمل على تورية مليحة ، وهو مما يقوله فقيه في فقيه ، ويحسن موقع هذه التورية ، العلم بأن أسانيد المغاربة في العلوم كلها تدور على القصار ، فهو من المجددين لشباب العلم والمطرزين لحلته الناصعة البياض .

وعلى مقامه العلمي هذا كان له باع في الأدب وشعر حسن جميل ، ومنه الأبيات التي يقولها في الحض على زيارة الوالدين بعد موتهما ، وهي الأبيات التي ادعاها كثير من الشعراء ونصها :

زر والديك وقف على قبريهما　　فكأنني بك قد نقلت اليهما

لو كنت حيث هما وكانا بالبقا	زاراك حبواً لا على قدميهما
أنسيت عهدهما عشية أسكنا	دار البلى وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما إليك وإنما	منحاك محض الود من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علة	جزعا لما تشكو وشق عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا	دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمنيا لو صادفا لك راحة	بجميع ما يحويه ملك يديهما
فلتلحقنهما غداً أو بعده	حتماً كما لحقا هما أبويهما
ولتندمن على فعالك مثلما	ندما هما أيضاً على فعليهما
بشراك ان قدمت فعلاً صالحا	وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما	تسطيعه وبعثت ذاك اليهما
فاحفظ بني وصيتي واعمل بها	فعسى تنال الفوز من بريهما

ولا أحتاج أن أنبه على ما في هذه الأبيات من عاطفة شريفة وشعور نبيل زيادة على متانة حوكها وحسن صياغتها. ومن قوله محذراً من بعض المهام ذات المسؤولية الثقيلة وإن كانت في ظاهرها مما يرغب فيه :

تسع أبى منها أولو	الأحلام والهمم السنية
إلا بحال ضرورة	تدعو لها مع حسن نية
وهي الشهادة والوسا	طة والحكومة في القضية
وكذا الإمامة والوديـ	ـعة والتعرض للوصية
ثم الاجابة للطعا	م وللولائم والهدية
فسد الزمان وأهله	إلا القليل من البرية

وهو شعر تظهر عليه مسحة العلم مما يتضمنه من الورع وعلو الهمة والتحري في الحكم ووزن الكلام ، فإن الاستثناء في البيت الثاني والشطر الأخير إنما هو من تنبّث العلماء .

ومن نظمه التعليمي هذا البيت السائر :

الإستِوا والوجهُ والعينُ ويدْ صفاتٌ أو فوِّضْ أو اوِّلْ ماوَردْ

جمع في بيت مفرد أمثلةَ المتشابه ومذاهبَ المسلمين بازائه من السلَف والخلَف وقولِ الأشعري إنه صفة. وهذا أمر يدل على مقدرة تامة وملكة راسخة ، ومَن كان بهذه المثابة ويصحح الخطأ في نظم العراقي لايُقال في شعره أنه نظم فقيه . .

فهؤلاء ثلاثة فقهاء ، اثنان منهم كما رأينا فوقَ النقد ، وواحد محمول على التساهل لمقصد شريف ، فكيف يُحكم بالثلث على الثلثين حتى مع التسليم بحَنْجُوجيَّة هذا الثلث ، وما رأيناه في باب النظم التعليمي يدفعُ ذلك .

هذا ومن اللطائف التي يحسُن إيرادُها هنا أن الصلاح الصَّفَدي أنشد في شرحه للامية العجم ، وهو يمثل للشِّعر الذي أتى على أسلوب الفقهاء هذه الأبيات لأبي نواس :

فاخَرَتْ كلُّ شراب قسمَتْ رتبةً ليس يُضاهيها شراب
لا تُماريك على تحريمهـــا انتقلْ ماحرِّمتْ طال الخطاب
حُرِّمت، ماحرِّمتْ، بل حرمتْ جاء في التنزيل نهيٌ واجتناب
قال هل أنتم ؟ فقلنا نحن لا ! وسكتنا كلُّنا واستَدَّ باب

ثم عقب عليها بقوله : « كان يقال : أبو نواس فقيه غلب عليـه الشعر ، والشافعي شاعر غلب عليه الفقه . . والشافعي والخليل بن أحمد وأبو بكر ابن دُريد معدودون من العلماء الشعراء » .

ولا أدري مدى صحة هذه المقالة بالنسبة إلى فقه أبي نواس بالخصوص ، ولكني أفهمُ منها الإعجاب ببراعة أبي نواس في استخدامه لجدل الفقهاء في أبياته الرائعة ، وأعجبُ بحسن رأي الصفدي ، وهو الأديب الضليع في عدم مجافاة الفقه للأدب ، وأن الفقهاء والعلماء يكونُون شعراء بلغاء ، ولا يُخِلُّ

فقههم وعلمهم بقيمة أدبهم .. ويحملني هذا أيضاً على إيراد تعليقه على أبيات للعلامة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد مما مثل به في هذا الصدد وهي :

كم ليلةٍ فيك وصلنا السُّرى لا نعرف الغمضَ ولا نستريحْ
واختلف الأصحابُ ماذا الذي يُزيل من شكواهم أو يُريحْ
فقيل لي تَعريسُهم ساعةً وقلتُ بل ذكرُكَ وهو الصحيحْ

وهذا نص التعليق : « قلت انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه ، وكونه استعمل طريق الفقهاء في البحث في ذكر اختلاف الأصحاب ، وانه قيل كذا وقيل كذا ، وقلت كذا وهو الصحيح ، وكأنه إمامُ الحرَمين ، وقد ألقى درساً في مسألة فيها خلاف بين الأصحاب ، وقد رجّح ما رآه هو عنده من الدليل ، وما رأيتُ أحسن من هذا بينا هو يصف أحوالهم في السرى ومَشاقّهم في التعب وتشاورهم فيما بينهم ، وما اشار به كل منهم في إزالة ما حصل لهم من العَناء ، إذا به قد برز من بينهم برأي أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكأنه في حلقة الدرس وقد شرع في مسألة خلافية . ويحرُم هذا النظم على غير الشيخ تقي الدين .

فلم تكُ تصلـــحُ إلاّ له ولم يكُ يصلح إلاّ لهـــا

وما أحقه لو أنشد قول الأرجاني :

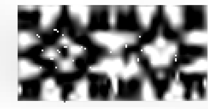
أنا أشعرُ الفقهاء غيرَ مُدافعٍ في العصر ، لا بل أفقه الشعراء ...» .

وبعدَ هذا وذاك يُجمِلُ الصفدي الكلام في الموضوع فيقول : « وكل من عاني النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به إلى ذلك الفن ، وغلبت عليه قواعده واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه ، وظهر على ما يَرومُه اصطلاحُ ذلك الفن وأحكامُه ، ألا ترى إلى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الأدب والحكم ، كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين » .

وهذا هو الرأي والإنصاف في المسألة ، لا ما نقل ابن خلدون عن الشاعر أبي العباس الجزنائي الذي بَنَيْنا عليه هذا البحث ، وفتح الباب

للطاعن على أدب الفقهاء ، حتى أصبحت كلمة نظم فقيه تُقال لكل شعر نازل ، وتُنْوسِيَ كلُّ ما للفقهاء من أدب رفيع وإنتاج شعري عال ، أوردنا بعضه في الفصول المتقدمة ؛ وما بقي منه أكثر وأطيب . وقد سُررنا بما لقينا في كلام الأديب الصفدي من موافقة لرأينا وتأييد له ، ولذلك ختمنا به كلمتنا هذه والله الموفق .

عبد الله كنون



تصويبات لأخطاء

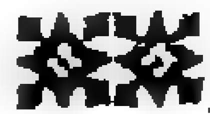
وقعت في المقالين اللذين يحملان رقمي ١٣ و ١٤ من هذا البحث

في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٩	٤	الرعاة	الدعاة
	١٧	آية	آلة
	٢٢	ومع	مع
٤٣	٧	صاحبا	صاحبها
	١١	أن يبقي	إلا أن يبقي
	١٦	عدو	عدوه
٤٦	٦	انصفا	اتّصفا
٥٠	٢٢	ويقدر	ويقدره

في الجزء الثاني من المجلد الثالث والأربعين :

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٦٦	٤	بقهر	يقهر
	١٩	سال	ساء
٢٧٠	١٢	والشعر	للشعر (بحذف الواو ، وذلك هو الخرم الذي أشير له في المقال)



فوات الوفيات في طبعته الجديدة

(الجزء الثاني)

حققه وضبطه وعلّق حواشيه الشيخ الفاضل محمد محيي الدين عبد الحميد ، وطبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥١ . وقد كنت نشرت ملاحظاتي على طبعة الجزء الأول ووعدت بإتباعها ملاحظاتي على هذا الجزء ومن الله تعالى التسديد للقول السديد والتيسير لكل أمر عسير فأقول :

١ — ورد في الصفحة الرابعة من هذا الجزء في ترجمة الشيخ الزاهد الكبير عبد القادر الجيلي أو الجيلاني ماهـذا نصه : « وسمع من أبي بكر المظفر أحمد بن سوس ومن غيره » . والذي علمناه وحفظناه أنه « ابن سوسن » بالنون ، قال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٠٣ : « أحمد ابن المظفر بن الحسن بن عبد الله بن سوسن أبو بكر التمّـار ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، روى عنه جماعة وحدثنا عنه أشياخنا ، قال شجاع ابن فارس الذهلي : كان ضعيفاً جداً ... وتوفي في صفر هذه السنة ودفن بباب حرب »[1] .

ولضعفه تناوله لسـان الميزان فقد جاء فيه : قال ابن السمعاني : كان يلحق اسمه في الأجزاء »[2] . وله ترجمة في الشذرات « ٤ : ٧ » وغير أولئك من كتب رجال الحديث .

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم « ٩ : ١٦٤ » .
(٢) لسان الميزان « ١ : ٣١١ » .

٢ — ووردت في الصفحة ١٥ ترجمة : أبي القاسم عبد اللطيف بن محمد ابن عبد اللطيف بن ثابت الخجندي الملقب بصدر الدين » ولم يعرف الشيخ الفاضل لترجمته مصدراً آخر ، مع أن عز الدين ابن الأثير ترجم له في وفيات سنة (٥٨٠) من كامله في التاريخ وذكره فيه غير مرة ، وأن جمال الدين ابن الدبيثيّ ترجمه في تاريخه (١) ، وله ترجمة في تاريخ الصفدي للأشخاص(٢) وفي طبقات السبكي الكبرى « ٤ : ٢٦١ » من الطبقة الأولى . وهذا مثال لمن يستطيع العثور على مراجع أخرى لتراجمهم ؛ وسكت عن ذلك ولم يصرّح به ، والمثل كثيرة فلن نذكرها إلا إذا صرّح بعدم الاستطاعة ، خشية الإطالة والإملال .

٣ — وجاءت في الصفحة ١٦ ترجمة العلامة موفق الدين عبد اللطيف ابن يوسف البغدادي وجاء فيها « سمع هو وأبوه من ابن أبي البطي » قلت : هو « ابن البَطّي » . قال شمس الدين الذهبي في البطي من المشتبه - ص ٤٩ - : « قرية بط على طريق دقوقا فأبو الفتح محمد بن عبد الباقي نسيب إنسان من القرية فعُرف به » أي ابن البطّي ، وقال أبو الفرج ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٦٤ : « محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان المعروف بابن البطي . ولد سنة سبع وسبعين [وأربعمائة] وسمع مالك بن علي البانياسيّ ، وحمد بن أحمد الحداد وابن البطر(٣) والتميمي وغيرهم وكان سماعه صحيحاً . سمعنا منه الكثير . كان يحب أهل الخير ويشتهي أن يُقرأ عليه

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٦٠ » .
(٢) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ » .
(٣) في المنتظم الذي هو مرجع هذ النقل ١٠ : ٢٢٩ « وابن النظر » وهو تصحيف ابن البطر المحدث المشهور عند العارفين .

الحديث . وتوفي يوم الخميس سابع عشري[1] جمادى الأولى من هذه السنة ودفن بمقبرة باب أبرز »[2]. وله ترجمة في كتاب الشذرات « ٤ : ٢١٣ » وغيره . والمراد إثبات أنه ابن البطي لاغير .

٤ — وجاء في ترجمة أبي الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز القرشي العبدري المعروف بابن النطروني الاسكندري الأديب الشاعر الصوفي المشهور عند المختصين بالتاريخ والأدب : « ثم أنفذ رسولاً من الديوان إلى يحيى بن عافية الميورقي » . قلت : « ابن غانية » بالغين المعجمة ، قال عبد الواحد بن علي المراكشي : « وفي هذه السنة — أعني سنة ٥٨٠ خرج الميرقيون بنو ابن غانية من جزيرة ميرقة قاصدين مدينة بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين وذلك لست خلون من شعبان من السنة المذكورة ... وتلخيص خبر هؤلاء القوم — أعني بني ابن غانية — أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وجّه إلى الأندلس برجلين أحدهما يحيى والآخر محمد ابنا علي من قبيلة مسوفة يعرفان بابني غانية وهي أمهما[3] ... » .

وذكر ابن الأثير في الكامل « بني غانية » مرّات فذكر في حوادث سنة ٥٥٢ انقراض دولة الملثمين وقال : « ولم يبق لهم إلا جزيرة ميورقة مع حمو بن غانية » ثم قال في حوادث سنة ١٩١ : « في هذه في شعبان خرج علي بن إسحاق المعروف بابن غانية وهو من أعيان الملثّمين الذين كانوا ملوك المغرب وهو حينئذ صاحب جزيرة ميورقة إلى بجاية فملكها ... » . ثم قال في حوادث سنة ٥٨١ : « وقد ذكرنا سنة ثمانين ملك علي بن اسحاق

(١) السابع والعشرين من جمادى الأولى وهو من اصطلاح المؤرخين العراقيين المتأخرين ولكن ناشر المنتظم أبقى على النون .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢٢٩ » .

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب « ص ١٧٦ » طبعة مطبعة السعادة .

الملثم بجّاية » . ثم ترجم في وفيات سنة ٦٠٣ للشيخ عبد المنعم النطروني هذا وقال فيما قال : « وكان قد مضى إلى المايورقي في رسالة إلى إفريقية » .

وقال تاج الدين ابن الساعي المؤرخ البغدادي في ترجمة عبد المنعم هذا : « وفي سنة ست وتسعين ورد إلى الديوان العزيز رسول من يحيى ابن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ أدامها الله تعالى ـ ببلاد المغرب[١]...». وقال ابن الدبيثي قبله في ترجمة عبد المنعم المقدم ذكره : « وفي سنة ست وتسعين وخمسمائة ورد إلى الديوان العزيز ـ أجلّه الله ـ رسول من يحيى بن غانية المايرقي الداعي إلى الدولة القاهرة العباسية ـ ثبتها الله ـ بالمغرب[٢]...». وقال الذهبي في ترجمة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي ملك المغرب والأندلس : « وفي أول ملكه وذلك في سنة ثمانين (وخمسمائة) خرج عليه صاحب ميورقة الملك المعروف بابن غانية وهو علي بن إسحاق ابن محمد بن علي ابن غانية[٣]... » .

فالمؤرخون المشهورون مجمعون مُصفقون على أنه « ابن غانية » ، وآخر من أذكر منهم محب الدين محمد بن النجار مؤرخ بغداد ، قال في ترجمة الشيخ النطروني المذكور آنفاً : « ثم نفّذ رسولاً من الديوان إلى يحيى ابن غانية الميورقي المقيم ببلاد المغرب الداعي إلى الدولة العباسية ...[٤]» . فهذا واضح .

٥ ـ وجاء في الصفحة ٣٨ في ترجمة شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي المحدث الكبير والمؤلف الشهير « وطال عمره وتفرد بأشياء وحمل

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٢١١ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ و ١٨٦ » .

(٣) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب المذكورة ١٥٨٢ و ٨٤ » ..

(٤) التاريخ المجدّد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، و ٢٦ من النسخة المصورة منها ببغداد » .

على الظمائن عشرين مجلداً من تصانيفه في الحديث واللغة » . ولم يسائل الشيخ الفاضل محقق الكتاب وضابطه ومعلق حواشية نفسَه ما معنى (حمل على الظمائن عشرين مجلداً من تصانيفه) ؟ وهل كانت لشرف الدين هذه الكتب العشرون ؟ والصحيح في هذا التصحيف هو : « وحمل عن الصغاني ... » وهو الحسن الصغاني اللغوي المحدث المشهور وكان من أكابر شيوخ الشرف الدمياطي المذكور ، وقال الشيخ الفقيه الأديب المؤرخ عز الدين عبد العزيز بن جماعة الكناني في ترجمته : « وقال الحافظ الدمياطيّ إنه أجاز له وإنه كان صالحاً صدوقاً صموتاً عن فضول الكلام إماماً في اللغة والفقه والحديث ...[1] » فالتصحيف غريب جداً .

٦ — وجاء في الصفحة ٤٧ قول شهاب الدين محمود الحلبي المنشئ الشاعر المشهور :

لتبك المعالي والنُّهى الشرف الأعلى   وتبكي الورى الاحسان والحلم والفضلا

هكذا ورد الفعل الثاني مع أنه معطوف على الفعل الأول المجزوم فالصواب « وتبك الورى ... » أو « ويبكِ » .

٧ — وورد في الصفحة ٥٤ قول أبي الفضل عبيد الله الميكالي :

شفاء نفسي منك تخميشة[2]   تغرس في خديك نيلوفرا

ولم نسمع أن المغرم يُخمّش خدي حبيبته على المبالغة ليكثر فيها الخموش والخدوش ، والصواب « تجميشة » بالجيم قال الزمخشري في أساس البلاغة : « ظلّ يجمشها جمشاً ويجمّشها تجميشاً وهو أن يقرصها ويغازلها من الجمش وهو الحلب بأطراف الأصابع ورجل جمّاش : غزّيل وامرأة جمّاشة » .

(١) تذكرة الأدباء والشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٤٦ و ٥٦ » .

(٢) ليست التخميشة من غلط الطبع الآلي بل هي من غلط الطبع اللغوي فقد وردت في بيت آخر في الصفحة ٣٦١ وهو :

وإن خمشت أنهارها نسمة الصبا   تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق

٨ — وورد في الصفحة ٧٥ في ترجمة « علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني الخراساني » صاحب الديوان « ثم فوض أمر العراق إلى سعد الملك العجمي (؟) ومجد الدين بن الأثير » . واكتفى الشيخ الفاضل بوضع علامة الاستفهام بعد سعد الملك العجمي ، مع أنه « مجد الملك » وقد ورد في الصفحة نفسها قبل أسطر ، ولكن محقق الكتاب وقف عند الشك مع أن الرجل كان من المشهورين المترجم لهم في عدّة تواريخ ، قال كمال الدين ابن الفوطيّ الحنبلي المؤرخ : « مجد الملك أبو المكارم هبة الله ابن صفي الملك محمد بن هبة الله اليزدي مشرف الممالك ، كان قد قدم بغداد في أيام صدر الدين (١) القضوي القزويني ، فلما قتل صدر الدين أقام ببلاد العجم ، وفي سنة ثمانين وستمائة تكلم في الصاحب علاء الدين ورفع عليه أموالاً كثيرة قد احتجنها من العراق وساعده على ذلك جماعة وفوّض إليه السلطان أباقا بن هولاكو إشراف الممالك بأسرها وناقش الصاحب في الحساب واستولى على خزائنه وجرت له أقاصيص ذكرتها في التاريخ ، وخرج أباقا من بغداد إلى همذان وتوجه [مجد الملك] في خدمته فمات السلطان بهمذان في العشرين من ذي الحجة سنة ثمانين وستمائة وولي السلطان تكوتار المعروف بالسلطان محمد سنة إحدى وثمانين [وستمائة] وانعكس حال مجد الملك وظفر به الصاحب علاء الدين وأخوه الصاحب شمس الدين وحوسب وقتله شرف الدين هارون يوم الأحد سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين [وستمائة] بيو شهر وأنفذ رأسه إلى بغداد فعلّق على باب النّوبيّ بعد أن طافوا به وأخذوا بسببه الدراهم والثياب من العمال والنواب (٢) » .

وقال مؤلف كتاب الحوادث في حوادث سنة ٦٧٩ : « وفيها اتصل مجد الملك اليزدي الذي كان ينوب عن عماد الدين القزويني ببغداد بعـــد

(١) قلت : لقّبه هو نفسه في كتابه المذكور « عماد الدين » يراجع الجزء الرابع « القسم الأول ص ٨٠١ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٥ الترجمة ٥٦٤ من باب الميم ، طبعة الهند » .

فتحبا بعبودية السلطان أباقا وتحدث في الصاحبين شمس الدين وعلاء الدين فرتّبه مشرفاً في جميع الممالك ، فعيَّن بها نواباً وكانت علامته مشرف الممالك ، وكان ما نذكره [(١)] » . ثم قال في حوادث سنة (٦٨٠) ما هذا نصه : « وقبض السلطان [أباقا بن هولاكو] على علاء الدين صاحب الديوان وأصحابه ونوابه وأتباعه ، وسلّم إلى الصاحب مجد الملك فاستوفى منه أموالاً كثيرة وبيع من أملاكه وأسبابه جملة طائلة ودُوشخ [(٢)] وألقي تحت دار المسناة [(٣)] التي بأعلى بغداد على شاطئ دجلة مكتوفاً عليه قميص واحد وكان البرد شديداً جدًّا وضُرب خواصه وخدمه وأتباعه واستوفيت الأموال منهم » . ثم نقل تغير الأحوال وقتل مجد الملك وقال : « وسلم مجد الملك إلى الصاحب علاء الدين فقتله قتلة شنيعة ، تولى ذلك شرف الدين هارون ابن أخيه ، وحملت أطرافه إلى البلاد وسُلخ رأسه وحُمل إلى بغداد وشوى الخربندية لحمه وأكلوا منه وشربوا الخمر في قطعة من رأسه » . إلى أن قال : « وطيف برأس مجد الملك في بغداد وشوارعها ثم دخلوا دار مجد الملك ونهبوا ما كان بها » [(٤)] . فهذا موجز سيرة مجد الملك العجمي اليزدي وهذه صورة مصغرة من وحشية حكام عصره .

٩ - ووردت في الصفحة ٧٦ ترجمة « عطاف بن محمد بن علي أبي سعيد البالسي (كذا) المعروف بالمؤيد الشاعر » وجاء فيها « ولد ببالس قرية قرب الحديثة ... » . فعلّق محقق الكتاب على اسمه وعلى بالس ما هذه صورته :

---

(١) الكتاب المسمى الحوادث الجامعة وهماً « ص ٤١٢ » .

(٢) أي عذب بآلة تعرف بالفارسية بالدوشاخة أي ذات الشعبتين وهي من الآلات الحاصرة العاصرة حتى الموت .

(٣) سمّتها مديرية الآثار القديمة العامة ببغداد « القصر العباسي » وهي من أبنية الناصر لدين الله العباسي .

(٤) كتاب الحوادث « ص ٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢١ » .

« لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب الرجال » . « بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة » . قلت : إن الحديثة ليست من مدن الشام حتى تكون بلدته أو قريته قريبة منها ، والصحيح أن الاسم تصحف على الشيخ وأنه « آلس » أو آلوسة أو ألوس قال ياقوت في معجم البلدان : « آلوسة بضمّ اللام وسكون الواو والسين المهملة : بلد على الفرات قرب عانة وقيل فيه ألوس إلا أن أبا علي حكى بتعريبه وجاء به بالهمزة بعدها ألف وقال : هي فاعولة . . . وقد ذكرناه في ألوس غير ممدود » . ثم قال في ألوس من المعجم المذكور : « اسم رجل سميت به بلدة على الفرات . قال أبو سعد : ألوس بلدة بساحل بحر الشام قرب طرسوس وهو سهو منه والصحيح أنها على الفرات قرب عانات والحديثة وقد ذكرت قصّتها في عانات ، وإليها ينسب المؤيد الألوسي الشاعر القائل ... » . وذكر له شعراً وترجمة وهو الذي قال فيه محقق الكتاب : « لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من كتب التاريخ » .

وقال ابن الأثير في اللباب مختصر الأنساب بعد إيراده قول السمعاني : « قلت : هكذا ذكر السمعاني أن ألوس عند طرسوس وظن أن ألوس من نواحي طرسوس وإنما اشتبه عليه حيث رأى محمد بن حصن ألوسي طرسوسي (كذا) فظن أن ألوس من نواحي طرسوس [1] ، والذي أعرفه أن ألوس ناحية عند حديثة الفرات ، مشهورة منها المؤيد الألوسي الشاعر المشهور ... » . قال مصطفى جواد : وما تزال آلوس بلدة عامرة ومنها العلامة أبو الثناء محمود الآلوسي الفقيه اللغوي القاضي المفسّر المشهور وجميع الألوسيين المعروفين اليوم بهذه النسبة .

(١) قلت : لا بل الصحيح في سبب وهمه أنها التبست عليه بآلِيس بكسر اللام كما في معجم البلدان وهو اسم نهر بين البحر وبين طرسوس فظنه مدينة منسوباً إليها .

وترجم للمؤيد الآلوسي، ياقوت الحموي قال : « المؤيد بن عطاف بن محمد ابن علي بن محمد أبو سعيد الآلوسي الشاعر الأديب . ولد بآلوس سنة ٤٩٤ ونشأ بدجيل واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي [١] ، فعلا ذكره وتقدم وأثرى ودخل بغداد في أيام المسترشد فصار جاويشاً ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تكلم فيه وفي أصحابه بما لا يليق فقُبض عليه وسُجن ولبث في السجن عشر سنين وأخرج منه في خلافة المستنجد ومن شعره » وذكر له شعراً ثم قال : « توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة ٥٥٧ عن ثلاث وستين سنة [٢] » .

وترجم له ابن خلكان في الوفيات نقلاً من تاريخ بغداد لابن النجار والخريدة لعماد الدين الكاتب الاصفهاني ، قال ابن خلكان : « أبو سعيد المؤيد ابن محمد بن علي بن محمد الآلوسي الشاعر المشهور ، كان من أعيان شعراء عصره ، كثير الغزل والهجاء ومدح جماعة من رؤساء العراق ، وله ديوان شعر ، وكان منقطعاً إلى الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة وله فيه مدائح جيدة . وذكره محب الدين ابن النجار في تاريخ بغداد فقال : هو عطاف ابن محمد بن علي بن أبي سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد . . . وذكره العماد الكاتب في الخريدة [٣] ... » وفصل ترجمته وذكر من شعره .

قلت : قال ابن النجار : « عطاف بن محمد بن علي بن أحمد الآلسي أبو سعيد الشاعر المعروف بالمؤيد . ولد بآلس : قرية بقرب الحديثة ونشأ

(١) هكذا ورد في مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء المطبوع باسم الجزء السابع « ص ١٩٩ » والصواب « بخدمة الملك مسعود بن محمد بن ملكشاه » .

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء « ص ١٩٩ — ٢٠٠ طبعة مرغوليوث » .

(٣) وفيات الأعيان « ج ٢ ص ٢٧١ ، ٢٧٢ طبعة إيران وهي أصح الطبعات إلى الآن » .

بدجيل وترحل ودخل بغداد وصار بها جاووشاً في أيام الإمام المسترشد بالله وقد هجاه ابن الفضل الشاعر[٣] ... ». وذكر باقي سيرته وشعراً من أشعاره .

وترجم جمال الدين ابن الدبيثي لابنه « محمد بن المؤيد الألوسي » وقال : « كان والده المؤيد شاعراً مذكوراً يأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله[٤] ... » يعني أنه ترجمه باسم المؤيد ، ولمّا نعثر على الجزء الذي فيه ترجمته من تاريخ ابن الدبيثي ، وقد حذف الذهبي ترجمته في اختصاره لهذا التاريخ الذي سماه « المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي » . وذكره الدميري في حياة الحيوان في كلامه على « العندليب » وقال : « وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وخمسمائة[٥] » . وترجم له ابن العماد في وفيات سنة ٥٥٨ قال : « وفيها المؤيد [بن] محمد الألوسي (بفتح الهمزة وضم اللام ومهملة) نسبة إلى ألوس ناحية عند حديثة الفرات[٦] ... » .

فهذه ستة مراجع تاريخية لترجمة المؤيد الألوسي الشاعر .

١٠ — وورد في الصفحة ٨٠ « علوي بن عبد الله بن عبيد الشاعر الحلبي المعروف بالباز الأشهب ، كان أديباً متفنناً مليح الإيراد في الشعر ... » . ولم يكن علوي هذا حلبياً بل كان حِليّاً ولو كان حلبياً لتوفّرت مراجع ترجمته على الباحث ، قال محب الدين محمد ابن النجار : « علوي بن عبد الله ابن عبيد الشاعر المعروف بالباز الأشهب ، من أهل الحلّة السيفيّة ، كان شاعراً محسناً من أرباب المعاني ، متفنناً في علم الأدب ، مليح الإيراد للشعر[١]

(١) التاريخ المجدّد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، « ١٣٨ ، ١٣٩ » .
(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢١ الورقة ١٤٦ » .
(٣) حياة الحيوان « ص ٣٧٧ » طبعة إيران .
(٤) شذرات الذهب ٤ : ١٨٥ » .
(٥) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٤٤ » .

وذكر وفاته وقصيدة من شعره . فهو إذن حليّ لا حلبي لأنه منسوب إلى حلّة سيف الدولة صدقة بن منصور المزيدي الأسدي التي أنشأها في أواخر القرن الخامس للهجرة على الفرات قرب بابل ، ولا تزال عامرة واسعة الأرجاء من كبريات مدن العراق ومركز لواء في نظام الادارة العراقية .

١١ — وجاء من شعره أي شعر الباز الأشهب في الصفحة نفسها :

وهل عذبات الرّند نبّهها الصبّا لذكر الصبّا قدماً فتذكر نُوَّما

فما معنى « فتذكر نُوَّماً » وكيف تذكر النُوَّم هذه العذبات ؟ هذا تصحيف والصواب « فقد كُنّ نُوَّما » ففيه تعليل للاستفهام ، أخذه من قول ابن المعلم الشاعر الواسطي الرقيق :

تنبهي يا عذبات الرّندِ كم ذا الكرى هبّ نسيمُ نجدِ ؟!

١٢ — وجاءت في الصفحة ٨٣ ترجمة « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق ابن عبد المجيد بن وفاء المعروف بابن الثَّردة الواسطي البغدادي المنشأ الواعظ » فقال الشيخ محقق الكتاب : « لم أعثر له فيما بين يدي من كتب الرجال على ترجمة » . قلت : إن الرجل المترجم له كان من أعيان المائة الثامنة للهجرة » فقد ترجم له ابن حجر في الدرر قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن يعقوب بن عبد المجيد بن وفاء علاء الدين الواسطي البغدادي ثم الدمشقي المعروف بابن الفردة [1] . . . » وذكر ترجمته نقلاً من تاريخ الصلاح الصفدي ، وقال الأستاذ فريتس كرنكو المستشرق الألماني أحد المشرفين على تصحيح الكتاب وضبطه والتعليق عليه : « سماه ابن شاكر الكتبي علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق المعروف بابن الثَّردة بالثاء المثلثة وكان يعرفه ويسأله عن مولده ولعل هذا أصح مما نقل ابن حجر » . قلت : ومن الظلم الأدبي نسبة الوارد في الدرر إلى المؤلف ابن حجر وقد قال بعض القدماء : إذا نسخ

(١) الدرر الكامنة « ٣ : ٨ » .

الكتاب مرتين ولم يقابل بين النسختين فقد تحوّل إلى الفارسية » . أو ما في معناه ، فابن حجر قد صرّح بالنقل من كتاب الصفدي والصفدي قد صرّح بأنه بالثاء المثلثة ، قال : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد ابن وفاء علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل البغـــدادي المنشأ الواعظ المعروف بابن الثردة (بالثاء المثلثة والراء والدال المهملة) قدم دمشق مرات[١] . . » وبسط ترجمته وذكر تغير عقله .

وقال ابن قاضي شهبة في وفيات سنة (٧٥٠) مترجماً له : « علي بن إبراهيم بن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء الواعظ علاء الدين أبو الحسن الواسطي البغدادي ابن الثردة . ولد في شعبان سنة سبع وتسعين [وستمائة] . سمع ببغداد من ابن الدواليبي والتقي الواسطي وبدمشق من جماعة وتعانى الوعظ والأدب . ذكره الذهبي في معجمه وقال ابن رافع : وكتب الطباق ونظم الشعر الجيد ووعظه بجامع دمشق ، كتبتُ عنه توفي في ربيع الآخر في المارستان الصغير وقال غيره[٢] ... » .

وقال علي بن محمد الحلبي المعروف بابن خطيب الناصرية : « علي بن إبراهيم ابن علي بن معتوق بن عبد المجيد بن وفاء البجلي أبو الحسن البغدادي الواعظ الملقب زين الدين[٣] المعروف بابن الثردة ، قدم دمشق ولعله اجتاز بحلب أو عملها[٤] ... » . وجاء في المشتبه للذهبي – ص ٣٢ – « وبمثلثة الواعظ علي بن ثُردة الواسطي سمع مني ووعظ بدمشق » . فهذه خمسة مراجع تاريخية للرجل الذي لم يعثر له الشيخ على ترجمة .

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٨٠٩ الورقة ٥٤:١ » .
(٢) ذيل تاريخ الإسلام « نسخة الدار المذكورة ١٥٩٨ الورقة ١١٥ » .
(٣) تقدم أن لقبه علاء الدين .
(٤) الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب « نسخة الدار المذكورة ٢١٣٩ الورقة ١٩ » .

١٣ — وورد في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن الحسين الحريري الفقير «ص ٨٨» ذكرُ الأمير قرواش بن المقلّد بن المسيب العقيلي». وله في هذا الجزء ترجمة «ص ٢٦٤» إلا أن الشيخ محقق الكتاب علّق على اسمه حاشية هذا نصّها «توفي قرواش هذا سنة ٣٩١ وكان صاحب الموصل». وهذا خطأ مبين ارتكبه الشيخ من غير باعث بعثه عليه، فقد جاء في ترجمته في الصفحة «٢٦٥» من هذا الجزء: «وقبض عليه بركة ابن أخيه وحبسه وتلقب زعيم الدولة فى تطاول دولته، فقام بعده أبو المعالي قريش بن بدر (كذا) ابن مقلّد ابن أخيه، فأول ما ملك أخرج عمّه قرواشاً وذبحه صبراً وقيل بل مات في سجنه سنة أربع وأربعين وأربعمائة».

١٤ — وجاء في ترجمـــة عفيف الدين علي بن عدلان الموصلي قول الشاعر «ص ١٢٢»:

وما بيت له في كل عضو عيون ليس تنكرها العقول
إذا بسطوه تلقـاه قصيراً وإن قبضوه تبصره طويل»

قال عفيف الدين: «فقلت: هذه شبكة صياد طيور. فأخذ يُباهت. فقلت: قد تركت ولا يلزمني أكثر من هذا، فأخذ في المباهتة. فقلت: هذا في جركاه. فاعترف أنه هو». ولم يكلف الشيخ نفسه السؤال عن معنى الجركاه، ما هو؟ فلو كان «چار طاق» لكان في الفارسيّة قريباً من الشيء الملغز به، ولكنه تصحيف «خركاه» بالخاء المعجمة وهو نوع من القباب السيّارة المصنوعة من الخشب المبطن باللبد عند الفرس والترك والتركمان، قال ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٦٩ «وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدّد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونُهب ظاهر البلد، فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان[1]».

(١) المنتظم «١٠ : ٢٤٧».

وأحسب الكلمة فارسية مركبة من كلمتين « خر » وهو الحمار ، و « كاه » وهو المقام . وقد ذكرها دوزي في مستدرك المعجمات العربية إلا أنه لم يذكر معناها اللغوي . وفي كتب التاريخ والأدب مئات شواهد عليها .

١٥ — وجاء في الصفحة ١٣٤ في ترجمة بهاء الدين علي بن عيسى الاربلي المنشيء المؤلف المشهور « له شعر وترسل وكان رئيساً . كتب لمتولي إربل من صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء » . فعلق الشيخ على « صلايا » ما هذا نصه « كذا في ب ث ولعله موصلايا » . ولم أدر سبب هذا الترجي في التعليق غير الموفق ؟ وإلى أي شيء استند وعلى أيّ اعتمد ؟ فابن شاكر الكتبي يترسم خطى صلاح الدين الصفدي ، وفي الوافي بالوفيات « كان رئيساً ، كتب لمتولي إربل ابن صلايا ثم خدم ببغداد في ديوان الانشاء [١] » . فهو إذن « ابن صلايا » لا « موصلايا » فذاك رجل آخر ، وليس عصر البهاء الاربلي عصر ابن موصلايا ، ولا كان ابن موصلايا متولياً لاربل المعروفة اليوم بالعراق بإربيل وهي أقدم مدينة قديمة مسكونة حتى اليوم ومركز لواء من ألوية العراق ، وخلاصة القول إن الشيخ محقق الكتاب لم يعرف أن « ابن صلايا » متولي إربل الشهيد من كبار السادة العلويين ، قال مؤلف الحوادث في أخبار سنة ٦٣٥ على عهد الخليفة المستنصر بالله العباسي : وتقدم إلى تاج الدين محمد بن الصلايا العلوي بالتوجه إلى إربل وتجديد سورها وعمارة ما خرب من دورها ، ونفذ معه كركر الناصري ليكون مستحفظاً بقلعتها ، وعيّن على الأمير أيدمر الأشقر الناصري زعيماً بها » وقال في حوادث سنة ٦٣٨ في الصفحتين ١٤١ ، ١٤٢ : « وفيها عزل الأمير مكلبة من إربل عن إمارتها لضعف رأيه وسوء تصرّفاته ورتب عوضه آقسنقر

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق أي مجمع اللغة العربية الحالي ، النسخة المصورة ج ٢١ و ١٣٣ » .

الناصري ، وكان الصدر بها تاج الدين محمد بن نصر ابن الصلايا العلوي المدائني » . ثم ذكر في الصفحة ٢٦٠ من حوادث سنة (٦٥٠) غارات المغول على الجزيرة وبلاد الأكراد وقال : « وكتب ابن الصلايا والي إربل إلى بغداد بذلك فخاف أهلها خوفاً شديداً » . ثم قال في حوادث سنة ٦٥٦ : « وتوفي تاج الدين أبو المعالي محمد بن الصلايا العلوي ناظر إربل ، قُتل بجبل سياه كوه ، كان قد قصد حضرة السلطان [هولاكو] بعد وقعة بغداد ليقرّر حاله فأمر بقتله ، وكان كريماً جواداً فاضلاً ، يبالغ في عقوبة من يفسد أو يشرب الخمر[1] » .

وقال ابن واصل الحموي في حوادث سنة ٦٥٦ : « ورحل التتر عن بغداد إلى بلاد أذربيجان ثم رحل إليهم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل والشريف ابن صلايا وزير صاحب إربل فأكرم بدر الدين ، ورُدَّ إلى ولايته وأما الشريف ابن صلايا فقُتل ، فقد ذُكر — والله أعلم — أن بدر الدين لؤلؤاً هو كان السبب في قتله وأنه قال لهولاكو : هذا شريف علوي وربما تطاول أن يكون خليفة ويتابعه خلق عظيم فتقدم[2] بقتله[3] » . وهذا القيل يشبه الأباطيل فان لؤلؤاً كان متشيّماً يحب علياً وذريته ، وكان تاج الدين من كبار العلويين كما ذكرت آنفاً ، وقال رشيد الدين الهمذاني : « في الوقت الذي عزم هولاكو خان على فتح بغداد عهد إلى أرقيونويان بفتح قلعة إربل وتلك قلعة حصينة شيدت على مرتفع وليس لها نظير في الربع المسكون وعندما شرع في محاصرتها بادر شجعان القلعة بالحرب ، وقد قدم الصاحب

(١) الحوادث المسمى غلطاً بالحوادث الجامعة « ص ١١٠ ، ١٤٢ ، ١٦٨ ، ٢٦١ ، ٣٣٧ » .

(٢) أي أمرَ .

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٧٠٢ و٣٨٦ » .

تاج الدين ابن صلاية الاربلي (كذا) فروض الطاعة وقام بخدمات جليلة ولكن أرقيونويان قال له : إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة . فذهب تاج الدين إلى باب القلعة فلم تسمح له حشود الأكراد بالدخول وعاد مضطراً بعد كثير من الضغط والإلحاح ثم قدم إلى أرقيو ، فأرسله بدوره إلى حضرة هولاكو خان وعند محاكمته ثبت جُرْمُه واستُشهد[١] ... » يعني أن هولاكو السفاح أمر بقتله صبراً فمضى وقضى شهيداً حميداً ، والفرق بين الخبرين هو أنها في أحدهما ذهب إلى هولاكو مختاراً وفي الآخر مُجبَراً .

وقال قطب الدين اليونيني في حوادث سنة ٦٥٤ : « استهلت هذه السنة والمستولي على إربل وأعمالها وما أضيف اليها الصاحب تاج الدين محمد بن صلايا العلوي من جهة الخليفة » وقال في حوادث سنة ٦٥٦ وعزم التتر على احتلال العراق : « فكان الشريف تاج الدين ابن صلايا نائب الخليفة باربل فسيّر إلى الخليفة من يحذّره من التتر وهو غافل لايجدي فيه التحذير[٢] » . ثم قال مثل ما نقلناه من مفرج الكروب من تحريض بدر الدين لؤلؤ على قتله فأمر هولاكو بقتله . ولتاج الدين ابن الصلايا أخبار أخرى تركناها لأننا أطلنا التعقيب لنعلم الشيخ الفاضل أنه لم يكن ابن موصلايا ولكننا لا نغفل أن نشير إلى ترجمة موجزة بارعة له في الشذرات « ٥ : ٢٨٤ »

يتبع : (بغداد) مصطفى جواد



(١) جامع التواريخ « قسم هولاكو ج ٢ ص ٢٩٨ ترجمة مصر إلى العربية » .
(٢) ذيل مرآة الزمان « ج ١ ص ٣ ، ٨٧ ، ٩١ طبعة حيدر آباد » .

اليرموك يوم خالد

في تاريخ العروبة

استقبل أهل الشام وفلسطين طلائع جيوش التحرير العربية أحر استقبال ، فهم كانوا ينظرون إلى إخوانهم القادمين إليهم من البادية العربية ، كالمنقذ والمخلص الأوحد من ظلم وجور واضطهاد الروم الغرباء عنهم ، فلقد كانوا خير من يحس بقوة روابط الدم والنسب والقرابة التي تربطهم باخوانهم القادمين بجيوش التحرير العربية ، فمعظم أهل الشام من سلالات وبطون وأفخاذ عربية عريقة في عروبتها ، أو من سلالات ترتبط مع العرب بروابط القرابة البعيدة وباللغة والثقافة ... أما الروم ، فلا تربطهم بأهل البلاد إلاّ رابطة دينية واهية ، انتصبت سيفاً مصلتاً على رقاب أهل البلاد .. لذلك سارعت الطوائف المسيحية المختلفة باتخاذ مواقف التأييد ومناصرة القوات العربية ، وعمدوا إلى تسهيل حركة الفتح والتحرير ، إلاّ فئة قليلة ارتبطت مع الروم[1].

وسرعان ما وصلت طلائع الجيوش العربية ، عقب يوم اجنادين وفحل ، إلى تخوم الدولة الرومية نفسها ، بعد أن حزرت وهي في طريقها معظم المدن السورية الشمالية ، وطهرتها من فلول الجيوش الرومية المنهزمة . وأحست الدولة الرومية بالخطر المحدق بها والذي يهدف إلى إزاحتها من جوهرة مستعمراتهم بالشرق ، فأخذوا في تسيير الجيوش للقضاء على السلطة العربية الناهضة ، وجيشوا للعرب من الجيوش المرتزقة ما لا طاقة لهم بها ... وذات

(١) مخطوطة كتاب الغزوات ، لابن حبيش ، بمكتبة ليدن ــ صفحة ٦٩ .

صباح ترامت الأنباء بأن جحافل الروم في طريقها إلى شمال سورية . ووجدت القيادة العربية نفسها ولا طاقة لها لتواجه الروم لا سيا وأن القوات العربية كانت موزعة في أنحاء البلاد ، وناقش أمراء الأجناد الشامية خطة اللقاء مع الروم ، وأخيراً استقر الرأي على الانسحاب إلى ضفاف اليرموك « ليكيدوا به عدوهم من المشركين ، وليخرجوا لهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم .. »(١)

وأكدت مجريات أحداث تلك الفترة بأن خطة الحرب عند العرب قد تطورت تطوراً طبيعياً ، بنتيجة الخبرات المكتسبة خلال اللقاءات المتعددة مع الروم ، فوضع أمراء الأجناد العربية تلك الخطة السليمة للقتال باليرموك ، وكان في محل اهتمامهم عدة اعتبارات ، منها ما خبروه عن أحوال البلاد الداخلية ، ومدى مراكز قوى الروم وأسلوبهم في الميدان ، لذلك كانت الخطة العربية لليرموك متجاوبة مع جميع متطلبات فن التحريك الميـداني والتعبئة الحربية .

ومما لا شك فيه أنّ العرب لم ينسحبوا عن جبن منهم أو خطأ في تقدير قوة الجيش الرومي ، بل تم كل ذلك طبقاً لمتطلبات فن التحريك الميداني ، فلم يكن العرب مجبرين على التلاحم مع الروم على ضفاف اليرموك ، ولا على التخلي عن الأرضين التي حرروها بل هم أنفسهم الذين اختاروا أرض المعركة ، وقد دعاهم إلى ذلك تفهمهم لأهمية فتح جبهة للقتال مع العدو وتبعد عن موارد امداداته ، هذا إلى استدراجهم إلى مناطق أصبح أهلوها أنصاراً للعرب ، وهذا ما سيخلق الاضطراب في خطوطهم الخلفية ، وله الأثر النفسي العميق على العدو .

(١) ابن حبيش : ص ٦٧ .

وعندما استكمل القادة العرب كافة الاستعلامات والاستخبارات عن وضع الجيوش الرومية التي تعسكر متأهبة في الثغور الرومية ، بدأت القيادة العربية في تنفيذ الخطة المتفق عليها ، أي الانسحاب إلى ضفاف اليرموك والتخلي عن المدن الشمالية . ولم يخرج العرب من هذه المناطق خروج الفار المذعر ، بل خرجوا خروج العائد عن قريب ، لذلك أدّوا جميع التزاماتهم تجاه المعاهدين وأهل البلاد ، فردّوا جميع ما تمت جبايته من جزية وخراج ، إذ لم يكن في مقدرة العرب الاستمرار في بسط حمايتهم على أهل البلاد(١).

وتقدّم المصادر العربية التي كشف عنها أخيراً ـ مخطوطة "كتاب الغزوات لابن حبيش ـ صورة" واضحة للتطورات التي طرأت على الخطة الحربيـــة باليرموك ... فلقد ناقش أمراء الأجناد جميع الاحتمالات المتعلقة باللقاء مع الروم ، ومنها الاعتصام بالمدن الشمالية المحصنة مثل حمص ودمشق في انتظار وصول المدد وبقية الأجناد .. غير أن الرأي استقر على اختيار منطقة اليرموك لأنها أنسب موقع استراتيجي للمعركة المنتظرة ، فهي مركز هام للمواصلات وملتقى معظم الطرق الرومانية بالشام ، ومنها يمكن وصول مدد أمير المؤمنين بسلامة ، هذا إلى ضمان وصول جيوش بقية الأجناد العربية من أنحاء البلاد .

وتبرز الخطة العربية مدى ما بلغته عبقرية القائد العربي في اختيار اليوم المناسب للقاء الجديّ الفعال مع العدو ، فبعد أن هدأت ضجة القتال لمدة تقارب الشهر ، كانت تتخللها بعض المناوشات التي تهدف إلى ربط الروم بأرض المعركة ، وحتى تصل كذلك الخلافات بين قواد الجيوش الرومية

(١) البلاذري : فتوح البلدان ، صفحة ١٤٣ ـ وأبو يوسف : كتاب الخراج . . وبقية كتب التاريخ .

إلى الحد الذي يهدد وحدة صفوف العدو ، أثار العرب القتال في يوم الضباب وكان أنسب الأيام التي شنوا خلالها القتال ، إذ هبت الرياح الجنوبية الحارة المحملة بالرمال والأتربة ، وخلقت بذلك ظروفاً ميدانية وجهانية لا تتناسب واستعداد جند الروم .

ما قبل اليرموك

بلغ العرب عقب هزيمتهم للروم في أجنادين وفحل ، أقصى سورية الشمالية ، فبدأت الدولة الرومية تحس بأن حركة الفتح العربية لم يكن هدفها هو السلب والإغارة ، بل تهدف إلى حركة تحرير وفتح واستقرار ، لذا سرعان ما أحست بالخطر المحدق بها ، وبخطر سقوط سورية إلى الأبد . فانتهزت الامبراطورية الرومية فرصة انشغال العرب بالتوغل في الأقاليم السورية والفلسطينية وتوزع قواتهم في أنحاء البلاد ، فأخذت تحيش وتعبىء قواتها ضد العرب لازاحتهم من سورية وحتى تتخلص من خطر توغلهم في أرض الروم نفسها ، فحث هرقل الروم على القتال وقال : « يا معشر الروم ان العرب قد ظهروا على سورية ثم لم يرضوا بها حتى تعاطوا أقصى بلادكم ، وهم لا يرضون بالبلاد والمدائن .. حتى يتخذوا الأمراء وأبناء الملوك عبيداً[1] » .

وواضح من المصادر الرومية بأن الروم كانوا يرمون بانسحابهم من سورية عقب المعارك التي تلت أجنادين ، إلى التأكد من جدّية العزم العربي ، وفي نفس الوقت يهتبلون الفرصة لاستنزاف القوى العربية وذلك بدفعها إلى مسيرة طويلة تتشتت فيها قواتهم في أنحاء البلاد ، وخلال تلك الفترة يتمكن الروم من إعادة تجديد جيوشهم وبدء الحملة على العرب لدفعهم إلى خارج سورية ،

(١) ابن حبيش : ص ٦٥ ، الواقدي : فتوح الشام ص ٩٨ .

واقتناص الأجناد العربية ، الواحد بعد الآخر والقضاء عليهم جميعهم.. غير أنه لم يكن في حسبانهم موقف أهل البلاد من تلك الأحداث الجارية . فلقد وجد أهل الشام أن مصالحهم ومصيرهم يرتبط مع اخوانهم الذين خرجوا من الجزيرة لتحريرهم من ظلم الاستعمار الأجنبي .

وتبين المصادر العربية والسريانية والرومية مدى حب أهل البلاد للعرب ، إلى حد أن تعهد أهل حمص للوقوف مع العرب ضد الروم ، كما حثوا العرب على البقاء لمناهضة جيوش الروم : « فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم ... ولندفعن جنود هرقل عن المدينة مع عاملكم ، ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص إلا أن نغلب أو نقهر »[1] وقد شعر أهل البلاد بالحسرة والألم لانسحاب العرب ، وانتظروا عودتهم منصورين لكي يتمتعوا بالحريات التي لم يحصلوا عليها من قبل . وهنالك كثير من المصادر النصرانية تؤيد العرب وشعور أهل البلاد نحوهم — فلقد ذكر أحد الأساقفة النسطوريين عن أحداث سنة ١٥ هـ : بأن العرب (الطائيين) أصبحوا سادتنا ، وهم لم يكبتوا حرياتنا الدينية ، بل على العكس من ذلك ، عملوا على حماية معتقداتنا ، واحترام رجال ديننا وقديسينا ، كما وأنهم كانوا يقدمون الهدايا والمنح لأديارنا وكنائسنا »[2] بينما يصور لنا البطريق السرياني اوتيخوس موقف أهل حمص من الروم ، عندما عاتبهم على وقوفهم مع العرب فقال أهل حمص لهرقل : أنت ماروني (ملكاني) وعدو لمعتقداتنا ...[3] .

(١) البلاذري : ص ١٤٣ .

(٢) السمعاني : المكتبة الشرقية ، جزء ٣ ص ٢١٠ .

(٣) أوتيخوس سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع . بيروت ١٩٠٥ ، ج ٢ ص ٥ .

ولقد لعب جهاز الاستخبارات الحربية والأرصاد دوراً هاماً في نجاح الخطة العربية وجميع التحركات الميدانية بالشام. فأولته القيادة العربية عنايتها واهتمامها[١] فلقد أوضحت نتائج الاستخبارات بأن الجيوش العربية لن تستطيع الوقوف ضد الزحف الرومي لأنها مشتتة في أنحاء البلاد ـ لذلك سارع أبو عبيدة بطلب الإمدادات من أمير المؤمنين ، وأنفذ الرسل إلى بقية الأجناد مفصياً إليهم بنتائج التحريات ، طالباً إليهم موافاته بما توصل إليهم من أنباء عن تحركات الجيوش الرومية في مناطقهم ، وأخيراً طلب منهم التوجه اليه للاستعداد لمواجهة العدو . ولم ينس أبو عبيدة النصيحة الغالية التي زودها به الصديق أبو بكر ، وهي أن لايترك طيره مكشوفاً للعدو ، وبأن يجتمع العرب عند الإحساس بالخطر في مكان واحد لمواجهة العدو ، ويكون قائد العمليات الحربية هو الأمير الذي تقع أرض المعركة في منطقة نفوذه .

وسرعان ما تواترت الرسل عائدة إلى أبي بكر ومعها بشائر المدد ، فتحركت الجيوش العربية نحو ضفاف اليرموك طبقاً للخطة التي اجتمع عليها رأي أمراء الأجناد .

تضارب آراء المؤرخين في أحداث اليرموك

إلى يومنا هذا لم يستقر الرأي حول موضوعين هامين في موضوع يوم اليرموك ، أي متى وأين وقعت المعركة بين العرب والروم ؟

ومن المفروغ منه بعد أن أكدت المصادر التي كشف عنها حديثاً ، وهي مراجع عربية ورومية وأرمنية ، حقيقة أن اجنادين كانت أول معركة كبرى بالشام وانها تسبق اليرموك ، أن نحاول التدليل على ذلك الآن ، فهناك من

(١) ابن حبيش : صفحات ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٩ ـ واقدي : ص ٩٨ .

الروايات لشهود عيان مثل شهادة أبي أمامة الباهلي ، ما تعزز صحة رأي المغفور له العلامة العراقي طه الهاشمي بأسبقية أجنادين [١] . وهذه الروايات تؤكد صحة ما ذهب اليه كل من دي غويه وموللر ونولدكه في أن اليرموك تلت موقعة اجنادين . وهذه الروايات قدمها ابن عساكر وابن حبيش .

والواقع هو أن المصادر العربية والروايات المعاصرة للأحداث لم تقدم نصوصاً صريحة واضحة يمكن استخلاص النتائج منها بسهولة . وقد حاول كل من دي غويه وموللر إزالة هذا اللبس والغموض وكان دي غويه هو المؤرخ المنطقي الوحيد الذي توصل إلى نتائج مرضية مستعيناً بنتائج ما سبقه من مؤرخين ومما يؤسف له أنه بالرغم من صواب منهج بحثه ، قد شكك في أهمية كتاب فتوح الشام للواقدي وجارى غيره من المؤرخين ، ولم يكتف بذلك بل انه هاجم هانبرج على ثقته بالواقدي ، ويتجاهل دي غويه كتاب فتوح الشام ، رغم غناه بالروايات الأصيلة ، وقد أثبتت التجربة بأن كتاب فتوح الشام يمكن الاعتماد عليه كمصدر للروايات الدقيقة ، هذا إذا قمنا بعملية استئصال وبتر الاضافات القصصية التي أضيفت إلى الروايات في عصور متأخرة . وقد أوضحت روايات ابن حبيش نقلاً عن الواقدي ، بأن كتاب فتوح الشام ليس منسوباً إلى الواقدي ، وبأنها روايات أصيلة وبقلم الواقدي نفسه . وسوف توضح مخطوطة كتاب الغزوات لابن حبيش — عندما ترى النور منشورة — الكثير مما غمض على المؤرخين ، وسوف تعيد في نفس الوقت الثقة بكتاب فتوح الشام .

متى وقعت المعركة

أدى تضارب الآراء في تحديد تاريخ اليرموك إلى إثارة مناقشات لا تنتهي بين المؤرخين ، وقادهم ذلك إلى عدم الأخذ والثقة بروايات سيف بن عمر .

(١) طه الهاشمي : معركة اجنادين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ...

ومما لاشك فيه ، فإن تلك الروايات قد خلفت لنا معظم المشاكل التي لم تحل إلى اليوم في تاريخ فتوح الشام . ومن عقيم الرأي أن نتجاهل تلك الروايات ، ومن الواجب التوفيق بينها وبين بقية الروايات بعد القيام بتحليلها تحليلاً منطقياً ، وقد توصل إلى هذا الرأي الأستاذ جواد علي في دراسته القيمة عن مصادر تاريخ الطبري ، ووضع بذلك الأحكام الراسخة التي يمكن اتباعها عند تناول تاريخ الطبري بالبحث [1] .

ومن البديهي أن نتناول بالبحث الأمر حيث تركه هؤلاء المؤرخون على أن نضيف إليه الجديد من البراهين والروايات التي تؤيد صحة مذهبهم هذا . وقد أجمعت الروايات العربية على أن يوم اليرموك كان في عام ١٥ هـ ، ومنها ما ذكر بأن المعركة كانت في شهر رجب سنة ١٥ هجرية ، وتجمع هذه الروايات على :

١ — روايات مخطوطة ابن حبيش : عن أشياخ سيف بن عمر : « فلزموا (الروم) خندقهم عامة شهرهم ، فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » [2] .

عن الواقدي عن ابن مكحول « .. كانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ » [3] .

٢ — البلاذري : « وكانت وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ » [4] .

٣ — الطبري عن يزيد بن أسيد الغساني : « فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال في جمادى الآخرة » [5] .

---

(١) جواد علي : مصادر تاريخ الطبري — مجلة المجمع العلمي العراقي — في عدة مجلدات .
(٢) ابن حبيش : ص ٨٥ ب .
(٣) فتوح الشام ص ١٣٦ ، وكذا بابن حبيش .
(٤) البلاذري : ص ١٤٢ .
(٥) طبري : ج ٣ — ص ٣٢ .

وعن المدائني « وكانت هذه الوقعة في رجب »[١] .

وعن الواقدي عن ابن اسحاق « ان وقعة اليرموك في سنة ١٥ هـ »[٢] وقد ذكر ابن اسحاق بأن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من انطاكية إلى القسطنطينية ، ولم يكن بعد اليرموك موقعة[٣] .

وعن ابن اسحاق : « فالتحموا باليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٤] .

٤ — ابن كثير نقلاً عن الحافظ عن أبي معشر « وكانت في رجب سنة ١٥ هـ »[٥] .

وعن ابن الكلبي : « كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ »[٦] .

٥ — ابن خلدون : « وكانت موقعة اليرموك في رجب بعد اجنادين »[٧] .

٦ — الذهبي : « وقعة اليرموك في رجب سنة ١٥ هـ »[٨] .

٧ — ابن عساكر أورد معظم الروايات المعروفة باسنادها المعروف .

أما المصادر الرومية والأرمنية فهي تتفق إلى حد كبير مع المصادر العربية ، ويكمل كل منها الآخر . ويذكر المؤرخ الرومي ثيوفانس بأن أول قتال تمهيدي مع العرب كان يوم الثلاثاء ٢٣ يوليو ٦٣٦ — وهذا التاريخ يوافق ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ . وقد ذكرت الروايات العربية الكثير عن هذا اللقاء الذي تم بالقرب من الجابية — قبل المعارك الأخيرة بشهر —

(١) طبري : ج ٣ — ص ٤٦ .
(٢) طبري : ج ٣ — ص ٥٩ .
(٣) طبري : ج ٣ — ص ٥٩ .
(٤) طبري : ج ٤ — ص ١٣٦ .
(٥) ابن كثير : البداية والنهاية : جزء ٧ ص ٤ .
(٦) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ج ١ ، ص ٥٢٨ .
(٧) ابن خلدون : تاريخ ، جزء ٢ ص ٨٥ .
(٨) الحافظ الذهبي — العبر في خبر من غبر — الكويت ١٩٦٠ — جزء أول ص ١٨ .

أي عندما كانت الجيوش العربية سائرة في طريقها إلى اليرموك . وتستطرد الرواية الرومية فتقول « بأن الصقلار مع باهان قد التقيا مع العرب بعد مغادرة حمص .. وكان اللقاء في الجـابية (الجابثة) في اليوم الثالث من الأسبوع — أي ٢٣ يوليو ٦٣٦ م »[١] .

وبالتوفيق بين تلك الروايات وبين آراء كل من فيل ونولدكه ودي غوية ، يتم التوصل إلى تاريخ المعركة الفاصلة باليرموك أي ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦م الموافق ١٢ صفر سنة ١٥ هـ ، أي بعد شهر واحد من أول لقاء تم بالجابية .

الطريق الى اليرموك

بدأت الأجناد الشامية عملية انسحابها خلال الشهور الأولى من عام ١٥هـ ، تاركة المدن الشمالية في طريقهـا إلى دمشق ، ثم ما لبثت أن غادرت دمشق عندما وافتها الأنباء باستعادة الروم لمدينة حمص ، بعد أن أدت الجباية التي جمعتها من أهل دمشق [٢] . وبناء على اقتراح من يزيد بن أبي سفيان ، عسكرت القوات العربية بالجابية في انتظار قدوم عمرو بن العاص من فلسطين وشرحبيل بن حسنة من الأردن [٣] . وعنـد اقتراب طلائع الروم خلت القيادة العربية عن الجابية واتجهت جنوباً إلى ضفاف اليرموك سالكة الطريق الروماني الذي يوصل نوى بأذرعات . وعسكرت القوات العربية في شرقي اليرموك جاعلة اذرعات خلف ظهورها ، واقباضهم ونسائهم على التلال الشرقية ،

(١) ثيوفانس : تاريخ : طبعه De : Boor ص ٣٣٨ الكتاب الأول فصل ٢ .
(٢) ابن حبيش : ص ٥٥ ، ٦٦ .
(٣) الواقدي : ص ٩٨ .

خريطـــة لموقع معركـــة اليرموك

حيث انتظروا نزول الروم على اليرموك وكذلك بقية الأجناد وكذا مدد أمير المؤمنين (١) .

وفي نفس الوقت ، اقتربت إمدادات أمير المؤمنين من نهر اليرموك ، فلقد خرج من المدينة لواء بقيادة سعيد بن عامر ، حيث التقى هو وفرسانه السبعة آلاف بحامية مدينة عمان بالقرب من حوران ، فشدد عليها القتال ، وقتل نقيتاس حاكم عمان وأباد رجاله البالغ عددهم ٥٠٠٠ رجلاً عن بكرة أبيهم (٢) .

وبسبب تحرك القوات العربية في اتجاه الجنوب الشرقي — أي على طريق نوى اذرعات — ظن الروم بأن العرب يغزون « بالمحابهم الانصراف عن أرض الشام ، لذلك أخرجوا خيلاً عظيماً لتأتيهم من ورائهم لتكشفهم » ، وأرسل باهان طلائعه لتدهم ساقة العرب عند جلائها عن الجابية فخرج إليهم خالد بن الوليد على الساقة ، وأفناها عن بكرة أبيها — وكان ذلك في جمادى الأخرى (٣) .

وعملت الروايات العربية [عن هذه الحادثة] على إكمال وإيضاح رواية ثيوفانس الغامضة عن التقاء العرب والروم بالجابية . أما رواية الواقدي وابن حبيش عن تحركات الجيش العربي ، فإنها فسّرت أسباب المناورة الرومية والغرض من تتبع ساقة العرب (٤) .

(١) الواقدي : ص ٩٨ — ٩٩ .

(٢) الواقدي ص ١١٠ ـ ابن حبيش ص ٨٥ .

(٣) ابن حبيش ص ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) الواقدي ص ١١٠ « وتجعلوا أذرعات خلف ظهوركم حتى يتزلوا اليرموك ويكون مدد أمير المؤمنين قريباً منكم » . وفي صفحة ٩٩ ـ ابشـه إلى ما يلي الرمادة (الرقاد) فيكون بين عسكرنا وعساكر الروم » ... وكذلك « وأمر خالد بن الوليد أن يسير بهم ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم » .

ومما لاشك فيه ، فلقد اتضح للقيادة العربية ضعف الجابية من الناحية الاستراتيجية ، لوقوعها على ملتقى طرق الإمدادات الرومية الآتية من دمشق وقيسارية وبقية مدن فلسطين ، وهذا مايهدد سلامة خطوط الإمدادات العربية ، ويجعل ساقة وطلائع القوات العربية في موقف خطير . لذلك لم يكن مثيراً للدهشة أن يسلك العرب طريق نوى — اذرعات ؛ وإلا كانت العرب في موقف خطير يهدد بحصارهم وإبادتهم .

وسيطر العرب وهم على التلال الشرقية على جميع الطرق المؤدية إلى اليرموك ، بينما شكلت تلك التلال خطاً دفاعياً يحمي مؤخرتهم . وأخذت طلائع الروم في العسكرة غربي نهر الرقاد كما ارتآه لهم العرب ، أي النزول في موضع ضعيف من الناحية الاستراتيجية . وقد عسكرت ساقة الروم في منطقة دير الجبل قرب نهر الرماد بمنطقة جولان ، منتظرين توارد بقية القوات الرومية (١) .

ومن الواضح فإن دي غوية سار وراء سراب خادع عندما حاول تفسير الرماده — وهي تحريف للرقاد — والبحث عنها بالقرب من فيق ، حيث يوجد واد قاحل ذكره سيتزن . ومما لاشك فيه ، أن عدم تنقيط الحروف في الكتابة العربية المبكرة ، جعل دي غوية يضل الطريق وراء براهين واهية ، لذلك تجاهل حقائق طبيعية مثل وجود نهر الرقاد ، الذي يتفق من الناحية الاستراتيجية مع الروايات التي جاءت عن ميدان المعركة ، وهذا كله يتفق وطبيعة فن التجييش والتعبئة ، وطبيعة المنطقة طوبغرافياً (٢) .

---

(١) واقدي صفحات ٩٩ — ١٠٠ — ١١٠ — ١١٨ .

(٢) دي غوية — فتوح الشام : ص ٦١٨ ، ٦١٩ .

سعيد بن البطريق — جزء ٢ ص ٢٧٣ ، ابن حبيش ص ٦٩ .

وحاول دي غوية استغلال أحداث الواقوصة – وهي إحدى أيام اليرموك الأخيرة – لكي يدلّل على صحة استنتاجه وهي بأنّ المركة كانت قرب فيق أي بوادي الرمادة حيث وُقِصت رؤوس الروم. بينما كانت الواقوصة حدثاً ويوماً من أيام اليرموك مثل يوم الضباب والرزاز والتعوير، وبدأ هذا اليوم بشرقي نهر الرقاد، وانتهى بتعقب الفالة في منطقة جولان.

ورغم تبين عدم صحة أحكام دي غوية، لصراحة النصوص التاريخية، فما زال إلى اليوم من يحاول أن يجعل الرمادة والواقوصة جنوب نهر اليرموك [١].

والنصوص التي قدمتها الروايات العربية والرومية تتفق إلى حد كبير مع الطبيعة الأرضية لميدان المركة، فلقد شغلت أرض المركة المنطقة التي يحدها شرقاً وادي العلان، وغرباً نهر الرقاد، (وجعلوا بينهم وبين عسكر المسلمين ثلاثة فراسخ طولاً [٢].

تشكيل الجيوش المتحاربة

تشكلت القوات الرومية من الفرق النظامية والعديد من الفرق المرتزقة التي تكونت من الأقليات القومية بالامبراطورية. وكان من بينها فرقة يقودها جبلة بن الأيهم الملك العربي المسيحي، هذا إلى جانب قوات مرتزقة من الأرمن واليونان واللان والروس. والمثير للدهشة أنّ يحارب روسيون في قوات هرقل، بينما المصادر التاريخية لم تكن قد ذكرتهم بعد كشعب.

وقاد الجيوش ثيودور الصقلاريليه في القيادة القائد الأرمني فاهان (باهان). ويذكر الواقدي بأن قواد الروم كانوا خمسة قواد: وهم قناطر (بوقيناتير)

(١) عبد الرؤوف عون – الفن الحربي في صدر الإسلام، القاهرة ١٩٦١ ص٢٢٦–٢٢٨.
(٢) الواقدي، ص ١٠٠، انظر الخريطة.

ملك الروسية ، وجرجير (جرجيوس) ملك عمورية ودرنجار القسطنطينية وماهان ملك أرمينية وخامسهم قورين ابن أخت هرقل . ويبدو أن قورين هذا هو ثيودور الصاقيلار الذي اتفقت عليه جميع المصادر العربية والرومية [١] .

وقد شكلت القوات الرومية — حسب المصادر الوثيقة — ٢٠ كردوساً ضم إليها العرب المستنصرة من غسان ولخم وجذام ، يقودها جبلة بن الأيهم ، حيث كان في مقدمة باهان ، أي أمام قلب الجيش . وكان على الميسرة الدرنجار ، وعلى الميمنة بوقناطر الذي تضم قواته فرقة جرجير (جرجيوس جرجة) . وكانت ميمنة الروم تحتل موقعاً ضعيفاً من الناحية الاستراتيجية إذ كانت محاطة بالأهوية والأغوار ويحدها نهر اليرموك العميق ، لذلك دعمت بفرقة قوية من الرماة عسكرت في خنادق ، أما اقباض الروم فقد كانت في دير الجبل [٢] .

وكان تشكيل الجيش العربي على نظام الخمسة فرق ، أي القلب والميمنة والميسرة ، حيث ألحق بها الفرسان على شكل جناح ، وحيث شكلت معها وحدة متناسقة . وكان خالد بن الوليد على الفرسان وهاشم بن عتبة على المشاة [٣] . وقباث بن الأشيم على المقدمة وعبد الله بن مسعود على الروعة [٤] أما أبو عبيدة فكان على القلب ، غير أنه اضطر إلى تسليم القيادة إلى سعيد بن نفيل عندما أجمع قواد الأجناد على ذلك ، بسبب بعض الاعتبارات النفسية إذ كان بالقلب وحول أبي عبيدة الكثير من أصحاب الرسول وحفظة القرآن الذين يخشى عليهم ضراوة القتال . غير أنه لم يتخل عن القيادة بل تأخر

---

(١) ابن حبيش س ٧٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦ ، الواقدي : س ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ .
(٢) الهامش السابق .
(٣) ابن حبيش : س ٧٢ ، ٧٨ — الواقدي س ١٢٥ .
(٤) ابن حبيش س ٧٩ ، ٨٦ .

إلى مؤخرة القلب وسلّم سعيد اللواء ، وأشرف من هناك مع هذه النخبة الكريمة على سير المعركة (١) .

وقد اختلفت المصادر العربية والرومية في تقدير عدد القوات المتحاربة فمنها — العربية — ما ذكر بأن عدد الروم كان ٢٠٠ ألف (٢) يضاف إليها العرب المستنصرة والأرمن وهم فرقتان كل منهما ١٢ ألف محارب (٣) بينما ذكرت بعض المصادر بأن الجيش العربي شكل قوة تبلغ الـ ٢٤ ألف محارب يضاف إليها مدد الخليفة عمر رضي الله عنه وهو ٧٠٠٠ محارب (٤) .

والمصادر الرومية تؤكد بأن القوات المتحاربة الرومية تبلغ ٣٧ ألف محارب ، وتتفق هذه الرواية مع ابن حبيش نقلاً عن الواقدي في أن الروم قد صفوا ٢٠ كردوساً وبجوارها قوات العرب المستنصرة والأرمن .

والمرجح هو أن القوات العربية كانت في حدود ٣٧ ألف محارب والقوات الرومية ٧٠ ألف محارب (٥) .

سير المعركة

بدأت الالتحامات واللقاءات العسكرية التمهيدية في ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٥ هـ (٢٣ تموز — يوليو — ٦٣٦) ، وقد أطلق على سلسلة المعارك التي دارت بعد ذلك اسم معركة اليرموك . ومن أيامها الأخيرة الياقوصة

(١) الواقدي ص ١٢٥ ، ابن حبيش ص ٧٩ .
(٢) البلاذري ص ١٤٠ ، الياس النصيبي ص ١١٠ بينما ذكر ابن حبيش ص ٨٢ بأن الصقلار سار بمائة ألف مقاتل .
(٣) ابن حبيش ص ٨٢ ، دى غويه ص ١٠٧ .
(٤) ابن حبيش ٧١ ، ٨٢ ، الواقدي ١١٠ ، ١١١ .
(٥) اغابيوس ، كتاب العنوان ص ٢١٠ وجميع المراجع ورواية ابن اسحاق لدى الطبري .

(الواقوصة) حيث وقعت عند تدبع الفالة الرومية في أهوية اليرموك بالقرب من فيق .

وكان اللقاء الأول بالقرب من الجابية في صالح العرب وبعده هدأ القتال ، وبقيت الجيوش المتحاربة ممسكرة حوالي الشهر بدون أي مواجهة [١] .

وبدأت المعركة في تطورها الثاني باللقـــاء الذي أورده الواقدي عن عبد الملك بن عبد الحميد ، أولها شررنا وآخرها ضرام الحرب ، وإن كل يوم يأتي أصعب من اليوم الآخر ، فلقد هـاجمت فرقة رومية مكونة من ١٠ كراديس بقيادة باهان العرب ، ولكن النصر كان من نصيب العرب ، ولم ينته اللقاء إلا بحلول الليل [٢] .

وبعد أسبوع من الانتظار ، جاء اللقاء الثاني الذي صحبته بعـد ذلك لقاءات يومية ، وكان ذلك في شهر رجب (لخمس مضين من رجب) . وقد أثبت العرب مهارة خطتهم وصوابها باختيارهم هذا اليوم للقاء مع الروم فقد بدأه العرب في يوم هبت فيه رياح جنوبية حارة ، أذت وأعمت عيون الروم بما تحمله من غبار وأتربة ، إلى جانب قيظ شمس آب القوية .

ولنتوقف لحظة ، لكي نتابع تفـاصيل اللقاءات التي دارت على أرض المعركة والتي استمرت بضعـة أيام ، وانتهت في الياقوصة ، عندما قضى العرب على فالة الروم الذين فروا في اتجاه الطريق الروماني الموصل إلى دمشق وفلسطين .

وكانت اللقاءات الأخيرة في أيام ثلاث ، يوم الضباب ، ويوم التعوير ثم يوم الياقوصة حيث تم النصر النهائي على الروم .

---

(١) الواقدي ، ص ١٢١ .
(٢) مما قبله .

وبدأ يوم الضباب عندما هاجم الدرنجـار صاحب ميسرة الروم ميمنة العرب وفيها الأزد ومذحج وحمير وحضرموت وخولان، فأزال المسلمين عن الميمنة ، فانحازوا إلى ناحية القلب (١) . وكانت قوات الدرنجار المهاجمـة ٣ كراديس ، واندفع كردوس منها عندما انكشفت طائفة من المسلمين إلى المعسكر ، وتبعتهم نحو الساقة ، غير أن قوة من ٥٠٠ رجل وفيها الحجاج ابن عبد يغوث بن عمرو بن الحجاج شدّت على الروم وشغلتهم عن اتباع من انكشف ، ودام في نفس الوقت خالد بن الوليد وهو على الفرسان المهاجمين الروم . وشكل تحرك الفرسان بقيادة خالد مناورة هدفهـا حصر الروم وعزلهم عن بقية القوات المهاجمة . لذلك أسرع الروم بالانسحاب ، فالتأم الصدع الذي أصاب الميمنة العربية (٢) .

وفي نفس الوقت هاجمت ميسرة العرب الميمنة الرومية حيث الرماة في خنادقهم ، فتعرض لها بوقناطر ، فشد عليه عمرو بن العاص بقواته وكشفه ، فاضطر إلى الفرار نحو قلب الجيش الرومي(٣) لذلك سارع جرجير (جرجيوس) وهاجم العرب لتغطية انكشاف الميسرة وقلب الجيش (٤) .

وخلال سير المعركة ، تعرض القلب العربي للانكشاف أثناء الشد والصدام ، إذ تمكنت بعض الكتائب الرومية (المزبية) من التسرب إلى اقباض الساقة ، فتعرض لهم قثامة بن الأشيم ، وشد العرب الصدام حتى لا يلقى بهم إلى النهر ، وسرعان ما تحول الدفاع العربي إلى هجوم مضاد بعد لم شمل الصفوف ، وسد

(١) ابن حبيش ، ص ٧٧ ، ٧٩ .
(٢) ما قبله ، الواقدي ص ١٢٧ .
(٣) ابن حبيش ص ٨٠ ، الواقدي ص ١٢٩ .
(٤) ما قبله .

الثغرات التي فتحت في خطوطهم ، فاضطرت القوات الرومية للمرة الثانية إلى الانسحاب لحرج موقفهم [١] .

ولعب الخلاف بين القواد الروم دوراً هاماً في سير المعركة وذلك لصالح العرب وسبب الاضطراب في صفوف الجيش الرومي . فلقد شب الخلاف والنزاع بين الفرق الرومية المرتزقة ، ومعظمهم بالميسرة الرومية وبين الفرق النظامية وقيادتها . وقاد الخلاف في الأيام التالية إلى هزيمة الروم المتكررة . إذ استفحل العداء والتذمر وعدم الرضا بين القواد الروم ، عندما ازداد النزاع الشخصي عمقاً بين بوقناطر وجرجيوس (جرجة) من جهة ، وبين القائد العام تيودور وباهان من جهة أخرى [٢] . وتناول تيوفانس المؤرخ الرومي أطراف هـذا النزاع ، غير أن المصادر العربية كانت أدق ووافية .

وفي يوم التعوير ، وهو ثاني أيام اليرموك ، صفت القيادة العربية قواتها وصفوفها ، طبقاً للخطة المتبعة في الصفوف الثلاثة ، ووجهوا عنايتهم بشكل خاص إلى الرماة ، فلقد أثبتت وقائع اليوم الأول أهمية اتباع هذا التكتيك الجديد ، لذلك قسّم العرب إلى ثلاثة أقسام ووزعوها على أقسام الجيش الثلاثة وألحق بكل قسم ٥٠٠ رام [٣] .

وبدأ الصدام عندما شنّ الروم هجومهم على ميمنة العرب ، إذ أنهم قد فطنوا إلى ضعف ميمنتهم وتعرضها لهجوم الفرسان العرب ، لذلك عززوها بصفوف من الرماة ذوي الأسلحة الثقيلة ، والتي ألهبت ميسرة العرب برمايتها وخلال ذلك اليوم انكشفت الميمنة العربية مراراً عدة بسبب تركيز الهجوم

(١) الواقدي ص ١٢٩ ــ ١٣٠ .
(٢) ما قبله .
(٣) الواقدي ، ص ١٣٢ .

عليها ، غير أن العرب أقحموا فرسانهم في خطوط الميسرة الرومية المهاجمة ، بينما غطت كتيبة أخرى من الفرسان العرب الانفراج الذي حدث بالميمنة العربية . وشددت التكبير على الروم ، فاضطرتهم إلى الانسحاب تاركين ميسرتهم مكشوفة [١] .

وأوردت المصادر العربية الكثير من التفاصيل عن هزيمة ميسرة الروم ، وعن فرارها أمام هجوم العرب . هذا في الوقت الذي أمطرت فيه ميمنة الروم بسهامها ورماحها الميسرة العربية ، ملحقة بها أفدح الأضرار ، مما جعل العرب يطلقون على هذا اليوم يوم التعوير ، وفيه نكب أبو سفيان بفقد عينه [٢] . وكثرت الروايات العربية عن يوم التعوير ، واختلطت أحداثه بأحداث يوم الياقوصة ، غير أن معظمها اتفق على أن العرب ارتدوا ثلاث مرات ، من شدة الطعن والرمي ، إلى أن تمكنوا من الخلاص بعد أن كادت تلحقهم الهزيمة [٣] وذلك بتركيز هجومهم ، فاضطر الروم إلى التجمع على ضفاف اليرموك [٤] .

وجاء اليوم الثالث بالشؤم وسوء الحظ للروم ، فكلما تغلغلوا في الصفوف العربية ، وكادوا يصلون إلى مرحلة النصر الحاسمة ، جوبهوا ببطولة وبسالة النساء العربيات اللواتي تعرضن لهن بكل ما وقع تحت أيديهن من سلاح ، واشتركن بذلك في الدفاع وفي طرد منهزمة المسلمين ودفعهم إلى ميدان القتال [٥] .

(١) الواقدي ، ص ١٢٨ ، وابن حبيش ص ٨١ .

(٢) الواقدي وجميع الروايات بكتب التاريخ ، واقدي ص ١٢٨ .

(٣) الواقدي ص ١٢٨ — ١٣١ .

(٤) الواقدي ما قبله : « وانحازت الروم إلى جانب اليرموك » .

(٥) جميع كتب التاريخ .

وباشتداد ضرام الحرب والطعان ، وضع الروم في السلاسل ، حتى يشكلوا حائطاً يصد الهجوم العربي . ولكنهم سرعان ماصاروا هدفاً للرماة العرب ، حيث أمطروهم بوابل من السهام ، ومن لم يلق منهم الموت بالسلاح ، لقيه عند فراره في قاع الهاوية التي تحف بالوادي ، وبدأت الفوضى تتغلغل في صفوف القوات الرومية ، وقد استفحل العداء بين قواتهم ، وأخذت قواتهم في الارتداد أمام القوات الصغيرة العربية ، الكبيرة في قوة الهدف . فهلك الصقلار ثيودور ، أما فاهان (باهان) فانه آثر الفرار ناجياً بحياته .

وترجع أسباب هزيمة الروم إلى ضعف خططهم الحربية الرامية إلى توسيع جبهة القتال ، في الوقت الذي كدسوا فيه رماتهم بالميمنة الضعيفة من الناحية التكتيكية ، لذلك تعرضت الميمنة طوال القتال لهجوم الخيالة العربية التي كانت تدهسهم وتفصل بينهم وبين بقيـة الجيش الرومي ، إلى أن توصلت أخيراً إلى حصرهم بعد القيام بعملية التفاف ، ودفعتهم نحو ضفاف النهر والأودية والأهوية العميقة ، حيث لقي الكثير منهم حتفهم ، ومن بينهم العديد من القواد الروم ، مثل حاكم نابلس وملك اللان (١) . بينما تركز الخلاف والنزاع بالميمنة الرومية ، وهذا ماجعل القواد يتنازعون في إصدار الأوامر والخروج عن تعليمات القائد العام . لذلك فقدت القيادة العامة السيطرة على قواتها ، التي سرعان ما انهارت فأسرعت بالانهزام والفرار للتحصن بالمناطق المنيعة ، غير أن فرسان العرب تتبعتهم وطاردتهم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة حيث أبيدت معظم القوات الرومية (٢) .

---

(١) الواقدي ص ١٣٤ ، وقد سماه ماريوس ، وثيوفانس يذكر بين قواد الروم قائداً سمي بهذا الاسم .

(٢) الواقدي : نفس المكان ، وراويه سيف بن عمر لدى الطبري .

ونعود هنا لتناقش كلمة الرماد التي أشار اليها دي غوية من قبل ، فلقد أفضى الواقدي إلى قصة طويلة ، حاول فيها أن يبرر الأسباب التي دعت إلى فناء الروم وقص حكاية شخص موتور قاد القوات الرومية أثناء فرارها إلى مكيدة سقطوا بسببها في الأهوية العميقة (١) . غير أن هناك من الروايات ماتفيد بأن الروم اضطروا إلى خوض مياه الأنهار والمستنقعات حيث أبادتهم العرب ، وهـذه الحقيقة لاتتفق مع فرضية دي غوية في أن وادي الرماد يقع في الواقوصة . فنحن نعرف بأن الرماد هو تحريف لفظي الرقاد ، وهو النهر الذي سقط فيه الكثير من الروم . ومن ثمّ فإن العرب طاردوا فالة الروم إلى أن وصلوا إلى الياقوصة ، وهناك أفناهم العرب عن بكرة أبيهم . ومن هنا عمّم يوم اليافوصة وأطلق على يوم اليرموك ، بينما الياقوصة هي إحدى أيام اليرموك .

وكان تمام انتصار العرب على الروم في ١٢ رجب ١٥ هـ الموافق لـ ٢٠ أغسطس (آب) ٦٣٦ م وفقدت الامبراطورية بهزيمتها في اليرموك الأمل في استرداد سورية التي ضاعت منها إلى الأبد ، بل وتعرضت الامبراطورية الرومية للهجمات العربية إلى أن سقطت . وتحقق بذلك قول هرقل عندما ودع سورية بقوله : « عليك السلام يا سورية ، سلاماً لا اجتماع بعـــده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لا يولد من أجل فعله وأمر عاقبته على الروم » .

ولم يعد الروم إلى الشام إلا مع الحروب الصليبية ، وخرجوا منها بعد زمن بسبب وحدة الصف العربي ، وتحقق الشطر الأخير من وداع هرقل ، وصارت الشام أرض العروبة ومنبرها طوال العصور ، وكذلك فلسطين إلى أن وقعت فريسة الصهاينة .

(بودابست) ※※※ الدكتور عبد المنعم مختار أميو

(١) كتب التاريخ ــ الواقدي ــ الطبري ــ ابن حبيش .

نظرة عيان وتبيان

في مقالة

(أسماء أعضاء الإنسان)

أضاف إليها ما يقابل الأسماء بالفرنسية والانكليزية مع شرح موجز

الدكتور صلاح الدين الكواكبي

— ٦ —

١٧٠) الرواجب

ف ، ز ....

في الأصل . — عصب ظاهر الكف . [قَصَب ظاهر الكف] .

ملاحظتي . — قوله (عصب) خطأ والصحيح (قصب) بالقاف وهي الرواجب .

في (ق) . — الرواجب واحدتها راجبة ورُجْبة : مفاصل أصول الأصابع ، أو بواطن مفاصلها ، أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات أو المفاصل التي تلي الإبهام .

قلت : ومثلها : [البَراجيم وهي مفاصل الأصابع كلها أو ظهور القَصَب من الأصابع أو رؤوس السلاميات إذا قبضتَ كفك نشزَتْ وارتفعت] . هذا التعريف يكاد ينطبق على (مُشْط اليد وهو السِّنْع : métacarpe) ؛ وعلى (مُشط القَدَم وهو الوظيف métatarse) .

★ ★ ★

١٧١) الإِبهام

ف Pouce (m.)

ز Thumb

في الأصل . — أقصر الأصابع وأغلظها .

في (ق) . — الإبهام بالكسر ، في اليد والقدم أكبر الأصابع . وقد يذكّر . ج أباهيم وأبايم .

في (ل) . — أكبر أصابع اليد وأقصرها بالنسبة للأصابع الأخرى ، في الإنسان والقِرَدَة .

ما أضفته :

١ — إبهام القَدَم

ف Gros orteil

ز Big toe

٢ — إبهام أرْوَح

ف Hallux varus

ز Pigeon toe

٣ — إبهام أفْحج

ف Hallux valgus; orteil en equerre

ز Hallus; hallux valgus

٤ — إبهام صَمِيل

ف Hallux rigidus

ز Stiff toe

٥ — إبهام مُنْشَطِر أو منشق

ف Pouce bifide

ز Bifid thumb

★ ★ ★

١٧٢) المُسَبِّحة (= السَّبَّابة)

ف Index , doigt indicateur

ز Index : forefinger

في الأصل . — المسبّحة ، التي تلي الإبهام .

في (ق) . — السبابة ، تلي الإبهام [ولا ذكر للمسبحة في مادة سبح] .

في معجم المتن . — السبابة والمسبحة : الاصبع التي تلي الإبهام . والسبابة ، التي بين الإبهام والوسطى (صفة غالبة) .

في (ل) . — الإصبع الثانية من اليد ، الأقرب إلى الإبهام .

ملاحظتي . — الصفة الغالبة لهذه الاصبع والمشهور عنها : (السبابة) . أما المسبحة فلا ذكر لها في (ق) . فهي إطلاق خاص على ما يبدو .

فالسُّبْحة بالضم خرزات تُنظَم للتسبيح (مولّدة) . وفي رأيي أن المؤلف ، اختار لهذه الاصبع — تبديلاً من السبابة لما فيها من معنى الشتم والعار — اختار لها « المسبحة » لما فيها من معنى التقديس ومن التنزيه لله تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وعظمته . هذه التسمية ؛ على التغليب لأن التسبيح بها وبالإبهام بل وبالوسطى كما لا يخفى . هذا وفي شرح (الفِتْر) وجدت في (ق) ما يلي : [الفتر ، بالكسر ، ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة] . قلت : وكأن كلمة Index الإفرنجية لهذه الإصبع مأخوذة — ترجمةً — عن العربية لأنها هي وحدها التي يشار بها إلى شيء ما (من بين أصابع اليد) . وعلى هذا أرى أن كلمة (المُشيرة) أجدر استعمالاً من (السبّابة) و (المسبّحة) وأصلح إشاعةً ، لمطابقتها للواقع .

★ ★ ★

١٧٣) الوسطى

ف Medius; doigt majeur

ز Middle finger

في الأصل . — التي تلي المسبّحة .

في (ل) . — الإصبع التي في منتصف اليد .

★ ★ ★

١٧٤) البِنْصر (اصبع اليد الرابعة)

ف Annulaire; quatrième doigt de la main

ز Ring finger

في الأصل . — التي تلي الوسطى .

في (ق) . — البنصر ، الإصبع بين الوسطى والخنصر . مؤنثة .

في (ل) . — الإصبع الرابعة ، من اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها هي التي تلبس فيها الحلقة أو الخاتم) .

★ ★ ★

١٧٥) الخِنْصر

ف Auriculaire (m.)

ز Little finger

في الأصل . — التي تلي البنصر .

في (ل) . — أصغر أصابع اليد (سميت بالفرنسية كذلك لأنها لصغرها يمكن إدخالها بالأذن) .

ما أضفته :

١) أصْبُع

ف Doigt (m.)

ز Finger

٢ً) اصبع كالسَـوْد (خَزَب مخاطي)

ف Doigt en boudin (myxœdème)

ز Swelling of the fingers in myxœdema

٣ً) اصبع مُنْذَلة (ميتة)

ف Doigt mort

ز Dead finger

٤ً) اصبعي .

ف ، ز Digital

٥ً) اصبعي الشكل

ف Doigt (en forme de)

ز Digitated

ومن أشكالها :

١ — أصابع إبقراطية

ف Doigts hypocratiques

ز Clubbed , drumstik , hypocratic fingers ; clubbing of the fingers

٢ — أصابع عنكبوتية

ف Arachnodactylie

ز Arachnodactily ; spider fingers

٣ — أصابع القَدَم

ف Orteil ; doigts du pied

ز Toes

٤ — خنصر القدم .

ف Cinquième orteil

Small toe

٥ — أصابع عِنْجَنية

ف Gampsodactylie
ز Hammer toe

من مرادفات الكلمة الفرنسية :

(أصابع كعنق الأوز orteil en cou de sygne) ،
و (أصبع قدم مطرقية الشكل orteil en marteau) .

٦ — أصابع كيمْقاس الطَّبْل

ف Doigts en bagutte de tambour
ز (انظر أصابع ابقراطية ـ ١)

٧ — أصابع اليد أو الكف

ف Doigts de la main
ز Fingers

٨ — قِصَر الأصابع

ف Brachydactylie
ز Brachydactylia

ملاحظة . — في كلامه على الأصابع لم يذكر المؤلف شيأ عن (الشِّبْر) ولا (الفِتْر) اللذين يستعملان مقياسين للأطوال . فرأيت أن أضيفها في هذا الرقم على النحو التالي :

آ — الشِّبْر

ف Empan (m.)
ز Span (hand-span)

[الشبر يقيس ٢٢ — ٢٤ سنتمتراً ويقابله ٩ أنش] .

ب — الفِتْر

ف Petit empan
ز Small span

في (ق) — فأما الشِّبْر : ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر ، مذكر

ج أشبار . والشَّبر بالفتح : كيل الثوب بالشبر . وأما الفِتر ، بالكسر : ما بين طرف الإبهام وطرف المُشيرة . (قلت المشيرة هي السَّبابة = index) انظر (الرقم ١٧٢) أيضاً .

في (ل) . — الشبر : المسافة بين الإبهام والخنصر ممتدّين .

★ ★ ★

١٧٦) القَصَبات

في الأصل . — واحدتها قَصَبَة ، في كل اصبع ثلاث قصبات إلا الإبهام ففيها قصبتان .

في (ق) . — . . . والقَصَب عظام الأصابع ، وشُعَب الحلق ومخارج الأنفاس . . . الخ .

ملاحظتي . — على اعتبار (عظام الأصابع) يقابلها phalange . وعلى اعتبار (شعب الحلق . . الخ) يقابلها bronche . سأذكر أولاً ما يوافق شعب الحلق (قصبات) ثم أذكر ما يوافق الأصابع .

أولاً . — القَصَبَة

(شُعب الحلق)

في (ل) . — القصبة كل من المجاري ، ينتهي إلى الرُّغامى (١) ـ الشريان وبالمجاري هذه يدخل الهواء الرئتين ، وأما الرغامى فتنقسم قصبتين رئيستين وكل منها إلى قصبات فصّية (٣ في اليمين ، ٢ في الشمال) . هذان القسمان يتفرعان في داخل الرئة الموافقة إلى قصبة خارج الفُصَيْص (٢) وهذه بدورها إلى قصبة داخل الفُصَيْص أي إلى قُصَيْبة (٣) .

١) Trachée - artère ٢) Eextralobulaire

٣) Bronchiole

القصبة

Bronche (f.)

Bronchus

ما أصفته :

١ — قصبة تحت الشريان

ف Bronche hypartérielle

ز Hyparterial bronchus

٢ — قصبة داخل الرئة ، أساسية

ف Bronche intrapulmonaire, principale

ز Intrapulmonary, main bronchus

٣ — قصبة داخل القصيص ، قصيبة

ف Bronche intralobulaire; bronchiole

ز Intralobular bronchus; bronchiole

٤ — قصبة رئيسة

ف Bronche souche

ز Main bronchus

٥ — قصبة فوق الشريان

ف Bronche épartérielle

ز Eparterial bronchus

٦ — قصبة قلبية

ف Bronche cardiaque

ز Cardiac bronchus

٧ — قصبة قمّية

ف Bronche apicale

ز Apical bronchus

ثانياً — القَصَبة (*)

(عظام الأصابع)

ف Phalanges

ز Phalanx

في (ل) . — كل من العظام الصغار التي تتألف من مجموعها أصابع اليد وأصابع القدم [انظر الرقم — ١٧٠] .

★ ★ ★

١٧٧) السُّلامَى

ف Phalange

ز Phalanx

في الأصل . — هي القصبة .

في (ق) . — كل من قصبات الأصابع سُلامَى ج سُلاميَات ؛ وعظام صغار طول إصبع وأقل ، في اليد والرجل .

في (ل) . — كل من العظيمات التي تتألف منهن أصابع اليد وأصابع القدم .

ما أضفته :

١ً — سُلامى ثانية

ف Phalangine

ز Second phalanx

٢ً — سُلامى صغيرة ، سلامي ظُفْرية

ف Phalangette ; phalange unguéale

ز Distal , terminal , ungual phalanx ; phalangette

★ ★ ★

(*) القصبة ، أُطلقت أيضاً على عظم الأنف الخاص . (انظر الرقم ٥٦) .

١٧٨) الرواجب

ف ، ز . . . .

في الأصل . — بطون عقد الأصابع .

في (ق) . — مفاصل أصول الأصابع أو بواطن مفاصلها أو هي قصب الأصابع أو مفاصلها ، أو ظهور السلاميات ، أو ما بين البراجم من السلاميات ، أو المفاصل التي تلي الأنامل . واحدتها راجبة ، ورُجْبَة بالضم .

قلت : أي المعاني مع كثرتها ، يخصص له ما يقابله بالفرنجية . وقد تقدم ذكرها في (الرقم ١٧٠) لقصب ظاهر الكف .

★ ★ ★

١٧٩) البراجم

ف Articulations (des doigts)

ز Knucle ; finger - joint

في الأصل . — ظهور عقد الأصابع .

في (ق) . — البُرْجُمة ، المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، والأصابع الوسطى من كل طائر ؛ أو هي مفاصل الأصابع كلها ، أو ظهور القصب من الأصابع ، أو رؤوس السلاميات إذا قبضت كفك نشزت وارتفعت .

في (ل) . — هي مفاصل أو مواصل الأصابع . انظر (الرقم ١٧٠)

★ ★ ★

١٨٠) الأنامل

ف Bouts des doigts

ز Finger - tips

في الأصل . — أطراف الأصابع وهي القصبة العليا .

في (ق) . — الأُنْمُلَة بتثليث الميم والهمز ، التي فيها الظفر .
ج أنامل وأنملات .

في (ل) . — الأنملة الطرف السائب من الاصبع .

قلت : على تعريف (ق) يوافق phalangette وهي القصبة النهائية التي تحمل الظفر كما في (ل) .

★ ★ ★

١٨١) الحِتار ، الإطار

ف Bord

ز Border

في الأصل . — ما أحاط بالظُّفر (وكذا الإطار) .

في (ق) . — ... والحتار من كل شيء كفافه وحرفه ... والإطار ، للبيت هو كالمنطقة حوله وما أحاط بالظفر من اللحم ، وطرف الأبهر .

قلت : الأصلح التخصيص (حتار أو اطار الظُّفر) باضافة (الظُّفر) .

★ ★ ★

١٨٢) الزِّنْقير (= القَسيط)

ف Rongeure d'ongle

ز Parings; clipping of nails

في الأصل . — الزِّنيقر قلامة الظفر ، ما يُقلَّم من الأظافر .

في (ق) . — ما سقط من الظفر حين تقليمه أي قطعه .

وفي متن اللغة . — الزنقير كلمة دخيلة في قلامة الظفر .

ملاحظتي . — في الأصل المخطوط توجد كلمة (النسنيط) وهي تصحيف كما يقول المحقق وصححها بكلمة (الزنيقر) . قلت : وهذا خطأ مطبعي على ما أظن والصحيح (الزنقير) بالياء بعد القاف لا قبلها — كما وضعتها مصححة

(في الرقم ١٨٢) إلى جانب الكلمة (الفَسِيط) التي صحَّحتُها كذلك عن (المنسنيط) الوارد ذكرها في المخطوطة . (فالمنسنيط) هذه هي في الحقيقة مصحَّفة كما يقول المحقق ، لكن ليس (الزنقير) بصحيحها وإن كان يدل على قلامة الظفر . فالكلمة الصحيحة التي وجدتُها بعد تقليب وجوه التصحيف هي (الفسيط) كأمير [وكذا الفصيط بالصاد] وهو التُفروق (*) ، وقلامة الظفر كما في القاموس . فالناسخ ـ لانزياح نقطة الفاء إلى اليسار قليلاً ـ توهَّمها (ـعـ = عين وسط) والنقطة بعدها حسبها (ـنـ = نون وسط) فصارت معه (المنسنيط) بإلحاقها بنقطةٍ ثانيةٍ بعد السين . فتأملْ إلى أي مدى يبلغ المسخ في النسخ ! .

★ ★ ★

١٨٣) النَّمَش

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — البياض في ظهور الأظافر .

في (ق) . — نُقَط بيض وسود أو بُقَع تقع في الجلد تخالف لونه ؛ وخطوط النقوش من الوشي وغيره .

قلت : النمش ليس بخاص للبياض في الأظافر بل هو عام كما في (ق) . وما يقع في الجلد خاصةً هو (الكَلَف ، بفتحتين) بالفرنجية هو :

ف Tâches de rousseur; éphélide

ز Freckles (ephelis)

★ ★ ★

(*) قلت : التفروق كعصفور : قمع التمرة . والتفروق بالتاء كذلك ، أو ما يلتزق به قمعها . ج تفاريق .

١٨٤) الخَلَل

ف ، ز Interdigital

في الأصل . — ما بين الأصابع .

في (ق) . — منفرج ما بين الشيئين ، ومن السحاب مخارج الماء كخِلاله .

قلت : الأخص هو (الفَوْت . ج أفوات وهو الفُرْجة بين اصبعين) .

★ ★ ★

١٨٥) القَلْت

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — النقرة في أصل الإبهام .

في (ق) . — النقرة في الجبل ، والقليل اللحم كالقَلِيت ككتف .

في متن اللغة . — القلت : النقرة في الجبل تمسك الماء . ج قِلات .

[والرجل القليل اللحم وهو قليت ككتيف . ومن العين : نقرتها . وما بين الترقوة والعنق . ومن الكف : ما بين عصبة الإبهام والسبّابة . والمطمئن في الخاصرة] (كل هذا مجازاً) ، ونقرة الترقوة . والموضع الذي يدور فيه رأس الورك المستدير كأنه جوزة (لسان العرب : ك ر م) وكل هزمة في عضو قَلْتٌ .

★ ★ ★

١٨٦) الضَّرَّة (ضرة اليد)

ف Éminence hypothénar

ز Hypothenar eminence or prominence

في الأصل . — اللحمة التي تحت الخنصر من باطن .

في (ق) . — الضرة أصل الثدي ، واللحمة تحت الإبهام ، أو باطن الكف ، وما وقع عليه الوطء من لحم القدم مما يلي الإبهام .

في (ل) . — البَرْزة أو الناشزة التي تحدثها في باطن الكف ، ثلاث عضلات قصار محرّكات الاصبع الصغيرة .

★ ★ ★

١٨٧) الأُلْيَة (أليَة اليد)

ف Eminence thénar

ز Thenar eminence or prominence

في الأصل . — اللحمة التي تحت الإبهام من باطن .

في (ق) . — الألية : العجيزة أو ما ركب العجُز من شحم أو لحم ج أليات وألايا ، واللحمة في ضرة الإبهام . وحماة الساق ، والمجاعــــة والشحمة .. الخ .

في (ل) . — البرزة في ظاهر راحة الكف .

قلت : الأُلية — إطلاقاً — العجيزة ، وما ركب العجز من شحم أو لحم وهو الشائع الاستعمال من معانيها الكثيرة . فالأصلح أن يقال (ألية اليد) بإضافة (اليد) ، تخصيصاً وتمييزاً لما يوافق أعضاء الإنسان .

★ ★ ★

١٨٨) التّاق

ف ، ز . . . .

في الأصل . — الخط الذي بين الضرة والأُلية .

في (ق) . — شِبْه مَشَقّ بين ضرة الإبهـام وأصل ألية الخنصر مستقبَلَ بطن الساعد بلزق الراحة ؛ وكل موضع مثله في بطن المرفق وفي أصل المعصم .

في متن اللغة . — كما في (ق) ويزيد عنه : والتاق الحزّ الذي في مؤخر حافر الفرس ج تِيُوق .

★ ★ ★

١٨٩) الأسرار

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — خطوط في الراحة .

في (ق) . — أسرار الكف واحدها السِّر كالسَّرر والسِّرار بالكسر . جمع أسارير . والأسارير محاسن الوجه ؛ والخدان والوجنتان . [انظر الرقم ٣٩]

★ ★ ★

١٩٠) الراحة

ف Paume (f.)

ز Palm (of the hand)

في الأصل . — باطن الكف .

في (ق) . — الراح والأكف كالراحات واحدتها راحة .

في (ل) . — جوف اليد ، باطن اليد . [انظر الرقم – ١٦٨]

ما أضفته :

١ — راحي كفّي

ف Palmaire

ز Palmar ; volar

٢ — كفي

ف Palmé

ز Palmated ; webbed

٣ — تشنج الكف أو اليد

ف Palmospasme

ز Palmospasm

★ ★ ★

١٩١) البَنان

ف Doigts de la main
ز Fingers

في الأصل . — الأصابع كلها (الواحدة بَنانة) .

في (ق) . — الأصابع أو أطرافها .

في (ل) . — كلٌّ من اللواحق (أو الملحقات) المتمفصلات التي تنتهي بها اليد والرجل في الإنسان وفي الفقريات ذوات الأربع . اعتيادياً كل اصبع (أو بنانة) مؤلفة من ثلاث قصبات (انظر الرقم ١٧٦) .

ما أضفته :

مُطَرِّف

ف Manucure (= manicure)
ز Manicure

[من طَرَّفت المرأة بنانها : خَضَّبَته . لمن يقوم بتطريف اليد والبنان . والكلمة الفرنسية تعني الإخصائي بتطريف اليد] . ومثله من يعتني بالأقدام ويقابله بالفرنجيتين :

ف Pédicure
ز Pedicure ; chiropodist

(انظر رقم ٢٥٥ ـ القَدَم ـ ١٢ً : أقدامي) .

★ ★ ★

١٩٢) البَرْك = الصَّدْر

ف Poitrine (f.) ; thorax (m.)
ز Breast ; thorax ; Chest

في الأصل . — البرك بفتح فسكون ، صدر الإنسان (= الكَلْكَل والصدر .) ج بُرُوك .

في (ق) ٠ — البرك باطن الصـــدر والبِرْكة ظاهره . والكلكل والكَلْكال الصدر أو ما بين الترقوتين أو باطن الزَّوْر .

في (ل) ٠ — الصدر ، قسمٌ من الجذع بين العنق والبطن ، الذي يضم الرئتين والقلب . والزَّوْر جوف الفقاريات تحده الأضلاع والحاجز ويحتوي على الرئتين والقلب .

قلت : الزور هو بالفرنسية والإنكليزية (thorax) .

ما أضفته :

١ — صدر جُؤْجُؤي

ف Thorax en carène

ز Chiken, pigeon breast; keeled chest

٢ — صدر زوْرَقي

ف Thorax en brèche

ز (كما في الرقم ١) .

٣ — صدر قِمَعي

ف Thorax en entonnoir

ز Funel chest; cobbler's chest

٤ — صدر كُرَوي

ف Thorax en tonneau, globuleux

ز Harrel-shaped thorax; barrel chest

٥ — صدر مَرْكَبي أو فُلْكي

ف Thorax en bateau

ز Boat-shaped, scaphoid chest

٦ — صدري

ف Poitrinaire ; thoracique

ز Consumptive ; thoracic

★ ★ ★

١٩٣) البَلْدَة

ف ، ز . . . . . .

في الأصل ٠ — وسط الصدر (أو الصدر ج بلاد) .

في (ق) ٠ — الصدر ، وراحة اليـــد ، ومنزل للقمر .... الخ .

قلت : هو الزّوْر (انظر ١٩٢) .

★ ★ ★

١٩٤) البُهْرَةُ

ف Cavité du pharynx

ز Cavity or hollow of pharynx

في الأصل ٠ — النقرة التي في الصدر (= من كل شيء وسطه ج بُهَر) .

قلت : استعمل المؤلف (البهرة) على المجاز للنقرة التي في الصدر .

في (ق) ٠ — من الليل والوادي ، والفرس ، والحَلَقة : وسطه .

ملاحظتي ٠ — يغلب على الظن أن يكون المقصود من نقرة الصدر (ثغرة النحر) فيوافقها ما وضعته لها بالافرنجيتين .

★ ★ ★

١٩٥) التَرْقُوتان

ف Clavicule (f.)

ز Collar - bone ; clavicle

في الأصل ٠ — العظمان اللذان بينهما ثغرة النجر .

قلت : (النجر ، بالجيم) خطأ . والصواب (النحر) بالحاء . ونحر الصدر : أعلاه أو هو موضع القلادة .

في (ق) . — الترقوة مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس .

في (ل) . — كل من المظمين الطويلين القليلي الانحناء على شكل S المؤلفين قسماً من الزنار الكتفي ويمتدان من القص إلى اللوح (= عظم الكتف) .

★ ★ ★

١٩٦) الحاقنة

ف ، ز . . . . .

في الأصل . — نقرة الترقوة .

في (ق) . — المعدة ؛ وما بين الترقوتين ؛ وحبلتي العاتق ؛ وما سفل من البطن .

قلت : لم أتبين ما القصد من النقرة في الترقوة ، هذه .. فالأصح أن يقال (الحاقنتان) واحدة لكل من العاتقين الأيمن والأيسر وهي : الجوف الذي يحدث إذا رفعتَ ذراعك إلى الأعلى وأدنيت زندك من وجهك .

★ ★ ★

١٩٧) الترائب

ف ، ز . . . . . .

في الأصل . — عظام الصدر .

في (ق) . — عظام الصدر ، أو ما إلى الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين ، أو أربع أضلاع من يمنـــة الصدر وأربع من يسرته ، أو موضع القلادة .

قلت : عظام الصدر هي الأضلاع . والشائع عن (الترائب) : ما بين الثديين وموضع القلادة على وجه خاص وهو النحر أو البرك على وجه عام . ويقابلها بالفرنسية Poitrine .

★ ★ ★

١٩٨) الثَّدْي

ف Mamelle (f.); glande mammaire; sein (m.)
ز Breast; mammary gland

في الأصل · — ثدي المرأة ، الذي تسقي منه اللبن .

في (ق) · — الثدي ويكسر ، والثَّدى كالثَّرى خاص بالمرأة أو عام . ويؤنث . ج أَثْدٍ وثُدِيٌّ كحُلِيّ .

في (ل) · — هو غدة مرتكزة فوق البطن من جذع اناث الثدييات ، ويتهدّ في سن البلوغ ، ويفرز بعد الولادة اللبن الذي يغذي الصغار (عدده يختلف بحسب النوع) .

ما أضفته :

١ — ثَدْيِي

ف Mammaire, mamelaire
ز Mammal, mammary; mammilary

٢ — أَسْحَمِي (ذو حُلَيْمات)

ف Mamelonné
ز Mamelonated; mammilated

٣ — التهاب الثدي ، ثُداء

ف Mammite; mastite
ز Mammitis; mastitis

٤ — امرأة ثدياء (عظيمة الثديين)

ف Femme à grosses mamelles; mamelue
ز Full - breasted

★ ★ ★

١٩٩) حلمة الثدي

ف Tétin; tette; mamelon
ز Teat; nipple (in animals); mamilla

في الأصل · — رأس الثدي .

قلت : هي الشُّحْمَة ، والأُسْحَم (mamelon) .

في (ل) . — رأس الثدي . وكلمة (tette) خاصة بالحيوانات الثديية .

★ ★ ★

٢٠٠) السَّمْدانة

ف Aréole du mamelon

ز Areola mammae

في الأصل . — كالدرهم أشد حمرةً من لون الثدي .

قلت : هي (اللّمُوة) كذلك وهي السواد حول حلمة الثدي .

في (ل) . — تشريحياً ، هي الدائرة المصطبغة التي تحيط بالثدي .

★ ★ ★

٢٠١) الثُّنْدُوَة

ف Mamelle (chez l'homme)

ز Man's breast

في الأصل . — اللحمة التي حول الثدي .

في (ق) . — الثندوة كسنبلة ويفتح أوله ، لحم الثدي أو أصله .

في متن اللغة . الثُّندُأة ، الثَّندوة (إذا ضمت الثاء همزت وإذا فتحت لم تهمز) للرجل ، كالثدي للمرأة ، أو هما مترادفان أو هي مغرز الثدي أو اللحم حوله . ج ثنادٍ وثَنادة .

في (ل) . — في كلامه على mamelle يقول : وفي الرجل ، الجزء الذي يحاكي — ما في المرأة — ولكن بدون إفراز اللبن .

قلت : في لغتنا العربية الثندوة للرجل ، والثدي للمرأة . ولا فرق بين ما عند المرأة وما عند الرجل إلا بإضافة كلمة (الرجل) إلى الثدي .

وما جاء في (ق) و (ل) و (المتن) يسمح بوضع ما يقابل (الثندوة) بالفرنجيتين على نحو ما وضعته في (الرقم ٢٠١) .

★ ★ ★

٢٠٢) الأضلاع

ف Côtes (f.)

ز Ribs

في الأصل . — الأضلاع الجوانح . في الصدر ١٢ ضلعاً .

في (ق) . — الضلع كعنب وجذع ، معروف . مؤنثة . ج أضْلُع وضُلُوع وأضلاع .

في متن اللغة . — ضلَع بفتح اللام ، بلغة الحجاز ، مَحنِيَّة الجنب مؤنثة وتذكر . وهي الضلْع بسكون اللام بلغة تميم . جج أضالع .

في (ل) ولاروس ذي المجلدين . — الضلع ، قوس عظميـــة مسطحة بطول مختلف تؤلف مع العمود الفقاري زاوية حادة في الأسفل . مُجامِع الأضلاع يؤلف القفص الصدري (١) . ففي الإنسان ١٢ زوجاً من الأضلاع تتمفصل من الخلف مع الفقار الظهرية ، ومن الأمام تستمر بغضروف ينتهي إلى القص (٢) إلا غضاريف الأضلاع ٨ – ٩ – ١٠ فهن يتحدن قبل وصولهن إلى القص . أما الضلعان ١١ – ١٢ فلا غضروف لهما ورأس كل منها حر (سائب) .

١) Cage thoracique ٢) Sternum

أهم ما أضفته :

١ً – ضلع رقبية

ف Côte cervicale.

ز Cervical rib

(٢) القص ، يدعى أيضاً العمود القصي Colonne sternébrale .

٢ً — ضلع سائبة (= خَلْف)

ف Côte flottante
ز Floating rib

٣ً — ضلع تَرْقوي

ف Costo - claviculaire
ز Costoclavicular

٤ً — ضلعي جَنْبي

ف ، ز Costo - pleural

٥ً — ضلعي قصّي

ف ، ز Costo - sternal

٦ً — ضلعي فِقَري

ف ، ز Costo - vertebral

٧ً — أضلاع حقيقية

ف Vraies côtes
ز True ribs

٨ً — أضلاع قصّية

ف Côtes sternales ; vraies côtes
ز True ribs

٩ً — أضلاع لاقصّية (= خُلُوف)

ف Côtes asternales ; fausses côtes
ز False ribs

١٠ً — ضلعي

ف Costal
ز Costal ; costo -

١١ — وَرْب ، فضاء بين ضلعين

ف Intercostal ; espace intercostal
ز Intercostal ; intercostal space

★ ★ ★

٢٠٣) الشَّراسيف

ف ، ز Cartilages

في الأصل . — سقاط الأضلاع مما يشرف على البطن. (الواحد شُرْسُوف) .

في (ق) . — غضروف معلَّق بكل ضلع ، أو سيقط الضلع وهو الطرف المشرف على البطن .

ملاحظتي . — هذا التعريف ينطبق على غضاريف الأضلاع .

في لاروس ذي المجلدين . — الغضاريف نسيج أبيض مطاط يوجـــد في الأطراف السائبة من العظام وبتقدم العمر يتعظم أكثر الغضاريف (= يتحول إلى عظم) .

قلت : الشُّرْسُوف مما خصصته لجنة المصطلحات الطبيـــة لما يقابل épigastre (وهي الحفرة الشُّرسوفية creux épigastrique) وهو القسم الفوقاني من البطن بين الشُّرَّة والقَصّ .

وبالانـكليزية :

Epigastric region ; epigastrium ; pit of the stomach

★ ★ ★

٢٠٤) المَسْرُبة

ف Poil de la poitrine

ز . . . . . .

في الأصل . — الشعر النابت وسط الصدر سايلاً على البطن .

في (ق) . — الشُّرْبة كالمَسْرُبَة ، الشعر وسط الصدر إلى البطن .

(يتبع) الدكتور صلاح الدين الكواكبي



وصف الطبيعة في شعر الصنوبري

لا يحضرني الآن المكان الذي وقفتُ فيه على ذكر شهرة الصنوبري بِرَوْضيّاته كَشُهْرَةِ أبي نواس في خمريّاته وابن المعتزّ في تشبيهاته . على أيّ حال ، فقد كانت الجماعة تشير إليه ، كما يبدو ، من خلال قصائده في الرياض ، أو قُلْ وصفه للطبيعة ومفاتنها عامّة . ولا يكتفي أبناء عصره بأن يقرنوه بالطبيعة في شعره ، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك فَيُلَقِّبُونه بلقبٍ مستمدٍّ من الطبيعة . بيد أن هذا لا يُضيره من قريب أو بعيد ، بل إنه يَنبَري يدافع عن هـذه النسبة الجديدة إلى الطبيعة ويصوّر اعتزازه بها ويظهر إعجابه فيها فيقول :

وإذ عُزِينا إلى الصنوبر لم نُعزَ إلى خاملٍ من الخَشَبِ

لا بَلْ إلى باسقِ الفروع عُلاً مناسباً في أرومة الحسبِ

فالحمـد لله إن ذا لقبٌ يزيدُ في حسنه على النسبِ !

ولِمَ لا يطلق عليه اسمٌ يوحي بالطبيعة البكر وهو صاحب دعوة شعرية لها حين يقول :

وصف الرياض كفاني أن أُقِمَ على وصف الطلول ، فهل في ذاك مِن بأسِ

ولا يبدو الأمرُ غريباً أن يدعو شاعرٌ إلى العزوف عن هذا الضربِ من الوصف إلى ما هو بمثابة النقيض له ، إلى وصف الرياض . لقد انتَصَبَ أبو نواس هذا المبين داعياً إلى ترك وصف الطلال والوقوف عليها وبكاء

الدِّمن وما شاكل ، بيد أنه لم يُصَرِّح التصريح كلّه ولم يَدعُ مباشرةً إلى العناية بالطبيعة . وإنما قال بشرب الخمر المعتقة ووصفها ، وقد أغرق وأفحش . بل إنه لم يزد على ما أعلم أكثر من السخرية حين قال :

قُلْ لمن يبكي على رسم درسْ   واقفاً ، ما ضرّ لو كان جَلَس

وأحسب أن ذلك كان كذلك ، لأن دعوته إلى التجديد انبثقت من شعوبية دفينة ؛ لكنّا نرى عند شاعرنا الصنوبري دعوة إلى الأخذ بوصف الرياض ومحاسنها .

وتتحوّل هذه الدعوة بعد ذلك إلى عاطفة جيّاشة غيورة على الطبيعة . يقف الصنوبري موقفاً يصف الطبيعة وما فيها ، فيبذل من قلبه ومن عصبه فلذةً شعرية حتى يستخفّهُ الطربُ ، فإذا به غَيران على تلك الرياض غَيُور على هذه المرابع ، فلا يتمالك نفسه من أن يتوعّد ولو بحسرةٍ كلّ معتدٍ أثيم يحاول أن يَجْرُؤَ على هذه الجنائن ، وإذا به يخرج إلى عاطفة صادقة مشبوبة فيقول :

لو كنت أملك للرياض صيانةً   يوماً ، لَمَا وطىء اللئام ترابها

* * *

فما شأن شعر شاعرٍ كهذا ؟ يُعرف بروضيّاته ، ويلقّب باسم من الطبيعة ، ويدعو لها ، ويقفُ يذبُّ عنها ؟

* * *

يلاحظ الناظر في شعر الطبيعة الذي نظمه الصنوبري والذي نُعنَى به في هذا البحث أن له قصائد ينسجُ فيها على هذا المنوال :

أرأيت أحسن من عيون النرجسِ   أم من تلاحظهنّ وسط المجلسِ ؟

... مغرورقاتٌ من ترقرق طلّها ترنو بعين الناظر المتفرّس
وحكى تداني بعضها من بعضها يوماً ، تداني مؤنسٍ من مؤنسِ
وإذا نَعسَتْ من المدام رأيتها ترنو إليك بأعين لم تَنْعَسِ

وأيضاً حين يتكلّم على نهر حلب ، قُويق :

وقد عابَهُ قوم وكلُّهمُ له على ما تعاطوه من العيبِ عُشّاقُ
يهاب قويقٌ أن يُمَلّ فإنما يقيمُ زماناً ثم يمضي فنشتاقُ

وحين يقول في الربيع :

قد تجلّى الربيع في حُلَلِ الزهرِ وصاغ الحَمامُ حلي الأغاني
زُيِّنت أوجه الرياضِ فأضحت وهي تُزهى على وجوه الحسانِ
ألبستها يَدُ الربيع من الألوان بُرداً كالأتحميِّ اليماني[1]

فلو تأمّلنا هذه المقاطع من حيث الصور المتحرّكة لوجدنا مثلاً : صورة أعين النرجس وهي تتلاحظ ، أو صورة أعينها مغرورقة بالدمع من الندى ، أو صورة تداني بعضها من بعض ، ولوجدنا كذلك هذا النهر الذي يُكثر الهجر كَيْلا يُمَلّ ، ولوجدنا الرياض وُجُوهاً تحاسن الغانيات ، أو ألفينا يَدَ الربيع تُلبس هاتيك الرياض البرود اليمانية الملوّنة . وظاهر للعيان أن شاعرنا في هذا يُضفي على الجمادات أو الأشياء غير العاقلة صفات إنسانيّة ، وهذا الضربُ من التصوير يعرف لدى الأكثرية بالتصوير الوجداني . وهوَ شائع في شعر صاحبنا شيوعاً كثيراً . فلو تصفحتَ مجموعة شعر الصنوبري التي في ذيل البحث لما رقيَ الشك إليكَ في أنَّ الشاعر يتوكأ

(١) التحمة شدة السواد والأتحم : الأدهم ، والأتحمي : ضرب من البرود .

على الوجدانية في الشعر توكتؤاً كبيراً. قد يعود ذلك في المقـــام الأول إلى استمداد نفسيّ عند الشاعر، وقد يعود ثانياً إلى نوع من المشاركة الفعلية بينه وبين مظاهر الطبيعة حتى يُتاح له هذا التعاطف المنسجم. إذ أن المصادر تخبرنا بأنه كان شديد الشغف بالرياض رِتادها وبؤمتها ويقضي فيها الليالي متنزّهاً قاصفاً لاهيا.

ويلاحظ الناظر ثانية أن للصنوبريّ أشماراً يذهبُ فيها هذا المذهب:

وحظّي من نُقْلٍ إذا ما نَعَتُّــهُ نعتٌ لعمري منه أحسن منعوتِ
من الفستق الشاميّ كلّ مصونة تُصَانُ عن الاحداق في بطن تابوتِ
زبرجدة ملفوفةٌ في حريرةٍ مُضَمَّنَةٌ دراً مغشّىً بياقوتِ

وهذا النحو:

ونرجسٍ مُضَعَّفٍ تضاعف منه الحسـنُ في أبيضٍ وفي أصفرْ
الدرُّ والتبرُ فيه قد خُلطا للعين والمسكُ فيه والعنبرْ

وعلى هذا النحو أيضاً وهو في وصفِ هرٍّ:

قنفذٌ في ازبراره وهو ذئبٌ في اغترارٍ[1] وحيّة في انسيابِ
ناصبٌ طرفه إزاء الزوايا وإزاء السـقوف والأبوابِ
يَنْتَضِي الظُّفْرَ حين يظفر في الحر بِ، وإلا فظفره في قِرابِ
يسحبُ الصيدَ في أقلّ من اللمـح ولو كان صيده في السحابِ

(١) في الروضيات للطباخ ص ٦٦: في افتراس. (المجلة) م (٨)

فلو أمعنّا النظر في هــــذه الأمثلة السالفة وحاولنا استخراج الصور المتحرّكة منها كما فعلنا سابقاً ، لرأينا في صورة الفستق صورةً جامدةً ، ولرأينا في صورة النرجس سكوناً لا حركة فيه ، ولَلَمحنا في وصف الهرّ صوراً وتشابيه بأشياء أخرى من مرتبته ، لم ترفعه ولم تُضْفِ عليه صفةً وجدانية ، فبقيَ حيواناً . وهذا النوع من الوصف موضوعيٌّ . فالشاعر لا يُعْنَى فيه بشيء سوى التصوير الدقيق ، كأدقّ ما يمكن . بيد أنّه قليل الورود عند شاعرنا على استقلال ، ولولا اجتزاء الرواة وأصحاب كتب الشعر القدامى أبياتاً معدودات من قصائد طويلة ضاع أكثرها ، لأمكننا أن نقول بأن الصنوبري لم يضرب بسهمٍ كبير في هذا الموضوع وإنما جاء ضمن الاطار الوجداني كَلَمْحَةٍ انفلاتية خاطفة من مجلة الوجدان الدائرة .

تنقسمُ أوصاف الصنوبري الموضوعية ثلاثة أقسام . أوّلها الوصف البنائي وهو وصفٌ يبني به الشاعرِ الموصوف بناءً . فيبدأ بأجزاء الموصوف يركّبها تركيباً ويؤلّف ما بين هذه التراكيب . ففي مقطوعته في وصف الفستق الآنفة الذكر ، يراه يبدأ باللب ثم بما يحيطه ثم بما يحيط المحيط حتى يجتمع لديه بعد هذا التركيب فستقة شامية . وهذا النوع من الوصف على طرافته ورقّته وصفٌ جدّي . فالشاعر يُعيد خلق ما يصوّره . كأنما يبدع هذا الشيء مجدّداً تاركاً ما يكره منه مضيفاً إليه ما يرغب فيه محسّناً مجمّلاً . من أوصاف البناء أو التركيب وصفه للباقلاء :

نصوص زمرّدٍ في غُلْفِ درٍّ   بأقمــاع حكت تقليم ظُفْرِ
وقد خاط الربيــع لهـا ثياباً   لها وجهان من خُضْرٍ وصُفْرِ [1]

(١) وفي رواية : بديع اللون من خضر وصفر .

وتوفيق الشاعر في هـــذا الوصف متوقفٌ على الموصوف وتركيبه الطبيعيّ ، فهو إمّا متناسقٌ متراكم وإمّا منبسط متوازن . والشاعر يأخذ من كليهما بما يريد، فيصف التفاحة مثلاً منبسطة متوازنة كما يصف النرجسة .ويصف الشقيقة ساعة منبسطة وساعة متراكمة . فمن وصف الشقيق المتراكم التركيب :

جُمَمٌ سُرِّحت بلا مُشُطٍ أو طُرَرٌ قُصِّصَت بلا مقراضِ
حمرةٌ فوق خُضرةٍ وسوادٌ بين هـــذين معلمٌ ببياضِ

فلو وضعنا إزاءه وصف النيلوفر :

كدبابيس[1] عسجدٍ نصفها من زبرجدِ

لاتضح لنا معنى المنبسط المتراكم إذ أن الثاني منه .

ونستطيع أن نجعل ثاني أقســـام الوصف الموضوعي عند الصنوبريّ الوصف التحليلي : أي تحليل الموصوف بدل تركيبه . وهذا الوصف له زعيم — هو ابن الرومي — لا بُدَّ وأن الصنوبري قـد تأثّر به . فمن أوصاف الصنوبريّ التحليلية وصف النرجس ، وما أكثر ما وصفه :

دررٌ تشقّق عن يواقيتٍ على قُضُبِ الزبرجدِ فوق بُسْطِ السندسِ
أجفانُ ياقوتٍ خفقن بأعينٍ من زعفرانٍ ناعمات المَلْمَسِ
وكأنها أقمار ليلٍ أحدقت بشموس أُفقٍ فوق غصنٍ أملسِ

كذلك وصفه للسوسن وهو وصف تحليليّ كما يُلاحظ :

كأنّه ملاعقٌ من فضّــة[2] قد خُطّ فيهـا نقط العنبر[3]

---

(١) في الروضيات للطباخ ص ٢٢ : كدنانير . (المجلة)

(٢) وفي رواية : من ذهبٍ .

(٣) نرى أن يكون الشطر الثاني هكذا : قد خط فيها نقطٌ من عنبر . ليستقيم البيت بشطريه .

كذلك وصف الأقحوان الأصفر (البهار) والشقيق وغيرها مما يجده القارئ في ذيل هذا البحث .

وأما القسم الثالث من وصف الصنوبري الموضوعي فهو الوصف العام الذي يباشره من أيّ جهة أو صوبٍ تاركاً التحليل والتركيب آخذاً الموصوف كما يراه من الخارج ، كأن يصف روضةً مثلاً فيذكر غدرانها ومياهها وزهرها وشجرها ، دون أن يبين أيها يحيط بالآخر أو أيها فوق الثاني أو تحته . وأوصاف الصنوبري في هذا الباب كثيرة ، وأكثر ما تَردُ خلال وصفه الوجداني المشار إليه آنفاً . وكأني به عندما لا يقدر أن يحيط بالموصوف وجدانياً ينفلت إلى مثل هذا النوع وهو وفي هذا الوصف إمّا أن يشبّه الموصوف بشيء آخر ، أو يصف حركته وهيئته ، أو يصفه في حالٍ من أحواله .

* * *

ولا يتبادرنّ إلى الأذهان أن هذه التقاسيم مستقلةٌ قائمة بذاتها وأن الحدود بينها فاصلة قاطعة كأنها حدود رياضيّة ؛ كلاّ بل إن هنالك خاصيّة التمازج والتداخل . وقلّما تجد هذا الفصل القاطع وحيداً في غير المقاطع الصغيرة والتي أشرنا إلى اجتزاء الرواة والمؤلفين لها من قصائد طويلة ضاعت . ومن الخطل أن يزعم أحدٌ غير هذا لأن هذه التقسيمات إنّما هي نظرية بحت ، مستمدّة من الشعر الذي بين أيدينا ، فمنها ما نجد له الشاهد أو الشاهدين ، فلم نستبعده وإنما أبقيناه لمنطقية السياق ، ولمحاولة الإلمام بكلّ جوانب الموضوع . وأنا لعلى يقين أن ديوانه يحوي العديد من الشواهد .

* * *

من قبيل ترتيب شعر الصنوبري في أبواب موضوعية تتوقّف على ستّة حقول موضوعية رئيسيّة . فسيساعدنا هذا على تحليل بعض النماذج من شعره والتكلّم على بعض مزاياه .

* * *

أوّل هذه الحقول ، شعره في الرياض الطبيعيّة والصناعية . فعندما يتكلّم الصنوبري على الرياض الطبيعية يكون شبح الربيع بادياً بجلاء . فكأن الربيع فنّان همّه الأول تزيين الأرض وإنبات النبتِ والزهر وإحياء أغراس الطبيعة . والربيع ليس كباقي فصول السنة ، فاختلافه عنها شديد وبيّن . هذه فكرة الصنوبري عن الربيع . تبرز هذه النزعة جليّة واضحة في مطلع قصيدة رائعة ، يعرض في الأبيات الثلاثة الأولى شأن الجوّ والأرض في فصول السنة الثلاثة ما عدا الربيع . وأما الفصل الأخير ، فبنظر الشاعر ، هو الحياة بأجمعها ، بل هو « الدهر » :

إن كان في الصيف ريحان وفاكهة — فالأرض مستوقد والجوّ تنّورُ
وإنْ يكُنْ في الخريف النخل مخترفاً — فالأرض محسوره والجوّ مأسورُ
وإنْ يكن في الشتاء الغيث متّصلاً — فالأرض عريانة والجوّ مقرورُ
ما الدهرُ إلّا الربيع المستنير ، إذا — جاء الربيع أتاك النَّوْرُ والنُّورُ
فالأرض ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ — والنبتُ فيروزج والماء بَلُّورُ

لو تفحّصنا الأبيات الثلاثة الأولى ورأينا وجه التشابه والتركيب فيها ورأينا ما يريد الشاعر أن يشير إليه ، وهو شرط وجود شيء مستحسن في كل فصل يَنْسَخُه عن الروعة والكمال شيئان وهما حال الأرض وحال الجوّ

آنئذٍ ، اتّضح لنا أنّ الربيع عند الصنوبري فصلُ الروعة والكمال . حتّى إنّ العطاء الشعري لدى الشاعر حين تكلّم على الربيع ازدان بالبديع المجوّد ، وارتفعت المعاني الشعرية فجأة ؛ فاذا الربيع إنسان يأتي ويروح وتأتي في ركابه الأفراح والبهجة متمثّلةً بالنور والزهر ، وتروح في إثره مخلّفةً الحرّ والقرّ . ويُلاحظ أيضاً الترتيب الطبيعيّ لسياق الفصول : إذ يبدأ بالصيف فالخريف فالشتاء ، ثم الربيع . وقبل أن ينتقل إلى وصف الربيع يُجْمِلُ ذلك كلّه في البيت الأخير مستميراً الألوان من ألوان الجواهر .

وليست مظاهر الربيع تأتي معه من تلقاء نفسها عند شاعرنا ، بل الربيع نفسه هو الذي يُعْمِل يده في إخراج هذه المباهج والمفاتن :

يا ريم قُومي الآن ويحك فانظري ما للرّبى قد أظهرت إعجابها
كانت محاسن وجهها مستورة فالآن قد كشف الربيع حجابها

وتتجلّى هذه الدعوة على أشدّها في هذا البيت :

إنّ آذار لم يذر تحت بطن الأر ض شيئاً أكنّـــه كانون

وعلى توفّق الشاعر في الجناس هنا ، نرى صورة مستطرفة رائقة : كأنّ الشتاء (متمثّلاً بشهر كانون) والربيع (متمثّلاً بشهر آذار) جاهدان على تعطيل الواحد عمل الآخر : وشتّان ما بين عمل الشتاء والربيع .

أما البساتين التي جالت بها يدُ الإنسان لتزيد في حسنها ، فلا يختلف وصف الصنوبري لها عن وصفه للمرابع الأخرى ؛ غير أننا نرى ازدياد عدد الأشياء المذكورة وتعدّد المسمّيات . ويرافق هذا الوصف عادةً ثلاثة معان

تتردد دائماً . فالمعنى الأول فكرة الحب والحنين إلى هذه المآلف والشوق إليها ووجود هذا يستتبع وجود الثانية وهي فكرة وصل الرياض ، والمعنى ههنا أمُّ الرياض . أما المعنى الثالث ففكرة تعاطي الخمر والقصف . والأبيات التالية المقتطفة من قصيدة طويلة تمثّل ما ذهبنا إليه أصدق تمثيل :

أما الرياض فقد بدت ألوانها   صاغت فنونَ حُليّها ألوانُها
رقّت معانيها ورقّ نسيمها   وبدت محاسنها وطاب زمانها
واهاً (لِرافقةٍ) الجنوب محلّةً   حفّتْ بها أنهارها وجنانُها
وكأنّ أيام الصّبا ايامُها   وكأنّ أزمان الهوى أزمانُها
حُثّ الكؤوس فإن هذا وقتُها   وصِلِ الرياضَ فإنّ ذا إبّانها

* * *

والحقل الرئيسيّ الثاني الذي سنقف عنده هو وصف الأزهار والرياحين . وقد ضرب الصنوبري بسهمٍ كبير في هذا الباب . ولم تعدم كلّ قصيدة تقريباً في موضوع الطبيعة عامةً وصفاً أو ذكراً لزهر « أو ريحان » . على أنّ هنالك أنواعاً من الزهر أولاها عناية خاصةً : منها النرجس . والمعاني التي وردت عنده في ذكر النرجس تتردّد ما بين الوجدانية والموضوعية . وقد أجاد الصنوبري في كلا النوعين . والمعاني الشائعة عنده تشبيهها بالعيون وما يدخل في هذا الباب مِنْ تلاحُظٍ ورنوٍ ونظرٍ ، ومن جفنٍ وحدقةٍ ودمعٍ وما إلى ذلك . بيد أنّ ألطف ما توصّل إليه في هذا المعنى :

وردٌ بدا يحكي الخدودَ ونرجسٌ   يحكي العيونَ إذا رأت أحبابها !

فقد مزج ما بين التشبيه والتّصرّف . فالنرجسة كالمين حال رؤية الحبيب ، حين تلتمع بالبهجة وتطرق خجلاً واستحياءً . وهذا البيت إذا أمعنّا النظر فيه نرى أن الجملة الظرفية الأخيرة ، « إذا رأت أحبابها » يمكن أن تنطبق على العيون والخدود ، أي النرجس والورد ، وما يرافقها من إطراق وتورّد ، ولا أزيد قائلاً : إنه بيت رائع .

ومن وصفه النرجس بيتان رائعان أيضاً غاية في التشبيه . ولا بأس في إيرادهما بالحرف :

كأنما النرجس في روضه إذا ثنته الريح عن قُرْبِ
أقداح ياقوتٍ تعاطيكها أناملٌ من لؤلؤ رَطْبِ

فهذه الكأس الصفراء ، وربما كانت هنالك يواقيت صفر ، تخيّل الشاعر أنامل مطبقةً عليها ، بيضاء من غير سوء ، فيهـا رقّة اللؤلؤ وصفاؤه ، ومن لا يستطيع أن يرى نرجسةً أمام ناظريه بعد قراءة هـذين البيتين ، لايستطيع أن يرى شيئاً .

وتكتمل هذه الصورة الرائعة لشاعرنا في حبّه للنرجس حين يفضله على الورد ، سلطان الأزهار ، ويقيم مساجلةً بينها ينتصر فيهـا الوردُ بحجّة دامغة على النرجس لستقاها من حسن الأخير . وما ذنب هذا الزهر البديع أن يلام إذا كانت عيونه مريضة ، أو ليست العيون التي في طرفها مرضٌ تقتلُ ذا اللب حتى لا حراك به ؟ وتتفاقم الحـال وتتأزّم ؛ وإذا الروض ينقلب إلى « ديوان سلطانيّ » وإذا بالنرجس يتغلّب على الورد مرّةً ثانية في الحسن حتى يخجله :

خجل الورد حين لاحظه النر جس من حسنه وغار البهار

لاحظ ههنا إيحاآت الأفعال (خجل وغار) باللون . فالخجل يولّد الاحمرار وهو لون الورد . والغيرة تولّد الصفرة وهي لون البَهار ، أي الاقحوان الأصفر .

وهل خجل الورد وحده من النرجس ؟ كلاّ ، لقد انقلب الروض بزهره إلى شعب يجلّ أميره ويودّ لو يفتك بهذا النرجس . وتتوافق الأزهار كأنها وتستجيش على محاربة النرجس الغضّ وتأتي دارعةً سائفةً بجحفلٍ جرّار يثير الغبار . بيد أن الشاعر يتدخّل ليحل الأزمة إشفاقاً على الزهرة المستضعفة المطّهدة ... وينجح في سعيه ، ويعود السعد يكسو الروض ثانيةً .

مع أن هذه المعارك والمفاضلات بين الزهر قد طُرِقت من قبل ، وكان أوّل من عمل في ذلك ابن الروميّ ، فإنّ الذي يدفع الصنوبري صعداً في هذا الحقل ويشفع له ، إحسانه التعبير وتوفيقه في النظم . وهذا الضربُ من النظم منتهى التشخيص وغايته . ولا أظنّ أن الوجدانية تتعدّى ذلك . فالتشخيص ههنا تعدى مرحلة إضفاء صفات إنسانية على الزهرة ، بل غدا هذا ثانوياً . انقلب الأمر إلى سلطان ورعيّة يأمرها فتطيعه ، وإلى مساجلات ومعارك وإشفاق ووساطات تؤدي إلى الصلح .

من المستحسن ههنا أن يُرجع إلى القصيدتين في هذه النزعة حيث توجدان في ذيل هذا البحث ، اقتصاداً للمقالة هذه ، إذ أن اجتزاء أبيات قليلة منها هنا للتمثيل يُعدّ جناية في حقها .

ومن الأزهار التي كثر قول الصنوبري فيها الشقيق . وإذا كانت قصيدته النرجس التي مطلعها « أرأيت أحسن من عيون النرجسِ » تُعَدُّ القصيدة الأم في وصف النرجس وما سواها يتفرّع عنها في المعاني والصور ، فإنّ قصيدته في الشقيق التي مطلعها « وجوه شقائق تبدو وتخفى » تُعَدُّ القصيدة

الأم في هذا الموضوع وسواها تفرّع عن معانيها . وتتجلّى النزعة الإنسانية الوجدانية فيها على أشدّها حين يقول :

إذا طلعت أرتك السرجَ تذكى   وإن غربت أرتك السرج تطفا

ومن بليغ تشابيه في الشقيق بيتان قصيرا البحر سريعا الوزن ، ينقلان الفكرة إلى القارىء بعنف وسرعة :

وكأنّ محمرّ الشقيــــــق إذا تصوّب أو تصعّدْ
أعلام ياقوتٍ نشر   ن على رماحٍ من زبرجَدْ

وللسريّ الرفّاء ، معاصر الصنوبري ، بيتان في وصف الشقيق بهما نفس السرعة في الأداء على أن المنى يشبه معنى الصنوبري في وصف النرجس بالقدح كما مرّ معنا :

وشقيق جــاده الغيـــــث رواحاً وابتكارا
مثلما أترع ساقي الرا   ح أقداحاً صغارا

وكلا المعنيين بليغ التشبيه .

والورد لايقف عند حدّه مرّة ثانية بل يظهر غيرته من الشقيق أيضاً ويشق عليه أن يكتسي بالحمرة المحبّبة كحمرة الخدود أكثر منه :

شقيقة شقّ على الورد ما   قد أخذت من كثرة الصبغِ
كأنّما في حسنها وجْنَةٌ   يلوح فيها طرف الصدغِ

هذا مع أن الشقيق قد لطم خدّه انتصاراً للورد في المعركة السالفة الذكر :

عندها أبرز الشقيق خدوداً   صار فيها من لطمه آثارُ

على أنَّ المكانة الأولى تبوّأها النرجس مستأثراً بشغف الشاعر نائلاً منه اهتماماً أزيد ، والتفاتاً أكثر . ويتفرّع اهتمام الشاعر في الأزهار الباقية . إمّا ذكراً وحسب ، وإمّا وصفاً موجزاً مقتضباً .

ويدخل في هذا الباب أيضاً وصف الخضار والفواكه . بيد أن الصنوبري لم يضرب بسهم كبير في هذا الموضوع حسب النماذج التي عثرنا عليها . كما أنه لم يُعنَ بوصف الأشجار عنايته بوصف الأزهار . ولعلّ ذلك عائد إلى طبيعة النوعين لما في الزهر من شؤون تثير الحواس ، فتبعث على الاهتمام أكثر من سواها . ففي الزهر اللون والرائحة والدقة واللطف ولكنّ أطرف معنىً ورد عنده في وصف الشجر جاء في قصيدته التي مطلعها « يا ريمُ قومي الآن ويحكِ فانظري » وهي قصيدة من عيون شعره . قال فيها يصف السرو :

والسرو تحسبه العيون غوانياً   قد شمّرت عن سوقِها أثوابَها
وكأنّ إحداهنّ من نفح الصّبا   خودٌ تلاعبُ موهِناً أترابَها

* * *

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى ظاهرة بارزة تستوقف النظر . فقد رأينا في وصف الصنوبري للزهر ضروباً كثيرة من التشبيه وذكر الألوان وما إلى ذلك ، بيد أننا لم نقع على ذكرٍ لرائحة الزهر بحيث نجعلها من موضوعات شعره ، وهذا غريب عجيب منه ، لم يصرّح ولم يلتفت إلى الروائح التفاته وتصريحه بالألوان والأشكال الزهرية والشجرية والخضرية . فهل هنالك سبب مباشر أو غير مباشر لهذه الظاهرة ؟

* * *

وما دمنا في حديث الأزهار والأشجار ، ننتقل إلى الحقل الثالث ، إلى شيء يتّصل بالأشجار اتصالاً وثيقاً ، ألا وهو الطير . ولقلّة ورود

الأطيار نسبيًّا أحببنا أن ندرج معه كذلك ذكر الحيوان على اختلاف نوعه وجنسه . فيدخل في هذا المقام قصيدته في وصف الهرّ ، وقصيدته الأخرى في وصف الديك والتي هي من فرائد شعره .

نلاحظ من المواقف التي ورد بهما ذكر الطير أن ما يفتنه منه هو تغريده . وهذا التغريد يضفي على الرياض روعة وجمالاً في عُرْفِ شاعرنا ويأتي ليزيد في حسنها . وإذا ما أشرقت الرياض بزهر الخيريّ والنسرين وحفّ بالبستان مُسْتَكْمَل اللون وأصفاه :

صاح فيه الهزار ، ناح به القمري ، غنّى في جوّه الشِفنينُ(١)

وأمّا أنتَ أيها الآمُ الرياضَ قَ :

حيث التفتّ فقمريّ وفاختةٌ يغنّيـان وشِفنين وزرزورُ
إذا الهزارانِ فيه صوّتا فَهُمَا بِحُسنِ صوتهما عودٌ وطنبورُ

وهل الكمال بآلات الطرب وحدها ، أفلا يريدُ السعيد غناءً وما فائدة العود والطنبور منفردين ؟ لذلك :

غنّى عليها (الخازباز)(٢) تطرّباً فِعْلَ القيان تجاوبت ألحانُها

فأيّ روعة تفوق هذا(٣) وأيّ جنّةٍ تفوق هذا :

ما أتى الناسَ مثلُ ذا العامِ عامٌ لا ولا جاء مثلُ ذا الحين حينُ

ويَفْتِنُ شاعرنا لون الطير كذلك ، وما أشدّ افتتان صاحبنا بالألوان . فالورشان طائر إذا غنّى جعل نزهتك في الرياض نزهتين : أسمعك ما تشاء

---

(١) الشِفنين : نوع من الحمام أو هو : اليمام وجمعه : شفانين .

(٢) الخازباز [بكسر الجزءين] وهو الذباب البرّي يكون في الأرض أو يطير على الشجر ، قال المتنبي : ومن الناس من يجوز عليه شعراءٌ كأنها الخازباز (المجلة)

(٣) قال ابن الرومي :

فكانت أرانين الذباب هناكم على هزجات الطير ضرباً موقعا

وما لا تشاء ، أضف إلى ذلك ارتداءه برداء من السوسن ، و :

قد تغشّى لونَ السماءِ قَراهُ[1] وتراءى من جيده الفرقدانِ

ولا نزال نقع للصنوبري هنا وهناك على ذكر لطير أو حيوان . على أن أروع ما جادت به قريحته هو وصف الديك ، ومن الأفضل الرجوع إلى القصيدة كاملةً في الذيل .

أوّل ما يدهنا به الشاعر في القصيدة ذلك الحِسُّ الوجداني الخالص الذي يجعل من الديك منادياً للفجر كأنه بندائه يُبْزِغُه :

مغرّد الليل لا يألوك تغريدا ملّ الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

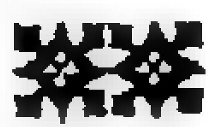
أرأيتَ أرقّ من هـــذه الـ « ملّ الكرى » ! ثم أرأيت أرقّ من ديك يضجر من النوم فيجهد ينادي الصبح . انّه لمغرّد يثيرك إشفاقاً على نفسه . كفى هجوعاً ، يقول الديك لنفسه أين الصبح ، يزيد متأفّفاً ويَبْزُغُ الفجر فيطرب الديك ، ويهزّ أعطافه ويمدُّ جيده كي يطيل مدّ صوته ... وتكتنفه البهجة بالصبح حتى يبدو :

كلابسٍ مِطرفاً مُرخٍ ذوائبه تضاحكُ البيضُ من أطرافه السودا

وهو ديك كأنه من ملوك الديكة ، له قلادة حمراء يقصّر الورد عنها حمرةً ، وعيناه ترى ما ليس يحدّ ، وله تاجٌ كأنه تاج كسرى ، وكأنّ ظُفْرَيْه اللّذين في عقب رجليه ، بعد ذكر التيجان والملوك ، أوحيا لشاعرنا معنىً يرافق ذلك ، فقال :

أو فارسٍ شدّ مهمازيه حين رأى لواء قائده في الحرب معقودا

* * *

(يتبع)  فوّاز أحمد طوقان

(١) القرا : الظهر .

مجتمع الهمذاني

من خلال مقاماته

بحث يحلل المقامات ويستشف من ورائها صورة المجتمع الذي أنشئت فيه

— ٣ —

أخبار المجون في التاريخ :

كان المجون يعيش إلى جانب الورع والزهد في مجتمع واحد ، وقد رأينا أن لا عجب في ذلك ، وأنه تناقض معقول ؛ إن الزهد إلى جانب المجون لايعني أكثر من أن قوماً متديّنين رأوا طغيان الماجنين وتجاوزهم حدود العقل أو الطبع ، فخافوا على أنفسهم فتنة الغيّ وفرّوا بدينهم إلى الله إنقاذاً لنفوسهم ، وتحريراً لها من عبودية الشهوة والمتعة .

وليست أخبار المجون في كتب التاريخ بسرّ مصون ولا حديث مكتوم ، بل لقد وجدت هذه الأخبار خاصة من يبحث عنها ويُعنىَ بنشرها على الناس ، إنها وجدت في عصرنا هذا من يختار أمثلة منها ، وينفخ فيها من خياله ، تهويلاً وتضخيماً ، وينشرها في كل مناسبة ، بغية التشويه لقداسة أيام ماضية ، أو بغية الإفساد لحاضر يغريه بالتقليد ، أو يغويه بالمثل السيّء . وأي تشويه أو إفساد هذا الذي بلغ من نفوس أبناء الجيل « الصاعد » أنه إذا أراد أحدهم أن يتخذ مثلاً للخلاعة ملك ماجن ، أو فجور ثري مستهتر ، اتخذه من أكرم شخصيات تاريخنا ، فمثّل بالخليفة هارون الرشيد ، مغفلاً ما قاله عنه التاريخ من أنه كان يحجّ سنة ويغزو أخرى ، وأنه كثيراً ما كان يبكي بين أيدي الوعّاظ والناصحين .

لقد غلب على عقول الجيل مانقشته الشياطين ، وما زينته النفوس المريضة حتى انمحت الأمثولة الصالحة والقدوة الحسنة . وأي فجيعة أبلغ من فجيعة الأمة بتاريخها ؛ حين يفتح أبناؤها عيونهم فإذا الذي كان من أبطال الجهاد والتقى مثّل للخلاعة والاستهتار والفجور ؟

نعم إنه يجب أن نعرف خطأ الحاكم وانحراف الراعي ، ليؤتي تدريس التاريخ أُكُلَه ويحقق غايته ؛ لنعرف ماوقع السلف فيه من الخطأ فنجتنبه ، ونرى الباب الذي تسرّب منه الانحراف فنسدّه ، ولكنه شتان ما بين الذي ينشر أمام أجيالنا صفحات المجد الماضي لتكون لهم في أبطالها أسوة ، أو ينشر أمثلة من أخطاء الحكام وسوء تصرّفهم ، إنْ في السياسة أو في الحرب أو في الأخلاق ، ليبصّر بنتائج ذلك وما كان له من آثار في حياة دولهم وشعوبهم ، وبين من ينشر الماضي فلا يقف إلا على المخازي والآثام .

ونعود إلى أهل القرن الرابع لنقول إنهم عرفوا اللهو والمجون ، وكانت لهم حلقات يجتمعون فيها على الغناء والوتر والشراب والسمر ، وأن ذلك كان معروفاً بينهم ، وحسبك أن ترى مثالاً من حياة الترف والتبذير في أخبار المقتدر (ت ٣٢٠ هـ) وأخبار الوزير المهلبي (ت ٣٥٢ هـ) (١) ، وأن تسمع إلى عضد الدولة ينشد :

ليس شرب الكأس إلا في المطر ... وغناء من جوارٍ في السحر
غانيات سالبات للنهى ... ناغمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها ... ساقيات الراح من فاق البشر

على أنه ليس من غرضنا في هذا المقام أن نستعرض ما جاء عن مجالس اللهو والطرب في قصور الأمراء ومجالس الأغنياء ، ولكن الذي نحب أن ننبه عليه هو أن بديع الزمان الهمذاني قدّم لنا في مقاماته ما يشبه أن

(١) انظر يتيمة الدهر ٢ : ١٠٦ .

يكون صورة لهذا الجانب العابث من الحياة ، وهو لم يقصر حديثه على طبقة الأمراء والأغنياء ، وإنما تعدّى هؤلاء ، كما تعدّاهم في سائر أحاديثه — إلى طبقات أخرى من أهل مجتمعه ؛ لقد حدّثنا الهمذاني عن شباب القوم ومجالس لهوهم وعبثهم ، كما حدثنا عن الوعّاظ وما كان في وعظهم من نصح وإرشاد وحثّ على الزهد ... بل وما كان في أحاديث بعضهم أيضاً من مداهنة واحتيال وخداع .

وقد كثر الوعظ في المقامات ، وكثر اتخاذه وسيلة للكدية أو الخداع حتى أصبحنا نعجب إذا رأينا في مقامة من المقامات وعظاً صادقاً ليس للمقامة غرض آخر سواه ، على غير ما تعوّدنا في جميع المقامات . وذلك هو الوعظ الذي نسمعه في المقامة الأهوازية حيث نفاجأ بجواب الواعظ للذين سألوه في آخر وعظه : ما حاجتك ؟ فقال : « أطول من أن تحدّ وأكثر من أن تُعدّ . قلنا : سانح الوقت . قال : ردّ فائت العمر ، ودفع نازل الأمر . قلنا : ليس ذلك إلينا ، ولكن ما شئت من متاع الدنيا وزخرفها . قال : لا حاجة لي فيها وإنما حاجتي بعد هذا أن تَخِدُوا(١) أكثر من تَمْشُوا (٢) . »

إنها فلتة من أبي الفتح الإسكندري الواعظ ، وإن لم تكن غريبة عن المجتمع الذي يصوره أدب الهمذاني .

المجون في المقامات : وكما حدثنا بديع الزمان عن الجانب الزاهد في المجتمع ، كذلك حدثنا عن الجانب الآخر ، جانب اللهو والمجون ، ولم يُغفل تصوير الحياة العابثة اللاهية ، بل أخذ بأيدينا إلى بعض مجالس القوم ، وأطلعنا على ما يدور فيها من أسباب اللهو والمتعة ، وهو لا يقف بنا وقفة التاريخ أمام أبواب الخلفاء ، وقصور الأمراء ، أو يمرّ ببعض هذه الأخبار

(١) الوخد : ضرب من السير السريع .
(٢) المقامة الأهوازية : ٦٣ .

مرور المؤرخ يشير ويلمح ، ولكنه يفصّل ويصرّح ، بل يلج بنا مجالس القوم وحاناتهم ، ويرفع لنا الستار عن اجتماعهم على الخمرة والوتر .

قال عيسى بن هشام : « جعلت النهار للناس والليل للكاس ، واجتمع إلي في بعض لياليّ إخوان الخلوة ، ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح ، حتى نفد ما معنا من الراح ، واجتمع رأي النُدمان على فصد الدنان فأسلنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة والليل أخضر الديباج مغتلم الأمواج (١) . »

وهو لا يكتفي بأن يجمعنا إلى « إخوان الخلوة » وأن يشير إلى قصدهم حان الخمّارة وإنما يمضي بنا ـ لنرى كيف انقضت تلك الليلة ـ فيقول : « ولما حشرج النهار أو كاد ، نظرنا فاذا برايات الحانات أمثال النجوم في الليل البهيم ، فتهادينا بها السرّاء وتناشرنا بليلة غرّاء . ووصلنا إلى أفخمها بابا ، وأضخمها كلابا ، وقد جعلنا الدينار إماما ، والاستهتار زماما ، فدفعنا إلى ذات شكل ودلّ ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها ، فأحسنت تلقّينا وأسرعت تقبّل رؤوسنا وأيدينا ، وأسرع من معها من العلوج إلى حطّ الرحال والسروج وسألناها عن خمرها ، فقالت :

خمر كريقي في العذوبـــة واللذاذة والحـلاوة
تذر الحليمَ وما عليـــه حلمه أدنى طلاوة

كأنما اعتصرها من خدّي أجداد جدّي ، وسربلوها من القار بمثل هجري وصدّي ، وديعة الدهور وخبيئة جيب السرور ، وما زالت تتوارثها الأخيار ويأخذ منها الليل والنهار ، حتى لم يبق إلا أرج وشعاع ووهج لذّاع ، ريحانة النفس وضَرّة الشمس . فتاة البرقَ عجوز الملتَق ، كاللهب

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٤ واغتلم : هاج .

في العروق ، وكبرد النسيم في الحلوق ، وصباح الفكر وترياق سمّ الدهر ، بمثلها عزّر الميت فانتشر ، ودووي الأكمه فأبصر .

قلنا : هذه الضالّة وأبيك . فمن المطرب في ناديك ؟ ولعلها تشمئز للشرب بريقك العذب ؛ قالت : إن لي شيخاً ظريف الطبع طريف المجون ؛ سرّ بي يوم الأحد في دير المِربَد فسارّني حتى سرّني ، فوقعت الخلطة وتكررت الغبطة ... وسيكون لكم به أنس وعليه حرص [1] .. » .

فأي شيء فاتنا بعد هذا الوصف من مجالس الخمرة ؟ لقد رأينا الحانة ودخلناها وعرفنا بابها وكلبها ومستخدميها من العلوج ، ورأينا صاحبتها ذات الشكل والدلّ والوشاح المنحلّ ... وتخيّلنا خمرتها وعتقها ولونها ، وعرفنا مؤنس الندمان ومطربهم ...

بل إن الهمذاني استطاع في المقامة أن يصوّر لنا الجانبين جميعاً ؛ وذلك حين رسم صورة الشباب المنكبين على الخمرة ، وصورة الأتقياء المحافظين على الصلاة في مساجدهم ، وجعل المصلّين يتألّبون على المخمورين بعد أن فاحت منهم ريح الخمرة في المسجد ، قال ابن هشام : « ... واجتمع إليّ في بعض لياليّ إخوان الخلوة ذوو المعاني الحلوة ، فما زلنا نتعاطى نجوم الأقداح حتى نفد ما معنا من الراح ، واجتمع رأي الندمان على قصد الدنان فأسلنا نفسها وبقيت كالصدف بلا درّ أو المصر بلا حرّ ، ولما مسّتنا حالنا تلك دعتنا دواعي الشطارة إلى حان الخمّارة ، والليل أخضر الديباج مختلم الأمواج . فلما أخذنا في السُّبْح ثوّب منادي الصبح ، فخنس شيطان الصبوة وتبادرنا إلى الدعوة ، وقمنا وراء الإمام قيام البررة الكرام ، بوقار وسكينة وحركات موزونة ، فلكل بضاعة وقت ولكل صناعة سمت ، وإمامنا يجدّ في خفضه

(١) المقامة الخمرية : ٢٤٧ .

ورفعه ، ويدعونا بإطالته إلى صفعه ، حتى إذا راجع بصيرته ورفع بالسلام عقيرته ، تربّع في ركن محرابه وأقبل بوجهه على أصحابه ، وجعل يطيل إطراقه ويديم استنشاقه ، ثم قال : أيها الناس ، من خلط في سيرته وابتُلي بقاذورته ، فليسمه كَدِيماسه (١) دون أن تتجسّنا أنفاسه ، وإني لأجد منذ اليوم ريح أم الكبائر من بعض القوم ، فما جزاء من بات صريع الطاغوت ثم ابتكر إلى هـذه البيوت التي أذن الله أن ترفع وبدابر هؤلاء أن يقطع ، وأشار إلينا فتألّبت الجماعة علينا حتى مزّقت الأردية ودميت الأقفية ، وحتى أقسمنا لاعدنا وأفلتنا من بينهم وما كدنا (٢) » .

فجمع الهمذاني في هذه المقامة بين أهل المسجد وأهل الحانة ، وبين من في المحراب يركع ويسجد ومن مع الدنّ يقوم ويقعـد ، فكان منصفاً لهؤلاء وأولئك جميعاً ، وأعطى كلاً منهم حقه من الوصف ، فكانت مقامته ممثلة لطائفتين في مجتمعه ، وهما طائفتان ما زالتا موجودتين إلى اليوم جنباً إلى جنب في كل مجتمع .. وكانت أخبار الهمذاني عن الوعظ والزهد واللهو والمجون لاتقلّ وضوحاً عن أخبار التاريخ إن لم تكن أكثر تفصيلاً وتصويراً في بعض الأحيان .

عقليّة العامة : أما عقلية القوم في القرن الرابع فقد حدثنا عنها التاريخ بما يرفع رأس أمتهم فخراً واعتزازاً ؛ كانت عقلية جبّـارة نشيطة مبدعة خاضت كل علم ، والتفت في كل فنّ ، واستوعبت ما ورد إليها من قرائح العقليات الغريبة عنها كالفارسية واليونانية والهندية . . . وحسبنا أن نتذكر أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرابع لنعلم مدى ماوصلت إليه تلك العقلية من نضج ورقيّ . ولكن هل القوم كلهم علماء ؟ وهل القوم كلهم ذوو عقليات

(١) الديماس : الكن ، ويعني به البيت .
(٢) المقامة الخمرية : ٢٤٥ .

راقية تسبر الأغوار ؟ لا بدّ من ترك العلماء جانباً للبحث عن الصّفات العقلية للسّواد الأعظم من الناس .

إيمانهم بالأحراز : لعل من أبرز خصائص « عقلية العامة » سرعة التصديق؛ فهم يؤمنون بادي الرأي ، ويصدّقون بسرعة عجيبة كل ما يقال لهم ، كما رأينا في الحديث عن دجل بعض الوعاظ ، واتخاذهم الوعظ مطيّة لبلوغ المآرب الخاصة والغايات الدنيا ، وكيف كان الناس يصدّقونهم ويقبلون عليهم . ولعل لنا في المقامة الحرزية مثالاً أوضح لتبيان ما كانت عليه العامة من سرعة الإيمان وسلامة الطويّة ، ومن أسرع إيماناً وأسلم طوية ممّن يعتقد أن حُرزاً يُنجي من الغَرَق ؟ وليته كان حرزاً متصلاً بأسباب الدين ، أو كان آيات من القرآن الكريم ، إذاً لكان للقوم عذرهم لما يوحي به الإيمان بالدين من الاطمئنان ، وما يلقيه في النفس من السكينة ، ولكنه حرز مصون بالديباج والعاج ، يتلقّاه القوم مؤمنين ، قبل أن يعلموا حقيقة ما يحتويه ! قال عيسى بن هشام يصف عودته من السفر : « ولمّا ملكنا البحر وجُن علينا الليل ، غشيتنا سحابة تمدّ من الأمطار حبالاً وتحوز من الغيم جبالاً ، بريح ترسل الأمواج أزواجاً والأمطار أفواجا ، وبقينا في يد الحَيْن بين البحرَيْن ، لا نملك عدّة غير الدعاء ، ولا حيلة إلا البكاء ولا عصمة غير الرجاء .

وطويناها ليلة نابغية ، وأصبحنا نتباكى ونتشاكى ، وفينا رجل لا يخضلّ جفنه ولا تبتلّ عينه ، رخيّ الصدر منشرحه نشيط القلب فرحه ، فعجبنا والله كل العجب ، وقلنا : ما الذي أمّنك من العطب ؟ فقال : حرز لا يغرق صاحبه ، ولو شئت أن أمنح كلاً منكم حرزاً لفعلت . فكلّ رغب إليه وألحّ في المسألة عليه . فقال : لن أفعل ذلك حتى يعطيني كل واحد منكم ديناراً الآن ويعدني ديناراً إذا سلم ، فنقدناه ما طلب ووعدناه ما خطب ،

وآبت يده إلى جيبه فأخرج قطعة ديباج فيها حُقّة عاج، قد ضُمّن صدرها رقاعا، وحذف كل واحد منا بواحدة منها»(١) والطريف أن يستمر خداعه وأن ينقدوه ما وعدوه بعد سلامتهم من الغرق، «فلما سلمت السفينة وأحلّتنا المدينة اقتضى الناس ما وعدوه فنقدوه.»!!

إيمانهم بشياطين الشعر: ويحدثنا الهمذاني في مقامة أخرى عن إيمان بعض الناس بشياطين الشعر، أولئك الذين يوحون إلى الشعراء بأشعارهم، وليس بعيداً أن تكون لهذه الأسطورة الجاهلية ذيول في أذهان بعض الناس؟ ففي المقامات أن عيسى بن هشام يدهش حين يسمع أن قصيدة:

بان الخليط ولو طووعت ما بانا   وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

ليست لجرير، وإنما هي لرجل آخر هو أبو مُرّة..، وتجري بينهما محاورة يتهم ابن هشام فيها أبا مرة بالانتحال، فيكشف أبو مرّة أمره ويقول: «وكنت أكتمك حديثي وأعيش معك في رخاء لكنك أبيت فخذ الآن: فما أحد من الشعراء إلا ومعه معين منا، وأنا أمليت على جرير هذه القصيدة، وأنا الشيخ أبو مُرّة، قال عيسى بن هشام: ثم غاب ولم أره.»(٢)

ولسنا نريد استقصاء الأمثلة الدالة على خصائص عقلية العامة ومعتقدهم، إذ سيمرّ بنا كثير من ذلك حين نتحدث عن خصائص القوم عامة وسذاجتهم وحين نتحدث عن الكدية والمكدين وما كانوا ينصبون للقوم من شراك وغير ذلك مما يدل على النفس السليمة والعقل الساذج، وللكدية والمكدين في المقامات حديث طويل سنخصّه ببيان من التفصيل.

(١) المقامة الحرزية: ١٢٤.
(٢) المقامة الإبليسية: ١٩٣.

لغتهم : لغتهم أو كلامهم لا نعني به هنا أسلوبهم ذلك الذي عرفناه في إنشاء القرن الرابع وأدبه ، وإنما نريد به ما كان يدور على ألسنتهم من حكاية مرتجلة وحوار غير مشذّب ، وكلام عام وشتائم .. مما لم يذكره التاريخ ؛ لأنه لم ينطق به عظيم ، ولم يحفظه الأدب ، لأنه بعيد أحياناً عن « الأدب » .

أما الحكايات والقصص فإن أردنا معناها أو محتواهـا فهو في المقامات واضح جليّ ، وقد رأينا ذلك حين استعرضنا موضوعات المقامات ، وأما إن أردنا منها أسلوبها ، وهو الذي كنا نودّ معرفته ، فلن تفيدنا المقامات في معرفته شيئاً لأن صاحبها كما نعلم كتبها بأسلوبه المصطنع ، وأنطق الأشخاص فيها بكلامه المسجّع . على أن البديع حاول أن يُنطق كل شخص بما يناسب مقامه ، فكان لصاحبة الحانة أسلوب ، وللحمّاميّ أسلوب ، وللسَّوادي أسلوب ..

شتائمهم : وأما شتائمهم فالهمذاني لا يخجل من نقلها إلينا ، وهي ليست أقل قذارة من شتائم رعاع اليوم إن لم تفقها إفحاشاً وإقذاعاً .

وقد مرّ معنا أن في المقامات ما يستحي الأديب من قراءته ويخجل من شرحه وأن الكتّاب أغفلوا المقامة الشامية وبعض المقامة الرصافية لما فيها من بذاءة وإفحاش[1] .

وقد يكتفي الهمذاني في بعض الأحيان بالإشارة إلى السباب والشتم دون توضيح أو تفصيل ، كأن يقول : « فعمد إلى أعراض يسبّها . »[2] وقد يصرّح ويفصّل كما فعل حين نقل ملاسنة جرت بين اثنين من المستخدمين في أحد الحمّامات[3] وانتهت بالسلال عيسى بن هشـام وهو « يسبّ النلام بالمضّ والمصّ » . بل إن بديع الزمان يجعل من إحدى مقاماته مسرحاً

(١) مقدمة المقامات : ص ٧ وانظر ما سبق في ص : ٦٠٥ العدد ٣ المجلد ٤٣ .
(٢) المقامة الأرمينية : ١٩٧ .
(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٠ .

لاثنين من أبطال الشتيمة يتنافسان فيها ويأتيان بكلام اضطررنا إلى حذفه من المقامة ؛ وذلك في المقامة الدينارية التي يعد عيسى بن هشام فيها أن يهب ديناراً لأمهر الرجلين في السبّ والشتم وقال : « ليشتم كل منكما صاحبه فمن غلب سلب ومن عزّ بزّ . »(١) وكانت منافسة حامية بين أبي الفتح الاسكندري الذي قذف حممه سائلة وصلبة ، حارّة وباردة .. وبين خصمه الذي قذفه بسيل دافق من السباب المرّ والشتم القبيح حتى عجز عيسى بن هشام عن تفضيل أحدهما على الآخر ، فقال : « فوالله ما علمت أي الرجلين أوثر ، وما منها إلا بديع الكلام عجيب المقام ألدّ الخصام ، فتركتها والدينار مشاع بينها وانصرفت وما أدري ما صنع الدهر بها . »(٢)

على أننا إذا لم ننقل الكثير من كلامهم لفحشه ، فلا بدّ لنا من الإشارة إلى أنهم ما كانوا يجدون في قوله واستعماله شيئاً من الحرج ، وكما قيل : لكل مقام مقال ، فكذلك لكل يوم كلام . وليس أدلّ على شيوع اللفظ المستهجن والكلمة الفاحشة على ألسنتهم وعدم استنكارهم لها من استعمال أكابرهم لها وصدورها عنهم ، يؤيد ذلك ويؤكده ما نقله الثعالبي من هجاء الصاحب بن عباد لخصومه(٣) ، ومن كلام الصابي في الهجاء أيضاً(٤) ، فإذا كان أمثال الصاحب والصابي لا يترفعون عن اللفظ البذيء والمعنى السافل فلا عجب في قذارة شتائم العامة وفحشهم في السّباب .

هيئاتهم : قد لا يكون هناك اختلاف في الهيئات العامة للناس بين عصر وعصر أو بين مكان ومكان ، ولكن الهيئات الخاصة والملابس تختلف باختلاف

(١) المقامة الدينارية . ٢٢٥ .
(٢) المقامة الدينارية .
(٣) يتيمة الدهر ٣ : ٢-١٠١ .
(٤) يتيمة الدهر ٢ : ٦٣ ـ ٦٥ .

الأزمنة والأمكنة ، وباختلاف المراتب والأعمال . ونحن نستطيع الآن أن نميز شعباً من شعب من أشكال أفراده أو لباسهم أو لباس رؤوسهم ، بل ربما نستطيع أن نستدل على شيء من أذواقهم إذا استطعنا أن نعرف أنواع ثيابهم وألوانها . ولننظر الآن كيف كانت هيئات الناس الخاصة ؟ وكيف كانت ملابسهم في المجتمع الذي عاش فيه الهمذاني ؟

الحق أننا لانجد في المقامات صورة كاملة للهيئات والملابس في ذلك العصر ، وقد كنا نودّ لو عني الهمذاني بوصف الثياب وأشكالها والأردية وألوانها ... أكثر مما فعل ، إذاً لكانت عندنا صورة واضحة ملوّنة لإنسان ذلك العصر من تاريخنا . على أن أبا الفضل لم يغفل ذلك إغفالاً تاماً وإنما قصّر فيه ، وما عليه في ذلك لأنه لم يكن يريد من مقاماته إذ ذاك ما نريده نحن منها اليوم .

لقد ذكر الهمذاني في مقاماته كثيراً من الصفات الخارجية لأناس مختلفين من قضاة ، كانوا يضعون على رؤوسهم قلانس كبيرة كالدنان ، وكان بعضهم يدير فضل العمامة من تحت حنكه كقاضي نيسابور الذي ذكره عيسى بن هشام فقال « اجتاز بي رجل قد لبس دنّية وتحنّك بسنيّة [1] . » وقد يفصّل أكثر من ذلك في موضع آخر فيقول : « وقد لبس دنّيّته وسوّى طيلسانه وقصّر سباله وبيّض لحيته [2] ... » . وقد يذكر صفات عامة تكفي لبيان شخصية صاحبها من خلال مظهره ، كأن يقول عن أحد الشباب إنه في « زيّ ملكي » ليدلّ بذلك على أنه ليس من رجال المآثم بل هو زيّ أنيق .

---

(١) المقامة النيسابورية : ٢٠٧ .

(٢) المقامة النيسابورية : ٢٠٨ .

ويبدو أن العمامة هي لباس الرأس الشائع عندهم ، فلقد مرّ ذكرها في أكثر المقامات وضعتها شخصيات مختلفة ، والفرق بين الأشخاص إنما هو : بالنسبة إلى العمامة ، في شكلها أو حجمها ... وأما لباس القدم فالخُفّ ، وكثيراً ما ذكره وذكر حداثته أو قدمه . . . وذكر بعض مايتصل به من عادات ، كإخفاء السكّين فيه وذلك حين قال في المقامة الأسدية : « ثم دنا إليّ لينتزع الخفّ ومددت يدي إلى سكّين كان معي في الخفّ »(١) .

وأما أهل اليسار فهم من الثياب في « حِبَرٍ وشاء »(٢) ، وكثيراً ماوقف عندهم ووصف آثار النعمة عليهم .

ويمرّ الهمذاني بأصحاب الصناعات المختلفة فلا يغفل عن إلقاء نظرة سريعة بجملة تبيّن الشكل أو ترسم الخطّ العريض من الصورة ، فها هو ذا حلّاق « لطيف البنية مليح الحلية في صورة الدمية »(٣) . وتلك صاحبة حانة « ذات شكل ودلّ ، ووشاح منحلّ ، إذا قتلت ألحاظها أحيت ألفاظها(٤) » ..

وأما المكدّون فقد كان نصيبهم في المقامات أكبر من نصيب غيرهم ، وذلك لكثرة ما تعرّض الهمذاني لهم ولأخبارهم ، وهو يقدّم لنا صوراً مختلفة لهم ؛ فمنهم من « لفّ رأسه ببرقع حياء ، ونصب جسده وبسط يده ، واحتضن عياله وتأبّط أطفاله ، وهو يقول بصوت يدفع الضعف في صدره والحرَض في ظهره(٥) .. » ومنهم من « يخبط الأرض بعصا على إيقاع

(١) المقامة الأسدية : ٤١ .
(٢) المقامة البصرية : ٦٧ .
(٣) المقامة الحلوانية : ١٨٣ .
(٤) المقامة الخمرية : ٢٤٨ .
(٥) المقامة الأزاذية : ١٤ .

لايختلف ... وهو حُزُقّة كالقَرَنْبَى أعمى مكفوف ، في شملة صوف ، يدور كالخذروف ، متبرنساً بأطول منه ، معتمداً على عصا فيها جلاجل ، يخبط الأرض بها على إيقاع غنج ، بلحن هزج ، وصوت شج من صدر حرج .. »[(١)] ومنهم « ذو طمرين قد أرسل صِوانا ، واستتلى طفلاً عُريانا ، يضيق بالضر وسعه ، ويأخذه القرّ ويدعه ، لا يملك غير القشرة بردة .. »[(٢)] ومنهم من « طلع برُكوة قد اعتضدها ، وعصا قد اعتمدها ، ودنيّة قد تقلّسها ، وفوطة قد تطلّسها ، يرفع عقيرته .. »[(٣)]

ومن المكدّين طائفة يسير أفرادها في الطرقات والأسواق مجتمعين وحدّدهم الغرَض ، يتقدّمهم واحد منهم « قد لفّوا رؤوسهم وطلوا بالمغرة[(٤)] لبوسهم ، وتأبّط كل واحد منهم حجراً يدقّ به صدره ، وفيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه ويدعو ويجاوبونه[(٥)] . »

والهمذاني لا ينشغل بأزياء القضاة والأثرياء وأصحاب المهن والشحّاذين عن سواهم ؛ فالقضاة بقلانسهم الكبيرة وأثوابهم الفضفاضة وحمام البيضاء ... ، وأصحاب الصناعات وما اتخذ كل منهم من ملبس يلائمه .. ، والشحّادون وهزالهم وأطمارهم وعصيّهم وبراقعهم ... ، كل ذلك لا يشغل أبا الفضل عن تصوير أهل الريف أو السّواد حين يفدون إلى المدينة وقد حملوا ما تنتجه أراضيهم على دوابّهم ليبيعوه في أسواق بغداد ، ويعودوا بالفضلات سماداً للأرض... ، ومن يقرأ المقامة البغدادية يتعرّف إلى سواديّ من هؤلاء ، ويراه وقد بلغ

(١) المقامة المكفوفية : ٨٣ .
(٢) المقامة البحارية : ٨٧ .
(٣) المقامة الأذربيجانية : ٤٩ .
(٤) المَغْرة : الطين الأحمر .
(٥) المقامة الساسانية : ١٩٧ .

به الجهد والمشقة ، وبدت عليه سيماء البساطة والسذاجة ، بل يرى جانباً من صورته وطرفاً من إزاره .. ويرى تلك العقد التي انعقدت على المال في طرف الإزار على نحو ما يفعل بعض أهل الريف في عصرنا الحاضر ؛ إنه « سوادي يسوق بالجهد حماره ، ويطرّز بالعقد إزاره(١) » وأما ابن هشام فلم يكن « معه عقد على نقد(١) » .

وأما إذا كان الريفيّ من ذوي الغنى واليسار ، فإن عُقد الإزار لا تكفي لحفظ المال وإنما يضعه في جراب أو كيس كذلك الذي أقبل ومعه « جراب دنانير(٢) » أو الذي قبض من كيسه قبضـــة الليث(٣) ، أو الذي أحال المشكلة إلى الكيس وقال : يحلّ الكيس ما شئت(٤) .

وهكذا صوّر لنا الهمذاني بعض أفراد مجتمعه ومرّ بهم من أمامنا بأشكالهم وملابسهم ...

٢ ــ المجالس الأدبية ــ المناظرات والجدل ــ القصص

أخبار المناظرات في كتب التاريخ : من أبرز مظاهر النشاط الفكري في القرن الهجري الرابع تلك المناظرات والمحاورات التي كان القوم يعقدونها ويخصونها بنصيب وافر من اهتمامهم ووقتهم . ومن تلك المناظرات ما كان متصلاً بالأدب ؛ نثره وشعره ، ألغازه وأحاجيه ، ومنها ما كان ذا صلة بالعقائد والمذاهب الدينية ..

(١) المقامة البغدادية : ٦٤ .
(٢) المقامة الصيمرية : ٢١٥ .
(٣) المقامة الكوفية : ٣١ .
(٤) المقامة السجستانية : ٢٨ .

وقد كان القرن الرابع فترة صراع عنيف بين أفكار كثيرة وفيرق متعددة ، والتاريخ إنما يذكر من هذه المناظرات ما كان في حضرة خليفة أو وزير ، أو ما اشترك فيه واحد من هؤلاء وأولئك ، أو ما ترك أثراً يدعو إلى ذكره ، ويغفل ما دون ذلك .

وفي كتب الأدب وتراجم الأدباء ما يدل على أن المناظرات كانت أمراً منتشراً بينهم ، وأنها لم تكن في بعض الأحيان لغير الطموح إلى الشهرة وشهوة النصر ، وأن المتناظرين كثيراً ما كانوا يحشدون لها الأنصار والأتباع على نحو ما نرى اليوم في المباريات الرياضية ، بل لقد كانت تلك أيضاً مباريات رياضية إلا أن السلاح المتبارى به كان لساناً مبيناً ولفظاً معبّراً وفكراً سديداً .

ومن تلك المناظرات المشهورة في التاريخ مناظرة الكسائي وسيبويه في بغداد حول مسألة من مسائل النحو (١) . والمناظرات التي دارت حول مشكلة خلق القرآن . ولعل من أطرفها تلك التي دارت بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متّى بن يونس في المفاضلة بين النحو والمنطق(٢) ، وقد جرت سنة ٣٢٠ هـ(٣) . ومن تلك المناظرات ما دار بين الخوارزمي وبديع الزمان ممّا سبق ذكره (٤) .

ولنسأل هل استطاع الهمذاني أن يقدم لنا في مقاماته صورة عن ذلك الصراع الفكري الذي دار في مناظرات القوم الأدبية والمذهبية ؟

---

(١) وهي المسألة المعروفة في النحو باسم المسألة الزنبورية . انظر مغني اللبيب ١ : ٩٣ .

(٢) تجد أخبار هذه المناظرة في كتاب « الإمتاع والمؤانسة » ١ : ١٠٧ – ١٢٨ .

(٣) لأنه كان عمر السيرافي أربعين سنة ، ومولده في سنة ٢٨٠ هـ . وانظر الامتاع والمؤانسة ١ : ١٢٨ .

(٤) انظر ص : ١٣٠ وما بعدها من الجزء ١ المجلد ٤٣ .

المناظرات الأدبية في المقامات : أما المناظرات الأدبية في المقامات فمنها ما يتصل بأسلوب الهمذاني وفنّه في التلاعب بالألفاظ ، كتلك التي تدور حول الأحاجي ، ومنها المقامة الشعرية التي حدثنا فيها عيسى بن هشام فقال « كنت ببلاد الشام وانضمّ إليّ رفقة ، فاجتمعنا ذات يوم في حلقة ، فجعلنا نتذكر الشعر ، فنورد أبيات معانيه ونتحاجى بعماميه ... » وكان بينهم فتى سألوه وسألهم فقـــال « أين أنتم من تلك الأبيات وما فعلتم بالمعمّيات ، سلوني عنها . فما سألناه عن بيت إلا أجاب ولا عن معنى إلا أصاب ... ثم عطف علينا سائلاً وكرّ مباحثاً فقال : عرّفوني بيت شطره يرفع وشطره يدفع ؟ وأي بيت كله يصفع ؟ وأي بيت نصفه يغضب ونصفه يلعب ؟ وأي بيت كله أجرب ؟ وأي بيت عروضه يحارب وضربه يقارب ؟ وأي بيت كله عقارب ؟ وأي بيت سمُج وضعه وحسن قطعه ؟ وأي بيت لا يرقأ دمعه ؟؟ ... »[(١)] ثم يستطرد فيسألهم نحو خمسين سؤالاً كلها من هذا الطراز العجيب ، ويمهلهم للجواب عنها أياماً مما يدلّ على تكرار مثل هذه الاجتماعات ، وهو لا يمتنع عن الإجابة عن بعضها على سبيل المثال فيقول : « اختاروا من هذه المسائل خمساً لأفسّرها واجتهدوا في الباقي أياما ، فلعل إناءكم يرشح ولعل خاطركم يسمح ، ثم إن عجزتم فاستأنفوا التلاقي لأفسّر الباقي[(٢)] . »

ولعل هذا المجلس يعطينا فكرة عن حب القوم للمجالس الأدبية والتنافس في حلّ المعمّيات الشعرية ، مما يحتاج إلى اطلاع واسع وحفظ كثير .

وكذلك الأمر في المقامة العراقية إذ يسأل عيسى بن هشـام أبا الفتح الاسكندري : « بأي العلوم تتحلّى ؟ فقال : لي في كل كنانة سهم ، فأيها تحسن ؟ قلت : الشعر ، فقال : هل قالت العرب بيتاً لا يمكن حلّه[(٣)] . ؟ » ويتابع أسئلته وهي كلها من هذا النوع .

(١) المقامة الشعرية : ٢٣٠ .
(٢) المقامة الشعرية : ٢٣٣ .
(٣) المقامة العراقية : ١٥٠ .

ومن المقامات الأدبية ما يتصل بآراء الهمذاني في الأدب والنقد كأن يوضح لنا رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق والجاحظ وابن المقفع ... وذلك من خلال بعض المحاورات التي دارت في مجالس أدبية وصفتها المقامات .

رأي الهمذاني في امرئ القيس : يسأل عيسى بن هشام صاحبه أبا الفتح في المقامة القريضية فيقول : ما تقول في امرئ القيس ؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وكناتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسباً ، ولم يُجد القول راغبا ، ففضل من تفتق للحيلة لسانه وانتجع للرغبة بنانه .

النابغة : قلنا : فما تقول في النابغة ؟ قال : يثلب إذا حنق ويمدح إذا رغب ويعتذر إذا رهب . ولا يرمي إلا صائبا .

زهير : قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يذيب الشعر والشعر يذيبه ، ويدعو القول والسحر يجيبه .

طرفة : قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنز القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرار دفائنه ، ولم تفتح أغلاق خزائنه .

جرير والفرزدق : قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ فقال : جرير أرق شعراً وأغزر غزرا ، والفرزدق أمتن صخراً وأكثر فخرا ، وجرير أوجع هجواً وأشرف يوما ، والفرزدق أكثر روماً وأكرم قوما . وجرير إذا نسب أشجى وإذا ثلب أروى وإذا مدح أسنى ، والفرزدق إذا افتخر أجزى وإذا احتقر أزرى وإذا وصف أوفى . »(١)

(١) المقامة القريضية : ١٠ .

القدماء والمحدثون : وينتقل الهمذاني بعد ذلك إلى الموضوع الذي طالما تناوله الكتّاب وتباينت فيه الآراء ، فيسأل على لسان ابن هشام قائلاً « قلنا : فما تقول في المحدَثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرف لفظاً وأكثر من المعاني حظا ، والمتأخرون ألطف صنعاً وأرق نسجا ...[1]

الفرزدق وذو الرمّة : ويجري الهمذاني ، في مقامة أخرى ، مقابلة بين الفرزدق وذي الرمة ، ويحدثنا من خلالها عن احتقار الفرزدق لغيلان وازدرائه لشعره واستصغاره لشأنه ، كما يحدثنا فيها أيضاً عن احتقار الفرزدق وجرير للملتان العبدي والبعيث فيقول في المقامة الغيلانية : « بينا نحن بجرجان في مجتمع نتحدث ، ومعنا يومئذ رجل العرب حفظاً ورواية وهو عصمة بن بدر الفزاريّ ، فأفضى بنا الكلام إلى ذكر من أعرض عن خصمه حلماً ، ومن أعرض عن خصمه احتقاراً ، حتى ذكرنا الصلتان العبدي والبعيث وما كان من احتقار جرير والفرزدق لهما ، فقال عصمة : سأحدثكم بما شاهدته عيني ولا أحدثكم عن غيري [2] ... » ويحدثهم أنه اجتمع بغيلان في إحدى سفراته ، وبينا هما في الطريق يستريحان يشعر ذو الرمة أن الفرزدق منه على مدى الصوت فيرفع صوته بهجائه حتى يبلغ قوله :

تعاف الأكارم إصهارَهم فكلٌّ أيامُهُم عانس

فلما بلغ هذا البيت تنبّه ذلك النائم – يعني الفرزدق – وجعل يمسح عينيه ويقول : أذو الرميمة يمنعني النوم بشعر غير متقّف ولا سائر ؟ فقلت : يا غيلان من هذا ؟ فقال : الفرزدق ، وحمي ذو الرمة فقال :

وأما مجاشع الأرذلون فلم يسق منبتَهم راجس
سيعقلهم عنْ مساعي الكرام عقالٌ ويحبسهم حابس

(١) المقامة القريضية : ١٢ .
(٢) المقامة الغيلانية : ٤٣ .

فقلت : الآن يشرق فيثور ويعم هذا قبيلته بالهجاء ، فوالله ما زاد الفرزدق على أن قال : قبحاً لك ياذا الرميمة أتعرض لمثلي بمقال منتحل ، ثم عاد في نومه كأن لم يسمع شيئاً ، وسار ذو الرمة وسرت معه وإني لأرى فيه انكساراً حتى افترقنا (١) .. »

الجاحظ وابن المقفع : يخص الهمذاني الجاحظ بمقامة يسميها « المقامة الجاحظية » يتعرّض فيها للجاحظ ويحاول أن ينال منه ، وكأن تنافس أهل الصناعة قد أوغر صدره عليه ، وكأن الهمذاني يرى في الشعر الذي نظمه ميزة يمتاز بها عن الجاحظ الذي انفرد بالنثر دون الشعر !!

يرد ذكر ابن المقفع والجاحظ في إحدى الولائم ، ويقص الهمذاني ذلك بلسان راويته فيقول « ونحن في الحديث نجري معه حتى وقف بنا على ذكر الجاحظ وخطابته ، وابن المقفع ودرايته . ووافق أول الحديث آخر الخوان ، وزلنا عن ذلك المكان . فقال الرجل : أين أنتم من الحديث الذي كنتم فيه ، فأخذنا في وصف الجاحظ ولسنه وحسن سننه في الفصاحة وشننه فيما عرفناه . فقال : يا قوم لكل عمل رجال ولكل مقام مقال ، ولكل دار سكان ولكل زمان جاحظ ، ولو انتقدتم لبطل ما اعتقدتم . فكلّ كشر له عن ناب الإنكار وأشمّ بأنف الإكبار ، وضحكت له لأجلب ما عنده وقلت : أفدنا وزدنا ، فقال : إن الجاحظ في أحد شقّي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، والبليغ من لم يقصّر نظمه عن نثره ، ولم يُزرِ كلامه بشعره . فهل تروون للجاحظ شعراً رائعاً ؟ قلنا : لا ، قال : فهلمّوا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات قليل الاستعارات قريب العبارات ، منقاد لعريان الكلام يستعمله ، نفور من معتاصه يهمله ، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة غير مسموعة ؟ قلنا : لا »(٢) .

(١) المقامة الغيلانية : ٤٧ .
(٢) المقامة الجاحظية : ٧٩ .

وغير خاف أن الهمذاني يهاجم الجاحظ بأسلوب الدافع عنه ، وأنه يريد الطعن على أسلوبه في النثر بعد أن جرّده من الفضل في الشعر .. وما أحسب وراء ذلك إلا اعتقاد الهمذاني بأن « لكل زمان جاحظاً » كما قال (١) .

تحصيل العلم : ويحدثنا بديع الزمان عن رأيه في اكتساب العلم ووسيلة تحصيله فيقول « طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يصطاد بالسهام ، ولا يقسم بالأزلام ، ولا يرى في المنام ، ولا يضبط باللجام ، ولا يورث عن الأعمام ولا يستعار من الكرام ، فتوسلت إليه بافتراش المدر واستناد الحجر ، ورد الضجر وركوب الخطر ، وإدمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر (٢) .. » ويستطرد معدّداً ما يعتقده من وسائل تحصيل العلم من بحث وتحقيق ودراسة وتدقيق ...

على أننا لن نتعرّض لآراء بديع الزمان في الأدب والنقد وما إليها ؛ فهذا كله إنما جاء في سياق الكلام على مجالس القوم ومناظراتهم الأدبية ، ولكننا نرى أن بديع الزمان نجح في التعبير عن آرائه ، أياً كانت ، فجاءت صريحة واضحة جريئة دالّة على تذوّق صاحبها وسعة اطلاعه ، هذا بغضّ النظر عن قيمتها الأدبية ومدى انطباقها على الواقع أو موافقتها للأحكام التي أطلقها الأدباء والنقاد في تلك المسائل .

المناظرات والجدل المذهبيّ : لم يقف الهمذاني في مقاماته عند حدود المناظرات الأدبية ، ولم يكتف بالمناظرات التي كان الأدب أو الأدباء موضوعاً لها وإنما تجاوزها إلى المناظرات الفكرية الجدلية التي تتخذ من العقائد والمذاهب موضوعاً تدور حوله ؛ فعرض علينا في مقاماته طائفة طريفة من تلك

(١) لم يترك شارح المقامات الأستاذ الشيخ محمد عبده هذا الرأي بدون تعليق ، وإنما عقب عليه وسفّه رأي الهمذاني فيه . المقامات حاشية الصفحة : ٨١ .

(٢) المقامات العلمية : ٢١٠ .

المناظرات ؛ إنه يردّ في المقامة المارستانية مثلاً على المعتزلة ، ويسفّه آراءهم ولكنْ على لسان مجنون في « المارستان » ، فكانت مقامة ذات حدّين ؛ ينطق المجنون فيها بالحكمة ، مخاطباً ـ وهو الذي لا عقل له ـ طائفة تزعم أن العقل إمامها وقائدها .. !!

مع المعتزلة : يقول مجنون في « المارستان » بعد أن عرف أن أمامه عيسى بن هشام وأبا داود العسكري أحد متكلمي المعتزلة : « شاهت الوجوه وأهلها ، إن الخيَرة لله لا لعبده ، والأمور بيد الله لا بيده ، وأنتم يامجوس هذه الأمة تعيشون جبرا وتموتون صبرا وتساقون إلى المقدور قهرا . و ﴿ لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ (١) أفلا تنصفون إن كان الأمر كما تصفون ؟ وتقولون : خالق الظلم ظالم ، أفلا تقولون : خالق الهلك هالك ؟ أتعلمون يقيناً أنكم أخبث من إبليس دينا ، ﴿ قال : رب بما أغويتني ﴾ (٢) ، فأقرّ وأنكرتم ، وآمن وكفرتم . وتقولون : خُيِّر فاختار ! وكلاّ فإن المختار لا يبعج بطنه . . . يا أعداء الكتاب والحديث بم تطيّرون أبالله وآياته ورسوله تستهزئون ؟ إنما مَرَقت مارقةٌ فكانوا خَبَثَ الحديث ، ثم مرقتم منها فأنتم خَبَث الخبيث ، يا مخانيث الخوارج . » (٣)

ولا يكتفي الهمذاني بكل هذا الإزراء ، وإنما يشير بخبث إلى جرمة الزواج منهم ، وهو يترك المجنون ينصح بذلك فيقول : « وأنت يابن هشام تؤمن ببعض وتكفر ببعض ؟ سمعت أنك افترشت منهم شيطانة ، ألم ينهك الله عزّ وجلّ أن تتخذ منهم بطانة ، ويلك هلاّ تخيّرت لنطفتك ونظرت لعقبك . . . » (٤)

---

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .
(٢) آية تتمتها (لأزيّنّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين . إلا عبادك المخلصين) الحجر ١٥ : ٣٩ ـ ٤٠ .
(٣) المقامة المارستانية : ١٢٧ .
(٤) المقامة المارستانية : ١٣١ .

وكذلك نجد في المقامة الوعظية وغيرها كثيراً من الأحاديث التي عقدها بديع الزمان بلسان ابن هشام مما يتصل بالردّ على الملحدين ومنكري البعث .

وبعد ، فهذه طائفة من مجالس القوم الأدبية والجدلية ، وأحاديثهم ومناظراتهم وبعض آرائهم في الأدب والنقد ، قدمها لنا الهمذاني ، وقد ضمنها آراءه في مسائل لاشك أنها كانت مدار البحث في عصره .

أخبار القصة والقصاصين : للقصة أثر عظيم في التوجيه ، ولأصحابها ذكر قديم في التاريخ . وقد كان لبعض القصاصين منازل رفيعة وأخبار عجيبة ، وهم منذ القديم يحضرون مجالس الخلفاء والوزراء ؛ يقصّون ويسلّون ويعظون ؛ فكان منهم ندمان ، ومنهم قضاة ، وكان منهم في صفوف العامة موجّهون وملتمون ومخلصون ومتكسّبون .

وذكر المقريزي أن القصص قصصان : قصص العامة ، وقصص الخاصة ، وذكر أن القاص في النوع الأول يجتمع الناس إليه فيعظهم ويذكّرهم ، وأما القاصّ في النوع الثاني فيعيّنه الحاكم وربما كان القاضي نفسه . (١)

ونقل آدم متز أن القُصّاص « في القرن الرابع نزلوا إلى غمار العامة ، وصاروا يقصون لهم القصص الدينية والأساطير والنوادر في المساجد والطرق ، وينالون منهم مالاً كثيرا ، وكان الرجال والنساء يجتمعون حول القاص فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدّون أيديهم ، وكان العامة يحبون القصاص حباً شديداً . ويحكى عن الطبري أنه أنكر على قاصٍ في بغداد فرمى العامة باب داره بالحجارة حتى سدّوه وصعب الخروج منه . وكان القصاص من أكبر مثيري الفتن القديمة بين أهل السنة والشيعة . ويضع الهمذاني القصاص ، في المقامة الساسانية ، بين طبقة المشموذين المخرقين من بني ساسان »(٢) .

(١) الخطط والآثار ٢ : ٢٥٣ .
(٢) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ٢ : ٧٧ .

وما نقله آدم متز يدل على نزول القصاص إلى العامة ، وأما رأيه في وضع الهمذاني للقصاص بين المشعوذين المخرقين فغريب ، إذ ليس في المقامة الساسانية التي أشار إليها ذكر للقصة ولا للقصاص ، ولست أدري كيف وهم في ذلك !

ويبدو أن القصاص كثروا كثرة جعلت الصالح القليل منهم يضيع في زحمة الفاسد الكثير ، فلم نعد نستطيع أن نميز بيسر بين الواعظ الصادق والقاصّ المتكسّب حتى اضطر بعض العلماء إلى تنبيه الناس على ضرورة التمييز بين الصالحين وغيرهم ، وهذا ما فعله السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥ هـ حين ذكر القصاص وفصّل في بيان الصفات المستحسنة فيهم .(١)

أما القصة من الوجهة الفنية فإن الهمذاني نفسه ـ بما كتب من مقامات ـ مثال صالح لما وصلت إليه القصة من مستوى فنيّ . والهمذاني في مجال القصة إنما يحوز إعجابنا بما حلّل من نفسيات وصوّر من شخصيات ، بل بما وصلت إليه بعض مقاماته من مستوىً فني جيّد .

يقول الأستاذ مارون عبود « وتمرّ بمقامات البديع فتعجب بالمقـامة المضيرية إذ تراها قصة عصرية تنوء عن مضارعتها اليوم قصة في تحليل الشخصيات ودرس النّفسيات .... والمقامة الأسدية والبشرية تعدّان من الأقاصيص ذوات العقد ، وإن كان إلى جانب هذه قصص كالمقامة الأزربيجانية التي تبدو كأنها كتبت بلا استعداد »(٢) ويجيب الأستاذ عن سؤال كثيراً ما يرد ، وهو : هل المقامة قصة ؟ فيقول : « نعم ، إنها قصة ، والفرق بينها وبين قصص اليوم كالفرق بين هندامك أنت وهندام جدّك رحمه الله .. »(٣) .

(يتبع) الدكتور مازن المبارك

(١) الحضارة الاسلامية : ٧٨ نقلاً عن « بيان العارفين على هامش تنبيه الغافلين » : ٢٥ .
(٢) بديع الزمان : ٣٦ .
(٣) بديع الزمان : ٣٧ .

شعر

الوقوف على الأطلال

من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث

— ٣ —

هذه أشهر الصور التي رسمها شعراء العرب في الجاهلية في وصف آثار الديار . ونرى في هذه الصور الاهتمام بعنصر اللون كبيراً جداً . ثم يأتي الاهتمام بعنصر الشكل في الدرجة الثانية . ونقصد بالشكل هنا أشكال آثار الديار بخطوطها المتعرجة ، وأشكال الحروف والسطور المكتوبة ، والأشكال في النقوش والزخارف بخطوطها المتداخلة المتعرجة أيضاً . على أنه يصعب علينا الفصل بين الألوان وبين الأشكال حين النظر إلى هذه الصور .

وكذلك نرى في هذه الصور الإيجاز الشديد ، والاكتفاء بالإشارة السريعة إلى عناصر الصورة ، والانصراف عن التفصيل والاستقصاء في بيان الألوان والأشكال في معرض التصوير . وهذه صفة من صفات طريقة التعبير والتصوير عند شعراء الجاهلية . فهم يقفون على الخطوط العامة والنواحي التي تلفت انتباههم في نظرتهم إلى الأشياء ، دون الأجزاء الدقيقة ، والنواحي الخفية فيها . ويكتفون دائماً بالتلميح السريع ، والإشارة البليغة ، في وصف هذه الأشياء .

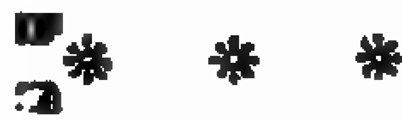
* * *

هذه الصور التي بيناها آنفاً ، وحللناها هي أشهر الصور التي رسمها الشعراء لآثار الديار ، وأجملها في شعر الوقوف على الأطلال ، وأكثرها دوراناً في هذا الشعر . وهناك إلى جانب هذه الصور صور أخرى لا تقل عنها جودة وجمالاً . ولكنها أقل منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال . وفي مُكْنتنا أن نقول إن الصورة منها لم ترد إلا مرة أو مرتين في هذا الشعر . وهي مع ذلك جميلة طريفة ، ولا يحسن بنا أن نمضي دون أن نذكر عدداً منها ، ونقف عندها وقفة قصيرة .

وأولى هذه الصور وأشهرها هي تشبيه آثار الديار بظهر الأرقم ، وهو الثعبان المنقط . قال بشر بن أبي خازم الأسدي في ذلك (١) :

لِمَنِ الديارُ غَشِيتُها بالأَنْعُمِ تبدو معارِفُها كلونِ الأرقمِ (٢)
لعبتْ بها ريحُ الصَّبا ، فتنكَّرتْ إلا بقيـــــةَ نُؤْيِها المتهدِّمِ (٣)

هذه صورة طريفة في وصف آثار الديار . ولكن الشعراء لم يرددوها كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال على الرغم من طرافتها . وهي تشبه في تركيبها الصور المشهورة التي رأيناها آنفاً . إلا أن عنصر التشبيه ضعيف في هذه الصورة ، لقلة الشبه بين آثار الديار وبين ظهر الثعبان الأرقم . وهذا هو السر في قلة دوران هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال ، فيما نرى .



(١) ديوانه ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) غشيتها : أي أتيتها . والأنعم : اسم موضع . ومعارف الديار : آثارها التي يعرفها الشاعر ، والأرقم : الثعبان المخطط أو المنقط ، مأخوذ من الرقم ، وهو النقش .

(٣) تنكرت : تغيرت ولم تعد معروفة . والنؤي : حفيرة كالخندق تحفر حول البيت لتمنع عنه ماء المطر وتدفع السيل .

وهذه صورة ثانية طريفة أيضاً ، شبَّه فيها جرير آثار الديار بريش الحمام . قال جرير (١) :

لما أتَيْنَ على حطَّابتيْ يَسَرٍ أبدى الهوى من ضمير القلبِ مكنونا(٢)

وشبَّهَ القومُ أطلالاً بأسْنُمةٍ ريشَ الحمام، فزِدْنَ القلبَ تحزينا(٣)

يشبِّه جرير في البيت الثاني آثار الديار بألوانها الكامدة على وجه الأرض ، وخطوطها المتمرجة ، بريش الحمام الأورق المتراكب بعضه فوق بعض في خطوط متتابعة . هذه الصورة فريدة غريبة في شعر الوقوف على الأطلال ، لم أجدها إلا في شعر جرير دون غيره من الشعراء في الجاهلية والإسلام . وما أرى لذلك سبباً سوى أن شعراء الجاهلية لم يعرفوا هذه الصورة . فلما جاء بها جرير لم يتبعه فيها الشعراء . فظلت لذلك غريبة فريدة .

* * *

ومن الصور الطريفة في هذا المجال تشبيه آثار الديار بالمذاهب (٤) ، وهي جلود مزينة منقوشة ، فيها خطوط مذهبة ، متتابعة بعضها في إثر بعض . وهي من أدوات الزينة عند النساء ، ينتطقن بها .

قال قيس بن الخطيم في ذلك (٥) :

أتعرفُ رسماً كاطِّراد المذاهبِ لعَمْرةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ(٦)

ديارُ التي كادت ، ونحن على مِنىً ، تحُلُّ بنا ، لولا نَجاءُ الركائبِ(٧)

---

(١) ديوانه ٥٣٢ .

(٢) أتين : أي الأظعان أتين .

(٣) أسنمة : اسم موضع . وزدن : أي الأطلال زدن القلب تحزيناً .

(٤) واحدها مُذْهَب .

(٥) ديوانه ٣٣ ــ ٣٥ .

(٦) اطراد المذاهب : أي تتابع الخطوط المذهبة التي تزين المذاهب . وحشاً : أي خالياً . وغير موقف راكب : أي هي خالية إلا من وقوف أحد المسافرين بها بين حين وآخر ، ويريد الشاعر بهذا المسافر الراكب نفسه .

(٧) تحل بنا : تجعلنا نحل ونتزل . ونجاء الركائب : سرعة سير الركائب ، وهي الإبل .

تبدَّتْ لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجبٌ منها ، وضنَّتْ بحاجبِ

والتشبيه واقع في هذه الصورة بين رسوم الدار بألوانها وأشكالها وبين هذه الجلود المزينة الملونة ذات الخطوط المتتابعة . وهي صورة قليلة الورود أيضاً ، لم يتداولها الشعراء كثيراً في مجال وصف آثار الديار .

* * *

ووجدت صورة نادرة غريبة أيضاً ، شبَّه فيها النابغة الذبياني آثار الديار وأثر هبوب الرياح عليها بالحصير المنمق المزين . قال النابغة [1] :

توهَّمتُ آياتٍ لها ، فعرفتُهـا لِستَّةِ أعوام ، وذا العامُ سابعُ [2]
كأنَّ مَجَرَّ الرامساتِ ذُيولَها عليه حصيرٌ نَمَّقَتْه الصوانعُ [3]
على ظهر مَبْناةٍ جديدٍ سُيورُها يطوفُ بها وَسْطَ اللَّطيمة بائعُ [4]

وقف النابغة على الديار بعد سبعة أعوام من الفراق ، فعرف آثارها وآياتها بعد نظر وتوهم . ورأى أن الرياح قد نسفتها ، وجرَّت فيها ذيولها ، وسفت عليها الرمال والغبار . فأحدثت فيها خطوطاً متتابعة متعرجة . فبدت لعينيه لذلك كأنها قطعة حصير صنعته النساء الصوانع ، ونمقت صنعه .

هذه صورة نادرة وجميلة حقاً ، وهي مع ذلك فريدة ، لم يتداولها الشعراء كثيراً ، ولم أجدها إلا في شعر النابغة الذبياني . وما أظن ذلك إلا لانعدام عنصر اللون في هذه الصورة . فالتشبيه فيها قائم على عنصر الشكل وحده . وذلك أن الحصير يشبه آثار الديار بخطوطه المتتابعة المتعرجة . ولكنه لا يشبهها

(١) ديوانه ٥٠ .
(٢) آيات لها : أي علامات للديار . لستة أعوام : أي بعد ستة أعوام .
(٣) الرامسات : الرياح التي ترْمُس الآثار ، أي تطمسها وتدفنها .
(٤) المبناة : النِّطْع الذي يلف على الحصر حين عرضها للبيع . واللطيمة : يعني السوق التي فيها طيب .

في اللون ، لأن الحصير لا يكون ملوناً ، وإنما لونه هو لون القصب أو القش الذي يصنع منه .

وقد يكون لندرة هذه الصورة في شعر الوقوف على الأطلال سبب آخر ينضاف إلى السبب الأول ، وهو قلة استعمال العرب الحصير في بيوتهم في البادية . فهو لم يكن لذلك من مرئيات الشعراء المألوفة في حياتهم . ويكثر صنع الحصير واستعماله في العراق ، لكثرة القصب فيه . والنابغة قد عاش طويلاً في العراق على صلة بالنعمان ملك الحيرة . ونرى أنه قد شاهد الحصير هناك ، وتكررت مشاهدته له ، حتى انطبعت صورته في ذهنه ، ثم بدت في شعره .

وصف بقايا الديار

اهتم الشعراء ببقايا الديار في شعر الوقوف على الأطلال ، واعتنوا بوصفها وتصويرها ، وأكثروا من ذلك ، كما فعلوا في وصف آثار الديار وتصويرها بجملتها .

وبقايا الديار قليلة معدودة على العموم . ومع ذلك كان الشعراء يهتمون ببعض البقايا دون بعض ، على الرغم من قلتها . وكانوا يختارون بعضها ، فيخصونه بالوصف والتصوير ، ويهملون بعضها ، فلا يذكرونه إلا قليلاً . ويبدو لنا أن السر في هذا الاختيار هو العناية بالبقايا التي تساعد الشعراء على الوصف ، وتثير قرائحهم ، وتفسح مجالاً لأخيلتهم في التصوير .

ونحن ، على طريقتنا المألوفة في البحث ، نعرض عن إحصاء هذه البقايا التي عُني بها الشعراء ، ونقتصر في الدراسة على البقايا والأجزاء التي أكثروا من ذكرها ووصفها في شعر الوقوف على الأطلال ، وتداولوها بالتصوير . ونكتفي بذلك عن التفصيل والاستقصاء .

* * *

وأهم بقايا الديار ، وأكثرها دوراناً في الشعر هو الرماد ، أي رماد النار الذي يخلفه الراحلون وراءهم في الديار . فقد أكثر الشعراء من ذكر الرماد في شعر الوقوف على الأطلال ، ووصفوه في صور كثيرة . وتمتاز هذه الصور جميعاً بهدوء وسكون غريبين ، يبعثان في نفس الإنسان الحزن والكآبة ، ويثيران فيها الأسى .

وينظر الشعراء في هذه الصور جميعاً إلى شيئين اثنين في الرماد دائماً ، هما لونه أولاً ، ومكانه بين الأثافي ثانياً . وهذان الشيئان هما مواد تصوير الرماد ، ومداره في شعر الوقوف على الأطلال .

أما في مجال التصوير الذي يدور على لون الرماد فقد جرى الشعراء على تشبيهه إما بالكحل ، وإما بطير أورق ، حمامة أو قطاة .

قال الأسود بن يعفر النهشلي في تشبيه الرماد بالكحل (١) :

هل بالمنازل إن كلَّمْتُها خَرَسُ   أم ما يبانُ أثافٍ بينها قَبَسُ (٢)

كالكحل أسودَ ، لأْياً ما يكلِّمنا   مما عفاه سحابُ الصَّيِّفِ الرَّجِسُ (٣)

يقصد الشاعر بالقبس ها هنا الرماد بين الأثافي . وهو يُعْنَى بلونه كما نرى ، ويصوره بتشبيهه بالكحل الأسود . هذه الصورة قليلة الورود في شعر الوقوف على الأطلال ، لم يُلِحّ عليها الشعراء كثيراً . وليس فيها مزيد جمال ، ولا كبير غناء . ولعل هذا هو السبب في قلة ورودها في هذا الشعر وانصراف الشعراء عنها .

---

(١) شعره في ملحقات ديوان الأعشى ٣٠٠ .

(٢) القبس : هو قبس النار في الأصل ، ويريد به الرماد هنا .

(٣) لأياً : بطيئاً . الصيف : مطر الصيف ، وهو الربيع عند العرب . والرجس : التي ترتجس بالمطر .

وأشهر من هذه الصورة وأجمل ، وأكثر منها دوراناً في شعر الوقوف على الأطلال ، الصورة التي رسمها الشعراء في مجال تصوير الرماد بتشبيهه بالطير الأورق . قال الحطيئة في ذلك (١) :

لِمَنِ الديارُ كأنهنَّ سطورُ بلِوَى زَرُودَ سَفَى عليها المُورُ (٢)

نُؤْيٌ ، وأطلسُ كالحمامة ماثِلٌ ومُرَفَّعٌ شُرُفاتُه محجورُ (٣)

يقصد الحطيئة بالأطلس في البيت الثاني الرمادَ الأطلس ، أي الأسود الذي يشوبه بياض . وهو يُعْنَى بلونه وشكله ، ويصوره بتشبيهه بالحمامة من حيث اللون أولاً في قوله « وأطلس كالحمامة » ، ومن حيث الشكل ثانياً في قوله « ماثل » . والحمامة حين تجثم على الأرض تبدو بارزة عنها قليلاً ، كما تبدو كومة الرماد . وهذا معنى قول الحطيئة « ماثل » .

والعلاقة في هذه الصور بين الرماد وبين الأشياء التي يشبهونه بها حين التصوير هي دائماً علاقة اللون . وهو اللون الأبيض الذي يشوبه بياض خفيف على الأغلب ، وهو لون الرماد . وهذا اللون يبعث الهدوء والسكينة في النفس ، بسبب توسطه بين اللون الأسود الوقور وبين اللون الأبيض البهيج . فهو يأخذ من هذا ، ويأخذ من هذا ، ويكون وسطاً بينهما ، فيه من الوقار شيء ، وفيه من البهجة أثر . وهذا المزيج بين الوقار والبهجة هو الذي يبعث الهدوء والسكينة في نفس الإنسان . وتنضاف إلى ذلك المعاني الأخرى التي تأتي قبل الصورة وبعدها في شعر الوقوف على الأطلال ، فتزيدها هدوءاً وسكينة ، حتى يصل الأمر بالإنسان إلى الشعور بالحزن والكآبة والأسى في تأمل هذه الصور .

(١) ديوانه ٣٧٦ .
(٢) المور : الغبار الذي تذروه الريح . وسفى عليها : هبَّ عليها مع الريح .
(٣) النؤي : حفرة حول البيت كالخندق تمنع عنه ماء المطر . والمرفع شرفاته : المسجد ،

وأما في مجال تصوير الرماد نظراً لمكانه وموقعه بين الأثافي الثلاث فقد سار الشعراء على تشبيهه بالبَوّ(١) بين النوق العواطف ، أو تشبيهه بالرجل السقيم بين النساء العائذات(٢) .

قال عبد الله بن الدمينة في الصورة الأولى(٣) :

فلم يبقَ من آياتها غيرُ مسجدٍ ومُسْتَوْقَدٍ كالبَوِّ بين العواطفِ(٤)

يصف ابن الدمينة الرمادَ بين الأثافي هنا والشبه قريب في الواقع بين الرماد في مكانه ، وقد أحدقت به الأثافي الثلاث ، وبين البو في مكانه أيضاً ، وقد أحاطت به النوق العواطف تشَمّه ، وتعطف عليه والهة ، وتحن حنيناً موجعاً .

هذه الصورة محسوسة ، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية . فكثيراً ما يلجأ الأعراب ، ولا سيما في أيام الربيع حين نتاج الإبل ، إلى إقامة تمثال البو ، ويعمدون إلى خداع النوق عن اللبن بهذا التمثال إذا انتُزِعَتْ منها أولادها بالموت أو بالذبح .

وقال كُثَيِّر عَزَّةَ في الصورة الثانية(٥) ، وهي تصوير الرماد بالرجل السقيم بين النساء العائذات :

أمِنَ آلِ قيلةَ بالدَّخول رسومُ وبحَوْملٍ طللٌ يلوح قديمُ

(١) البو : جلد ولد الناقة الصغير يحشى بالتبن أو الحشيش اليابس ، ويعرض على النوق التي فقدت أولادها أثناء الولادة أو بعدها بقليل ، فتعطف عليه ، وتدر باللبن ، وهي العواطف .
(٢) النساء اللواتي يعذن المريض ويرقينه لشفائه من المرض ، وطرد الجن أو الأرواح الشريرة عنه .
(٣) ديوانه ١٣٥ .
(٤) المستوقد : المحترق ، وهو يريد به الرماد ها هنا .
(٥) ديوانه ٢٠٣/١ .

لعبَ الرياحُ برسمه ، فأجدَّه جُونٌ عواكفُ في الرماد جثومُ[١]
سُفْعُ الخدود، كأنهن ، وقد مضت حِجَجٌ ، عوائدُ بينهن سقيمُ[٢]

جعل الشاعر في هذه الصورة الرمادَ كالرجل السقيم ، وقد قامت النساء العوائد من حوله ، فأطفن به لمعالجته وتعويذه . ونرى في الصورة الأثافي ، وهي حجارة القِدْر ، وقد بدت قائمة محيطة بالرماد كالنساء المطيفة بالرجل السقيم .

وعناصر هذه الصورة عناصر محسوسة كما نرى ، يستمدها الشاعر من واقع الحياة اليومية في بيئة البادية . فعجائز النساء هن اللواتي يقمن بمداواة المرضى ومعالجة الجرحى في البادية . حتى إن بعض النساء يتخذن ذلك مهنة يزاولنها بين أبناء القبيلة ، ويُعْرفن بها . ومن أساليبهن في المداواة الرُّقية والتعويذة ضد الشياطين والأرواح الشريرة ، وتعليق بعض الأشياء والأدوات على المريض أو الأشياء القريبة منه لرد العين الصائبة .

* * *

والشيء الثاني الذي أكثر الشعراء من ذكره ووصفه في شعر الوقوف على الأطلال هو الأثافي ، وهي الحجارة التي تنصب عليها القدر . وعددها ثلاثة أحجار ، توضع اثنتان منها متقابلتين من يمين وشمال ، وتوضع الثالثة في الخلف . وتوقد النار تحت القدر بين الأثافي الثلاث .

(١) أجده : أي جدده . والجون : جمع جَوْن ، وهو الأسود هنا ، ويريد بها الأثافي التي اسودّت بالنار . وعواكف : أي قائمة ثابتة .

(٢) سفع الخدود : أي مسودة الخدود ، محترقة من أثر النار ، يصف بهذا الأثافي . والحجج : جمع حِجَّة ، وهي السنة .

وقد درج الشعراء منذ الجاهلية على وصف الأثافي وتصويرها في شعر الوقوف على الأطلال . وتتابعوا جميعاً على تشبيهها بالحمائم الجاثمة ، في هذا التصوير . قال زهير بن أبي سلمى في ذلك (١) :

غشيتُ الديارَ بالبقيع فثهمدِ دوارسَ قد أقوَيْنَ من أم معبدِ (٢)
أربَّتْ بها الأرواحُ كلَّ عشيةٍ فلم يبق إلا آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدِ (٣)
وغـــيرُ ثلاثٍ كالحمام خوالدٍ وهابٍ مُحيلٍ هامدٍ مُتلبِّدِ (٤)

والثلاث في البيت الأخير هن الأثافي الثلاث . وقد سورها زهير ، وشبهها في تصويره بالحمام كما نرى .

والشبه واقع فعلاً بين أثافي القدر وبين الحمام في عنصرين اثنين ، يلفتان النظر ، ويدعوان أخيلة الشعراء إلى تشبيه الأثافي بالحمام . هذان العنصران هما اللون ، والشكل أو المظهر الخارجي . فأما من حيث اللون فالأثافي والحمام سفع الألوان غبراء ، أي أنها سود ، يشوب سوادها بياض قليل ، فتضرب إلى الغُبْرة . وهذا هو لون الحمام البري ، وهي القماري التي يقصدها الشعراء في مثل هذه الصور . وهذا هو أيضاً لون الأثافي الذي تكتسبه بعد أن تحرقها النار ، وتسوِّد جوانبها .

وأما من حيث الشكل أو المظهر الخارجي فالأثافي تبدو في أماكنها مجتمعة لاصقة بالأرض ، ساكنة هادئة ، في وضع معين . وكذلك الحمام ، فهو عندما يقع على الأرض يجثم عليها ، ويبدو لاطئاً بها ، لا يبدي حراكاً .

---

(١) ديوانه ٢١٩ ـ ٢٢٠ .
(٢) أقوين : أي خلون من أم معبد ، من أقوى المكان ، إذا رحل عنه أهله وخلا .
(٣) أربت : أقامت . والأرواح : الرياح . وآل الخيمة : خشباتها ، واحدها آلة .
(٤) الهابي : الرماد الذي عليه هَبْوة ، وهي الغبار ، من طول القدم .

وهـذه أبيات لحسان بن ثابت يصور فيها الأثافي أيضاً . وهي أوضح وأجمل من الصورة التي أتى بها زهير في أبياته . قال حسان (١) :

أشاقك من أم الوليد ربوعُ   بلاقعُ ما من أهلهن جميعُ (٢)
عفاهنَّ صيفيُّ الرياح ، وواكفٌ   من الدَّلو رجّافُ السحاب هَموعُ (٣)
فلم يبقَ إلا مَوْقدُ النار حوله   رواكدُ أمثالُ الحمام وُقوعُ (٤)

ونرى الأثافي الثلاث ، في هـذه الصورة ، ساكنة هادئة حول موقد النار ، كأنها بألوانها وأشكالها حمائم جاثمة على الأرض .

هـذا وقد رأينا آنفاً في معرض كلامنا على الرماد ووصفه ، في هذا الموضوع ، أن الشعراء قد صوروا الأثافي ، وشبهوها في أماكنها حول الرماد بالنوق المواطف التي تطيف بالبوّ ، وتعطف عليه . ورأينا كذلك أنهم شبهوها في هذا المجال بالنساء الموائد اللواتي يطفن بالرجل السقيم ، ويَعُدْنه لشفائه من السقم . ولا نريد الوقوف عند هاتين الصورتين ، ونكتفي بما قلناه في شرحها آنفاً .

* * *

وهناك شيء ثالث ردَّد الشعراء ذكره كثيراً في شعر الوقوف على الأطلال ، وهو النُّؤْيُ (٥) من بقايا الديار . والنؤي حفير أو خندق صغير يحفر حول

---

(١) ديوانه ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
(٢) بلاقع : أي خالية . وجميع : مجتمعون .
(٣) واكف من الدلو : أي مطر من برج الدلو . والهموع : الذي يسيل .
(٤) رواكد : أي ساكنة ، ويريد بها الأثافي الثلاث الساكنة حول موقد النار . ووقوع : أي واقعة على الأرض جاثمة .
(٥) ويجمع النؤي على النُّئِيّ .

بيوت الأعراب في البادية ، لدفع مياه المطر والسيل ، ومنعها من دخول البيت . وذلك أن المياه حين تجري تنحدر في هذه الحفرة ، وتسيل فيها ، وتتفرق في الأرض بعد ذلك بعيداً عن البيت .

وقد وصف شعراء العرب النؤي ، وأكثروا من وصفه وتصويره . وشبهوه في أثناء هذا الوصف بحوض الماء ، ولا سيما حوض الماء المهدم . قال النابغة الذبياني في ذلك (١) :

توهمتُ آياتٍ لها فعرفتُها   لستة أعوام ، وذا العام سابعُ(٢)
رمادٌ ككحل العين لأْياً أُبينُه   ونؤيٌ كجِذْمِ الحوض أثلمُ خاشعُ(٣)

يذكر النابغة النؤي بين بقايا الدار كما نرى ، ويصوره ، فيشبهه في هذا التصوير بطرف الحوض ، لاستدارة النؤي حول البيت ، كما يستدير الحوض ، ثم لارتفاع حافة النؤي عن الأرض لحبس الماء ، كما ترتفع حافة الحوض لحبس الماء أيضاً . وهاتان هما الملاقتان بين النؤي وبين الحوض في التصوير ، أي الاستدارة وارتفاع الحافة عن الأرض .

والحوض الذي يذكره الشعراء في مجال التصوير هنا هو حوض الماء الذي كان الأعراب يقيمونه قريباً من بيوتهم ، ويجمعون فيه الماء المستخرج من الآبار التي يبنى الحوض بالقرب منها ، أو الماء المستجلب على ظهور الإبل من الغدران التي تتجمع فيها ماء المطر . وكان الأعراب يبنون هذه الأحواض بالطين والحجارة ، وحين يرحلون عن الدار كانوا يتركونه كما هو ، كما

---

(١) ديوانه ٥٠ .
(٢) الآيات : العلامات . لستة أعوام : أي بعد ستة أعوام .
(٣) لأياً : أي بطيئاً . وجذم الحوض : أصل حافته الذي يبقى بعد أن يتهدم . وخاشع : لاصق بالأرض من الخراب .

يتركون سائر البقايا . فيتهدم مع الزمن ، وتتثلم أطرافه ، كما ذكر النابغة في شعره . فالصورة مستمدة من بيئة الأعراب في البادية كما نرى .

وقد رسم شعراء العرب صورة أخرى للنؤي حين وصفهم له ، وهي تشبيه النؤي بسوار من العاج . قال كثير عزة في صفة نؤي (١) :

عرفتُ لسعدى بعد عشرين حِجَّةً ... بها دَرْسَ نؤيٍ في المحلة منحنِ (٢)

قديمٍ كوقف العاج، ثَبَّتَ حوله ... مغارزُ أوتاد ، برَضْمٍ مُوَضَّنِ (٣)

والعلاقة بين النؤي وبين سوار العاج في هذه الصورة ، أو وجه الشبه بينهما ، هو الاستدارة وارتفاع الحافة أيضاً ، كما في الصورة الأولى التي شبَّه الشعراء فيها النؤي بحوافي الحوض .

والأسورة المصنوعة من العاج أو الذَّبْل من الحلي التي كان نساء الأعراب في البادية يتزينَّ بها . وهن إلى اليوم يتحلين بحُليّ لا تختلف كثيراً عن هذه الأسورة التي ذكرها الشعراء في القديم .

* * *

وأخيراً نصل إلى الوتد ، وهو الشيء الرابع من بقايا الديار الذي اهتم به الشعراء في شعر الوقوف على الأطلال . فذكروه في شعرهم ووصفوه وصوروه . ولكنهم لم يكثروا من ذكره مثلما أكثروا من ذكر الأشياء الأخرى . وقد شبهوه في أثناء الوصف والتصوير بالشجيج أو المشجوج ،

---

(١) أمالي المرتضى ٢/٣٤ ، وديوانه ٢/٥٨ .

(٢) الحجة : السنة . بها : أي بالدار . ودرس : أي دارس .

(٣) وقف العاج : سوار العاج . برضم موضن : أي النؤي مركوم بحجارة بعضها فوق بعض .

وهو الرجل الذي شُجَّ رأسه. قال حسان بن ثابت في ذلك (١) :

لمن منزلٌ عافٍ كأن رسومَه خياعيلُ رَيْطٍ سابريٍّ مُرَسَّمِ (٢)
خلاء المبادي، ما به غيرُ رُكَّدٍ ثلاثٍ كأمثال الحمائم جُثَّمِ (٣)
وغيرُ شجيجٍ ماثلٍ حالفَ البِلى وغيرُ بقايا كالسحيق المنمنمِ (٤)

والملاقة بين عصا الوتد وبين الرجل الشجيج هي أن الوتد قد ينكسر حين يدق في الأرض، فينفصم إلى شطرين تكون بينها فرجة ضيقة، تبدو كالشجة في رأس الإنسان، فتنبه الشعراء لذلك، أي التشابه بين الشجة في رأس الإنسان وبين الشق في رأس الوتد، وجعلوه وجهاً للشبه، واتخذوه عنصراً للتصوير كما نرى.

وهناك عنصر آخر نفسي في هذه الصورة، وهي مسألة الضرب والدق. فالشجة في رأس الإنسان أثر من آثار الضرب، والانكسار والانفصام في رأس الوتد أثر من آثار الضرب والدق أيضاً. وهذا هو الدافع النفسي الذي جعل الشعراء يقيمون هذا التشبيه في أثناء تصوير الوتد إلى جانب التشابه في الشكل أو المظهر الخارجي. فالملاقة بين عناصر التصوير في هذه الصورة علاقة مادية ونفسية معاً.

وهناك صورة أخرى رسمها الشعراء للوتد في أثناء تصويره، وهي تشبيهه بالرجل الأشعث، وهو الذي قد تشعث شعره، أي تفرق.

(١) ديوانه ٣٩٢ ـ ٣٩٣.
(٢) خياعيل: أي قطع، واحدها خيعل. والريط: ثوب لين طويل الذيل. والسابري: المنسوب إلى سابور ملك الفرس. والمرسم: المزين بالرسوم.
(٣) المبادي: الظواهر. والركد الثلاث: الأثافي الثلاث.
(٤) الشجيج: يريد به الوتد الذي انكسر أعلاه وانفرق فرقين. والماثل: القائم البارز. والسحيق: الثوب السحيق، وهو البالي. والمنمنم: المزين بنقوش صغيرة.

قال حسان بن ثابت في ذلك أيضاً (١) :

أهاجكَ بالبيداء رسمُ المنازلِ نعم، قد عفاها كلُّ أسحَمَ هاطلِ (٢)
وجرَّت عليها الرامساتُ ذيولَها فلم يبق منها غيرُ أشعثَ ماثلِ (٣)

والعلاقة بين الوتد وبين الشعر المشعَّث هي أن أجزاء الخشب وأليافه في رأس الوتد تتفرق من أثر الضرب والدق ، وينفصل بعضها عن بعض دون أن تتقطع ، فتبدو على شكل خيوط متفرقة متشابكة في أعلى الوتد القائم ، كما تبدو اللمة الشعثاء على رأس الرجل .

* * *

هذه أهم الأشياء التي ذكرها الشعراء من بقايا الديار ، وصوروها في شعر الوقوف على الأطلال . وقد عرضنا للصور أو التشبيهات التي أوردوها في معرض الوصف والتصوير . وحاولنا أن نبين أجزاء هذه الصور ، والعلائق التي وجدوها بين هذه الأشياء من بقايا الديار وبين الأشياء التي شبهوها بها . وقد رأينا أن معظم هذه الصور مستمدة من حياة الأعراب في بيئة البادية .

ولقد كانت طريقتنا في هذا العرض والبيان هي طريقة الإيجاز ، والإشارة إلى الأمور العامة ، وترك الأمور الصغيرة التي تدخل في الدقائق ، لأن الاهتمام بها ، والبحث فيها يطول ولا ينتهي . وهو بعد لا يغني كثيراً في مثل هذه الدراسة .

(يتبع) الدكتور عزة حسن

(١) ديوانه ٣١٣ .
(٢) الأسحم : السحاب الأسود .
(٣) الرامسات : الرياح التي تثير التراب فترمس به الآثار ، أي تدفنها . والأشعث : يريد به الوتد الذي قد تشعث أعلاه .

التعريف والنقد

كتاب الديانة

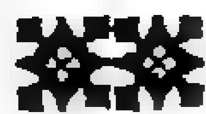
تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

اداب — سورية (صفحاته ١٠٠)

إن خير عمل يقوم به رجال الدين والإصلاح في هذا العصر هو تنوير أذهان العامة ، وتهذيبهم تهذيباً إسلامياً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإسلام الراسخة ، وعقائده الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، وما تضمنته الديانه من الحكم والأسرار ، على وجه يشرب قلوبهم حب التدين ، ويبث فيهم روح النشاط والاغتباط به .

وهذا (كتاب الديانة) يبحث في أركان الإسلام ، من صلاة وزكاة وحج وصيام ، وما اشتملت عليه هذه الأركان من الأحكام ، ففي هذا المؤلَّف بيان لهذه العبادات ، وتفصيل لأحكامها ، وهو ـ كما قال الأستاذ المؤلف ـ قد قرّب البعيد ، ويسّر العسير ، وسهّل الصعب . وجعله في متناوَل أيدي المسلمين يقطفون ثماره ، فجزى المولى تعالى الأستاذ الجليل حمّادة خير الجزاء .

محمد بهجة البيطار



رسالة : صحّح صلاتك

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

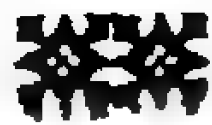
ادلب — سورية

هذه رسالة مهداة إلى الآباء والأمهات ، والمعلمين والمعلمات ، الذين يجب عليهم تعليم أبنائهم وبناتهم أحكام الصلاة وفوائدها ، حتى يكونوا مخلصين لأمتهم ولوطنهم ، وبذلك رفع مستوى الأمة ، وتقدّم حضارتها » .

هذه شذرة من كلام الأستاذ المؤلف في الصفحة الأولى من رسالته الزاهرة تحت عنوان (هدية ثمينة) وقد قدّم ـ حفظه الله في طليعة رسالته ـ التي تبلغ ما يقرب من مائة صفحة بقطع الربع ـ مقدمات نافعة في مدرسة الحياة الإجبارية بعنوان : (الدين النصيحة) ثم بدأ رسالته ، وجعلها محاورة قيّمة بين طالبين ، أحدهما يسأل ، والآخر يجيب . ومن الأسئلة والأجوبة ما هو عامّ ، ومنه ما هو خاصّ بالصلاة وأحكامها ؛ فمن العامّ السؤال عن التقوى وفوائدها ، وجواب المجيب : التقوى هي فعل العبادات ، واجتناب المحرّمات ، وفوائدها كثيرة ، وأورد شواهد من الفوائد منها قوله تعالى : « ومَن يتق الله يجعل له من أمره يسرا » .

وهذا الكتاب (صحّح صلاتك) يزيل عمّن تدبره كلّ إشكال وسؤال ، ويجعله ملتزماً للأحكام ، بصدق وإيمان .

م . ب .



كتاب القضاء والقدر

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

الطبعة الثانية فيها زيادات مهمة على الطبعة الأولى

عدد صفحاته (١٣٠) صفحة طبع بحلب

هذا الكتاب الجليل ، لمؤلفه الأستاذ الشيخ عبد الغني حمّادة الإدلبي ، ألفه داعياً إلى الإيمان بالقدر ، لأنه أحد الأركان الستة ، وهي الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وقد ذكر القضاء والقدر في آي الذكر الحكيم ، في سورة البقرة : « بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » أي إذا أراد إيجاد أمر فإنما يأمره أن يكون موجوداً فيكون ، وفي آل عمران : « قال كذلكِ اللهُ يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » .

وفي الحديث الصحيح : استعن بالله ولا تعجز ، فإن أصابك أمر فقل : قدر الله وما شاء فعل ، ولا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، فإنَّ (لو) تفتح عمل الشيطان .

والكتاب كلّه فوائد وفرائد ، فهو يروي عن الرسول الأمين ، وعن أصحابه والتابعين ، وعن علماء الأمة وحكمائها ، وفيه حكمة إرسال الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين) ومباحث إرادة العبد وقدرته ، وفيه الرحمة والدعاء والسعادة والشقاء ، وعوامل الخير والشر في نفوس العباد ، وهداية الله للناس ، والقضاء المعلّق ، وبحث الضلال والإضلال ، وختَمه بمناظرات خمس ، وبعدها خاتمة الكتاب . وجملة ما بيّنه الأستاذ حمّادة في هذا

الكتاب أن القضاء والقدر ، ليسا هما العجز والكسل ، بل هما الجدّ والعمل ، إلى أن تحين ساعة الأجل ، ومصداقها قول القائل :

مطالب تدعوني وأدعو المطالبا فلا زلت مطلوباً ولا زلت طالبا

نزيد على ما استدركه المؤلف ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٦٩	١	لا تبديل لخلق	« لخلق الله »
٧٢	١١	فهديناه	« فهديناهم »
٧٣	١٤	الارض	« في الأرض »
٧٤	١	يريد بكم	« يريد الله بكم »
٨٨	٤	صوفة	صدقة
٩٤	١٤	لا تهتدى	« لا تهدي »
٩٧	٢١	ازاغوا	« زاغوا »
١٠٧	١٠	أحد	« أحدا »
١٠٧	١٣	من ان	« من قبل أن »
١٠٨	٦	والاحسان وينهى	« والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى »

ص . ب .



أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

تأليف الأستاذ عبد الغني حمّادة

ادلب — سورية

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، أكبر من أن يوصف ، وأشهر من أن يُعرّف ، فقد كان صدّيق رسول الله ﷺ ، وصديّقه فيما جاء به عن ربه عزّ وجل ، وكان المثلّ الإنسانيّ الكامل في محاسنه وخصائصه ومزاياه التي انفرد بها عن غيره ففي تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي[1] أنه لمّا استخلف ألقى كلّ دينار ودرهم عنده في بيت المال ، وقال : قد كنت أتجر فيه وألتمس به ، فلمّا وليتهم شغلوني . وقد تمت بيعته من غير قتال ولا جدال وبايعه من بعد المهاجرون والأنصار ، ولمّا مرض الرسول صلوات الله عليه أمره أن يصلي بالناس ، فكان ذلك أعظم إشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده . وفي السيرة النبوية لابن هشام[2] ، قال النبي عليه الصلاة والسلام انظروا هذه اللافظة في المسجد (النافذة إليه) فسدّوها إلاّ باب أبي بكر فإني لا أعلم أن أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه . وقال يومئذ في كلامه هذا : فاني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان ، حتى يجمع الله بيننا عنده .

ولمّا توفي رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة تقول : صار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم ﷺ حتى جمعهم الله على أبي بكر .

وبعد فهذه سيرة أبي بكر الصديق (رض) كتبها الأستاذ الجليل الشيخ عبد الغني حمّادة الادلبي ، قد اشتملت على عبقرية الخليفة ، وانعقاد الإجماع

(١) ج ١ ص ٣٨٦ .
(٢) ج ٤ ص ٢٩٩ و ٣١٦ .

على خلافته ، وأوصاف الخلفاء الراشدين ، وزهدهم في الدنيا ، وبعدهم عنها ، وعدلهم وفضلهم ، وبهذه المناسبة تذكرت كلمة الأستاذ الكبير فارس الخوري الشهير ، قال لي مرة : الخلفاء الراشدون لا نظير لهم في الدنيا ، ففي عهدهم غنيت الأمة كلها إلاّ الخلفاء فقد آثروا الفقر على الغنى ا ه . مادلّ على خلافة الصديق من آي الذكر الحكيم ، وسنة النبي الكريم ، علمه الجم ، ورعه الأتم ، فضله الأعم ؛ ترجمة الإمام النووي له ، شهادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب له ، خصوصياته التي انفرد بها ، شجاعته التي امتاز بها ، حياته وأعماله في زمن خلافته . إسناد أبي بكر الأعمال ، إلى الأكفياء من الرجال ، قادة الجيوش في عهده لفتح الشام ، حروب النساء في الإسلام المبايعة على الموت ، انقضاض الأبطال على الأعداء اللئام ، حرب الصاعقة ، ولايات الإسلام في عهده ، شذرة من عبقرية عائشة أم المؤمنين وحسن تدبيرها ، عود إلى وصف الصدّيق والصحابة الكرام . الدعوة إلى إحياء ذكرى سلفنا الصالح ودراسة تاريخهم المجيد ، وهذا هو حُسن الختام . فالشكر العطير للأستاذ المؤلف على هذا التأليف الجامع أثابه المولى أجزل الثواب .

استدراك : جاء (ص ١١٦) في وصف الصديق ما نصه : ويستند في أعماله إلى الله ، لا إلى نبيه ورسوله ، بدليل أنه حين توفي رسول الله لم يطش كما طاشت عقول الصحابة ، أقول : لا يخفى أن الإحياء والإماتة هما من أفعال الله تعالى ، فلا تسند إلى غيره ، قال تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها » وأما بيان المجمل في القرآن ، فموكول إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : « لتبين للناس ما نزل إليهم » وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » وهل عُلم من آي الذكر الحكيم عدد ركعات الصلاة ، ومقادير الزكاة وأحكام الصيام ، ومناسك

الحج ؟ أم الذي بيّن ذلك كلّه هو قول النبي وفعله ؟ لا شك إنه لولا بيانه صلوات الله عليه لبقي الأمر مبهماً علينا .

نضيف إلى جدول الخطأ والصواب ، ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠	١٢	وليستحلفنهم	« ليستخلفنهم »
٩٠	٢	خاضموها	خاضوها
١١٢	١	أظهروا	أظهرن
١١٣	١١	بنيب أبيها	ينيب أباها



م . ب .

المختار من أحاديث سيد الأبرار

بقلم جواد المرابط

إنّ خير عمل يقوم به رجال العلم والإصلاح ، هو تنوير أذهان جماهير الأمة ، وتهذيبهم تهذيباً مقتبساً من نور الحنيفية السمحة ، وتفهيمهم أصول الإيمان الراسخة ، والعقائد الصحيحة ، وأحكام العبادات والمعاملات ، على وجه يحملهم على العمل بأحكامه ، والإذعان بأن جميع ما أوجبه الشارع الحكيم أو حرّمه ، هو مبني على جلب المصالح للأمة ، ودرء المفاسد عنها ، وبذلك يكون الله ورسوله أحبّ إليهم مما سواهما ، ويكون امتثالهم للشرع فعلاً وتركاً – امتثالاً مبنياً على الإذعان بأن الشريعة أبرّ بالإنسان وأرفق به من أبيه وأمه ، وأن جميع ما شرعه الله للناس ، فهو لخير مجتمعهم الإنساني ولدفع الشرور والغوائل عنهم ...

وهذا كتاب (المختار من أحاديث سيد الأبرار) تأليف الأستاذ السلفي الصوفي ، السيد جواد المرابط ، الجامع بين هدي الدين ورقي العصر على أكمل الوجوه .

وقد جاء في طليعة كتابه قوله « وبعد : فهذه مجموعة من الأحاديث النبوية ، تعتبر ـ بعد المرجع الأعلى ، والدستور المحكم ، وهو القرآن الكريم ـ ، أرفع ما حوته لغة ، أو وضعه كتاب ، وهي إذ تهدي لسعادة الدارين ، وتجمع بين ما يحتاجه الإنسان في حاجاته الجسمية ، ومطالبه الروحية ، وبما تتضمنه من علاج النفوس ودواء للعقول ، ووسيلة لرقي المجتمع الإنساني ، تعدّ أسمى ما يرشد إلى الحياة الكريمة والعيش الرضي » .

وقد استهلّه بمقدمات بيّن فيها كون السنّة المصدر الثاني للشريعة ، وبأنه أتى منها في كتابه بما يسهل حفظه ويعظم نفعه ، وبما يرغب في سعادة الجنس البشري كله ، وأوضح أن أول من استجاب للدعوة الإسلامية هم أهل الإنصاف والإخلاص ، لجمعها بين الحكمة والرحمة ، وضرب لهذا مثلاً بما سمعه من كلام النبي أحدُ حكماء قريش وحلمائها وأصحاب الرأي فيها ، فكان ذلك من أقوى أسباب إسلامه ، وبوحي الله المعجز وبسنة نبيه الهادي زالت السخائم والأحقاد من قلوب الأوس والخزرج ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً ، وبأسلوب السنة العالي الغالي بعد أسلوب الكتاب المنزل ، اهتدى الصحب الكرام للتفريق بين فضائل الحلال ورذائل الحرام ، ثم نقل الأستاذ الجواد ثمانية قوانين من تلمود اليهود ، وفيها الملكة للعالم كله ، واستباحة دمائهم وأبدانهم وأعراضهم وأموالهم ، وتقديمها للشعب المختار ! وهم جميعاً لا يبلغون على وجه البسيطة كلها أكثر من بضعة عشر مليوناً ! ثم ذكر ما للأحاديث النبوية من توجيهات رفيعة للإنسان ولمجتمعه ولحكومته ، وأبان إحكام الرابطة الدينية بين أهلها ، وأنها أعدل الروابط وأفضلها .

وبعد أن أتم الأستاذ المرابط هذه المقدمات النافعة الرافعة ، أخذ يورد الأحاديث الشريفة ، وجعل لكل طائفة منها عنواناً يشير إليها ، ويدلّ عليها ، فالأولى أدعية مبدوءة بقوله عليه أزكى التحية (اللهم) ، والثانية بعنوان : حقيقة المسلم ، ثم الإيمان ، فأحَد أحَد ، فتمام البر ، فتعلّموا ، فاسمَوا ، فنظام البيت ، فخير الناس ، فاتحدوا ، فآداب اجتماعية ، فالأوامر ، فالنواهي ، فطرق الخير ، فالجهاد ، فأولياء الأمر ، فحرْمة الملكية والتضامن الاجتماعي ، وعقد فصلاً بعنوان (من الحِكم) فقواعد صحية ، ثم عنوان : ارفقوا بالحيوان ، فأصول فقهية ، ثم : لدوا للموت ، فمواعظ ، فمن الأذكار ، ومن المأثورات ، ثم كلمة الختام .

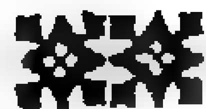
وقد جمع الكتاب فأوعى من هذه المقاصد والفوائد ، وفي كلمته الختاميّة يوجّه الأنظار والأفكار ، إلى ما حــــلّ بجوار الدار من الأرض المحتلة بالصهيونية ، ودعا إلى التضامن والتعاون على تحقيق الرجاء بكشف البلاء والانتصار على الأعداء .

وهذا الكتاب يبلغ مع فهرسه المفصَّل نحو مائتي صفحة .

وفي تعليقات الحكيم الجواد وفرائده ونقوله عن حكماء الغرب ما لا يستغني عن مطالعته مَن ألقى السمع وهو شهيد .

وقد كتب على غلافه (يوزع مجاناً) أحسن الله عمله ، وحقق أمله ، بمنه وكرمــــه .

م . ب .



عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة

تأليف : محمد عزة دروزة

الطبعة الثانية ـ عدد الصفحات ٨٤٨
(عن دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت)
(١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م)

عنوان هذا الكتاب جذاب يستهوي القلوب والألباب ، لما في هذا العصر قبل البعثة وبعدها من الإرهاصات العجيبة والحوادث الغريبة ، انتهت بانتصار الدعوة الإسلامية وتآلف المسلمين كتلة واحدة جبارة ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، بلغت ذروة العز والمجد ، وحملت مشعل العلم والعدالة أجلى بنوره الساطع ظلمات الجهل والظلم ، وكان من هذه الأمة ما كان من المفاخر الخالدة على الدهر .

أتيح لي أن اطلع على هذا الكتاب لمؤلفه الفاضل محمد عزة دروزة ، الذي أضاف إلى مكتبة العالم الديني تحفة جديدة جيدة .

ولقد اعتدتُ ألاّ أباشر قراءة كتاب — أيّ كتاب — إلاّ بعد أن أصحح ما وقع فيه من أخطاء مطبعية مذكورة في جدول التصويب .

وهذا ما عملته قبل مطالعتي هذا الكتاب ، وبعد أن انتهيت من هذا العمل ، أخذت أطالع المتن بإمعان ودقة لطرافة الموضوع الذي تناوله المؤلف ، وأخذ على عاتقه معالجته شرحاً مستفيضاً ، مستلهماً البراهين دعماً لنظرته ، من الآيات البيّنات الواردة في القرآن الكريم ، التي نزلت على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ، كما جاء ذلك في الأرقام (٧ ـ ٨ ـ ٩) من المقدمة المسهبة . وقد ذكر المؤلف فيها الحافز الذي دفعه إلى هذه المحاولة

الحميدة ، في رسم صورة لعصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة ، لتكون هذه الصورة الجديدة تنويراً للنشء العربي الجديد عامةً والمسلم منه خاصةً ، آملاً أن تكون هذه الصورة صلة بينهم وبين القرآن الكريم الذي هو كتاب الدين « الذي إليه ينتسبون ، ومناط الفخر الذي به يفخرون ويمتزون » . فليس كل من يتلو القرآن « يقرأه قراءةَ فهمٍ وإمعان ، ولا يقف عند آياته وقوف التمعن والاستبصار » لتتجلى أمام بصره وبصيرته تلك الصور العديدة الأخّاذة بحسن بيانهـــا ، وروعة أسلوبها ، وبلاغة تعبيرها ، وقوة حجتها .

هذا وشهرة المؤلف في مجال التأليف تغني عن بيان قيمة كتابه الجديد ، هذا الذي أضاف إلى مكتبة المؤلفات العربية مؤلَّفاً ثميناً ببحثه الطريف المستفيض ، بأسلوب سلس مستساغ ، خصوصاً والموضوعات — بأبوابه الأربعة (١) — شيّقة ماتعة .

وقد لفتَ نظري في خلال المطالعة ما كنتُ أجده في نص الآيات الكريمة من الأخطاء التي لم تذكر أصلاً في جدول التصويب وكان الأجدر أن تُولّى العناية التامة بتصحيحها في جدول خاص ، قبل جدول تصويب الأخطاء المطبعية التي حدثت في متن الكتاب . ويغلب على ظني أن يكون المؤلف قد عهد إلى أحد أصدقائه بتصحيح (بروفات الملازم) فكان على هذا الصديق أن يبالغ في تصحيح (بروفات الملازم) التي فيها الآيات القرآنية بوجهٍ خاص ، مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر حتى تخلو من الأخطاء وهي تُقدَّم إلى نشءٍ جديد ، وإلا كان لا بد من ذكر هذه الأخطاء في جدول تصويب خاص ليصححها القارىء ، حرصاً على سلامة الآيات من الخلل ، قبل مطالعة الكتاب لتنطبع في ذهنه سليمةً صحيحة .

(١) الباب الأول في الاقليم والسكان ومعايشهم ؛ الثاني في الحياة الاجتماعية ؛ الثالث في الحياة العقلية ؛ الرابع في الأديان والعقائد .

فكيف سها عن البال وضع مثل هذا الجدول الضروري جداً ، ولا يخفى ما للقرآن الكريم وآياته البيّنات من المقام السامي في نفوس المسلمين وما يولونها من الاحترام والحرص على سلامتها من أيّ خطأ من وجهتي الطباعة والتلاوة .

ولهذا كنت أبادر إلى تصحيح ما أجده في نص الآيات — (التي أحفظ أكثرها والحمد لله) — من الخطأ المطبعي زيادةً أو نقصاً أو في تشكيلها مما يُخلّ بالمعنى كل الإخلال ، ثم أؤكده بالرجوع إلى السُّوَر في مصحف والدي رحمه الله وأجزل ثوابه ، الذي جعل على أطرافه تفسيراً مختصراً بخط يده الجميل من الخط الفارسي (= التعليق) والذي كنت أتلو آياته بتمعن واستبصار في حال حياة والدي وأطلب منه المزيد من التفسير لي ، ثم بعد وفاته احتفظت به وأقرؤه مراراً وتكراراً ، أقول وبعد التأكد من التصحيح كنتُ أسجّل الصواب ، وإلى جانبه صفحة الكتاب والسطر ، في ورقة خاصة جعلتها لهذا الغرض بغية إطلاع المؤلف الفاضل عليها ليتلافاها في طبعة « ثالثة » إذا يسر الله له ذلك ؛ وقد أتاحت لي مجلة مجمعنا تحقيق بغيتي هذه . وإني على يقين من أن المؤلف الفاضل يتقبل هذه الملاحظة الخالصة لوجه الله تعالى بقبول حسن بصدره الرحب ، وأقدّر ما بذله من جهد في تأليفه هذا الكتاب الجديد ، وإخراجه إلى عالم المطبوعات بهذه الحلة البهيجة ، راجياً للنشء الجديد مزيد الانتفاع به علماً وثقافةً ويقيناً .

وفيما يلي جدول بأهم ما بدا لي تصحيحه اختصاراً ، دون الإشارة إلى الخطأ .

صفحة	سطر	
٣٥	٩	بِمُنَذَّبِينَ
٣٥	١٦	تَحْسَبُ
٣٨	٧	مُحْصَنَةٍ
٤٨	٥	ضَرْءاً
٥٦	١٦	دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
٥٦	١٧	وَهٰرُونَ
٥٦	١٨	وَإِلْيَاسَ... وَإِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ
٥٧	١٦	وَكُلٌّ
٦١	٨	لِيُنْذِرَ
٨٨	١٤	وَحَلَّثُوا
١٠٢	١٣	مَانَفِدَتْ
١١٢	١١	رَأَيْتَهُمْ
١١٢	١٣	خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ
١٢٤	١	أُهِلَّ بِهِ
١٣٣	١٤	ذَاتِ حَمْلٍ
١٣٤	٥	يُنْزَقُونَ
١٤٧	٢	عَالِيَهُمْ ... وَإِسْتَبْرَقٌ
١٥١	٢	لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ
١٦١	٩	رَبَّنَا ، إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا
١٦٣	٩	الْحَقُّ ... صِرَاطٍ
١٦٣	١٦	تُحذَفَ : (ولكم لنا أعمالنا)

صفحة	سطر	
١٧٠	١٤	وَكَفَرْتُمْ
١٧٦	١	وَآتَيْنَا
١٧٦	١٤	مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ... أَنْفُسُهُمْ أَنْ
١٨٤	٦	وَلَيَزِيدَنَّ
١٨٥	١٩	مَاعَنِتُّمْ
١٨٦	٢	تُحذف : (وَتُؤْمِنُونَ)
١٨٦	٧	كَيْدُهُمْ شَيْئاً
١٨٧	١٢	الْمُلْك
١٨٩	١٣	مُحَصَّنَةٍ
١٩٣	٨	ذَرُونا
١٩٣	١٣	وَيَهْدِيَكُمْ
٢٠٤	٨	تُحذف : (إنْ)
٢١٢	٩	ثلاثةٍ
٢١٢	السطر الأخير	والنَّصارى
٢١٣	١٢	يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ
٢١٤	٣	أن يُتِمَّ
٢٢١	١٣	أو يَعْفُوَ الَّذي
٢٢٢	١	فَانْكِحُوا
٢٢٦	١٣	يَنْكِحْنَ
٢٢٧	٤	كَرْهاً
٢٢٨	٦	أُمَّهَاتُهُمْ
٢٢٩	١	لا يَحْتَسِبُ
٢٣٣	٣	يُنْشَأُ

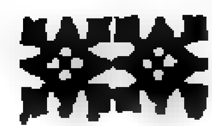
صفحة	سطر	
٢٣٣	٨	قِسْمَةٌ
٢٣٨	٨	مِنْ لَدُنْكَ
٢٤٢	١٠	الْمَحِيضِ ولا ... حَتَّى يَطْهُرْنَ
٢٤٦	١	فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ... لا يَسْتَحْيِي
٢٥١	٣	فَاسْتَشْهِدُوا
٢٥٣	١٠	تَذَكَّرُونَ ... فيها أحَداً
٢٥٣	١١	قيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا
٢٥٥	٥	الإرْبَةِ
٢٥٧	٦	فَرَضَ اللهُ لَهُ
٢٥٧	١٠	النَّبِيِّينَ ... بِكُلِّ
٢٦١	١٤	(وَلَآمُرَنَّهُمْ ... الآية ١١٩)
٢٦٥	٩	أنْ يَكْبَرُوا
٢٦٦	٧	فأنْ
٢٦٩	٢٠	أن تجْعَلوا لِلهِ
٢٧٠	١٢	آوَوْا ونَصَرُوا
٢٧٧	٤	يَوْمَئِذٍ
٢٨٦	١٤	لا يَتَّخِذِ
٢٩١	٢٠	أُدْعُوهُمْ
٢٩٤	٦	يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ
٣٠٩	١٤	حِجُّ البَيْتِ مَنِ
٣١٠	١٢	وآذانٌ

صفحة	سطر	
٣٥٩	١٤ ـ ١٥ ـ ١٧	اُسْتُضْعِفُوا
٣٦٠	٣	لَيَسْجُنُنَّهُ
٣٧٠	١	مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ
٣٨٠	٦	امْرَأَةُ العَزِيزِ
٣٩٧	٨	إنْ كُنْتُمْ
٤٠٤	١٠	خَلَقْتُ ... وجَمَلْتُ
٤١١	٢	[تحذف : « كيف » الثانية لأنها مكررة]
٤١١	٣	[تحذف « فعل » لأنها مكررة]
٤٢٠	١٥	لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ
٤٢٣	١٦	خَرَقَها
٤٢٤	٣	نَفْساً زَكِيَّةً
٤٢٥	٨	لَيَأْتِيَنِّي
٤٢٦	٨	بَلْ أَنْتُمْ
٤٣٦	٢٠	الأُمِّيِّ الذي
٤٤٣	١٧	تُدِيرُونَها بَيْنَكُمْ
٤٥٦	١	يَعْلَمَهُ ... إِسْرائيلَ
٤٥٦	٣	عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ [تحذف « أهل »]
٤٦٢	١٤	مُوسى فَأَمْلَيْتُ
٤٦٣	٧	قُوَّةً وأَثارُوا الأَرْضَ
٤٦٣	١١	لَعَمْرُونَ عَلَيْهِمْ
٤٧٤	١٤	عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ

صفحة	سطر	
٤٩٣	١١	لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ
٥١١	١٠	ما هذا إِلَّا إِفْكٌ
٥١٣	٥	شَاءَ اللهُ
٥١٥	٣	بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ
٥١٥	٨	ما يَزِرُونَ
٥٢٥	٤	وإذا أُنْزِلَتْ
٥٢٧	٦	لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ
٥٤٤	٤	مِنْ بَعْدِ أَنْ
٥٤٥	١٦	يَفْضُلُ مِنْ ذَلِكُمْ
٥٤٩		يحذف السطر الأول كله لأنه مكرر
٥٤٩	٢	[يحذف « إن هذا لشيء »]
٥٦٦	١٢	بَعْدَ أَنْ
٥٨٥	١	فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
٦٠٣	٥	(وَإِنَّ مِنْهُمْ)
٦١٢	٨	أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ
٦٢١	١٩	اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
٦٢٢	٣	وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا
٦٢٣	٥	اللَّذَيْنِ
٦٤٥	١	وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
٦٤٧	٢	[تحذف : « قال لم »]

صفحة	سطر	
٦٤٧	٢	مَعَ السَّاجِدِينَ قالَ يا إبْلِيسُ مالَكَ ألاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قالَ لَمْ
٦٤٧	٥	قالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي
٦٧١	١٧	لِيَحْكُمَ
٦٧٨	٢	لَيَكُونَنَّ
٦٧٨	١٠	سُخْرِيًّا
٦٨٠	٣	لَتَسْفَعَنْ
٧٠٣	١٠	مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً
٧٠٧	٧	قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ
٧٠٧	٧	بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ
٧٠٧	٨	يا بَنِيَّ إِنَّ
٧٠٧	٩	الْمَوْتُ إِذْ قالَ
٧٠٧	٩	ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي
٧٠٨	١	إلى إبْرَاهِيمَ ... وَالأَسْباطِ
٧٠٨	١٣	فَلِمَ تُحَاجُّونَ
٧٠٨	السطر الأخير	لِلَّذِينَ
٧١٣	١	أَراغِبٌ أَنْتَ
٧١٧	٤	قِيَماً
٧٢٩	١١	والعاكِفِينَ
٧٣٤	٦	فَلَنُوَلِّيَنَّكَ ... الحَرَامِ
٧٣٩	١	وما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ

صفحة	سطر	
٧٣٥	٢	وما بَعْضُهُمْ بِتابِعٍ
٧٣٩	٤	وَمَنْ يُرِدِ اللهُ
٧٤١	٨	لِتَحْسَبُوهُ
٧٤٤	٢	آيَةً
٧٥٣	٥	الرَّسُولَ النَّبِيَّ
٧٦١	٢٢	بَشَرٌ
٧٦٦	١٣	يا أُخْتَ ... سَوْءٍ
٧٧٢	٧	لَيَكُونَنَّ
٧٨٥	٤	بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
٦٨٧	٩	إِذْ قالَ
٧٩٣	٤	فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ
٧٩٣	١١	وَآتُوا الزَّكاةَ
٧٩٩	٣	أَوْ لامَسْتُمْ
٧٩٩	٦	وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
٨١٨	٦	خالِصَةً
٨٢٣	١٧	مِنْ عِنْدِ
٨٢٦	٣	تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ
٨٣٤	٤	أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِها
٨٣٥	١١	الْيَوْمَ عَلَيْكَ
٧٣٧	٥	لِيُثَبِّتَ
٨٣٨	١	الرُّوحَ



الكواكبي

ذكرياتي عن وادي الفرات

عام ١٩١٦ م

بقلم : أحمد وصفي زكريا

تحقيق : عبد القادر عياش

عدد صفحاتها ٥٦

من منشورات مجلة صوت الفرات ـ دير الزور ١٩٦٨ م

ولد صاحب هذه المذكرات سنة ١٨٨٩ م ، وتخرج بالمدرسة الزراعية العليا في استانبول سنة ١٩١٢ ، وعين مدرساً في المدرسة الزراعية بسلمية من أعمال محافظة حماة ، فمديراً لها ، ثم نقل إلى دار الحرير بيروت سنة ١٩١٤ ، فمديراً للمدرسة الزراعية في الأطرون بفلسطين سنة ١٩١٦ . وكلف في السنة نفسها بمهمة مكافحة الجراد في دير الزور حاضرة وادي الفرات الأعلى ، وكان ضابط احتياط في الجيش العثماني برتبة ملازم .

ولما تألفت الحكومة العربية الفيصلية ، كلف بمديرية مدرسة سلمية الزراعية ، وكانت قد عطلت فأعاد فتحها ، ومكث فيها خمس سنوات .

وفي عام ١٩٢٤ عين مفتشاً لأملاك الدولة ، وبقي في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٣ ، ثم عين مستشاراً فنياً للشئون الزراعية باليمن ، وقد مكث فيه سنتين .

وكلف سنة ١٩٣٨ من قبل حكومة العراق ليدرس الزراعة في مدرسة دار المعلمين الريفية ببغداد ، وبقي في هذا المنصب إلى عام ١٩٤١ .

وأخيراً عينته الحكومة السورية مفتشاً لوزارة الزراعة ، وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أحيل على التقـــاعد بمناسبة بلوغه السن القانونية . وتوفي بدمشق في ٢١ نيسان ١٩٦٤ .

ولم تقتصر حياة المهندس الزراعي احمد وصفي زكريا العلمية على المباحث الزراعية بل تعدى ذلك ، فبحث في التاريخ والآثار والجغرافية والرحلات الخ . . من الابحاث التي لها صلات وثيقة بمجتمعنا القديم والحديث .

ومن آثاره المطبوعة : الدروس الزراعية ، الفكرة الزراعية ، زراعة المحاصيل الحقلية ، جولة أثرية في بعض البلاد الشامية ، عشائر الشام ، والريف السوري ، ولايزال بعض مؤلفاته مخطوطاً ككتابه عن الطيور .

وأما ذكريات الاستاذ وصفي زكريا عن وادي الفرات قبل خمسة وأربعين عاماً ، فوصف فيها كيف تلقى الأمر بالسفر عن دير الزور ، وكان يقضي دور النقاهة من الحمى النمشية (والتيفوس) ، فركب القطار من محطة المفولة متوجهاً الى دمشق ، فحلب ، ومنها استقل مركبة متواضعة تابعة لدائرة البريد ، فوصف الطريق وصفاً رائعاً ، وتمثل ببعض الأبيات الشعرية ، وذكر القرى والمراكز التي صادفها بطريقه ، فذكر النيرب ، وبرية خساف ، ودير حافر ، وخان الشمر ، ومسكنة ، وقرية أبي هريرة ، وموقع الحمام ، وتل الثديين ، والرقة ، والسبخة ، ومخفر معدان ، وسهل الحادي ، ومخفر التبني . ثم ختم بحثه بوصوله إلى دير الزور ومقابلته متصرفها علي سعاد ، ثم وصف مدينة دير الزور وصفاً دقيقاً لمعالمها ، فأحسن الوصف وأجاد . رحمه الله وجازاه خير جزاء على ما قدم من خدمات لأمته في العلم والأدب ، كما تقدم الشكر للأستاذ المحامي عبد القادر عياش على ما بذله من جهد في تحقيق هذه الذكريات .

عمر رضا كحالة

بلاد العرب

تأليف : الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق : حمد الجاسر وصالح العلي

عدد صفحاته ٥٢٧

من منشورات دار اليمامة ـ الرياض ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

يعد هذا الكتاب من أقدم آثارنا القديمة ، فهو يرجع إلى الربع الأول من القرن الثالث الهجري ، وقد نقل عنه عدد من قدماء الباحثين في جغرافية بلاد العرب ، ومنازل القبائل كنصر بن عبد الرحمن الاسكندري الفزاري ، والزمخشري ، وياقوت الحموي .

في هذا المؤلف تحديد أجزاء كثيرة من منازل العرب التي كانت تقطن وسط شبه جزيرة العرب ، وقد حاول مؤلفه أن يذكر ما لهذه القبائل من مناهل وجبال وأمكنة .

وحوى هذا السفر معلومات طيبة تتعلق بالقبائل كأنسابها وأسماء شعرائها ولهجاتها ومنازلها وغير ذلك من معلومات قيمة ، ومتممة لما بين أيدينا من مباحث وموضوعات في هذا المضمار . وقد اعتمد المؤلف في تحديد المواضع على المشاهدة والخبرة مما جعل بحثه سليماً ودقيقاً .

وورد في الكتاب المذكور بعض المعلومات عن معادن قلب شبه جزيرة العرب ، مما تساعد الباحثين في دراسة التاريخ الاقتصادي لجزيرة العرب .

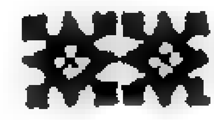
وفي الكتاب ذكر للمواضع التي تتفق في الاسم ، ولكنها تختلف باختلاف القبائل التي كانت تسكن في تلك النواحي .

وقد وضع المحققان الفاضلان للكتاب فهارس قيمة وهي : مباحث الكتاب ، أسماء الأودية والجبال والمياه والأمكنة ، المعادن ، القبائل والعشائر والأفخاذ

والأسر ، الرجال والنساء ، أسماء الشعراء ، الشعر ، النبات ، الأيام ، كلمات لغوية ، والمصادر التي ورد ذكرها في الهوامش ، مما سهل على الباحثين والمطالعين عملهم ؛ وحبذا لو عمل المحققان المدققان للكتاب مخططات للبلدان ومنازل القبائل ، مما يساعد على كشف غامض نص الكتاب ، ولم شعث مباحثه .

وبالختام نشكر الأستاذين الفاضلين على ما بذلا من جهد في تحقيق هذا الكتاب القيم ، الذي يعد من أقدم المراجع التي وصلت إلينا بعد الرواة القدماء أمثال الأصمعي وغيره من العلماء ، متمنين لهما كل توفيق ونجاح .

ع . ك



تاريخ خليفة بن خياط

رواية : بَقي بن مَخْلَد

تحقيق : سهيل زكّار

القسم الأول : عدد صفحاته ٤٥٣

من منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي بدمشق ١٩٦٧ م

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عمرو خليفة بن خياط العُصْفري التميمي البصري ، الملقب بشباب ، محدث إخباري نسابة ، وهو سليل أسرة علم وفضل ، بجده الذي يحمل اسمه ، كان من رجال الحديث الثقات عند البخاري وابن أبي حاتم الرازي ، وقد أخذ خليفة الحفيد العلم عن عدد من الشيوخ كيزيد بن زُرَيع الذي كان خليفة ألصق به سواه ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ وكان من أبناء الثمانين .

له من الكتب الطبقات ، التاريخ ، تاريخ الزَّمن والمرجان والمرضى والعميان ، وأجزاء القرآن وأعشاره وأسباعه وآياته .

وقد ترجمه عدد من أصحاب التراجم كالذهبي في سير النبلاء وتذكرة الحفاظ والميزان ، وابن النديم في الفهرست ، وابن حجر في تهذيب التهذيب وغيرهم ، وقد عده البخاري من الثقات ، كما فعل ذلك الذهبي ووثقه في معظم كتبه .

وأما تاريخ خليفة فهو من أقدم ما انتهى إلينا من كتب التاريخ ، فهو يتناول فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى اثنتين وثلاثين ومئتين ، وقد استهل كتابه عن وضع التاريخ وميلاد الرسول ﷺ ، ثم أخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الأولى للهجرة ، باسطاً ما جرى فيها من أحداث ومغاز وثورات ، حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة .

وإذا استوفى الحديث عن عهد خليفة من الخلفاء اتبع ذلك ذكر من ولوا كل اقليم من أقاليم الدولة على عهده ، ثم من ولوا القضاء في الأمصار ولا سيما في المدينة ومكة والبصرة والكوفة ، ثم من تولوا حجابة الخليفة ، والشرطة والكتابة وبيوت المال والخاتم والبريد ، ثم يذكر أسماء الرسل والسفراء.

ويذكر المؤلف عقب الحديث عن كل معركة كبيرة هامة ، كبدر وأحد الحرة وقديد أسماء الذين لقوا حتفهم في هذه المعارك .

ونجد في هذا التاريخ وفيات كثير من أئمة الحديث ورجال الإدارة والحكم ، كما أولى المؤلف أخبار الدولة الأموية عناية خاصة .

وأما راوي هذا التاريخ فهو أبو عبد الرحمن بقي بن مَخْلَد بن يزيد القرطبي ، وقد كان محدثاً حافظاً ، فقيهاً مجتهداً ، ولد في رمضان سنة ٢٠١ هـ ،

ورحل إلى مكة والمدينة ومصر والشام وبغداد ، وروى عن مائتين وأربعة وثمانين شيخاً ، منهم أحمد بن حنبل ، ورجع إلى الأندلس فملأها علماً وتوفي بها سنة ٢٧٦ هـ ، وقيل غير ذلك . له من الآثار : تفسير القرآن ، كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم وعدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث عن النبي ﷺ .

وقد ترجمه عدد من أصحاب السير والتاريخ كالذهبي في سير النبلاء وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وابن الفرضي في تاريخ العلماء والرواة وياقوت في معجم الأدباء والمقري في نفح الطيب . والحميدي في جذوة المقتبس والسيوطي في طبقات المفسرين .

وأما النسخة التي اعتمدها المحقق فهي من مخطوطات الخزانة العامة في الرباط وهي جيدة وقديمة نسخها أحمد الأشعري سنة سبع وسبعين وأربعمائة للهجرة ، وعليها مقابلة تمت عام تسع وسبعين وأربعمائة ، وبلغت دقة صاحبها أنه أثبت في هوامشها ما وقف عليه من إختلاف بين النسخ ، كما علق عليها بعض التعليقات المفيدة .

ولا بد لنا قبل أن نختم كلمتنا من الشكر للمحقق الفاضل على ما بذل من جهد في تحقيق هذا التاريخ متمنين له كل تقدم ونجاح .

ع . ك

الدر المنتثر

في رجال القرن الثاني والثالث عشر

تأليف : علي علاء الدين الآلوسي

تحقيق : جمال الدين الآلوسي وعبد الله الجبوري

عدد صفحاته : ٢٦٠

من منشورات وزارة الثقافة والارشاد ببغداد ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧ م

ولد مؤلف هذا الكتاب عام ١٢٧٧ هـ = ١٨٦١ م ، وأخذ العلوم النقلية والعقلية عن أبيه نعمان خير الدين وابن عمه محمود شكري الألوسي واسماعيل الموصلي ، ورحل إلى القسطنطينية ، وتعلم اللغتين التركية والفارسية وانتظم في سلك طلاب مدرسة النواب (القضاة) ، ونال شهادتها .

وعين قاضياً مدة من الزمن ، وانتخب عضواً في المجلس العمومي لولاية بغداد ، وتوفي سنة ١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢ م . من آثاره : نظم الاجرومية ، فوائد وتعليقات في النحو ، منظومة في الظاء والضاد ، منظومة في علاقات المجاز ، نظم سور القرآن الكريم ، وديوان شعره .

وقد قدم المحققان الفاضلان لهذا الكتاب مقدمات بلغت ٨٤ صفحة ، أوردا فيها الأبحاث الآتية : نظرة تاريخية عامة ، الثقافة الدينية والأدبية في القرن التاسع عشر ، الأسرة الألوسية ، أبو الثناء محمود شهاب الألوسي ، نعمان خير الدين الألوسي ، مخطوطات الكتاب ، ومراجع تراجم رجال القرنين الثاني عشر والثالث عشر .

وأما الدر المنتثر الذي نحن بصدد تعريفه ، فقد ترجم فيه الأشخاص الآتية : محمد أمين السويدي ، محمد أمين الواعظ ، اسماعيل أفندي مدرس

جامع الصياغين ، أحمد بن علي شرف الأعمى ، عبد السلام الشواف ، ابراهيم البصري ، عبد الغفار الأخرس ، أحمد النقشبندي الخالدي ، صالح التميمي البغدادي ، عبد الجليل البصري ، الملا عبد الرحمن أبو بكر الشافعي موسى الطالقاني الشجعي ، حماد الكواز الحلي ، أوسطا علي البناء البغدادي محمد سعيد أفندي مفتي بغداد ، حسين الايراني ، عمر الخضيري البغدادي ، رفعت بن أحمد آغا ينكجري اغاسي ، صالح جلبي بن محمد سعيد الشابندر داود بن جرجس العاني النقشبندي ، حسن بن أحمد آغا الكولة مند ، يوسف ضياء باشا الكردي ، علي السويدي البغدادي ، أحمد شاكر الالوسي احمد قاضي قصبة الزبير ، عبد الوهاب بن عبد القادر أمين الفتوى ، حيدر الحلي ، وخالد النقشبندي .

وأتبع المحققان الكتاب عدة فهارس سهلت على المطالع والباحث عمله ، وهي فهارس للاعلام والملل والقبائل والأمكنة والبقاع والكتب والقوافي والمراجع والتصويبات والموضوعات .

وقد عثرنا أثناء مطالعتنا الكتاب على بعض الأخطاء ، نرجو تصحيحها في الطبعة الثانية وهي : قولها : خير الدين الزركلي ولد سنة ١٨٩١ م ، والصواب : ولد ليلة ٩ ذي الحجة ١٣١٠ هـ ٢٥ حزيران ١٨٩٣ م في بيروت .

وقولها : عبد الرزاق البيطار توفي سنة ١٣٢٥ هـ ، والصواب أنه توفي سنة ١٣٣٥ هـ .

وقولها : أدهم الجندي ولد في دمشق سنة ١٩٠٥ م ، والصواب : ولد في حي أبي الهول بحمص سنة ١٩٠٢ م .

وقولها : أحمد الجندي ولد بدمشق سنة ١٩٠٦ م ، والصواب : ولد بسلمية من مناطق محافظة حماة سنة ١٩١٠ م .

وبالختام نشكر المحققين الفاضلين على ما بذلا من جهد في نشر هذا الكتاب متمنين لهما التقدم والنجاح .



ع . ك

الاسلام والثقافة العربية
في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب

تأليف : أنور الجندي

عدد صفحاته ٤٠٠

طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة

قال المؤلف في فاتحة كتابه : منذ سنة ١٩٦٠م وسعت أبعاد دراستي ، فلم تعد قاصرة على الأدب العربي المعاصر والصحافة العربية « تاريخها وتطورها واعلامها » وأوغلت في مجال أوسع أفقاً وأرحب ، ذلك هو مجال الفكر العربي المعاصر في لقائه مع الفكر الغربي بشقيه ، ومن هنا أصبحت دراساتي تضم الاجتماع والدين والفلسفة والحضارة والتراث ، بدا ذلك بكتابي « الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية » ثم توسع بدراسه في جزأين ، معالم الفكر العربي المعاصر ، الثقافة العربيـة في معركة التغريب والشعوبية .

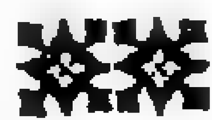
ثم قدمت دراستين متكاملتين : (١) أضواء على الفكر العربي الإسلامي (٢) وصفحات من أمجادنا .

ثم كان لا بد من استقصاء كامل لما وجه للفكر العربي الإسلامي من شبهات واتهامات يتمثل ذلك في هذا الكتاب .

ويتألف الكتاب الذي نعرفه من الموضوعات الآتية :

مقاومة الاستعمار ، معركة الفكر ، التجديد والبعث وفتح باب الاجتهاد ، تياران في الفكر الاسلامي : الثورة السياسية والتربية ، خطان متوازيان : السلفية والصوفية ، الاجتهاد والتقليد ، الإسلام بين المقاومة والتمدد ، تحديات في وجه الفكر الإسلامي ، الدفاع ورد الفعل ، الاستعمار والتغريب ، حركة التبشير ، حركة الاستشراق ، حملة الغرب على الإسلام والعرب ، مقاومة التغريب ، شبهات حول محمد ﷺ ، شبهات حول الإسلام والمدنية ، هل الإسلام عائق عن الثقافة ، الإسلام والتقدم ، الإسلام وحرية الفكر ، الإسلام والعالم ، الإسلام والعلم ، عقائد الإسلام ، الإسلام والفكر العربي القديم ، أخطاء الفكر ؛ الإسلام والفروسية ، الإسلام والتصوير والرسم ، الإسلام ونفسيات الشباب ، النفسية العربية ، الفكر العربي الإسلامي فكر تجديدي ، مدنية الإسلام والعناصر غير العربيـة ، جوهر الفكر العربي الإسلامي ، شبهة التعصب ، المستشرقون والسنة ، شبهات حول الشريعة الإسلامية والفكر الروماني ، بين الشريعة والفكر الروماني ، شهادات للشريعة الإسلامية ، شبهات حول القرآن الكريم ، شبهات حول اللغة العربية ، شبهات حول الأدب العربي ، شبهات حول التاريخ العربي الإسلامي ، الدين والضمير ، مفهوم الجهاد ، تحرير البحث الأدبي من الدين والقومية ، الخلاف بين التاريخ والقصة في القرآن ، جذور الشعوبية ، دور الشعوبية في التاريخ ، وفلسفة التاريخ .

وقد دافع المؤلف الفاضل في كتابه هذا عن العرب والإسلام وما دار حولها من شبهات ، وفند أقوال المغرضين والمتقولين بأسلوب مبين ومنطق سليم فجزاه الله خير جزاء .



ع . ك .

كتاب النساء الحاكمات في الدول الاسلامية

تأليف الدكتورة بحرية اوچ اوق

مدرّسة تاريخ الإسلام في كلية الإلهيات بجامعة أنقرة

مطبعة مجمع التاريخ التركي في أنقرة ١٩٦٥

موضوع هذا الكتاب بحث جديد وطريف في تاريخ الإسلام . درست فيه مؤلفته الدكتورة بحرية تاريخ النساء الحاكمات اللواتي اعتلين سدة الحكم في الدول الإسلامية . وهو يُعَدّ بحق بحثاً جامعياً Académique جيداً ومحكماً .

وقد عرفتُ الدكتورة بحرية في أنقرة حين كنت أدرس اللغة العربية في كلية الإلهيات هناك . وعرفت فيها الجد والذكاء والمعرفة . وكتابها هذا مصداق لما عرفته عنها .

ولم يطرق هذا الميدان في تاريخ الإسلام أحد من المؤرخين القدامى ، أو الباحثين المحدثين قبل الدكتورة بحرية . ولم أجد بحثاً أو كتاباً مفرداً في هذا الموضوع قبل كتابها .

رجعت المؤلفة في أثناء بحثها إلى عشرات من المصادر جاوز عددها المائة ، بين مطبوع ومخطوط ، كتبت في عدة لغات غربية وشرقية ، منها اللغات العربية والتركية والفارسية ، وهي أمهات اللغات الشرقية التي كتب بها تاريخ الإسلام ، وصيغت فيها الثقافة الإسلامية . ثم أقامت كتابها على مقدمة جعلتها مدخلاً لبحثها ، وعلى أحد عشر باباً درست فيها تاريخ النساء الحاكمات في الإسلام ، وعلى خاتمة ختمت بها الكتاب .

* * *

بيَّنت المؤلفة في المدخل أن تولي النساء الحكم أمر معروف في تاريخ الإنسانية . وذكرت مثالاً على ذلك بعض شهيرات النساء الحاكمات في التاريخ .

منهن بلقيس ملكة سبأ ، وزنوبيا ملكة تدمر ، وكليوبترة ملكة مصر ، وتيودورا امبراطورة بيزنطة ، وغيرهن . كما ذكرت بعض النساء الحاكمات في أيامنا الحاضرة ، مثل أليزابيت الثانية ملكة بريطانية ، وجوليانة ملكة هولندة . ثم عرضت مسألة الامتناع عن تولية النساء الحكم في الإسلام استناداً إلى الحديث المروي عن الرسول ﷺ وهو : « لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملّكوا ابنة كسرى قال : لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة [1] » . وقالت إن النساء قد تولين الحكم مع ذلك في بعض الدول الإسلامية .

* * *

وفي أبواب الكتاب ذكرت النساء الحاكمات في الدول الإسلامية ، ودرست تاريخهن ، وهن :

١ — السلطانة جلالة الدين رضية بنت السلطان شمس الدين إيلتتمش ، التي تولت الحكم سنة ٦٣٤ في دولة المماليك الأتراك في شمالي الهند .

٢ — الملكة شجرة الدر التي تولت الحكم سنة ٦٤٨ في مصر . وهي أول سلاطين المماليك البحرية الذين خلفوا الأيوبيين .

٣ — قتلغ تركان خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٥٥ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان .

٤ — صفوة الدين پادشاه خاتون التي تولت الحكم سنة ٦٩٣ في دولة الأتابكة من آل براك في إقليم كرمان أيضاً .

٥ — أبش خاتون التي تولت الحكم سنه ٦٦٣ في الدولة السلغرية في إقليم فارس .

٦ — دولة خاتون التي تولت الحكم سنة ٧١٦ في دولة الأتابكة من آل خورشيد في إقليم لورستان .

---

(١) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر العسقلاني ١٣/٤٦ (طبعة بولاق سنة ١٣٠١) .

٧ ــ السلطانة ساتي بك خان التي تولت الحكم سنة ٧٣٩ في الدولة الإيلخانية في إيران والعراق .

٨ ــ تندو (دوندي) خاتون التي تولت الحكم سنة ٨١٤ في الدولة الجلائرية في العراق .

٩ ، ١٠ ، ١١ ــ الملكة خديجة بنت جلال الدين عمر ، والملكة مريم بنت جلال الدين عمر ، والملكة فاطمة داين بنت محمد ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ٧٤٨ إلى سنة ٧٩٠ في جزائر مالديف (ذيبة المهل) في المحيط الهندي .

١٢ ــ السلطانة فاطمة بيكم التي تولت الحكم سنة ١٠٨٨ في إمارة قاسم في روسية .

١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ــ الملكة صافية الدين تاج العالم ، والملكة تقية الدين نور العالم ، والملكة زاكية الدين عناية شاه ، والملكة زينة الدين كمالات شاه ، اللواتي تولين الحكم بالتوالي من سنة ١٠٥١ إلى سنة ١١١١ في مملكة أتشية بجزيرة سومطرة .

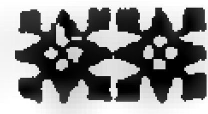
* * *

وفي الخاتمة بينت المؤلفة أن تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية قد بدأ في أواسط القرن السابع من الهجرة . وعللّت ذلك بضعف الخلفاء العباسيين ، وإيذان دولتهم بالسقوط والاضمحلال ، واستغناء الملوك والسلاطين في الأطراف عن رسم الخليفة بتوليتهم الحكم ، ثم سقوط الخلافة العباسية أخيراً باستيلاء هولاكو المنولي على بغداد سنة ٦٥٦ . وكان الخلفاء العباسيون لا يرسمون بتولية النساء الحكم استناداً إلى قول الرسول ﷺ الذي ذكرناه آنفاً .

وذكرت المؤلفة سبباً آخر لبدء تولي النساء الحكم في الدول الإسلامية في هذا الزمن الذي عينته . وهو أن النساء اللواتي تولين الحكم في الدول

الإسلامية ، ماعدا الدول التي قامت في جزائر المحيط الهندي ، ينتسبن جميعاً إلى سلالات تركية ومغولية ، دخلت العالم الإسلامي ابتداء من القرن الرابع ، وأمسكت بزمام الأمور فيه ، وأقامت الدول في أنحائه . وكانت لهم تقاليد وعادات وآراء جديدة في الحقوق العامة ، حملوا آثارها معهم . وتعتبر المؤلفة كون النساء الحاكمات في الإسلام جميعاً من هـذه السلالات دليلاً على إعطائهم المرأة قيمة خاصة في الحقوق العامة عندهم .

والخلاصة أن هذا الكتاب دراسة جامعية قيمة . وهو الكتاب الوحيد في موضوعه ، في القديم والحديث ، كما قلنا في أول كلامنا .



الدكتور عزة حسن

حول ديوان ابن النقيب
١٠٤٨هـ — ١٠٨١ هـ

كان المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم) قد تكرّم بنشر ديوان ابن النقيب السيد عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الحسيني الشامي المعروف بابن حمزة . . وأناط مهمة المراجعة والإشراف على الطبع بالأستاذ الفاضل أحمد الجندي ، وصدر الديوان في عام ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .

وقبيل صدوره ، بادرت بجمع جملة من الهفوات التي ندّت عن الخاطر وبعثت بها إلى المجمع الموقر ، لجعلها لحقاً بالديوان أو مستدركاً له ، غير أن تنفيذ هذه الرغبة لم يحقق ، لظروف أحسبها قامت حائلاً دون ذلك ، وأغلب هذه الهفوات طباعية ، على الرغم من الجهد الجليل الذي أنفقه الأستاذ الجندي ، وفي أثناء زيارتي لديار الشام في ربيع عام / ١٩٦٧ م ،

أشار عليّ بجمع هذه الملاحظات ثانية ، الأخ الأستاذ عبد المعين الملوحي ، وعند عودتي إلى بغداد ، أخـذت بتأليفها تمهيداً لإرسالها إلى مجلة المجمع الغراء ، فكانت ماهو مرقوم ، وقد كُتب لها ألاّ تنشر في حينهـا ، لما أصاب الأمة الصابرة المصابرة ما أصابها من ويلات لا أودّ التصريح باسمها لمرارتها الأليمة ...

صفحة

١٨ تكون الأبيات ، ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، كما يلي :

وإذا صحّف مقـلو بأ لخرز الخلفـاء

ومن الياقوت والمر جان حلي للنسـاء

ما اسم ثلاثيّ ترا هُ حين تقلبه ثنائي

١٩/ البيت ٤ . صوابه ، لو أنسَ

١٩/ س ١٠ . من الهامش « مراتعُ » .

٢١/ س ١١ . من الهامش ، عمامة ، (بالعين المهملة) .

٢١/ س ١٤ . من الهامش ، تحلُّ ، (بضم الحاء) .

٢٣/ ٥ ،

وابتكار إلى مزاهر أبحا ث نمتها لواقح الألباب

٢٣/ ٨ فلسطين خير .

٢٣/ ٩ ،

سيّد لم تزل مآثره تز داد مرّ الشهور والأحقابِ

٢٤/ ٥ ،

نرتجي منكم الإجازة في البن وي مهراً فتلك أقصى الطلاب

صفحة

٢٤/ ٩ ،

وابق واسلم مرقه البال ما خطّ يراعٌ حرفاً بصدر كتاب

٣٣/ ١٠ ، الإطراب .

٣٦/ ٦ ، خليط .

٣٧/ ٧ ، نهّاب .

/ ٦ الأخير من الهامش ، مستقع .

١٦/ ٢ لم أقف على مبهم كلمة (عرادة) حيث لم يعرف أبو الطيب بهذا النعت .

٣٨/ ١ من الهامش ، المتغنين .

٣٨/ ٥ تضاف ، للخليع ، ... ديوانه ، صفحة ٢٧ ، نشره ، أحمد عبد الستار فراج .

٣٩/ ١ خلّفت .

٣٩/ ٢ من الهامش ، يحذف لسقوط تمام العبارة .

٤٢/ ٤

يكاد يسحر إن فا ءَ بالقريض القلوبا

٤٣/ ٧ يهدي .

٤٣/٣ من الهامش ، يحذف .

٥٥/٩ من الهامش ، وإنا .

٥٧/١ لستُ .

٥٨/٥

ثم للقراصيا مثلتهـــا من صفاها كأنه مثبوتْ

صفحة	
٥٨/٣	الهامش ، تضاف « أبي » بعد (للامام) .
٥٩/٤	عارضُه .
٦٠/٥	بلأّل .
٦٦/٥	الهامش ، حبير ، جمع حِبْرة .
٧٣/١	داريّة .
٧٥/٣	من الهامش ، الأرجح حذفه .
٧٥/١	صوابه ، يشير إلى معاذ بن مسلم الهراء ، المتوفى سنة/١٨٧ هـ ، الشاعر المعمَّر ، وفيه يقول ، سهل ابن أبي غالب الخزرجي ، قل لمعاذ إذا مررت به قد ضجّ من طول عمرك الأمد
٧٨/٩	لامَنى وَلجا ، ويحذف الهامش رقم (٢) .
٧٨/	الأخير مينّح .
٨٤/٧	يفدّى .
٨٩/٤	المضان ، وتضاف إلى أول التعليق رقم (٤) وهما زيد بن الحرث النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي ، عالما العرب بحكمها وأيامها ، يضرب بهما المثل في الفصاحة ، فيقال : « أفصح من المضين » . وقد ورد ذكرهما في الديوان ، في أكثر من موضع .
٩٢/	ترجمة : كوبريلي أحمد باشا ، في قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي (٥ / ٣٩٠٧) .
١٠٥/٨	يضاف « نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب » . وهو مطبوع غير مرة ، والمقري هو أحمد بن محمد التلمساني المتوفي سنة/١٠٤١هـ .

صفحة

١٣٤/	الأخير ، لعلها ، لهجته .
١٣٦/٢	الهامش ، يضاف ، كتاب الديارات للشابشتي ، تحقيق الأستاذ كوركيس عواد .
١٣٧/٣	الهامش ، يحذف .
١٦٩/٢	يريد ، يا منازل ، حذف اللام ، للترخيم .
١٨٩/٣	الهامش ، يحذف .
١٩٠/٢	لعلها ـ الإعارة .
١٩١/٤	الصواب ، بسكون الياء المثناة .
١٩٦/٣	لا أنسَ ، والنجاشي ، لعله يريد به ، الصائد .
٢٠١/١٠	تنساح (بالمهملة) .
٢٠٣/١	ينظر صفحة/٧٥ ، (من هذا الثبت) .
٢١٧/٤	المطرزيُّ ، ولعله يشير إلى مسألة نحوية .
٢٢١/١٠	ينظر عنها مراصد الاطلاع (١/١٥١ و ٢/٩٢٥) .
٢٢٤/١	ترجمته في خلاصة الأثر (٣/٢٣) .
٢١٩/٣	جلّق .
٢٣١/٩	البيت مدوَّرٌ ، والمجادة ، من الفعل ، مجد ـ ككرام ، مجداً ، ومجادة . فهو ماجد ومجيد .
٢٣٩/٢	من الهامش ، يحذف .
٢٤٠/٢	تحذف الياء ، ويحذف الهامش رقم/١ .
٢٤٠/٩	بالي .

صفحة

٧/٢٤١

انه فضلُ كأس فضل تحسّا ◦ دواء فاستبشرت آمالي

١٠/٢٤١ جُنُبَتْهُا .

٢/٢٤٢ بهم .

٦/٢٤٧ الراجح انها « قطاة » .

٤/٢٥٦ الهامش ، تحذف عبارة « والشطر الثاني وزنه مضطرب » .

١٤/٣٣٧ الكرملي (ت ـ ١٩٤٧ م) .

هذا ما أسعفني بصيده الخاطر ، من ملاحظات حول ديوان ابن النقيب ، مكرراً الحمد ، لقلمة المسلم والأدب ، « المجمع العلمي العربي » وللأستاذ الجندي .

(بغداد) عبد الله الجبوري



آراء وأنباء

المَعْرِضُ حَسَبُ (١)

قرأت في الجزء الأول من المجلد الثالث والأربعين من مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً أي مجلّة مجمع اللغة العربية بحثاً للأستاذ القانوني الكبير عارف النكديّ عنوانه « المعرِض أم المعرَض أو كلاهما » خلصَ منه إلى أن الوجهين جائزان ، والنصوص اللغوية التي أوردها لم تؤيد رأيه ـ حفظه الله تعالى ـ فالذي وجده في لسان العرب ـ كما قال ـ « المعرض (بفتح الراء) : المكان الذي يَعرِضُ فيه الشيء » . قال : « وزيد في الهامش على المتن « قوله : المعرَض : المكان ... في شرح القاموس هو كمقعد » .

فقوله : « يَعرِضُ فيه الشيء » هو يَعرِضُ مضارع عَرَضَ اللازم مع أنّ « المعرِض » مشتق من « عَرَضَ » المتعدّي بنفسه ، جاء في لسان العرب « وعرض الشيء عليه يعرضه عَرْضاً : أراه إياه » ثم قال : « وعرضتُ عليه أمرَ كذا وعرضتُ له الشيءَ أي أظهرته له وأبرزتُه إليه » ثم قال :

(١) قول العلامة السيد مصطفى جواد : « إن المعرِض بكسر الراء ، وليس له وجه ثان ، وخصوصاً بعد أن عُلِم أن العرب تميل إلى الكسر في عدة أسماء يوجب القياس فتح العين فيها » .

نعلق عليه بملاحظة سبق أن أشرنا إليها معززة بنصوص من دواوين اللغة تجيز اللغتين . فاختيار إحداهما يعود إلى أخفهما في الاستعمال وعلى السمع . وهو ما جرى عليه العرب غير مقيدين أنفسهم بالقياس دائماً . وهو ما قاله الأستاذ الكبير إلا أنه غلب الميل إلى الكسر ، على أنه وقع منهم أن فتحوا في ما يوجب الكسر ، وكسروا في ما يوجب الفتح .

وفي علم الأستاذ الجليل ، ما يغني عن التطويل . عارف

« وعرضتُ الكتاب وعرضتُ الجندَ عرضَ العين إذا أمررتهم عليك ونظرت ماحالهم وقد عرض العارض الجند » . ولم يَرِد « المعرَضُ » من المتعدي إلا في قولهم : « عرضَ العُودَ على الإناء والسيفَ على فخـذه يعرِضُهُ عَرْضاً ويَعرُضُه » ، كما في لسان العرب ، أي وضعَه عَرضاً وهو معنى آخر استشهد له مؤلف اللسان بالحديث الذي نصُّهُ « خمِّرُوا آنيتكم ولو بعُود تعرضونه عليه [١] (كذا) أي تضعونه معروضاً عليه أي بالعرض » ، وإلا في قولهم : « النمُّ تُعرض الشوكَ [٢] .

وأمّا اللازم الذي ورد في استشهـاد الأستاذ الكبير فاسم المكان منه أيضاً « المعرِض » ، إلا لغةً على وزن « فَرِحَ » جاء في اللسـان أيضاً « عَرِضَ لي يعرِضُ وعرِضَ يعرَضُ لغتان » فالمعرَض الذي أورده بمعنى « المكان الذي يَعْرِضُ فيه (لايُعرَضُ) هو من اللغة الثانية لهذا الفعل اللازم » ، وفي اللسان « وَعرَضَ له أمرُ كذا أي ظهر ... والعَرَض ما يعرِضُ للانسـان من الهموم والأشغال » . وهذه اللغة الثانية هي التي نقل شاهدَها من المصباح المنير ، وهو « وفي الأمر [٣] لا تعرِضْ له بكسر الراء وفتحها أي لا تعترض له فتمنعَه باعتراضك أن يبلغ مراده » . والأصل : هو « وَعرَضَ له أمر إذا ظهر ... وما عرضت له بسُوء أي

(١) أي تتناولُ منه وتأكلُهُ وكأنها تأتيه من العَرَض .

(٢) هذا قول صاحب المصباح عاقلاً لا ناقلاً ، لأن الصواب « وفي النهي : لا تعرِض له .. » . فالجملة في صيغة النهي لا في صيغة الأمر .

(٣) في المقاييس لابن فارس « هلا خمّرتَه ولو بعُود تعرضه عليه » .

ما تعرضت وقيل : ما صرت له عُرضة بالوقيعة فيه ، والجميع (١) من باب ضرَب . وعرِضتُ له بالسّوء أعرِضُ من باب تعِبَ ، لغة ... » .

ومع ذلك صرّح الفيومي بوجوب كسر الراء في المعرض الذي نريدُه قال : « والمعرِض وِزانُ مسجد : موضع عرض الشيء وهو ذكرُه وإظهاره . وقلتُه في معرِض كذا أي موضع ظهوره ، فذكر الله ورسوله إنما يكون في معرِض التعظيم والتبجيل أي موضع ظهور ذلك والقصد إليه وهـذا لأن اسم الزمان والمكان من باب ضرب يأتي على مَفعِل بفتح الميم وكسر العين ، يقال : هـذا مصرِفه ومنزِله ومضرِبه أي موضع صرفه ونزوله وضربه الذي يضرب فيه وسيأتي تقريره في الخاتمة إن شاء الله تعالى » .

فالفيوميّ يوجب كسر الراء في كلا المعنيين ولا يعترف باللغة الثانية وإن كان قد أوردها وكانت خارجة عن المعنى المراد بالمعرض اليوم ، وخلاصة الأقوال أن « المعرِض » لموضع عَرْض الشيء يبقى « مَعْرِضاً » حَسْبُ وليس له وجه ثان ، وخصوصاً بعد أن عُلِم أنَّ العرب تميلُ إلى الكسر حتى في عدّة أسماء يوجبُ القياسُ فتح العين فيها وهي غير خفية على الأستاذ الكبير .

مصطفى جواد



(١) أراد المتعدّي واللازم ، فمن المتعدّي الذي ذكره « عرضت الكتاب عرضا : قرأته عن ظهر قلب . وعرضت المتاع للبيع : أظهرته لذوي الرغبة ليشتروه ، وعرضت الجند : أمررتهم ونظرتُ إليهم لتعرفهم ... » وغير ذلك .

تعليقات واستدراكات

كنت كتبت في الأستاذ تقي الدين الراصد مقالاً في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (١) بينت أن للراصد كتاب (الكواكب الدرية). وهذا هو صواب اسم الكتاب مأخوذ من الآية الكريمة «كأنها كوكب دري». وليس بصحيح تسميتها بـ (الكواكب الدورية). ألفه سنة ٩٦٦ هـ — ١٥٥٦ م، ونقلت ما جاء عنه في كشف الظنون.

ومنه كتاب نشرته الدكتورة الاستاذة سويم تكه‌لي في الساعات المطبوع سنة ١٩٦٦ م في مطبعة الجامعة بأنقرة توجد نسختان احداها في باريس برقم ٢٤٧٨ والأخرى نسخة بودليان برقم ١٩٦٨ إلا ان الاستاذة المحققة لم نعرف اعتمادها على أي نسخة لينسب الغلط إلى إحداها. وان نسخة كتبت في استنبول والأخرى في مصر.

وتكملة عنوان الكتاب (الكواكب الدرية في البنكامات الدورية).

وهناك تشريح للفظ البنكامات. وأعتقد أنه مقلوب نبك بتقديم النون، ويراد به الأصل فيقال (النبك) الأصل كما في القاموس المحيط. وعندنا في العراق لا تزال اللفظة مستعملة فيقال (نبك حرام) أي أصل حرام.

ويهمنا أن ترد النسخ المذكورة أعلاه ليكون التحقيق بمحله ومستوعباً البحوث المطلوبة.

وعلى كل حال نشكر الأستاذة سويم تكه‌لي على إحياء أثر الأستاذ تقي الدين معروف الراصد باطلاعنا على نسخ منه.

عباس العزاوي



(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ ص ٨٥٩.

رأي حول الجالية والجزية

تفضلت لجنة المجلة مشكورة ، فأوضحت ما قد يبدو غير مألوف للقارىء بالنسبة لاستخدامي لفظ جالية في دراسة نشرت لي بالجزء الثاني من المجلد ٤٣ لهذه المجلة الموقرة ، وعلّقت المجلة بأن الجالية كما ورد في المعاجم هم أهل الذمة أنفسهم وليس ما يفرض عليهم كما يفهم من استخدامي لها .

ومما يؤسفني انني استخدمت هذه العبارة في غير موضعها عند حديثي عن فرض الجزية على عهد رسول الله ﷺ ، إذ لم يشع استخدامها آنذاك وكان مفروضاً علي الأخذ بهذه العبارة عند الحديث عن فرض الجزية من عهد الخلفاء الراشدين . ولكنني لسبب ما أودّ إيضاحه عممت استخدامها بدلاً من الجزية .

فلقد أخذت جالية ، في الواقع ، دوراً هاماً في أدب الخراج والنظم الإدارية الإسلامية ، إذ استخدمت منذ القرن الأول الهجري لتوضيح العديد من الاصطلاحات الإدارية ، لم يكن من بينها المعنى الذي ورد بالمعاجم . وبالرجوع إلى الوثائق البردية التي تناولت مسائل الخراج والإدارة ، يتبين بأن هذه العبارة استخدمت بشكل رسمي ، وقبل أن يشيع مفهومها الذي أخذت به المعاجم في وقت متأخر .

وقد فضلت استخدام جالية بدلاً من جزية لاقتراب مفهومها (أي الإجلاء) من المضمون الإنساني العادل للتشريع الإسلامي السمح ، وذلك حتى لا أضطر إلى ترجيح مضمون كلمة جزية المرتبطة بمعاني العبودية ، والخضوع التي خلفتها لنا الأنظمة السابقة على الاسلام . هذا بينما حاولت العمل على إحياء عبارة كريمة شاع استعمالها في عهود الاسلام الأولى ،

بدلاً من الأخذ بكلمة بغيضة تحمل معنى الجزاء والخضوع ، وأنا أتحدث عن عدالة الإسلام .

فمنذ فجر الفتح الإسلامي ، كثر استخدام كلمة جالية وجوالي وجالية الرأس في وثائق الخراج بمصر ، وكذلك بأدب الخراج نفسه . وحملت العبارة ثلاث معان ترتبط بأهل الذمة ، غير أن المعنى الذي قدمته المعاجم القديمة ، أي أهل الذمة أنفسهم ، كان من الندرة بمكان .

وأول وثيقة رسمية وقعت في يدنا ترجع إلى عام ٩١ هـ ، استخدمت فيها عبارة جالية وجالي لتحمل مفهوم الذمي الفار من أداء جالية الرأس (أي الجزية) . فقد بعث قرّة بن شريك والي مصر ، في جمادى الآخرة ٩١ هـ ، خطاباً إلى باسيل صاحب كورة أشقوة يهدده فيه بالعقاب لأنه تجاهل تعليمات الادارة المركزية بالنسبة للفارين ، وجاء بالخطاب : [أما بعد ، فإن هشام بن عمر كتب إليّ يذكر جالية له بأرضك ، وقد تقدمت إلى العمال وكتبت إليهم الا يؤوا جالياً ... فاذا جاءك كتابي هذا فادفع إليه من كان له بأرضك من جاليته ...] وبعد ذلك يوصيه بعدم جباية جالية هؤلاء الفارين لأنهم ينتسبون إلى كورة أخرى . وقد عثر على العديد من الوثائق البردية التي تحمل نفس المعنى ، وبقلم قرّة بن شريك إلى عمال الكور المصرية ، أثناء القيام بتعداد النفوس الذي تم خلال ولايته على مصر (١) . وقد كانت العادة أن يرجع الذمي إلى الكورة التي ينتسب إليها وقت التعداد حتى لا يتكرر فرض الجالية عليه .

---

(١) Bell H. J : Greek Papyri in the British Museum : Vol. IV. The Aphrodito Papyri , Oxford . 1910, p. XL. Journal of Hellenic Studies , vol . XXXVIII , 1908 , pp.107-112 . Grohmann A : Arabic Papyri in the Egyptian Library, vol. III , pp. No. 150 - 151 .

واستخدمت عبارة جالية ، وجالية الرأس من المئات العديدة من الوثائق الخراجية ، وسجلات جباية الخراج والجالية منذ القرن الأول ـ أي قبل أن يظهر اول معجم ـ لكي تفي بمضمون الجزية . وهذه الوثائق متناثرة في جميع المتاحف وخزائن الكتب بالعالم ... ومنها بعض البرديات اقتطف منها بعض العبارات لإيضاح مضمون الكلمة .(١) وهذه البرديات بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

بردية رقم ٢١٢ وهي عبارة عن سجل لتقسيط الجزية والخراج في إحدى قرى صعيد مصر ، وجاء التقسيط كالتالي: $\frac{١}{٢}$ + $\frac{١}{٣}$ + $\frac{١}{١٢}$ [دينار] جالية ... [فلان] .

$\frac{١}{٣}$ جالية ...

بردية رقم ٢٣٨ وهي عبارة عن قائمة لسداد أقساط الخراج والجزية ٣٢ من أهل الذمة ، وكان بيان الأقساط المسددة عن : المثلة والمروج والجالية والمراعي ، والبردية رقم ٢٥٤ وهي سجل للجباية من عام ٢٨٠ هـ [٨٩٣ م] لإحدى القرى ورد بها ... من جالية رأسه .

---

(١) Grohmann A: Ibid. pp. No. 202-211, 212, 238, 245, 254, 275. 283, 287.

Collection of the Papyrus Erzherzog Rainer. Vienna. Arabic Papyri. No. 2578.

Papyrus Erzherzog Rainer, Wien 1894, pp. 897.

Mitterlungen aus der Sammlung der Papyrus Erzherzog Rainer, Vol. II/III. 1887. 164.

Papyri in the University Library Strassbourg, Arabic. pp. 80.

أما البردية ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي .

[..... ومن جالية كفر دير شتورة وكفور .... ٣٦ — ١٨ — ١

والبرديه ٢٤٥ فهي تبين أقساط الجزية المحصلة وبيانها كالتالي :

[.... $\frac{١}{٢} + \frac{١}{٨} + \frac{١}{٢} + \frac{١}{٨}$ الجوالي ....

هذا بينما استخدم ابن عبد الحكم كلمة الجالية لتحمل معنى الجزية وذلك في كتابه عن فتوح مصر [١] .

أمّا المعاجم المتنوعة الحديثة .. ومنها ما طبع بالشرق ، ومنها ما طبع بالغرب ، فقد ورد بها معنى كلمة جالية لتوضيح المفاهيم التالية .

١ — الغرباء هاجروا أوطانهم .

٢ — أهل الذمة .

٣ — الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة .

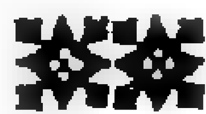
٤ — ثم استعملت في كل جزية .

وإذ أشكر للمجلة جميل جهدهـا لإيضـاح المعنى الذي قد يبدو غير واضح لبعض القراء ، فإنني لأرجو التفضل بنشر هذا الرأي حتى تعم الفائدة المرجوة ويتحقق هدف المجلة بإتاحة الفرصة للمناقشات الهادفة .

وإنني أترك للجنة الموقرة حرية البت في أمر نشر هذا الرأي إن كان يتفق والهدف النبيل للمجلة ... وإلاّ فإنني أفوض لها أمر عـدم نشره حسب مايتراءى لها وشكري .

(بودابست) الدكتور عبد المنعم مختار

المحاضر بجامعة بودابست



(١) ابن عبد الحكم . فتوح مصر . صفحة ١٥٣ .

الرباعيات
أو
الدوبيتات

لفت نظري في عدد سابق من مجلة مجمع اللغة العربية الزاهر (١) تعليق الأخ الدكتور علي جواد طاهر على الموسوعة العربية الميسرة ، واستوقفني حديثه عن فن الدوبيت ، أحد الفنون المعروفة في عصور الدول المتتابعة ، وقد نقلها العرب عن الفرس ، وسمّوها الرُّباعيات ، وأطلقوا على المقطوعة الواحدة رباعية كما هو مأثور مشهور في الكتب التي أرّخت العصور المذكورة

أنكر الدكتور علي هذه التسمية العربية كل الإنكار ، وتساءل متعجباً : « ومتى سمّاه العرب الرباعي ؟ وأين ؟ لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في هذه التسمية !! » (٢) .

وليسمح لي الدكتور علي أن أنكر عليه ما ذهب إليه ، وسيكون إنكاري مقتصراً على الإجابة عن هذه التساؤلات التي أثارها والتي أدخلت الشك في التسمية العربية لفن الدوبيت .

سمّى العرب الفن المذكور باسم الرباعي منذ وُجِـــد ، وقد عرفناهم يستخدمون اللفظين معاً ، فمن الذين استخدموا اللفظ الأصلي أي الدوبيت ابن خلكان الذي ذكر لنا أنه رأى ديواناً خاصاً نظمه فتيان الشاغوري « جميع مافيه دوبيت » (٣) ؛ واستخدمه أيضاً في حديثه عن ديوان آخر

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد الثالث والأربعون ، الجزء الأول سنة ١٩٦٨ .
(٢) الجزء المذكور ، الصفحة ١٠٨ .
(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

للعماد الكاتب، وقال : « ديوان صغير جميع ما فيه دوبيت »[١]، وقد أورد أبو شامة أمثلة من هذا الديوان في معنى الجهاد قالها على لسان الملك العادل نور الدين محمود[٢] ؛ كما أورد التسمية المذكورة ابن أبي أصيبعة في ترجمة حكيم الزمان الجلياني ، صاحب القدسيات المشهورة ، وأشار إلى وجود ديوان مشهور له في « الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي وما يتصل به[٣]» .

لقد سبق العماد الكاتب صاحب الخريدة ، أحد أعلام القرن السادس الهجري غيره ممن ذكرناهم ، فاستخدم في معظم الأحيان التسمية العربية كما هو الحال في ترجمته عرقلة الدمشقي الذي آثرنا ذكره تمثيلاً لا إحاطة كما في قوله : « وقوله رباعية »[٤] و « له رباعية »[٥] و « قوله رباعية »[٦] . ويشير في ترجمة ابن قسيم الحموي إلى رباعية رابعة كما في قوله : « وقال رباعية »[٧] إلى آخره ....

هذه هي أربع رباعيات ذكرها العماد الكاتب في خريدته وهو صاحب ديوان مشهور في الفن المذكور ، ولكنه مفقود مع الأسف ، وقد اطلعتنا على استخدام التسمية العربية .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٤) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

(٥) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٦) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٧) العماد الكاتب : الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج ٣ ، ص ٤٥٤ .

تلك هي الفقرة الأولى من تساؤله : (ومتى سمّاه العرب الرباعي ؟) ، ولعلنا أجبناه أيضاً عن الفقرة الثانية : (وأين ؟) ، وهكذا نكون قد استكملنا الزمان والمكان معاً .

أما الفقرة الثالثة من تساؤله : (لم يكن للمصاريع الأربعة التي يتألف منها أثر في التسمية) . وغريب حقاً مثل هذا القول ، فهو لا يستقيم مع المأثور والمشهور في تعريف هذا الفن . يقول المحبي : « والدوبيت أول من اخترعه الفرس ، ونظموه بلغتهم ، ومعناه بيتـــان ، ويقال له : الرباعي لأربعة مصاريعه .. »[١] .

أظن أن هذا القول غنيّ عن كل تعريف وبيان ، ففيه محكم الجواب وفصل الخطاب ، وفيه النص القاطع على المصاريع الأربعة التي كانت سبب التسمية . كما أحب أن أذكر أخيراً أن الخفاجيّ أورد التسمية العربية في تعداده أقسام النظم : « واعلم أن المولدين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب وأوزان الشعر ؛ فأقسام النظم عندهم سبعة : الشعر ، والموشح ، والرباعي ، والزجل ، وكان كان ، وقوما ، والحماق »[٢] .

أكتفي بهذا القدر من النصوص والشواهد المأثورة والتعريفات المشهورة تأكيداً لما ذهبت إليه ، وقد اختتمتُها بقول الخفاجي ففيه شفاء الغليل .

وهكذا عرفنا الآن متى سمي الدوبيت بالرباعي ، ورأينا أين سمي ، وأدركنا أثر المصاريع الأربعة في تسميته .

وحبّذا لو استمع معنا إلى رأي الجنيد المتصوف المشهور لنعرف أن الرباعيات معروفة عند فقراء المتصوفة ، فهي كلام المحبين والعشاق « ... قيل :

(١) المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
(٢) الخفاجي : شفاء الغليل ، ص ١٠ .

فما بالهم لا يطربون إذا سمعوا القرآن، قال : لأنه كلام الحق ما فيه ما يوجب الطرب ، نزل بأمر ونهي ، ووعد ووعيد ، فهو يقهر ؛ قيل : فما بالهم لا يطربون عند القصائد ؛ قال : لأنها مما عملت أيديهم ؛ قيل : فما بالهم يطربون عند الرباعيات ؟ قال : لأنها كلام المحبين والمشتاق »(١) .

هذه هي الرباعيات ، عرف العرب هذه التسمية قديماً حينما عرفوا هذا الفن الفارسيّ ، وهي كما رأينا ذات صلة بالتصوف وفقرائه ومريديه ، ولعلنا استطعنا تبيان وجه الحق والصواب كما تقتضيه الأمانة العلمية في البحث والتحقيق ، والله من وراء القصد ، يسدد خطانا ، ويهدينا سواء السبيل .

الدكتور عمر موسى باشا

نسخة فريدة من « الجواهر المكلّلة في الاخبار المسلسلة »

للسخـــاوي

كم خبايا في زوايا ، عثرت أخيراً في زاوية الشيخ صاحب العلم (بيرجهندا ، كما يقولون باللغة الأهلية) بالقرب من حيدر آباد عاصمة إقليم السند الحالية ، (بالباكستان الغربية) على نسخة فريدة من كتاب « الجواهر المكلّلة في الأخبار المسلسلة » للسخاوي بخط المرتضى فخر الدين أبي بكر السلميّ المكّي الشافعي سماعاً من لفظ مؤلفه ، علقها لنفسه في مدة آخرها

---

(١) انظر رسالة (آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة) لبدر الدين محمد الغزي ، وقد قمنا بتحقيقها وتفضل المجمع الزاهر مشكوراً بطبعها ونشرها سنة ١٩٦٨ .

تاسع من شعبان المكرم سنة ست وثمانين وثمانمائة ، تجاه الكعبة المعظمة (١) وثبت بطرتها خط السخاوي شاهداً بالإملاء وبآخرهـا إجازة بخطه أيضاً لأبي بكر السلمي المذكور بروايتها عنه مع سائر مروياته ومؤلفاته ، يتلوها فهرست شيوخها في نسق واحد بخط السخاوي أيضاً .

يقع الكتاب في ٩٧ ورقة مكتوبة على الجـانبين ومسطر الكتابة ١٣ ½ سم × ١٠ ½ سم ، واحد وعشرون سطراً في الصفحة ، يضاف إليها ٢٠ ورقة (١٣/١٥ سطراً في الصفحة) بخط السخاوي إجازة منه لأبي بكر السلمي وفهرست شيوخها ، يمتاز الخط بالإتقان والوضوح ، المتن بالمداد الأسود والمناوين بالمداد الأحمر ، وكذلك العلامات في مواضع الفصل .

وقد جاء في الضوء اللامع ١٦/٨ أنّ « الأحاديث المسلسلات وهي مائة استفتحها (السخاوي) أيضاً بمن سبقه لجمع المسلسلات مع انفراده بما اجتمع فيها وسماها « الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة » .

كذلك قال في مقدمـة الكتاب (الجواهر المكللة) ق ٣ الف :
« فأحببت جمع مائة مما عندي منها في ديوان ، ملتزماً البيان مع الترتيب الحسن ، والتبويب المقرّب للمراجعـة في القريب من ... ، فابدأ بأول أقسامها البهية ، وهو المسلسل بتاريخ الرواية كالأولية والآخروية ، أو بزمنها كالعيد والخميس ، أو لمحلها كالملتزم النفيس ، أو كونه وحده ، حين التحمل عن شيخه المعمدة ، ثم بثاني الأقسام وهو المسلسل بصفة الراوي الحـالية المعروفة بين الأعلام كالحفظ والفقه والثقـة والتعمير ، وكونه مصرياً أو شامياً ، أو اسمه محمداً على الراجح الشهير ، أو ممن ذُكر بكنيته أو عثيت نسبتُهُ ، أو كانت روايته عن أبيه الذي به شهرته ، ثم بصفته القولية ،

(١) يؤكد الضوء اللامع ١٤/٨ أنّ السخاوي « حج سنة خمس وثمانين وجاور سنة ست ثم سنة سبع وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة المنورة » .

كقراءة « الصف » وإني أحبك ، للهيئة المرضيـة ، ثم بصفته الفعلية ، كالكتابة بالمروي والمصافحة والمشابكة العلية ، ثم بصيغة الراوي التي بهـا اسيدْت ، كسمعت وقرأت وأنشِدْت ... » .

هذا وقد جاء الكتاب وفق الخطة المرسومة أعلاه تماماً ، فانّ فيها مائة حديث مسلسل بأنواعها المختلفة بزيادة حديث واحد (الحادي بعد المائة) لايخلو كثير منها من الطرافة كالحديث الخامس عشر وهو المسلسل بالشعراء والنسخة سليمة من الآفات إلاّ أنها تحتاج إلى العناية بحفظها ، فقد انفصلت الورقتان الأوليان عن التجليد ، وأيضاً أصابتها يد عابث طمس اسم الكاتب بآخرها لغرض ما ، مع أنّ ذلك لا يريب قط في عزوها إلى من هي له بشهادة العلي ، أعني إجازة السخاوي بخطه ، وهي الآن في حوزة السيد محب الله شاه ، صاحب العلم السادس ، وهو رجل مثقف يقدر العلم ويحفل بالعلماء ، يرجى منه الحفظ وتيسير الإفادة من تراثه العلمي إلى جانب الإفاضة الروحية ، وأنا أشكر له حسن صنيعه بي ، وإجابته لطلباتي بشأن إعارة المخطوط وتصويره .

ويسعدنا أن نتحف القراء بالصور الآتية :

(أ) صفحة العنوان (ب و ج و د) الصفحات الثلاث [٢و٣و٤] من الكتاب ، وهي التي سرد فيها أسماء الذين عُنوا بجمع المسلسلات قبله ، وهي مما يهم الدارسين الباحثين في عصرنا (هـ) الصفحة الأخيرة من الكتاب (و) الإجازة بخط السخاوي (ز ح ط) الصفحة الأولى والسادسة والأخيرة من فهرست الشيوخ .

القسم العربي بجامعة كراتشي الدكتور محمد يوسف

بحمد الله عز وجل

الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة

من إملاء العصر الإمام ... محمد عبد الرحمن

السخاوي ...

رواية الشيخ الفاضل ...

سماعه منه

ب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي اتصل افضاله فتسلسل، وتتوالى نعم هدايته الفاضل والمفضول
والانفضال، وتوسل المقربون بمحبتهم اليه بنبينا المرسل صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الموصوفين بالكمال [illegible] وبعد فان من الانواع الشريفة
والاوضاع العلية المنيفة الاحاديث المسلسلات التي فيها مزيد ضبط
رواتها من الدلالات، وكون [illegible] الاقتداء بالرسول عليه افضل الصلاة
والسلام في اقواله وافعاله [illegible] عن السهو والاوهام [illegible]
التدليس والانقطاع، فيما اتى منها بصريح التحديث او القراءة او السماع، او وصف
رواتها او اوطانهم بحالة فردية، لكونهم ثقات وحفاظا عدولا، او معمرين
او دمشقيين، [illegible] غاية الندرة او الحسن كما قاله النووي [illegible]
ولكن قد كثر فيها الدخيل وتطرق اليها بالزيادة والنقص التحريف والتبديل
[illegible] التعليل وجمعها من مهمات العمل
اذا كان [illegible] والافصاح عن المقبول منها وما به خلل
وقد جمعها الاعيان من ائمة الشان [illegible]

ابو بكر محمد بن اسمعيل بن العباس المستملي الوراق
وابو محمد الحسن بن اسمعيل بن محمد الضراب
وابو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين بن [illegible]
وابو [illegible] الحسن بن احمد بن ابرهيم بن شاذان
والاستاذ ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي
والحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني
وابن [illegible] عبد الملك بن زياد [illegible]

ج

و ابو بكر محمد بن علي المطوعي الغازي تلميذ الحاكم وشيخ لابي عبد الله محمد بن علي بن طلال القزويني ... [illegible] جمادى الاولى

و الحافظ ابو العباس جعفر بن محمد بن المعتز المستغفري ... [illegible]

و ابو عصمة نوح بن نصر بن محمد الفرغاني ... [illegible]

و الحافظ ابو سعد اسمعيل بن علي بن الحسين الرازي ابن السمان ... [illegible]

و ابو القسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن محمد بن فوران ... [illegible]

و ابو المظفر هناد بن ابرهيم بن النسفي ... [illegible]

و ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكتاني ... [illegible]

و ابو الحسن علي بن محمد ... بن اللبان ... [illegible] شوال

و ابو القسم عبد الرحمن ... الحافظ ... [illegible]

و ابو محمد عبد الله بن عطاء بن عبد الله الابراهيمي الهروي سنه ... [illegible]

و ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ... [illegible]

و ابو الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي الملقب ابي ... [illegible]

و ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد ابن الاكفاني ... [illegible]

و ابو بكر محمد بن عمر بن ... الحنفي يعرف بنكار ... [illegible]

و ابو القسم اسمعيل بن محمد بن الفضل التيمي ... [illegible]

و القاضي ابو بكر محمد بن عبد الله ... [illegible] الاخر

و الحافظ ابو العلا الحسن بن احمد بن الحسن العطار ... جمادى الاولى

و ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن اسمعيل ... الديباجي ... شوال

و ابو محمد المبارك بن علي بن الحسين بن عبد الله بن الطباخ الحنبلي ... شوال

و الحافظ ابو القسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ... رمضان

و الشرف ابو سعد عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابي عصرون الشافعي

و ابو الخير احمد بن اسمعيل بن يوسف الطالقاني القزويني

و ابو الفضل محمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي الحنفي

و الحافظ ابو الحسن علي بن المفضل المقدسي المالكي

و الحافظ الضيا ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن احمد المقدسي الحنبلي

و ابو اسحق ابرهيم بن محمد بن عبيد الله الاوسي القرطبي

و الحافظ ابو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي

و البرهان ابو اسحق ابرهيم بن سعد الله بن جماعة

و الكمال ابو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن خلف الهمداني المصري

و التاج ابو القسم عبد الغفار بن محمد بن عبد الكافي السعدي

و ابو عبد الله محمد بن جابر الوادياشي

و محمد بن مسعود بن محمد ...

و الحافظ صلاح الدين ابو سعيد خليل بن كيكلدي العلائي

و الجمال محمد بن سالم بن ابرهيم بن علي ...

و ابرهيم بن عبد الرحمن بن ابرهيم بن سعد الله بن جماعة

و ابو الثنا محمود بن خليفة المنبجي

و الجمال يوسف بن محمد بن مسعود التستري ... احاديث ...

و ابو الحسن علي بن احمد بن اسمعيل ...

و الشمس ابو الخير محمد بن محمد بن الجزري المقري ... الشاطبي ...

و الحافظ ابو عبد الله محمد بن ابي بكر عبد الله بن محمد بن ناصر الدين الدمشقي

وصاحبنا محدث الحجاز ومسند الحجاز النجم ابو القسم عمر بن فهد الهاشمي المكي

وممن جمعها ايضا ابو المحاسن ... العلائي

هـ

الحديث الحادي [illegible] المنشدات

أنشدنا الإمام أبو الفتح المراغي أنشدنا الإمامان أبو الطاهر الخجندي والمجد الشيرازي الشافعي قالا أنشدنا الحافظ صلاح الدين العلائي ح وأنبأنا عالياً الزين عبد الرحمن القبابي عن العلائي قال أنشدنا أبو محمد القسم بن المظفر ابن عساكر عن [illegible] أنشدنا [illegible] أبو عبد الله [illegible] أنشدنا عمي الحافظ أبو القسم علي بن الحسن الدمشقي لنفسه

واظب على جمع الحديث وكتبه ... واجهد على تصحيحه في كتبه

واسمعه من أربابه نقلاً كما ... سمعوه من أشياخهم تسعد به

واعرف ثقات رواته من غيرهم ... كيما تميز صدقه من كذبه

فهو المفسر للكتاب وإنما ... نطق النبي لنا به عن ربه

فتفهم الأخبار تعرف حله ... من حرمه مع فرضه من ندبه

وهو المبين للعباد بشرحه ... سير النبي المصطفى مع صحبه

وتتبع العالي الصحيح فإنه ... قرب إلى الرحمن تحظ بقربه

وتجنب التصحيف فيه فربما ... أدى إلى تحريفه بل قلبه

واترك مقالة من لحاك بجهله ... عن كتبه أو بدعة في قلبه

فكفى المحدث رفعة أن يرتضى ... ويعد من أهل الحديث وحزبه

قال [illegible] الشيخ أبقاه الله [illegible]

[illegible] المسلسلات [illegible]

[illegible] وسائر المسلمين وصلى الله على [illegible] وسلم [illegible]

علقها [illegible]

[illegible]

١

و

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

صح [illegible] هذه السلسلة [illegible] الشيخ

الفاضل الكريم [illegible] المحقق المفيد فخر [illegible] الثعلبي

المذكور [illegible] بخطه [illegible]

[illegible] وسلسلته [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ذلك في

سنة ٩٦٣ [illegible] الأعظم

[illegible]

[illegible] عفا الله [illegible]

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما حسبنا الله

ز

الحمد لله الذي نظم في سمط اهل السنة لا في بدعة وطرح
الفتن عن ... للعقل والفكر والصلاة
والسلام على سيد ولد آدم وآله الغر
وبعد فان العبد الفقير الى مولاه والمفتقر
الى لطفه ... وغفرانه السيد الافضل
والعلم الاكمل المشتغل المحصل الفاضل الماهر
الواصل الذاكر المرتضى الرضي المفيد المستفيد
ذا الهمة العالية والنعم الوافية والفتوة
والمروة فخر الدين ابا بكر بن المرحوم علم الدين
الربعي سليمان بن عثمان بن ابي الحسن الشبلي المكي
السني ... طرفه والديه بالشافعي اعزه الله تعالى
وابقاه ومن السوء وقاه والى السعادة الدنيوية
والاخروية رقاه ممن جمع علم نظر العلم والاثر
ووصل سنده ممن حصل السند ذا الله الى ... المآثر

بلغ

ح

وله عنه بعض الشروح وسمع منه وبأسانيده بالحرمين لازمني في
مجالس التحديث كثيرا وسمع من لفظي وعلي من بعضها سنن
وغيرها اشياء كثيرة وكتب بخطه من تصانيفي القول
البديع والاحاديث المشتهرة والمسلسلات
وفضل الرمي بالسهام وغير ذلك وقابل بعضه من
بخطه وكان مما سمع من تصانيفي القول البديع في
فضل الصلاة على الحبيب الشفيع والجواهر
المكللة في الاخبار المسلسلة والبلدانيات الحلبيات
والمسموع الروي في ترجمة النووي وفتح المغيث
بشرح تصنيف النووي الا يسيرا وبعض البخاري والشمائل
وجميع صحيح البخاري الكامل والاصطلاح لذكر المسانيد والجامع
والنحو المنظوم في الروض المجرد والمرسوم
وغيره المصطلح ومن صحيح مسلم الجماعة والمجلس الاحمد
شرح الالفية العراقية وعلوم الحديث النووي عن قائم افضل
الصلاة والسلام واستجيز منها ما صنفت في اجازة

ط

الشهاب [illegible] الزكي [illegible] اذنا [illegible] ما طلب

[illegible]

واحد [illegible]

[illegible]

[illegible] ورواية

جميع [illegible] ومولفاتي [illegible] في ذلك

التحرير والضبط والاتقان فذلك من اهل

[illegible] الانسان واسال الله العلي

[illegible] الصلاح والخير

[illegible]

[illegible] وكتب ذلك في مدة [illegible] ذي

الحجة الحرام سنة [illegible] وثمانين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] عبد الرحمن [illegible]

[illegible] عبد الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

عبد الغني النابلسي

١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ

١٦٤١ — ١٧٣١ م

صاحب كتاب « الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز »

الشيخ عبد الغني النابلسي بن اسماعيل بن أحمد بن ابراهيم المعروف كأسلافه بالنابلسي الدمشقي النقشبندي القادري الشيخ العلامة الشهير . ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤١ م وتوفي سنة ١١٤٣ هـ ١٧٣١ م .

قال المرادي في « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » « هو أعظم من ترجمته علماً وولاية وزهداً وشهرة ودراية وهو أستاذ الأساتذة . وجهبذ الجهابذة . الولي العارف . ينبوع العوارف والمعارف . قطب الأقطاب العارف بربه ، الفائز بقربه وحبه . ذو الكرامات الظاهرة ، والمكاشفات الباهرة . توفي والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة فنشأ يتيما واشتغل بقراءة العلم ، فقرأ الصرف والنحو والمعاني والبيان والفقه والتفسير وسائر العلوم على مشاهير علماء عصره . كالشيخ محمود الكردي ، والشيخ عبد الباقي الحنبلي ، والشيخ محمد المحاسني ، والنجم الغزي ، والشيخ ابراهيم الفتال . وكثيرين غيرهم .

وأجاز له من مصر الشيخ علي الشبراملسي . وأخذ طريق القادرية عن الشيخ السيد عبد الرزاق الحموي الكيلاني . وأخذ طريق النقشبندية عن الشيخ سعيد البلخي . وابتدأ في إلقاء الدروس والتصنيف لما بلغ العشرين . وأكثر المطالعة في كتب الشيخ محي الدين بن العربي (١) . وكتب السادة الصوفية ،

(١) المشهور ابن عربي .

كابن سبعين ، والعفيف التلمساني . فنظم بديعية في مدح النبي ﷺ فاستبعد بعض المنكرين أن تكون من نظمه ، فاقترح عليه أن يشرحها فشرحها في مدة شهر شرحاً لطيفاً في مجلد ، ثم نظم بديعية أخرى والتزم فيها تسمية النوع . وشرع في إلقاء الدروس في الجامع الأموي . قال : وصدر له في أول أمره أحوال غريبة ، وأطوار عجيبة ، واستقام في داره بقرب الجامع الأموي في سوق العنبرانيين مدة سبع سنوات لم يخرج منها .

وأسدل شعره ، ولم يقلم أظفاره ، وبقي في حالة عجيبة ، وصارت تعتريه السوداء ، وتكلم الحساد فيه بكلام لا يليق به ، من أنه يترك الصلوات الخمس ، وإنه يهجو الناس بشعره . وهو رضي الله عنه بريء من ذلك . وقامت عليه أهالي دمشق وأساؤوا إليه حتى أنه هجاهم ، وتكلم بما فعلوه معه ، ولم يزل حتى أظهره الله للوجود ، وأشرقت به الأيام ، ورفل في حلل الإقبال والسعود .

من الكتب والرسائل المفيدة الممتعة ، التي ألفها الشيخ عبد الغني النابلسي ـ رحمه الله ـ رحلته في بلاد الشام وإلى مصر والحجاز . وهو كتاب جمع كثيراً من المعلومات التاريخية والجغرافية ومن « أبحاث علمية ، ومسائل فقهية ، واصطلاحات حديثة ، ومطارحات أدبية ، ومساجلات شعرية ، وكلام نافع ونصائح إيمانية ، وإرشادات إلهية ، ومذكرات وتفسيرات في العلوم الدينية »[1].

هذا ، إلى وصف ما زاره ، أو مرّ به في رحلته هذه من مشاهد ومعابد ، وجوامع ومساجد ، ودور وقصور ، ومن مراسم ومعالم ، ومزارات ورباطات . وذكر من لقيهم من رجالات أهل البلاد ، ذوي العلم والمكانة ، أو من سمع بهم ، أو جرى الحديث عنهم ، وما قالوه فيه ، وما قاله فيهم من شعر . دوّن ذلك بلغة أكثرها سهل يغلب عليها السجع ، بعضه مقبول .

(١) هذا ما قاله المؤلف نفسه .

غير أن ما أورده من الشعر جله ان لم يكن كله يجري صاحبه ـ وسط المعمعة ـ ومنه ما لا تشتهي أن تسمعه . شعر عصر الركود اللغوي ، والانحطاط الشعري .

وعدا هذا ، فالرحلة على ما وصفها صاحبها في كلامه الذي وضعناه بين قوسين (١) وعقبنا عليه بالموافقة ، رحلة جامعة ، وهي سجل حقائق ، وديوان وثائق ، فيها القيم المفيد ، وفيها النوادر والأقاصيص .

وقد رأى المجمع العربي ان ننشر هذه الرحلة لما فيها من فرائد وفوائد ؛ جرياً على ما أخذ به نفسه من إحياء آثار السلف تنويهاً بفضلهم ، وتخليداً لذكرهم ، وكلفني أن أتولى هذا العمل ، بالإشراف عليه ، والتدقيق فيه . وها أنا نزولا عند هـــذه الرغبة المخلصة ، أبدأ بترجمة المؤلف نقلاً عن « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي » .

وبادرت الناس للتملي باجتلاء بركاته . والترجي لصالح دعواته . ووردت عليه أفواج الواردين ، وصار كهف الحاضرين والوافدين ، واستجيز من سائر الأقطار والبلاد . وارتحل أولاً إلى دار الخلافة سنة ١٠٧٥ هـ فاستقام بها قليلاً ، وسنة ١١٠٠ هـ ذهب إلى زيارة البقاع ، وجبل لبنان . وسنة ١١٠١ هـ ذهب إلى زيارة القدس والخليل ، وسنة ١١٠٥ ذهب إلى مصر ، ومن ثمة إلى الحجاز وهي رحلته الكبرى ، ولكل من هذه الزيارات رحلة سيجيء ذكرها . وسنة ١١١٢ ذهب إلى طرابلس الشام ، نحو أربعين يوماً ، وصنف فيها رحلة صغيرة لم تشتهر . وانتقل من دمشق من دار أسلافه إلى صالحيتها ، سنة ١١١٩ وبقي فيها إلى أن مات . وتآليفه ومصنفاته كثيرة ، وكلها حسنة متداولة مفيدة ونظمه لا يحصى لكثرته .

(١) لا أدري : لماذا درج بعضهم على استعمال « الحاصرة » بدلاً من القوس . وكانت القوس قد اشتهرت وصحت لفظاً ومعنى .

وكان عالماً ، مالكا أزمّة البراعة واليراعة ، غواصاً في المسائل ، ذا طبع منقاد ، وبديهة مطواعة مصون اللسان عن اللغو والشتم . لا يخوض في ما لا يعنيه ، ولا يحقد على أحد . يحب الصالحين والفقراء وطلبة العلم يكرمهم ويحبهم ويبذل جاهه بالشفاعات ، رحيب الصدر ، كثير السخاء ، وله كرامات لا تحصى . وكان لا يحب أن تظهر عليه ولا أن تحكى عنه ، هذا مع إقبال الناس عليه ومحبتهم له ، واعتقادهم فيه . ورأى في أواخر عمره من العزّ والجاه ورفعة القدر ما لا يوصف . ومتعه الله بقوته وعقله فكان يصلي النافلة من قيام ، ويصلي التراويح في داره إماماً بالناس إلى أن مات . ويقرأ في الخط الدقيق ، ويكتب في تصانيفه بعد أن جاوز التسعين . وشعره ينشد في المحافل ، ويحفظه الناس . وتوفي على أثر داء اعتراه بضعة أيام . وأغلقت أسواق البلد يوم موته . وانتشرت الناس في جبل الصالحية . وبنى حفيده الشيخ مصطفى النابلسي إلى جانب ضريحه جامعاً حسناً ، والآن يتبرك به ويزار سيما في صبيحة السبت ، وقد صنف ابن سبطه العالم كمال الدين محمد الغزى العامري في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه « الورد القدسي والوارد الانسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي » .

عارف النكدي



أبو عبد الرحمن السُّلمي

كنا نشرنا في الجزء الثالث من سلسلة « رسائل ونصوص » التي ننشرها كتاب « تنزيل القرآن » لابن شهاب الزُّهريّ المتوفى سنة ١٢٤ هـ (١) . وهذا الكتاب من أقدم النصوص التي وصلت إلينا من القرن الثاني الهجري .

وكنا ذكرنا أن نص الكتاب وصل الينا عن طريق راويه أبي عبد الرحمن السُّلَميّ ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ . وهو رواه عن ابراهيم بن الحسين الهمذاني عن عبد الله بن محمد الهذلي عن الوليد بن محمد الموقري المتوفى سنة ١٨٢ هـ عن الزهري .

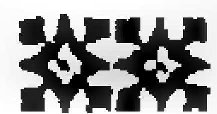
وقد شككنا يومئذ بهـذا السند ، إذ لا يمكن أن يكون بين السلمي المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، والوليد المتوفى سنة ١٨٢ هـ رجلان فقط .

ثم تبيّن لنا أن السلمي راوي الكتاب هو رجـل غير الذي كان في القرن الخامس . بل كان رجلاً من رجال القرن الأوّل ، ومن معاصري الزهريّ . فقد نبّهنا صديقنا العلاّمة الدكتور ماخ مدير المخطوطات العربية في جامعة برنستون إلى أن السلمي هذا مذكور في كتاب « مشاهير علماء الأمصـار » لابن حبّان البستي . في ص ١٠٢ من الكتاب المذكور جاء ما يلي :

أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب . من قرّاء القرآن وأهل الورع في السرّ والاعلان . مات سنة أربع وسبعين » .

وقد أوضح لنا هذا النصّ الابهام الذي وقعنا فيه . وتبين أن السلمي هذا كان من قراء القرآن ، وروى كتاب تنزيل القرآن من الزهري المعاصر له .

وقد أحببنا نشر هذا التوضيح تنويهاً بعون الدكتور ماخ وتصحيحاً لما سبق أن ذكرناه في مقدمة الكتاب .

صلاح الدين المنجد  (بيروت)

(١) انظر رسائل ونصوص ، الجزء الثالث . دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٦٣ .

المرتضى كالمهنّد : لاينكر معدنه

كم ابتهجنا نحن معشر المشتغلين بالآداب العربية في البلاد النائية لإعادة طبع تاج العروس في حلّة قشية وشكرنا لوزارة الارشاد والانباء في الحكومة الكويتية سعيها الحثيث في نشر التراث العربي الاسلامي ، كما قدّرنا كلّ التقدير المجهود الذي بذله ولا يزال يبذله المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج في هذا الصدد ، الاّ أننا فوجئنا بمحاولة منه أثناء التقديم والتعريف لإنكار مولد السيد المرتضى ببلكرام (الهند) مع عدم استطاعته ذكر أي بلد آخر مسقطاً لرأسه ، ولما جرى الكلام عن هذه المحاولة في مجلس شيخي العلاّمة عبد العزيز الميمني استنكرها بشدّة وعهد إليّ بالردّ عليها دفاعاً عن الحق ونصرة للأمانة العلمية ، ثم تفضّل عليّ بتزويدي بجميع المصادر الهامّة والمراجع النادرة من خزانة كتبه العامرة ، واتبع الدلو رشاءها فأنار الطريق أمامي بتوجيهاته حتى إذا امتثلت أمره وقدّمت بين يديه ماسودّته شملني برضاه وأجاز لي تبييضه ونشره ، فهاكم ، أيّها القرّاء ، مايتعلق بنسب السيد المرتضى ومولده عسى أن ينكشف الغبار ويعود الأمر إلى نصابه .

نسبه

السيد محمد المرتضى بن [أبي الفلام] (١) محمد بن [القطب الكامل أبي عبد الله] (١) السيد محمد القادري بن [الولي الصالح الخطيب أبي الضياء محمد] (١) السيد ضياء الله بن السيد خان محمد بن السيد عبد الغفار

---

(١) كذا في إجازات المرتضى بخطه ، انظر فهرس الفهارس . وزاد فيها « أبي الضياء محمد بن عبد الرزاق » لعلّ عبد الرزاق هو جدّ القبيلة (السيد تاج الدين) إلا اني لم أجد هذا الاسم في المصادر الأخرى ـ توفي السيد ضياء الله سنة ١١٠٣ هـ والسيد القادري سنة ١١٤٥ هـ .

ابن السيد تاج الدين (جدّ القبيلة) . إحدى القبائل الأربعة النازلة بحيّ سيد وارة (= حيّ السادات) بن السيد حسين المعروف بسيد دُولا رِ (١) ابن السيد حسن بن السيد محمود بُدهن بن السيد بدُه بن السيد جمال الدين ابن السيد إبراهيم بن السيد ناصر بن السيد مسعود بن السيد سالار بن السيد محمد صغرى (٢) بن السيد علي بن السيد حسين بن السيد أبي الفرج الثاني بن السيد أبي الفراس (؟ فراس أو الفوارس) بن السيد أبي الفرج الواسطي بن السيد داود بن السيد حسين بن السيد يحيى بن السيد زيد بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد علي العراقي بن السيد حسين بن السيد علي بن السيد محمد بن عيسى مُوتِم الأشبال (٣) بن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين بن الإمام حسين الشهيد السبط بن الإمام الهمام أسد الله الغالب علي بن أبي طالب زوج فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله ﷺ (مآثر الكرام ١ / ١١ و ٢٢٥ و ٢٣٩ و ٢٦٩ — ٢٢٠) .

مولده

إنّ مير غلام علي آزاد (١١١٦ — ١٢٠٠ هـ) أعرف الناس بمآثر أجداده وأهل بيته من سادات بلكرام ومن حسن الحظّ أنه معاصر للسيد المرتضى (١١٤٥—١٢٠٥ هـ) وبلديّه له اذن هو أوثق مصدر للخبر بشأن نسب السيد المرتضى ومولده وحياته إلى مغادرته بلگرام وتنقّله بين اليمن

(١) أي المحبوب باللغة الهندية .

(٢) أي صاحب الدعوة الصغرى ــ مآثر الكرام (ط حيدر آباد دكن ، ١٣٢٨ هـ) ١٢/١ ــ وهو أول من نزح إلى بلكرام من جهة خراسان ومعه صاحبه جدّ الشيوخ الفرشورية الذين ينتهي نسبهم إلى أبي بكر الصديق ــ المصدر نفسه ص ١٥ .

(٣) في اجازات المرتضى بخطه . « من قبيل أبي عبد الله محمد المحدث الكبير بن أحمد المختفي بن عيسى مُوتِم الأشبال » ــ فهرس الفهارس .

والحجاز في طلب العلم ـ وقد سجّل في مآثر الكرام تاريخ بلگرام (بالفارسية) ص ١٤٩ كما يلي :

« ومن أبنائه [١] (أي أبناء السيد القادري) السيد محمد المرتضى [٢] بن السيد محمد بن السيد القادري المترجم له ، درس الكتب العربية ووُفّق في حداثة سنّه لزيارة الحرمين الشريفين حتى سعد بها في سنة ١١٦٤ ، ودرس علم الحديث في المقامات المقدسة ، وهو في أيامنا هذه نازل بزَبيد اليمن ، يتخرّج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي ، أطال الله عمره وأوصله إلى أعلى درجات الدين » . (انظر التعريب أيضاً في أبجد العلوم ص ٧٢١)

وجاء في نزهة الخواطر لعبد الحي (حيدر آباد ، ١٩٥٩ م) ٧/٤٧١ :

« ولد (السيد المرتضى) بمحروسة بلگرام سنة خمس وأربعين ومائة وألف واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً ثم خرج منها فجاء إلى « سنديلة » و « خير آباد » وقرأ على أساتذتها ثم سافر إلى « دهلي » وأخذ عن الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي ثم ذهب إلى « سورت » وأخذ عن الشيخ خير الدين بن زاهد السورتي وأقام عنده سنة ثم سافر إلى الحجاز سنة أربع وستين وأقام بزبيد ... [٣] » .

---

(١) في أبجد العلوم « نبائره » جمع « نبيرة » أي الحفيد بالفارسية .

(٢) المرتضى » على الصواب في أبجد العلوم مكان « مقتدى » مصحّفاً في طبعة مآثر الكرام التي رجعت إليها .

(٣) هكذا قال السيد باسط علي ، ابن أخي المرتضى ، عن عمّه بعد زيارته له بمصر . انظر « قضاء الارب من ذكر علماء النحو والأدب » (بالأردوية) لذي الفقار النقوي ، آكره ، ١٣١٦ هـ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ ـ دلّني على هذا المرجع زميلي الأستاذ محمد جميل بالقسم العربي بجامعة كراتشي فله الشكر على ذلك .

وفي المرجع نفسه ٤٧٦/٧ وقد ذكر المرتضى بن محمد المترجم له في « برنامجه » الذي كتبه للسيد باسط علي بن علي بن محمد بن القادري البلگرامي بمصر نحواً من ثلاث مائة شيخ له الذين أخذ عنهم العلم وسمّى منهم من علماء الهند : الشيخ فاخر بن يحيى العباسي الاله آبادي والشيخ المسند ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي . قال وحضرت بمنزله في دهلي ...» (وهكذا أيضاً في أبجد العلوم ٧٢١) .

هذا وقد صرّح عبد الحيّ الكتاني في فهرس الفهارس ١ / ٩٩ - ٣٩٨ بأنّه ابن السيد المرتضى : « الواسطي العراقي أصـــلاً ، الهندي مولداً ، الزبيدي علماً وشهرة ، المصري وفاة ، الحنفي مذهباً ، القادري ارادة ، النقشبندي سلوكا ، الأشعري عقيدة ، هكذا يصف نفسه في كثير من إجازاته التي وقفت عليها بخطه ، (مسقط رأسه) أصله من بلْجيرام قصبة على خمسة فراسخ من قنوج وراء نهر جنْبج الهندو بها ولد سنة ١١٤٥ كما أرخ هو نفسه ولادته في آخر إجازته لعمر بن حمودة الصفّار التونسي وهي عندي بخطّه ، واشتغل على المحدث محمـد فاخر بن يحيى الإله آبادي والشاه ولي الله الدهلوي فسمع عليه الحديث وأجازه ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زبيد ... » .

ثم هو أي السيد المرتضى ذكر في معجمه الصغير ضمن شيوخه الذين لقيهم :

١ — محمد فاخر بن محمد يحيى العباسي .

٢ — نور الحق بن عبد الله الحسني نزيل مكة .

٣ - ولي الله الدهلوي .

٤ — ياسين العباسي نزيل أكبر آباد (١) .

(فهرس الفهارس ١/٤٠٣)

ومما وقف عليه الشيخ أحمد أبو الخير المكّي العطار من مشايخ آخرين للشيخ المرتضى : « العلامة المحدث نور الدين محمد القبولي نسبة إلى قبولة بالفتح حصن منيع بالهند ، لقيه بدهلي ، وبها توفي سنة ١١٩٠ .

(المرجع نفسه ١/٤٠٤ نقلاً عن « النفح المسكي ») .

أما تلميذه الجبرتي فانما عُني بحياة شيخه في مصر واتصالاته العلميـة الوثيقة المستمرّة الباقية مع شيوخ اليمن ولذلك لا يُستغرب منه أن يقتصر في الإشارة إلى مولده ومنشأه على قوله : ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحجّ مراراً ... « وأيّ البلاد تكون هي غير الهند ؟ لا شك أنها كانت معلومة لدى الجبرتي وأقرانه .

على كلّ حال لئن كان لغير المدققين في الزمن الغابر بعض العذر من عدم الاطلاع على المصادر والمراجع وما إلى ذلك في الجهـل عن مولده ومنشأه حتى قال صاحب أبجد العلوم بهدوء وسماحة : « قلت وقد أقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدي واشتهر بذلك واختفى على كثير من الناس كونه من الهند ومن بلگرامها » (ص ٧٢١) .

١ — يقول المحقّق (الأستاذ عبد الستار فراج) . « فقد ذكروا أنه (المرتضى) ولد ببلد هندي هو بلجرام ... أو الواسطية التابعة لبلجرام »

(١) قرأها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج « اكبر آباديس » مع أنّ « ليس » علم لشيخ آخر كما جاء في فهرس الفهارس على نسق . « ... نزيل اكبر آباد ليس ابن محمد الجيلي » أما « اكبر آباد » فقد سميت به متأخراً مدينة « اكره » المشهورة بشمال الهند لما اتخذها السلطان اكبر المغولي مقراً له .

(تقديم وتعريف) « والواسطية » ، ليست مدينة كبلجرام ، انما هم السادات الواسطية الذين نزحوا إلى بلجرام ثم يستغرب المحقق اهمال الزبيدي لذكر بلجرام في تاج العروس في المستدركات ، كأن الزبيدي التزم بذكر مولده مع انّه لم يُمن بالإشارة إلى أنّ أصله من واسط حينما عدّد الأماكن المسماة من مادة وسط « وهو » الواسطي العراقي الأصل ، عند المحقق من غير شك . وهل يخفى على الباحث السليم أنّ الزبيدي انما تعرّض لذكر الأمكنة التي يكثر ذكرها في الآداب العربية وليست بلجرام منها ؟ ـ كألوف من بلاد الهند وأنهارها وجبالها .

٢ ـ يخلص المحقق إلى القول . « نحن لا نجد نصّاً واضحاً في كلامه (المرتضى) يدلّ على أنه من الهند » (زي) والنص مثبت في فهرس الفهارس (٣٩٨/١) كما مرّ ، إلا أنّه يغمض عينه ويجترىء على اتهام الكتاني ، بـ « مبالغة واستنتاج غير قوي لا لشيء إلا لأنه ذكر عالمين هنديّين ضمن شيوخ المرتضى بناءً على ما جاء في معجمه الصغير ، والأسماء الواردة هناك (فهرس الفهارس ٤٠٣/١) أربعة كما فصلنا آنفاً ، يجعل الأستاذ المحقق من (١) محمد فاخر ... و (٢) نور الحق ... نزيل مكة رجلاً واحـــداً ، كذلك من (٣) ولي الله الدهلوي و (٤) ياسين العباسي نزيل أكبرآباد . رجلاً واحداً أيضاً ، ليستطرد من ذلك إلى استنتاج واه لا أساس له . ثم قرأ « أكبر آباديس » مع أنّ ليس علم لشيخ آخر هو « ليس بن محمد الحيلي » .

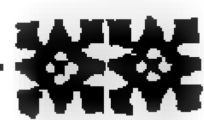
٣ ـ وأخيراً يشك الأستاذ المحقق في كون « السيد القادري » جدّ المرتضى (حي) ، ولو أنه تحرّج من نقل كلام غلام على آزاد ناقصاً مبتوراً من الآخير لوجد فيه ما يقطع بذلك ، فان آزاد يتكلم عن فتى « يتخرج في فن الحديث على الشيخ عبد الخالق الزبيدي » .

(انظر تسريبنا أعلاه) ثم انّ « السيد القادري » هو المَعنيّ بـ « القطب أبي عبد الله محمد » في اجازات المرتضى بخطه التي وقف عليها الكتاني (٣٩٨/١)

و « القطب الكامل السيد محمد » كما ورد في معجمه الصغير ، وانما لقّب السيد القادري بذلك لأنه أخـــذ الطريقة القادرية عن شيخه السيد ليّس الحموي ، قطب القادرية بحماه ، وحصل على الإجازة في التجويد والحديث من قبّل سلطان بن ناصر بن أحمد الخابوري ، الذي يقول في اجازته . « لما كان في حدود سنة خمسة عشر (كذا) ومائة وألف قدم دار السلام بغداد الإمام العالم والحبر الهمام الكامل الزاهد الورع العابد ... السيد محمد القادري بن السيد ضياء الله الحسيني الواسطي ثم الهندي البلگرامي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي وقد جاور حرم الغوث الصمداني والقطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني قدس الله سره العزيز ... » (عن مآثر الكرام ١/١٤٦) هـذا ولتقرن بذلك نسبة السيد باسط علي بن علي بن محمد بن القادري البلگرامي وهو ابن أخي المرتضى ، زاره بمصر واستكتبه برنامجه الذي اقتطف منه صاحب أبجد العلوم وصاحب نزهة الخواطر كما أوردناه من قبل .

فخلاصة القول أنّ السيد المرتضى من السادات الواسطية ، نزح جدّهم السيد محمد صغرى إلى بلگرام وفتحها واستقرّ بها واستوطنها في سنة ٦١٤ هـ . ونبغ من ذريته عبر الأجيال المتعاقبة أقطاب وعلماء ورجال الحكم والفروسية حتى اشتهرت بلگرام كمعقل للعزّ ومعدن للعلم ، وبها ولد السيد المرتضى في سنة ١١٤٥ هـ ، وأشرب حب العلم فتنقل دارساً بين مدن الهند حتى إذا لم يجد ما يشفي غلّته رحل إلى الحجاز في سنة ١١٦٣/١١٦٤ وبقي في الحجاز واليمن إلى أن ألقى عصا التسيار بمصر في سنة ١١٦٧ ـ فبلگرام أول أرض مسّ جلده ترابها وبالهند عقّ الشباب تميمته ، لم يخرج منها إلا في الثامنة عشرة من عمره ، وكذلك المهنّد يستخرج من معادن الهند ويطبع بها ثم لا يبقى منه للهند إلا نسبته إليها .

القسم العربي بجامعة كراتشي
(الباكستان)



الدكتور محمد يوسف

حول التأثيل اللغوي

ظاهرة في المعجم العربي

جديرة بالدراسة

(مادة الباء في ترتيب الصحاح ، تشتمل على أكثر
مواد المعجم التي يدخل الماء عنصراً في تعريفها)

— ٣ —

ر ع ب رَعَبَ الحَوْضَ : مَلأَهُ ، ورَعَبَ السَّيْلُ الوَادِي : مَلأَه ،
وفي لسان العرب : رَعَبَ فِعلٌ مُتَعَدٍّ وغيرُ مُتَعَدٍّ ، تقولُ :
رَعَبَ الوادي فهو راعِبٌ إذا امتَلأَ بالماء ، ورَعَبَ السَّيْلُ
الوادي إذا مَلأَه ، ويقال : أصابَهم مَطَرٌ راعِبٌ .
وفي الأساس : ومن المجاز : حَمَامٌ راعِبِيٌّ : شديدُ الصَّوْتِ
يَرُوعُ بصَوْتِه أو يملأُ به مَجارِيَه .

ر غ ب أرضٌ رَغَابٌ : تأخذُ الماء الكثير ، أو لا تسيلُ إلاَّ من مطرٍ
كثير ؛ ويقال : وادٍ رَغيبٌ : واسعٌ كثيرُ الأخذِ للماء .
المِرْغابُ : نهرٌ بالبصرة ، ونهرٌ بمَرْو .
ورَغْباءُ : بئرٌ معروفة .

ر ق ب الرَّقُوب : النَّاقةُ التي لا تدنو إلى الماء من الزِّحام . سُمِّيَت بذلك
لأنَّها تَرْقُبُ الإبل فإذا فرغت من شربها شربت .

ر ن ب أُرَيْنِبَةُ : اسم ماء وبالقرب منها الأَوْدِيَة .

ر هـ ب الإِرْهاب : قَدْعُ الإبلِ عن الحوض وذِيادُها .

ر و ب رابَ اللَّبَنُ : خَثُر ، ولبنٌ رَوْبٌ ورائبٌ : ما مُخض وأُخرج زبدُه . الرَّوْبَةُ والرُّوبةُ : خميرة اللَّبن وجِمَامُ ماء الفَحْل .

ورَابَ دَمُهُ : حانَ هَلاكُه ، وفي الأساس : شُبِّه بلبنٍ خَثُر وحانَ أن يُمخَض .

ز أ ب زأبَ الرجُل إذا شرب شُرْباً شديداً . وزَأبْتُ : شَرِبْتُ .

الزَّآنِبُ : القَوَارِيرُ .

ز ب ب زَبَّ القِرْبَة زَبّاً : ملأها إلى رأسها فازرَبَّتْ ، وعامٌ أزَبُّ . مُخصِب كثير النَّبات .

الزَّبَّاءُ : اسم لمياهٍ وعيون عديدة .

الزَّبِيبُ : يابسُ العنب ، وزبدُ الماء . وزَبَّبَ فَمُ الرَّجلِ أي خرج الزَّبدُ منه .

الزَّبْزَبُ : ضَربٌ من السُّفُن .

ز ر ب زَرَبَ الماء : سال ، والزِّرْبُ : مسيلُ الماء .

والمِزْراب : الميزاب .

زَرْدَبَهُ : رماهُ في زِرْداب ، وهو ما انحدر من السُّيُول .

ز ع ب زَعَبَ الإناء : مَلأه ، وزعبَ السَّيْلُ الوادي : ملأه ، وهو سَيْلٌ زاعِبٌ وزَعُوب .

ز غ ب أزْغَبَ الكَرْمُ : جرى فيه الماء وبدأ يُورق .

زُغَيْبَةُ : ماءٌ .

الزَّغْدَب : من أسماء الزَّبد ، أو الزَّبدُ الكثير ، كالزُّغادِب .

الزَّغْرَب : الماء الكثير . وبحرٌ زَغْرَب ، وبئر زغرَب وزَغْرَبة ، وعَيْنٌ زَغْرَبَةٌ ، كثيرةُ الماء .

ز ك ب زَكَبَ الإناءَ ، مَلأه ، والزَّكبُ : المَلْءُ .

ز ل ب ازْلَعبَ السَّحابُ : كَثُفَ ، وازلعبَ السَّيلُ : كَثُرَ وتدافع .

ز ن ب زُنْقُبٌ : ماءٌ .

ز و ب زابَ : انسل هَرَباً . وزاب الماء : جَرى .

والزَّاب : اسم لأنهار عديدة .

ز ي ب الأَزْيَبُ : المـــاءُ الكثيرُ ، يُقال : جاشَ أَزْيَبُ البحر وهو كثرةُ مائِه .

س أ ب سَأَب : رَوِيَ . وسَأَب السِّقاءَ : وَسَّعَه . والسأبُ : الزِّقُّ .

والمِسْأَب : الرَّجلُ الكثير الشُّرب للماء .

س ب ب تَسَبْسَبَ الماء : جرى وسال . وسَبْسَبَ : أسال .

السَّبْسَب : الأرض القَفْر لا ماءَ بها .

س ح ب سَحَبَ : شَرِب شرباً شديداً ، فهو أُسْحُوبٌ أي شَرُوبٌ .

السَّحَابَةُ : الغَيْمة التي يكون عنها المطر .

رجلٌ سَحْبانٌ : جُرافٌ يجرف ما مَرَّ به .

والسُّحْبَةُ : المُوَيْهَةُ أو فَضْلَةُ ماءٍ تبقى في الغَدِير كالسُّحابة .

س ر ب سَرِب : سال . والسَّرَبُ : الماءُ السائِل . والسَّرابُ . ما يُرى نصفَ النهار لاطِئاً بالأرض كأنَّه ماءٌ .

تَسَرَّبَ : تَمَلأَ .

السَّرَبُ : القناة يدخل منها الماءُ الحائطَ .

السِّرْداب : بناءٌ تحت الأرض للصَّيف ، وهو معرب عن سَرْدآب .

س ط ب السَّاطِيب : المياه السُّدْم المندفنة .

س ع ب سعب وانسعب الماء إذا سال .

س غ ب سَغِب : عَطِش ، والسَّغَبُ : العَطَش .

س ك ب سَكَبَ : صَبَّ . وماء سَكْبٌ وسَاكِب وسَكُوبٌ وسَيْكَبٌ : جارٍ ، والسُّكُبُ : المَطَلانُ الدَّائِمُ كالأُسْكُوب .

س ل ب المُسْلَئِب : المطرُ الكثير .

س هـ ب أَسْهَبَ : إذا حفر بئراً فبلغ الماء . وبئرٌ سَهْبَةٌ : بعيدة القعر ، والسَّهْباءُ : بئرٌ ورَوْضَةٌ .

س ي ب ساب : جرى فانساب . والسيبُ : الماء يجرى أو مَجْرى الماء ، والسُّيُبُ : نَهرٌ . والمَسِيب : وادٍ .

ش أ ب الشُّؤْبُوب : الدُّفْعَةُ من المطر وغيره .

ش ج ب الشَّجْبُ : السِّقاء اليابس .

ش خ ب الشَّخْبُ : السَّيَلان . والشُّخْبَةُ : الدُّفعة من لبن الضَّرْع انْشَخَبَ : سال وانفجر .

ش ر ب شَرِب : جَرَعَ . والمَشْرَبَ : الماءُ يُشرَب والمَوْرِد .
والشَّراب : اسمٌ لما يُشرب .
أشرَبَ الرجل : سَقى إبلَه ، وأشرب : عطش .
الشَّارِبَةُ : القوم يسكنون على ضفة النهر .
الشِّرْبَةُ : مقدار الرِّيّ من الماء . والشَّرْبَةُ : الحويض حول الشجرة يُملأ ماءً . وشَرَّبَ قَصَبُ الزَّرْع إذا صار الماء فيه .

ش ز ب شَزِبَ : يَبِس . والشَّازِبُ : اليابس .

ش س ب شسب يبس . والشَّاسِبُ : اليابس .

ش ص ب الشَّصْبُ والشَّصَبُ : اليُبْسُ .
الشَّصِيبَةُ : قَعْرُ البئر .
ش ط ب الشَّطْبُ : الأخضر الرَّطب من جريد النخل .
انشَطَبَ الماء وغيره : سال . والمُنْشَطِبُ : السائل .
ش ع ب الشِّعْبُ : مسيل الماء في بطن الأرض .
والشُّعْبَةُ : المسيل في الرَّمل ، أو صَدْعٌ في الجبل يأوى إليه المطر . شَعْبَان : شَهْرٌ ، من تَشَعَّبَ ، إذ كانوا يتشعَّبُون فيه في طلب المياه .
ش ن ب الشَّنَبُ ، ماء ورقَّةٌ في الأسنان .
والشَّنْبَاء من الرُّمان : ليس لها حَبٌّ ، إنما هي ماء في قِشْر .
الشُّنْظُبُ : كلُّ جُرُف فيه ماء .
ش و ب الشَّوْبُ : ما شُبْتَه من ماء أو لبن فهو شَوْبٌ ومَشِيبٌ .
ش ه ب أرضٌ شهباء : جَدْبَةٌ لا خُضْرة فيها لقلة المطر . وسنةٌ شهباءُ : لا مطر فيها .
الشَّهَابُ : اللَّبَنُ الذي ثُلثاه ماء ، كالشَّهَابَة .
ش ي ب يوم أشْيَبُ وشَيْبَانُ : فيه بَرْدٌ وغيمٌ وثَلْجٌ .
ص أ ب صَئِبَ : رَوِيَ وأكثرَ من شرب الماء ، فهو مِصْأَبٌ .
ص ب ب صَبَّ : أراق وسكب ، فَصَبَّ وانصَبَّ واصطبَّ وتصبَّبَ .
والصُّبَّةُ : البَقِيَّةُ من الماء واللَّبن كالصُّبَابة .
الصَّبَبُ : تَصَوُّب نهر أو طريق يكون فيه حَدُور .
الصَّبِيبُ : الماء أو الدَّمُ أو العَرَقُ المَصْبُوب .

صحب اصْحَبَّ الماء : علاه الطُّحْلب ، فهو مُصْحِبٌ .
المَصْحَبِيَّةُ : ماءٌ .

صخب صَخِب : جاش ، وعَيْنٌ صَخْبَةٌ : مُصْطَفِقَةٌ عند الجَيَشان .
صَخِبَ واصْطَخَبَ البحر تلاطمت أمواجُه .

صرب الصَّرْبُ : اللَّبَنُ الحامِضُ . وصَرِب اللَّبَن : اجتمع في الضَّرْع .
المِصْرَب : إناءٌ يُصْرَبُ فيه .

صعب الصُّعْبِيَّةُ : ماءٌ .

صلب صَلُبَ : غَلُظَ واشـــتد . وصَلَب اللحمَ : شواه . وصَلَبَه الحرُّ : أحرَقَه .
الصُّلْبُ والصُّلَب من الأرض هي التي لم تزرع زمناً .
صَلَّبَ : يَبِسَ . مُطَرٌ مُصَلِّبٌ شديدٌ .
تَصْلَبُ : ماءَةٌ .

صوب الصَّوْبُ : الانصِبابُ والإراقةُ . صاب المطر وانصابَ : انصب .
يقال : مطرٌ صَوْبٌ وصَيِّبٌ وصَيُّوبٌ .
الصَّيِّبُ : السَّحاب ذو الصَّوْب .
التَّصَوُّب : الانحدارُ والمجيءُ من علٍ .
الصَّاب : شَجَرٌ إذا شُقَّ سال منه الماء .

صهب الصَّيْهَبُ : كل موضع تحمى عليه الشمس حتى ينشوي اللحم عليه .
الأصهب : عَيْنٌ . والأُصَيْهِبُ : ماءٌ .

ضبب ضَبَّ : سال . والضَّبُّ : السَّيَلان غير الشديد .
وضَبَّ الناقة : حلبها . والضَّبُّ : الحلَبُ واللُّصُوق بالأرض .

وأضَبَّ السِّقاء : هُريقَ ماؤه .

أضَبَّ اليوم : صار ذا ضباب يغشّى الأرض .

ضُبَيْبٌ : ماء .

ض ر ب ضَرَبَ اللبنَ : خلَطه ، وضَرَبَ في الماء : سبح .

الضَّرْبُ : المطرُ الخفيف . الضَّرْبةُ : الدفعة من المطر الخفيف .

اضطرب الموجُ : ضَربَ بعضُه بعضاً .

الضَّريب : الثَّلجُ والصَّقيعُ يقع بالأرض ، أو يضرب بالشهد .

ضَرَّبَ : شرب الضريب .

أضربت الريحُ الأرضَ : أنشفتها من الماء .

ط ب ب طَبْطَبَ الوادي : سالَ بالماء .

الطَّبْطَبَةُ : صوتُ الماء إذا اضطرب وتلاطم بعضه بعضاً .

ط ح ب الطَّحْلُب : خُضْرَةٌ تعلو الماء المُزْمِن . وعينٌ مُطَحْلِبَةٌ وماء مُطَحْلَبٌ : كَثُرَ طُحْلُبُهُ .

ط ر ب الطَّرْطَبَةُ : اضطرابُ الماء في جَوْف .

ط س ب الطَّاسيبُ : المياهُ السُّدُم المندفنة .

ط ل ب بئرٌ طَلُوبٌ : بعيدةُ الماء . وأطْلَبَ الماء : إذا بَعُدَ . وماء مُطْلِبٌ : بَعيدٌ .

ط ن ب أطْنَبَ النهر : بَعُدَ ذَهابُه .

ط ي ب طابت الأرض : أخْصَبَتْ وأكْلأتْ .

واسْتَطَابَ القومَ : سألهم ماءً عَذْباً .

الطَّابةُ : الخمْرُ والعَصير . واستطابَ الرجلُ . شربَ الطَّابةَ .

ع ب ب العَبُّ : شُرْبُ الماء .

العُبَابُ : معظم السيل ، وعباب البحر : موجُه .

العُبُبُ : كثرةُ الماء .

اليَعْبُوب : الجَدْول الكثير الماء أو الشَّديدُ الجِرْيَةِ ، أو المكان الحائرُ (١) .

العُبُبُ : المياه المُتدفِّقة .

وعَبَّت الدَّلو : صَوَّتت عند غرف الماء .

عُبَاعِبُ : ماءٌ .

ع ث ب عَثْلَبَ الماءَ : جَرَّعَه شديداً .

عَثْلَبٌ : اسم ماء .

ع ذ ب العَذْبُ : الماء الطَّيِّب . وأعْذَبَ القومُ : عَذُبَ ماؤهم .

العَذَبُ : القَذَى يعلو الماء ، أو هو الطُّحْلُب نفسُه ، وماءٌ عَذِبٌ : مُطَحْلِبٌ .

وأعْذَبَ الحوضَ : نزع طُحْلُبَه وما فيه من القذى .

اعذَوْذَبَ : احْلَوْلَى .

العَذيب والعذيبة : ماآن .

ع ر ب عَرِبَ النهر : غَمَرَ فهو عاربٌ ، وعَرِبت البئر ، كَثُر ماؤها .

العَرَبَةُ : النهرُ الشَّديدُ الجري .

العَرَبُ : الماء الكثير الصَّافي ، ويُكسر راؤُه وهو الأكثر ، يقال : ماءٌ عَرِبٌ : كثيرٌ . ونهر عَرِبٌ . غَمْر . وبئرٌ عَرِبَةٌ : كثيرةُ الماء .

التَّعْريب : الإكثار من شُرْب العَرَب .

(١) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف ، يكون فيه الماء أو المطر ، وجمعهُ حوران .

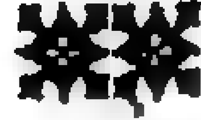
العِرْبُ : يَبيسُ البَقْل ، والواحدة : عِرْبَة .

عَرَبَةُ : ناحيةٌ قربَ المدينة ، وأخرى في بلاد فلَسْطين .

قال الأزْهري : وأقامت قُرَيشٌ بعَرَبَة فنُسبتِ العَرَبُ إليها [١] .

العَرَبات : بلاد العرب ، وسُفُنٌ رواكدُ كانت في دِجْلَة .

(يتبع) عدنان الخطيب



(١) يؤكد كثير من العلماء في عصرنا هذا ، أن شبه الجزيرة العربية كانت في الأزمان الغابرة العريقة في القدم ، بلاداً ترويها مياه الأنهار التي تتدفق ينابيعها في مختلف أرجائها ، كما كانت جبالها مكسوة بالأحراج وسهولها عامرة مشجرة ، ثم أخذت الطبيعة تتحول ، والعيون تغور والمياه تنضب ، حتى أصبحت الجزيرة بلاداً جافة صحراوية وجناتها قفاراً قاحلة .

ولعل هذا ، الذي تؤكده الدراسات الطبقية (الجيولوجية) وبعض الكشوف الأثرية ، يعلل للعلماء المعاني التي أوردتها معاجم اللغة في مادة (ع ر ب) .

تسمية شارع باسم المرحوم الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

اتخذت أمانة العاصمة قراراً مؤرخاً في ٢٤/٨/١٩٦٨ يحمل الرقم ١٩/١ بتسمية أحد شوارع العاصمة (دمشق) باسم العلامة المرحوم الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق. والشارع المسمى هو الممتد بين شارع الملك العادل وشارع جول جمال.

* * *

شكر

كان المرحوم الأمير مصطفى الشهابي الرئيس الراحل لمجمع اللغة العربية بدمشق قد أوصى باهداء خزانة كتبه وأثاث مكتبه إلى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق، وقد حفلت مكتبة الفقيد بالكتب العلمية والأدبية الثمينة كما وجد فيها بعض المخطوطات القيمة، ولقد قام ورثة الفقيد بتنفيذ هذه الوصية تنفيذاً كاملاً، والمجمع إزاء هذا العمل النبيل يرى من الواجب أن يستمطر شآبيب الرحمة على الفقيد الكبير وأن يسجل شكره الخالص لأسرة الفقيد التي قامت بتنفيذ الوصية خير قيام.

* * *

بشارة الخوري

(الأخطل الصغير)

(١٨٨٠ — ١٩٦٨ م)

امتدت يد المنون في صيف هذا العام ١٩٦٨ إلى الشاعر العربي الكبير والأديب الشهير الأستاذ بشارة الخوري عضو مجمع اللغة العربية في دمشق، وكانت وفاته بعد ضعف أصابه وألزمه الفراش حقبة طويلة من الزمن .

لقد فقد عالم الشعر بالأستاذ بشارة الخوري ـ الأخطل الصغير ـ شاعراً كبيراً طالما هز المنابر وصفق له الناس إعجاباً بشعره، وإكباراً لشاعريته .

اشتهر الأخطل الصغير برقة شعره وعاطفته وأسلوبه الأخاذ حتى كان شعره أشبه بالغناء ، ولقد بدأ حياته الأدبية في بيروت فصحب الأدباء ممن تقدموه ، ثم عمل في الصحافة فأسس جريدة « البرق » وأخذ ينظم القصائد التي اشتهر منها قصيدته : عروة وعفراء ، والهوى والشباب ، والسلول ، وشارك في الحفلات الكبرى وخاصة حفلات التأبين لعظماء العرب من مثل سعد زغلول وشوقي وحافظ وفوزي الغزي والياس فياض ، وقد أقيمت له منذ سنوات قليلة حفلة تكريم اعترف له الشعراء فيها بالتقدم والسبق في مضمار الشعر .

ولن ينسى هذا الجيل الأدبي قصائد الأخطل في : عمر ونعم ، وفي : « الهوى والشباب » وفي : « جفنه علم الغزل » فقد تهافت عليها الملحنون يلحنونها كما تغنى بهـا المطربون لأن شعر الشاعر الكبير كان أقرب الشعر إلى الغناء والإنشاد .

ومجلة المجمع التي تربطها بالشاعر الكبير الفقيد صلة وثيقة لن تنسى مواقفه الشعرية الرائعة في قاعة المحاضرات من المجمع ، كما لا تنسى مشاركته القيمة في بناء المجد الأدبي للغة العربية . . .

رحم الله الفقيد الكبير وعوض الشعر العربي عنه خير العوض .

* * *

تصويبات لأخطاء وقعت في

الجزء الثاني من المجلد ٤٣

صفحة	سطر	خطـــأ	صواب
٤٠٢	١	تمليلية	والصواب لعنوان البحث هو تحليلية
٤٠٢	٦	هي	زائدة وتلغى
٤٠٤	٨	بها	بها
٤٠٦	٥	يقضى	يفضى
٤٠٦	٧	والمتوة	والمنوة
٤٠٧	الهامش ٢	أبن جيش	ابن حبيش
٤١١	١	أساس	أساسي
٤١٢	٣	عشروية	عشورية
٤١٢	٩	خرجت	خرّجت
٤١٦	٩	سرر	بسرد
٤١٧	١٣	لابن عبيد	لأبي عبيد
٤١٩	١٠	لاصطلاح	الاصطلاح
٤١٩	١٧	لوكفارد	لوكفارد
٤٢٢	٢	،	،
٤٢٣	١٩	،	،
٤٢٥	١١	،	،
٤٢٥	١	بفرض	بغرض
٤٢٦	هامش ٤	أغاينيدس	أغانيدس
٤٠٣	٢	تم	تتم

****

فهرس المجلد الثالث والأربعين

الجزء الأول

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

*

الجزء الثالث

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

صفحة

الجزء الرابع

التعريف والنقد

آراء وأنباء